قام الطالب بتصويب ما أبدته اللجنة من ملاحظات

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

توقيع الطالب

الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

للإمام القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ

تحقيق ودراسة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية

من الطالب
فائز سعيد صالح عزام

بإشراف
الأستاذ الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار

سنة ١٤٠٥هـ
الموافق ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى أبي وأمي أعزهما الله تعالى .

إلى من ربياني صغيراً منذ نعومة أظفاري على المعاني السامية والأخلاق الرفيعة حتى نشأت وترعرعت بين أحضانهما .

إلى أبي الفاضل ، وأمي الحنونة

إليهما أهدي ثمرة جهدي وعملي في هذه الرسالة وذلك عرفانا للجميل .

راجيا من الله العلي القدير أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا بما ينفعنا إنه سميع مجيب .

أبو مجاهد

بسم الله الرحمن الرحيم

" تمهيـــد "

الحمد لله الذى أوجب على عباده معرفته ، والايمان بواحدانيته ، وجعل سبيل ذلك النظر فى آثار وجوده ، وروائع قدرته ، وأعلى منازل العلماء وشرّف قدرهم ، لما يبذلونه من جهود فى اقامة البراهين والحجج التى تؤيد الحق ، الذين جعلوا ارضاء الله مقصدهم ، والدعوة الى الله سبيلهم ، والذين جعلوا وحدانية الله فى ربوبيته وألوهيته عقيدتهم.

الذين ترفعوا عن دنس الشرك ، وابتعدوا عن كل زيغ وانحراف ، فكان الايمان فى نفوسهم يقينا لا يتزلزل ، فكانوا منارات سامقة فى هذا الظلام الذى خيم على العالم فأناروا الطريق بنور الايمان والعلم.

والصلاة والسلام على خير الأنام محمد ابن عبد الله ، أظهر الأنبياء حجة ، وأبينهم برهانا ، وأرجحهم فى العلم والفضل ميزانا . فهو أصدقهم لهجة وأكثرهم بيانا . انه رسول التوحيد الخالص الى جميع الشعوب والأمم . أنزل الله عليه القرآن الكريم رحمة للعالمين ، فدعا الناس الى توحيد الله ، هذا التوحيد الذى جاءت به الكتب السماوية ، المنزّلة على من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فصحح بالاسلام وعقيدته السليمة ما أصاب تلك العقائد السابقة من انحراف وتبديل وتغيير .

لأن دين الله واحد ، ورسالات السماء كلها دعت الى وحدانية الله . ومن هنا نجد أن كل رسول كان يبعث الى قومه يقول لهم (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) (١) ورسالة عيسى عليه الصلاة والسلام شأنها شأن كل رسالة نزلت من عند الله ، ولكن دعوة المسيح عليه السلام سرعان ما أصابها التغيير والتحريف، حتى حل مكانها التثليث الذى لم يكن معروفا عند المسيحيين حتى أواخر القرن الثانى الميلادى . (٢)

---

(١) سورة الاعراف / آية رقم ٥٩

(٢) انظر النصرانية والاسلام للطهطاوى / ٢٧

ولما كنت بصدد اعداد رسالة للحصول على درجة الدكتوراه في العقيدة الاسلامية ، فكرت منذ البداية في موضوع أكتب فيه ، ، وبعد تجوّال وتطواف عثرت على مخطوط يرجع الى القرن السابع الهجري لأحد العلماء المشهورين وهو الامام القرطبي رحمه الله ، يرد فيه على أحد كتّاب النصارى ، وقد كتب كتابا سماه تثليث الوحدانية ، وقد شجعني على تحقيق هذا المخطوط سعادة المشرف على هذه الرسالة الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار سدد الله خطاه .

وقد سجلت هذا المخطوط بقسم الدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة أم القرى قبل ثلاث سنوات وهو بعنوان " الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن دين الاسلام واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام" تحقيق ودراسة .

ولقد شملت هذه الرسالة جانبين ، الجانب الأول وهو الدراسة ، وقد قسمت الدراسة الى بابين فكان الباب الأول : بين يدى المخطوط ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : فيما يتعلق بالمقدمة . وقد شملت عدة مباحث :

المبحث الأول : في بيان أسباب اختيار الموضوع .

المبحث الثاني : أشهر من ألف في هذا الفن ، وأهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف .

المبحث الثالث : ترجمة لمؤلف المخطوط . حياته ، شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : عصر المؤلف ، وفيه مناسبة تأليف المخطوط للعصر الذى عاش فيه المؤلف .

الفصل الثاني : فيما يتعلق بالمخطوط وخطوات التحقيق ، ويشتمل هذا الفصل على عدة مباحث أيضا :

المبحث الأول : سبب تأليف الكتاب ، ونسبة المخطوط لمؤلفه .

المبحث الثاني : وصف النسخ الخطية .

المبحث الثالث : منهج المؤلف في المخطوط .

المبحث الرابع : منهج المحقق في تحقيق المخطوط .

أما الباب الثاني : في بيان ما اشتمل عليه الكتاب ، وعرض لعقائد النصارى .

وقد اشتمل هذا الباب على عدة فصول :

الفصل الأول : بيان موجز لما اشتمل عليه الكتاب .

الفصل الثاني : في بيان عقيدة النصارى في الأقانيم

الفصل الثالث : في بيان عقيدة النصارى في الاتحاد والحلول

الفصل الرابع : في بيان عقيدة الصلب عند النصارى .

الفصل الخامس : في بيان أن النصرانية خاصة لبني اسرائيل وأنها ليست دعوة عالمية .

وقد شمل الجانب الثاني من الرسالة تحقيق النص وبيان محتويات المخطوطة .

والحق أنها ذات قيمة علمية ومعنوية ، ويظهر لي ذلك من خلال ترتيب صاحبها الكلام على أربعة أبواب على النحو التالي :

الباب الأول : في بيان مذاهبهم في الأقانيم وابطال قولهم فيها . ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول وكلها في حكاية كلام السائل في أمر التثليث والجواب عنها .

الباب الثاني : في بيان مذاهبهم في الاتحاد والحلول وابطال قولهم فيها ، وفيه فصول ستة ، وكلها في حكاية كلام السائل عن الحلول والاتحاد والرد على ما قيل ، وحكاية عن مذهب أغشتين وهو زعيم القسيسين والرد عليه .

الباب الثالث : في الكلام على النبوات واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام . وهذا الباب ينقسم الى قسمين :

أحدهما : في الكلام على حديث السائل والرد عليه . وفيه عدة فصول حول هذا الموضوع ويذكر بعدها فصلين :

الأول : فصل في بيان بعض ما طرأ في التوراة من الخلل .

الثاني : فصل في بيان أن الانجيل ليس بمتواتر .

ثانيهما : تكلم فيه على النبوات ، وعلى اثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وفيه مقدمتان وفصول .

المقدمة الأولى : فى بيان معنى النبوة والرسالة والمعجزة وشروطها ، ووجه دلالاتها .

المقدمة الثانية : الغرض منها تبين أن عيسى عليه السلام ظهرت المعجزات على يديه وتحدى بها الخلق ليؤمنوا أنه رسول الله لا ليؤمنوا به أنه اله ، وأن النصارى غير عالمين بمعجزات عيسى عليه السلام اذ لم يتواتر عندهم .

أما فصول هذا الباب فهى كثيرة وكلها يدور حول الاستدلال على نبوة نبينا محمد عليه السلام وفى ذكر معجزاته ، وفى عصمة الله له ممن أراد كيده ، وفيما ظهر على يدى أصحابه رضوان الله عليهم من الكرامات الخارقة للعادات .

الباب الرابع : فى بيان أن النصارى متحكمون فى أديانهم ، وأنهم لا مستند لهم فى احكامهم . وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى بيان أن النصارى أضعف الناس عقولا وأقلهم فطنة وتحصيلا .

الفصل الثانى : وقد بين فى هذا الفصل أن النصارى يخالطون كتبهم ولا يعملون بمقتضياتها بل يتركون العمل بها .

ثم أحببت أن يختم هذا الكتاب بخاتمة ، فقد عرضت فى هذه الخاتمة أهم النتائج التى توصلت اليها بعد دراسة هذا الكتاب .

هذا وقد عنيت فى تحقيق هذا المخطوط ودراسته بالمراجع التى كتبها مسيحيون وغير مسيحيين ، وقد اعتمدت بالدرجة الأولى بعد القرآن الكريم على الكتاب المقدس ، أى العهد القديم والعهد الجديد ، ليكون ذلك أقرب بقدر الامكان الى اعتقاد المسيحيين .

وقد قدّم الكتاب المقدس مادة ضافية لجانبى التحقيق والدراسة ، وكان عمادا كبير الشأن أقمت عليه صرح هذه الرسالة .

ويأتى بعد الكتاب المقدس كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى ، وكتاب بين الاسلام والمسيحية لأبى عبيدة الخزرجى ، وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ، وهداية الحيارى لابن قيم الجوزية ، وكتاب المنتخب

الجليل من تحجيل من حرف الانجيل لأبى الفضل المالكى السعودى وكتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب .

هذه أهم المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى التحقيق والدراسة ، وهناك مراجع أخرى كثيرة تجدها مثبتة فى نهاية هذه الرسالة .

هذا واننى فى نهاية المطاف أحمد الله تعالى الذى أمدنى بعون من عنده ، وأعاننى على اتمام هذه الرسالة تحقيقا ودراسة . فان أصبت فمن الله وحده ، وان قصرت وأخطأت فمنى ومن الشيطان . ونسأله تعالى أن يجنبنا الزلل فى القول والعمل ، وأن يجعل عملى هذا خالصا لوجه الكريم انه سميع مجيب .

ولا يفوتنى فى هذه المناسبة أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان الى سعادة الأستاذ الفاضل الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار الذى تفضل وقبل مشكورا الاشراف على هذه الرسالة وأعطانى من وقته وجهده وتوجيهاته الشىء الكثير ، رغم الأعباء الملقاة على عاتقه ، واننى اذ أعجز عن تقديم ما يستحق من الشكر ، فاننى أسأل الله العلى العظيم أن يجعل ذلك فى ميزان حسناته يوم القيامة .

كما أتقدم بالشكر الجميل الى كل من مدّ الىّ يد العون والمساعدة من الأساتذة الاجلاء والطلاب الزملاء ،ونسأله تعالى أن يهدينا جميعا الى سواء السبيل .

. . . . . .

الجانب الأول : جانب الدراســـة

وقد اشتملت الدراسة على بابين :

البـــاب الأول

(بين يدى المخطوط)

ويشتمل هذا الباب على فصلين : الفصل الأول : فيما يتعلق بالمقدمة .وقد شمل هذا الفصل عدة مباحث .

المبحث الأول :

(فى بيان أسباب اختيار الموضـــوع)

انني على يقين حين أقدمت على اختيار هذا الموضوع وهو تحقيق كتـــاب الاعلام للقرطبى ليكون الرسالة المقدمة منى لنيل درجة الدكتوراه من قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى ـ أقول : حين أقدمت على ذلك كنت أعلم علم اليقين أن هذا الكتاب مطبوع ، وانه قام بطباعته للمرة الأولى الدكتور أحمد حجازى السقا بمطبعة دار التراث العربى بالقاهرة .

الا أن طباعة أى مخطوط لا تكون مانعا وحائلا من تسجيله كرسالة علمية . وخاصة أن المخطوط الذى أعنيه لم يحققه من قام بطباعته ،وإن كان قد قام بتخريج جانب كبير من اصحاحات العهد القديم والجديد . الا أن المطبوع قد خلى من التحقيق العلمى الدقيق . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فان طباعة المخطوط كانت على نسخة واحدة ، وهو الميكروفيلم الموجود فى معهد احياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بمصر ، والمصور عن مكتبة كوبريللى بتركيا والذى يحمل رقم (٧٩٤) .

وقد شجعنى على تحقيق هذا المخطوط أمر آخر ، وهو أننى قد عثرت لـــه بالاضافة الى هذه النسخة أيضا ، نسختين خطيتين ، الأولى تحت رقم (٨١٤) وهى موجودة بتركيا فى مكتبة كوبريللى ، والثانية وهى مصورة عن المكتبة الملكيـــة بالرباط ، وتحمل رقم (٨٣) وقد عثرت عليها بقسم الوثائق والمخطوطات بالجامعة

الأردنيـة .

ولهذا لما كان المطبوع على نسخة واحدة فقط ، كان لا بد وأن يخرج النصّ مشوها ناقصا ، وقد جاءت النسخة الثانية والثالثة فكملت ما كان ناقصا .

يضاف الى هذا ما ورد فى المطبوع من تحريف أحيانا للنص ، فخذ على سبيل المثال لا الحصر : صفحة (١٠٦) بدلا من كلمة أمنعها جاءت (أسمعهـا) وصفحة (٨٨) بدلا من كلمة (وما حكاه واما حكاية) ، وفى صفحة (٢٥١) بدلا من كلمة (التعيين) جاءت اليقين ، وفى صفحة (٨٧) بدلا من كلمـة اسهاب (أسباب) وصفحة (٢٣٠) بدلا من كلمة العيب (السب) وصفحـة (٢٣١) بدلا من كلمة (أتعزى) جاءت أرزق .

كما وسقط من المطبوع أحيانا كلمات ، بل وعبارات ، فانظر مثلا صفحة (١٣٨) سقط كلمة بقي ، وفى صفحة (٨٤) العقل ، وفى صفحة (٨٦) الجاهل ، وفى صفحة (١٥٤) عليهم ، وفى صفحة (١٤٢) أسقط عبارة (موطن جاز أن يفارقه فى) وفى صفحة (٨٢) أسقط (لكل شيء عقيب) وفى صفحة (٢٣٧) (من الباب الثالث) وفى صفحة (٦٨) سقطت العبارة التالية (ويتحقق هذا المعنى على القطع عند من عرف الفرق بين العلم الفعلى والانفعالى) وأحيانا كان يزيد على النص من تلقاء نفسه كما فى صفحة (١٤١) سطر (٢٠) زاد كلمة (أنه هو) وفى صفحة (١٤٧) زاد العبارة التالية (وتترجم كذلك باختصار لا ينقطع الملك منهم حتى يأتى المسيح) .

كما ورد فى المطبوع أخطاء مطبعية كثيرة لا مجال هنا لحصرها ، وقد أتيت بهذه الأمثلة فقط ليس على سبيل الحصر وانما على سبيل المثال .

وقد شجعنى هذا الأمر على تسجيل هذا المخطوط لتحقيقه حتى يخرج النص سليما كاملا غير مشوه ولهذا فقد صمّمت على الاقدام على هذا العمل الشاق تحقيقا ودراسة .

بالاضافة الى ما ذكرت فان هناك أسبابا عدة دفعتنى الى اختيار هـــذا الموضوع بالذات أهمها :

أولا : قدم هذه المخطوطة ، حيث أنها ترجع الى القرن السابع الهجرى وهى نفيسة جدا ، وفيها يرد المؤلف على بعض المنتحلين لدين النصرانية وقد ألــف كتابا سماه تثليث الوحدانية .

ثانيا : ان هذه المخطوطة لم تحقق من قبل رغم قدمها - على ما أعلم - وان كانت قد طبعت كما أشرت الى ذلك قبل قليل . رغم أن مؤلفها هو أحد كبار علماء هذه الأمة والمشهورين فى التاريخ . فرأيت من المناسب أن تظهر هذه المخطوطة وترى النور ، حتى ينتفع بها العالم الاسلامى ، ولكى نضم الى المكتبة الاسلامية شيئا جديدا .

ثالثا : توفر نسخ هذه المخطوطة ، حيث يوجد لها ثلاثة نسخ كما أشرت قبــل قليل ، منها نسختان خطيتان فى مكتبة كوبريللى بتركيا ، الأولى تحت رقم (٧٩٤) والثانية تحت رقم (٨١٤) أما النسخة الثالثة فهى موجودة بالمكتبة الملكيــــة بالرباط تحت رقم (٨٣) .

رابعا : القيمة العلمية والمعنوية لهذه المخطوطة ، كما أن حاجة العصر لمثــل هذه المواضيع دفعتني الى اختيارها وتسجيلها ، حيث أن العالم الآن يعيش صراع عقائد وتيارات فكرية وخاصة أن هذا القرن قد شهد نشاطا عظيما للمبشرين من النصارى فى قارتى آسيا وأفريقيا ، وفى أنحاء شتى من العالم الاسلامى ، فهناك تشابه بين عصرنا الذى نعيش فيه وعصر المؤلف الذى دفعه الى تأليف الكتاب ، ثم ان جهل الكثير من المسلمين بعقائد النصارى دفعنى الى اختيار هذا الموضوع بالذات ، حتى يعرف أبناء الاسلام الانحراف الذى أصاب عقيدة النصارى من أجل افشال المخططات التى تقوم بها المؤسسات التبشيرية فى العالم الاسلامى .

كل هذه الأسباب مجتمعة دفعتني الى اختيار هذا الموضوع بالذات دون غيره .

. . . . .

المبحث الثاني : أشهر من ألف في هذا الفن والمصادر التي اعتمد عليها المؤلف

اننا نود أن نشير هنا الى أشهر من كتب في هذا الفن ورد على النصارى وشرح عقائدهم فنذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

(١) عبد الملك أبي المعالي وهو بن عبد الله بن يوسف الجويني امام الحرمين المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ألف كتابا سماه (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والانجيل من التبديل) .

(٢) ومنها الفصل في الملل والاهواء والنحل - وكتاب الفصل هذا لابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦ هـ وبهامشه الملل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ.

(٣) الامام القرافي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ ألف كتابا سماه (الأجوبة الفاخرة في الرد على الاسئلة الفاجرة) .

(٤) على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي الشافعي المتوفى سنة ٧١٤ هـ وله كتاب على الانجيل وكتاب آخر على التوراة .

(٥) أحمد ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ألف (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) .

(٦) محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ألف كتاب (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) .

(٧) الشيخ رحمة الله الهندى المتوفى سنة ١٢٣٣هـ ألف كتاب اظهار الحق .

(٨) ومنها كتاب المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل لأبي الفضل المالكي السعودى .

المصادر التي اعتمد عليها المؤلف

لقد اعتمد القرطبي كثيرا على المصادر التالية : -

أولا : مقامع الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢ هـ

ثانيا : كتاب الشفا للقاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

ثالثا : بذل المجهود في افحام اليهود للسموأل بن يحيى .

رابعا : كتاب الارشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ .

خامسا : العهد القديم والعهد الجديد .

سادسا : كما اعتمد القرطبي في رده على صاحب كتاب تثليث الوحدانية ، بأن نقل نصوصا من كتبهم ، ومن هذه الكتب التي نقل منها :

كتاب مصحف العالم الكائن للقديس أغسطين ، وكتاب المسائل ، وكاب الحروف وغير ذلك من الكتب الفقهية لهم والتي لم يشر اليها .

. . . .

المبحث الثالث : ترجمة لمؤلف المخطوط

(حياته ، شيوخه وتلاميذه)

القرطبي ومكانته العلمية :

اسمه محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري القرطبي المشهور بأبي عبد الله ، قال الحافظ عبد الكريم في حقه : انه كان من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا ، المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة ، فيما بين توجه وعبادة وتصنيف ، جمع في تفسير القرآن كتابا خمسة عشر مجلدا (١) .

أما تفسيره للقرآن الكريم فهو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعا ، أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبت عوضا عنها أحكام القرآن واستنباط الأدلة ، وذكر القراءات والاعراب ، والناسخ والمنسوخ وله تآليف وتعاليق مفيدة (٢) .

وقد وصف أصحاب الطبقات الذين ترجموا للقرطبي بأنه كان طارحا للتكلف يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية .

وفي تاريخ الكتبي قال في حق القرطبي : " كان شيخا فاضلا وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه ، وذكر منها تفسير القرآن ووصفه بأنه مليح الى الغاية . وقد كتب بعض تلاميذته على الهامش ما صورته : وقد أجحف المصنف في ترجمته جدا ، وكان متفننا متبحرا في العلم . وقد نقل المقري قول الذهبي في تاريخ الاسلام يصف القرطبي بقوله :

" امام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ثم ذكر موته وقال بعده : وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان وله

---

(١) انظر نفح الطيب للمقري ٢/ ٢١٠

(٢) انظر طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٦٦ رقم الترجمة (٤٣٤)

الاسنى فى شرح الأسماء الحسنى والتذكرة واشياء تدل على امامته وذكائه وكثرة اطلاعه " . (١)

أما ولادته : فلقد تتبعت جميع كتب الطبقات لعلّى أعثر على السنة التى ولد فيها القرطبى فلم أجد شيئا من ذلك . ولا شك أن القرطبى ولد فى الأندلس وعاش أول عمره هناك قبل أن يرحل الى منيته بنى خصيب من صعيد مصر .

ولكن الذى يراود الأذهان ذلك السؤال كيف قضى شطر عمره فى الأندلس ؟ هل عاش القرطبى يتيما فى أول عمره ؟ هل كان أبوه من أفذاذ العلماء وتربى على مائدته ؟ أم كان أبوه أميا لا يقرأ ولا يكتب فأسلمه الى الاساتذة والمعلمين (٢) ؟

ويبدو لنا والله أعلم أن والده كان يعمل فى الزراعة ، لأن القرطبى رحمه الله يشير فى تفسيره أن والده قتل مع بعض أهل الأندلس على يد النصارى بقرطبة سنة ٦٢٧ للهجرة فى أحد الأماكن الزراعية . حيث أورد القرطبى رحمه الله عند قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (٣) .

قال القرطبى عند هذه الآية : " العدو اذا صبّح قوما فى منزلهم ولم يعلموا به فقتل منهم فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك ، أو حكم سائر الموتى ؟ وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله ، أغار العدو - قصمه الله - صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة والناس فى أجرانهم على غفلة ، فقتل وأسر وكان من جملة من قتل والدى رحمه الله فسألت شيخنا المقرىء الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبى حجة فقال : غسله وصّل عليه فان أباك لم يقتل فى

---

(١) انظر نفح الطيب ٢/ ٢١١ ، وانظر شجرة النور الزكية / ١٩٧ رقم الترجمة (٦٦٦)

(٢) بتصرف عن القرطبى ومنهجه فى التفسير /٦

(٣) سورة آل عمران / ١٦٩

المعترك بين الصفين . ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبيّ فقال : ان حكمه حكم القتلى فى المعترك . ثم سألت قاضى الجماعة أبا الحسن على بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء فقالوا : غسله وكفنه وصلّى عليه ، ففعلت . ثم بعد ذلك وقفت على المسألة فى التبصرة " لأبى الحسن اللخمى " وغيرها ، ولو كان قبل ذلك ما غسلته وكنت دفنته بدمه فى ثيابه ". (١)

والذى يرجح لنا من هذا النص أن والد القرطبى لم يكن من العلماء بل كان من المزارعين فيكون القرطبى قد تعلم على أيدى العلماء والأساتذة من أهـــل الأندلس ، وخاصة أن حلقات العلم فى الأندلس كانت منتشرة . وقد استمر القرطبى يتلقى كافة العلوم الشرعية والعربية حتى رحل الى مصر ، فما وصلها الا وهو مــن أكابر العلماء .

يقول الدكتور أحمد أحمد بدوى فى مقال له عن القرطبى :

" ولد بقرطبة من بلاد الأندلس وتلقى بها ثقافة واسعة فى الفقه ، والنحو والقراءات . . . . . ودرس البلاغة وعلوم القرآن واللغة . . . ثم قدم الى مصر ، ولست أدرى متى قدم الى مصر ". (٢)

لقد خرج القرطبى من قرطبة عندما سقطت بيد النصارى سنة ٦٣٣ هـ ، لكن أين توجه القرطبى بعد ذلك ؟ هل قدم الى مصر مباشرة أم ذهب الى اشبيلية وأقام فيها حتى سقطت سنة ٦٤٦ هـ أم ذهب الى غيرها من المدن الكبرى فـــى الأندلس ؟ والذى نستطيع أن نقوله أنه قدم الى الاسكندرية بعد خروجه مـــن الأندلس عامة ثم أقام فيها فترة من الزمن قبل أن يستقر بمنية فى صعيد مصر . (٣)

---

(١) أنظر تفسير القرطبى ٤/٢٧٢ - دار الكتاب العربى ١٩٦٧م.

(٢) مجلة الرسالة عدد رقم ٨٥٨ سنة ١٩٤٩م. نقلا عن القرطبى ومنهجه فـى التفسير / ١٨

(٣) انظر القرطبى ومنهجه فى التفسير / ١٩- ٢٠

شجاعة القرطبى :

لقد كانت الفترة التي قضاها القرطبى فى الأندلس فترة صراع بين الكفر المتمثل بالنصارى وبين الايمان الذى يمثله أهل الاسلام ، وكانت الأندلس وقتها من الجبهات الساخنة فى التاريخ الاسلامى . وليس غريبا أن يكون القرطبى من العلماء الذين يجاهدون بالسيف والقلم فى الدفاع عن حياض الاسلام .

ولهذا فقد كان النصارى يطاردون القرطبى لجهاده لهم . وقد أورد فى تفسيره عند قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) (١) قال القرطبى عند هذه الآية :

" ولقد اتفق لى ببلادنا الأندلس بحصن منثور من أعمال قرطبة مثل هذا - يقصد قصة امرأة أبو لهب مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عندما أقبلت تريد النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ الرسول هذه الآية فلم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذلك أنى هربت أمام العدو وانحزت الى ناحية عنه ، فلم ألبث أن خرج فى طلبى فارسان وأنا فى فضاء من الأرض قاعد ليس يسترنى عنهما شىء ، وأنا أقرأ أول سورة يسن وغير ذلك من القرآن ، فعبرا علىّ ثم رجعا من حيث جاءا وأحدهما يقول للآخر : هذا دبيلة يعنون شيطانا . وأعمى الله عز وجل أبصارهم فلم يرونى والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك " . (٢)

لقد طارده أعداء الله من النصارى وهم يريدون قتله ولكن الله تعالى نجاه بفضله ويظهر لنا من قصة حصن منثور أن القرطبى لم يكن يهاب الأعداء وانه كان يغلب عليه الشجاعة . ونذكر أيضا رواية طريفة يظهر من خلالها شجاعة القرطبى رحمه الله فهى :

---

(١) سورة الاسراء / ٤٥

(٢) انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٢٧٠ - طبعة دار الكتب الثالثة .

رواية أخرى ذكرها الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال : ترافق القرطبى المفسر والشيخ شهاب الدين القرافى فى السفر الى الفيوم وكل منهما شيخ فنه فى عصره . القرطبى فى التفسير والحديث ، والقرافى فى المعقولات. فلما دخلاها ارتادا مكانا ينزلان فيه فدلا على مكان فلما آتياه قال لهما انسان يا مولانا بالله لا تدخلاه فانه معمور بالجان ، فقال الشيخ شهاب الدين للغلمان ادخلوا ودعونا من هذا الهذيان ، ثم انهما توجها الى جامع البلد الى أن يفرش الغلمان المكان ثم عادا ، فلما استقرا بالمكان سمعا صوت تيس من المعز يصيح من داخل الخرستان وكرر ذلك الصياح فامتقع لون القرافى وغارت قواه وبهت ، ثم ان الباب فتح وخرج منه رأس تيس ،وجعل يصيح فذاب القرافى خوفا . أما القرطبى فانه قام الى رأس المعز وأمسك بقرنيه وجعل يتعوذ ويبسمل ويقرأ :

(آلله أذن لكم أم على الله تفترون) (١) .

ولم يزل كذلك حتى دخل الغلام ومعه حبل وسكين وقال يا سيدى تنّح عنه وجاء اليه وأخرجه وانكاه وذبحه فقالا له ما هذا ؟ فقال لما توجهتما رأيته مع واحد فاسترخصته واشتريته لنذبحه ونأكله وأودعته فى هذا الخرستان . فأفاق القرافى من حاله وقال يا أخى لا جزاك الله خيرا ما كنت قلت لنا والا طارت عقولنا" (٢) .

وفاة القرطبى :

ان كانت كتب الطبقات لم تحدد السنة التى ولد فيها القرطبى ، فقد حددت السنة التى توفى فيها كما حددت أيضا المكان .

بعد أن قضى القرطبى شطرا من حياته الأولى فى الأندلس بعد صراع مرير

---

(١) سورة يونس / ٥٩

(٢) انظر الوافى بالوفيات / ٢ / ١٢٢ ترجمة رقم (٤٧٠)

مع النصارى ، وبعد أن فقد والده في قرطبة سنة ٦٢٧ هـ ، وبعد سقوط قرطبة مسقط رأسه وخروجه من الأندلس بشكل عام استقر القرطبي في منية بني خصيب واتخذها مستقرا له حتى جاء أجله ووافته المنية سنة ٦٧١ هـ ليلة الاثنين التاسع من شوال (١) رحمه الله .

....

(أهم مؤلفات القرطبي العلمية)

لقد ذكر أصحاب كتب الطبقات الذين ترجموا للقرطبي عدة مؤلفات أهمها :

الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، والاسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، وشرح التقصي ، وقمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة ، والاعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٢).

وهذا الكتاب الذى نقوم بتحقيقه الآن .

ومن مؤلفاته العلمية التذكار في فضل الاذكار (٣) .

وله أيضا : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٤) .

كما ذكر القرطبي في تفسيره بعض الكتب التى لم يذكرها أصحاب كتب الطبقات وهى : المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس (٥) أشار اليه عند قوله تعالى :

(فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه) (٦) .

---

(١) انظر هدية العارفين للمؤلف اسماعيل البغدادى ١٢٩/٢
وشذرات الذهب ٣٣٥/٥ ، ونفح الطيب ٢ - رقم الترجمة (١٢٢)
والديباج المذهب ٣٠٩/٢ ، والذيل والتكملة / ٢/ رقم الترجمة (١١٥٤)

(٢) انظر هدية العارفين ١٢٩/٢

(٣) انظر كشف الظنون / حاجى خليفة / ٣٨٣/١ وهدية العارفين / ١٢٩/٢

(٤) نفح الطيب المقرى / ٢١٠/٢ وهدية العارفين / ١٢٩/٢

(٥) انظر تفسير القرطبي / ٩/٣ - دار الكتاب العربى ١٩٦٧م .

(٦) سورة البقرة / ٢٠٣

كما ذكر أيضا : منهج العباد ومحجة السالكين والزهاد .(١)

أشار اليه عند قوله تعالى : (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه آواب) .(٢)

هذه أهم المؤلفات العلمية التى خلفها لنا القرطبى رحمه الله . ولا شك أن للقرطبى مؤلفات أخرى غير التى ذكرتها ، وله تصانيف مفيدة أخرى تدل على كثرة اطلاعه كما قال عنه الذهبى فى تاريخ الاسلام حيث يقول عن القرطبى :

" امام متفنن متبحر فى العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله ".(٣)

. . . .

---

(١) تفسير القرطبى /١٥/٢١٦ - دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م .

(٢) سورة ص/ ٤٤

(٣) انظر نفح الطيب للمقرى /٢/٢١١

(عقيدة القرطبى)

يرى بعض المؤرخين أن عقيدة أهل المغرب والأندلس منذ الفتح الاسلامى سنية سلفية ، وقد بقى الأمر على ذلك حتى جاء : محمد بن تومرت " مؤسس دولة الموحدين ونقلهم الى الأشعرية . وقد رحل الى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ " أبى الحسن " ومتأخرى أصحابه ، من الجزم بعقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة . وعندما عاد دعا الناس الى سلوك هذه الطريقة ، وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره ، وسمى اتباعه الموحدين ، تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد . ولكنه لم يأتى بطريقة الأشعرية خالصة بل مزجها بشىء من الخارجية والشيعية حسبما يعلم ذلك باعمال النظر فى أقواله وأحوال خلفائه .(١)

ويظهر أن صاحبنا الامام القرطبى قد تأثر بالعلماء الذين تلقى عنهم ودرس عليهم فى مسألة التأويل فى حلقات العلم فى قرطبة ، ولهذا كان القرطبى رحمه الله يميل الى التأويل . واذا ما تتبعنا بعض المواطن فى كتاب الاعلام نستطيع أن نلمح ذلك ببساطة . فخذ مثلا ما قاله القرطبى عند قوله تعالى (ثم استوى على العرش)(٢) حيث قال : " لأنا نريد بقولنا : هو على العرش مستو أو استوى على العرش : أن العرش تحت قبضته ومسخر بقدرته . والاستواء عليه انما هو بمعنى الاستيلاء على ما تعرفه العرب من كلامها فانها تقول :

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

فان أرادوا هذا المعنى فهو حق وصحيح ، لكنه لا يصح فى حق عيسى وحده فان الله تعالى مستول على عيسى وعلى غيره " .

وقد رجعت الى تفسير القرطبى فوجدته يقول عند هذه الآية : " وقد كان السلف الأول رضى الله عنهم لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى ، كما نطق كتابه ، وأخبرت رسله . ولم ينكر أحد

---

(١) انظر الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى / للسلاوى / ١ / ١٤٠

(٢) سورة الاعراف / ٥٤

من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته . وانما جهلوا كيفية الاستواء ، فانه لا تعلم حقيقته قال مالك رحمه الله " الاستواء معلوم - يعنى فى اللغة - والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعه " وكذا قالت أم سلمة رضى الله عنها وهذا القدر كاف. ومن أراد زيادة عليه فليقف عليه فى موضعه من كتب العلماء.(١) والاستواء فى كلام العرب هو العلو والاستقرار. قال الجوهرى واستوى من اعوجاج ، واستوى على ظهر دابته أى استقر واستوى الى السماء أى قصد واستوى أى استولى وظهر قال : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مراق .(٢)

ويظهر لى مما تقدم أن القرطبى رحمه الله يجيز تفسير الاستواء بما يتفق ومذهب السلف والخلف أى أنه لا يحكم بتخطئة أحد من الفريقين . وقد رأينا بعد أن ذكر قول الامام مالك فى الاستواء ، وهو عين مذهب السلف رأيناه يعود الى تأويل الاستواء بالاستيلاء .

ومن المواطن التى تظهر أشعرية القرطبى فى الاعلام ما ذكره عند قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة).(٣)

يقول القرطبى فى الاعلام عند هذه الآية :

" وليس معنى الآتيان فى هذه الآية الا كالمجىء فى الآية المتقدمة وكلاهما ليس المراد به المجىء الذى هو نقل الاقدام ، بل المجىء والاتيان لهما معان آخر يعرفها العرب المؤمنون وهذه الآية فيها محذوف تفسره آية أخرى تقديره : هل ينظرون الا أن يأتيهم أمر الله كما قال تعالى فى آية أخرى (هل ينظرون الا أن تأتهيم الملائكة أو يأتى أمر ربك).(٤) هل كان القرطبى مضطرا الى التأويل ؟ وما

---

(١) ان كلام القرطبى الى هنا حول آية الاستواء لا شىء فيه ، بل هو عين مذهب السلف.

(٢) انظر تفسير القرطبى ٣/٢٦٥٥ - ٢٦٥٦ طبع دار الشعب.

(٣) سورة البقرة ٢١٠

(٤) سورة النحل ٣٣

الذى دفعه الى تأويل المجئ والاتيان بأن المقصود به أمر الله تعالى ؟

ومن يتتبع تفسير القرطبى يلاحظ أنه كان يميل الى التأويل ، ولهذا نجده عند قوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله ان الله واسع عليم) .(١) يقول القرطبى عند هذه الآية :

" اختلف الناس فى تأويل الوجه المضاف الى الله تعالى فى القرآن والسنة فقال الحذاق : ذلك راجع الى الوجود ، والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان الوجه أظهر الأعضاء فى الشاهد وأجلها قدرا . وقال ابن فورك : قد تذكر صفة الشئ والمراد بها الموصوف توسعا كما يقول القائل : رأيت علم فلان اليوم ، ونظرت الى علمه ، وانما يريد بذلك رأيت العالم ونظرت الى العالم . كذلك اذا ذكر الوجه هنا ، والمراد من له الوجه أى الوجود ، وعلى هذا يتأول قوله تعالى : (انما نطعمكم لوجه الله)(٢) لأن المراد به : لله الذى له الوجه ، وكذلك قوله (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى)(٣) أى الذى له الوجه . قال ابن عباس : الوجه عبارة عنه عز وجل ، كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)(٤) ، وقال بعض الائمة : تلك صفة ثابتة بالسمع زائدة على ما توجبه العقول من صفات القديم تعالى . قال ابن عطية : وضعّف أبو المعالى هذا القول وهو كذلك ضعيف ، وانما المراد وجوده . وقيل : المراد بالوجه هنا الجهة التى وجهنا اليها أى القبلة ، وقيل الوجه القصد .. وقيل : المعنى : فثم رضا الله وثوابه ، كما قال (انما نطعمكم لوجه الله) أى لرضائه وطلب ثوابه " .(٥)

---

(١) سورة البقرة ١١٥

(٢) سورة الانسان ٩

(٣) سورة الليل ٢٠

(٤) سورة الرحمن ٢٧

(٥) انظر تفسير القرطبى ٢/ ٨٣-٨٤ -دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م .

وقد ذهب القرطبى الى التأويل خاصة فى الآيات التى يوهم ظاهرها مشابهة الله للحوادث لأنه رحمه الله يريد أن ينفى التّجسيم أو الصورة -عن الله - كما فعلت المشبهه والمجسمة . ولهذا نراه يهاجم عبّاد الأصنام والصور والطاعنين فى القرآن . وقد حكم القرطبى بكفرهم وانه يجب قتلهم حيث يقول :

" لا فرق بينهم وبين عبّاد الأصنام والصور ويستتابون فان تابوا والا قتلوا كما يفعل بمن ارتد هؤلاء الذين طلبوا اعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلت المجسمة أو يتبعوه على جهة ابداء تأويلاتها وايضاح معانيها ".(١)

ومما تقدم يظهر لنا أن القرطبى رحمه الله كان أشعريا ينتصر للمذهب الأشعرى ويدافع عنه ، وانه كان يميل الى تأويل الآيات التى يوهم ظاهرها مشابهه الله للحوادث .

. . . .

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٤/١٤ - دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م.

(شيوخ القرطبي)

لقد تقدم معنا قبل قليل كيف أثنى كتاب الطبقات على الامام القرطبي وامتدحوه ومنهم الداودى الذى يقول عنه :

" كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين فى الدنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة ، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف" (١)
طبيعته الخيرة

وما كان القرطبي ليصل الى هذه المكانة لولا الشيوخ الذين تربى على أيديهم وأخذ عنهم ما يفيده فى أمور الدنيا والآخرة .

ولقد رجعت الى كتب الطبقات فوجدتها تشير الى شيوخ أجلاء أخذ عنهم القرطبي ودرس على أيديهم . ومن هؤلاء الشيوخ ما ذكره الداودى وغيره وهو يترجم للقرطبي :

" سمع من ابن رواج ، ومن ابن الجميزى ، والشيخ أبى العباس أحمد بن عمر القرطبي شارح مسلم ، وأبى على الحسن بن محمد بن محمد البكرى الحافظ " (٢) .

ويقول المقرى : " سمع من الشيخ أبى العباس أحمد بن عمر القرطبي صاحب المفهم فى شرح مسلم ، وحدث عن أبى الحسن على بن محمد بن على بن حفص اليحصبى ، وعن الحافظ أبى على الحسن بن محمد بن محمد البكرى وغيرهما " (٣) .

ويقول صاحب الذيل والتكملة : " تلا بالسبع فى بلده على أبى جعفر بن أبى حجة ، وروى عن أبى عامر بن ربيع وأكثر عنه ، ورحل الى المشرق وروى هناك عن أبى العباس أحمد بن عمر الأنصارى القرطبي ، وأبو محمد عبد المعطى بن محمد بن عبد المعطى اللخمى الاسكندرانى ، وعبد الوهاب ابن ظافر بن على بن فتوح بن أبى الحسن

---

(١) انظر طبقات المفسرين ٢/٦٥

(٢) انظر الديباج المذهب لابن فرحون ٢/٣٠٩ ، وطبقات المفسرين ٢/٦٦

(٣) انظر نفح الطيب ٢/٢١٠ - ٢١١ - رقم الترجمة (١٢٢)

القرشي ابن رواج وأكثر عنه "(١).

وهناك شيخ آخر تتلمذ عليه القرطبي وحدث عنه وهو " أبو محمد بن حوط الله " كما ذكر ابن فرحون في الديباج المذهب عن الدمياطي(٢).

هؤلاء هم شيوخ القرطبي ، وسنتحدث عن نبذة قصيرة عن حياة كل واحد منهم على حدة .

١ - ابن رواج : هو المحدث رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الاسكندراني المالكي ، ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وسمع الكثير من السلفي وغيره . وخرّج الأربعين ، وكان ذا دين وفقه وتواضع ، توفي في الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٦٤٨ هـ.(٣)

٢ - أبو العباس القرطبي : هو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الأنصاري المالكي الفقيه المحدث المدرس الشاهد بالاسكندرية ، صاحب المفهم في شرح مسلم . ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ هـ ، وسمع الكثير هنالك ثم انتقل الى المشرق ، واشتهر وطار صيته ، وأخذ الناس عنه . قدم مصر وحدث بها واختصر الصحيحين . كان بارعا في الفقه والعربية ، عارفا بالحديث ، وقد أخذ عنه القرطبي صاحب التفسير. توفي رحمه الله بالاسكندرية في ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ . له كتاب كشف القناع عن الوجد والسماع.(٤)

٣ - الحسن البكري : هو المحدث صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك القرشي البكري ولد بدمشق سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، سمع بمكة قديما من جده لأمه أبي حفص ، روى عنه خلق كثير ، ولي حسبة دمشق ومشيخة الشيوخ - ، ليس هو بالقوي ، ضعفه عمر بن الحاجب وقال عنه " كان اماما عالما

---

(١) انظر الذيل والتكملة ٢ - رقم الترجمة (١١٥٤)

(٢) الديباج المذهب ١/ ٢٤٠ - ٢٤١

(٣) انظر شذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٢٤٢ - طبعة دار احياء التراث العربي

(٤) انظر نفح الطيب للمقري ٢/ ٦١٥ ، شجرة النور الزكية ١٩٤ - رقم الترجمة (٦٥٦) والديباج المذهب ١/ ٢٣٩ - ٢٤٢

لسنا . . . الا أنه كان كثير الدعاوى عنده دعابة ومجون ، داخل الأمراء ، قيل أنه كان كثير التخليط، وأنه صلح حاله وابتلى بالفالج قبل موته بسنوات ، ثم تحول في آخر عمره الى مصر ومات فيها سنة ٦٥٦ هـ . (١)

٤ - ابن الجميزي : وهو العلامة بهاء الدين أبو الحسن على ابن هبة الله بن سلامة بن أحمد بن على اللخمي المصرى الشافعي ، مسند الديار المصرية - وخطيبها ومدرسها . ولد بمصر سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين . رحل به أبوه وسمّعه بدمشق من ابن عساكر . سمع بالاسكندرية من السلفي . رحل اليه الطلبة ودرّس وأفتى . وقد انتهت اليه مشيخة العلم بالديار المصرية ، توفى في الرابع والعشرين من ذى الحجة . (٢)

٥ - ابن أبي حجة : وهو أحمد بن محمد بن محمد القيسي ويعرف بابن أبي حجة ، ويكنى أبا جعفر من أهل قرطبة ، سمع من أبي القاسم الشراط ، ومن أبي الوليد هشام بن عبد الله الحاكم ، وأجاز له وسمع يسيرا من ابن بشكوال وابن حفص ، تصدّر لتعليم القرآن والعربية . وله تآليف منها كتاب منهاج العباد ، وكتاب تفهيم القلوب آيات علام الغيوب ، ومختصر التبصرة ، سكن اشبيلية بعد خروجه من قرطبة وأسرته الروم في البحر وعذب ، وتوفى على أثر ذلك بميورقة سنة ثلاث وأربعين وستمائة للهجرة . (٣)

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ ٤ - رقم الترجمة (١١٤٧) وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٤ ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٨٩ - نشر دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٢) شذرات الذهب ٥/ ٢٤٦ - طبعة دار احياء التراث العربي

(٣) انظر التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ١/ ١٢٣

٦ - أبو عامر بن ربيع : وهو يحى بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع الأشعرى يكنى أبا عامر . العالم الجليل المحدث وحيد عصره ، وفريد دهره ، كان عالما من علماء الأندلس ، ناصرا للسنة ، رادعا لأهل الاهواء والبدع ، دقيق النظر سديد البحث ، سهل المناظرة شديد التواضع . ولى قضاء الجماعة بقرطبة ثم بغرناطة ، قرأ الحديث على أكابر علماء غرناطه . وقد حدّث عن والده العالم المحدث أبى الحسن عبد الرحمن بن ربيع ، وعن أبى جعفر : أحمد بن يحى الحميرى وعن أبى القاسم ابن بشكوال ، وابى عبد الله بن أرمق ، وأبى محمد عبد المنعم بن الفرس (١).

٧ - أبو محمد بن حوط الله : وهو عبد الله بن سليمان بن داود بن عمر حوط الله الأنصارى ، برز فى الحديث والفقه والأدب والشعر وغيرها . كان رحمه الله من الذين يحاربون البدع والاهواء ، كانت وفاته سنة ٦١٢ هـ بغرناطة ، ثم نقل الى مالقة ودفن فيها (٢).

٨ - وكان من جملة شيوخ القرطبى ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع ، أشار اليه القرطبى فى تفسيره عند قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) (٣).

حيث قال : " وكان من جملة من قتل والدى رحمه الله فسألت شيخنا المقرىء الاستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بأبى حجة فقال غسله وصل عليه فان أباك لم يقتل فى المعترك بين الصفين ، ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبىّ فقال : ان حكمه حكم القتلى فى المعترك " (٤).

وربيع هذا من أهل قرطبة وقاضيها يكنى أبا سليمان ، كان مولده فى ذى القعدة

---

(١) انظر الديباج المذهب لابن فرحون ٢ / ٣٥٨

(٢) انظر التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار ٢ / ٥٠٦

(٣) سورة آل عمران ١٦٩

(٤) انظر تفسير القرطبى ٤ / ٢٧٢ - دار الكتاب العربى - الطبعة الثالثة .

سنة ٥٦٩ هـ سمع من أبي القاسم الشراط وابنه أبي بكر بن غالب وابي محمد بن حوط الله ، وأجاز له أبو الحسين عبد الرحمن بن أحمد ، وأبو القاسم ابن بشكوال ، كان ربيع رجلا صالحا عادلا في أحكامه ، خرج من وطنه لما استولى الروم عليه سنة ٦٣٣ هـ ونزل في اشبيلية وتوفي بها .(١)

هؤلاء هم شيوخ القرطبي ، كانوا من أكابر العلماء ، تربى على أيديهم الامـــام القرطبي ، وشرب من معينهم ودرس عليهم فانعكس أثر ذلك عليه رحمهم الله جميعا .

-----

(١) انظر التكملة لكتاب الصلة ١/ ٣٢٢

(تلاميذ القرطبي)

ان مما يلفت النظر ويدعو للعجب أنني بعد أن طالعت كتب الطبقات التي ترجمت للامام القرطبي وجدتها لم تشر الى تلاميذ القرطبي ، مع أن القرطبي رحمه الله عالم كبير ومشهور . ولا أدري ما السبب في ذلك ؟

نعم لقد أشار أكثر من واحد أن القرطبي قد أجاز لولده (شهاب الدين أبي العباس أحمد) .(١)

كذلك بينما كنت أطالع بعض الكتب التي ترجمت للقرطبي ، وجدت صاحب الذيل والتكملة بعد أن ترجم للقرطبي يقول :

" حدثنا عنه أبو جعفر بن الزبير وقد كتب اليه في مصر من أهل العلم بالحديث، والاعتناء التام بروايته ، حيا سنة ثمان وخمسين وستمائة " .(٢)

هذا كل ما عثرت عليه بشأن تلاميذ القرطبي ، مع أنني رجعت الى كثير من كتب الطبقات مثل : وفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، وطبقات المفسرين للداودي ، والديباج المذهب لابن فرحون ، ونفح الطيب للمقري ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية وغيرها من المراجع التي ترجمت للقرطبي .

كذلك فانني قد قرأت بعض الكتب من ألفها الى يائها علّني أعثر على بعض تلاميذ القرطبي ولكن دون جدوى . ومن هذه الكتب مثلا الذيل والتكملة لابي عبد الله الأوسي ، وكتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار ، ودرة الحجال في أسماء الرجال للمكناسي ، وكتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني .

---

(١) انظر طبقات المفسرين ٢/٦٦ ، رقم الترجمه (٤٣٤)

وانظر مقدمة فتح القدير للشوكاني ص ٩ ط ٢ الحلبي نقلا عن سير أعلام النبلاء للذهبي .

(٢) انظر الذيل والتكملة ٢ ، رقم الترجمة (١١٥٤)

ومن العجيب : أنني قد وجدت المكناسي صاحب درة الحجال قد أشار الى جميع تلاميذ شيوخ القرطبي ، كما أشار الى بعضها صاحب الدرر الكامنة ، بينما لم يشرا الى تلميذ واحد من تلاميذ القرطبي .

ونكون الآن قد أصبحنا أمام احتمالين : اما أن يكون القرطبي قد انشغل في حياته بالتأليف عن التدريس ، واما أن يكون قد اشتغل بالتدريس فعلا وله تلاميذ ، ولكن المؤرخين أهملوا ذكرهم ، لأن أحدا منهم لم يكن ذا شأن ، أو لسبب آخر لا يعلمه الا الله .

....

المبحث الرابع : عصر المؤلف وفيـــه

(مناسبة تأليف المخطوط للعصر الذى عاش فيه المؤلـــف)

ان مما يجدر الاشارة اليه ، ان الحوادث التاريخية سلسلة متصلة ببعضهـــا البعض . فاذا أردنا أن نتحدث عن مجريات الأحداث ، والأحوال السياسية فى عصر ما ، فعلينا أن نتتبع ما سبق هذا العصر من أحداث . لهذا لا بد مـــن الاشارة الى الفترة التى سبقت عصر ولادة القرطبى ، الذى نحن بصدد الحديث عن العصر الذى عاش فيه ، فى الفترة التى قضاها فى الأندلس ، وقبل أن ينتقـل الى منية بنى خصيب فى مصر .

لقد عاش القرطبى شطرا من حياته فى الأندلس ، ولقد كانت الأمة الأندلسية بعد الفتح الاسلامى تتكون من عناصر مختلفة : وأول هذه العناصر هم العـــرب من المسلمين الذين اشتركوا فى الفتح ، واستقروا فى شبه الجزيرة ، وكان مقامهم فى القواعد والمدن الكبرى ولا سيما قرطبة التى ولد فيها الامام القرطبى . ثم بدأ هذا العنصر بالانكماش فى الأمة الأندلسية ، ويرجع السبب فى ذلك الى قلـــة الهجرة العربية الى الأندلس .

أما العنصر الثانى : فهم البربر الذين كان لهم النصيب الأكبر فى فتح الأندلس، فكانوا يمثلون الأغلبية فى الجيوش الاسلامية . ويرجع السبب الى كثرة هجرتهم الى الأندلس ، وقد تركز وجودهم فى المناطق الوعرة ، الأمر الذى شجعهم على الثورة من أجل الاستقلال .

أما العنصر الثالث : فهو ما يعرف بالمولدين وهم القوط والاسبان ، الذين أسلموا منذ الفتح ، وعرفوا بالمرتدين والخوارج لأنهم ارتدوا عن النصرانية . وكان هـــؤلاء يشكلون كتلة كبيرة فى المجتمع الأسبانى . كما كان الى جانب هذه العناصر الثلاثة، عنصران آخران هما المستعربون أو النصارى المعاهدون . وهم الذين أصروا علـــى

البقاء على دينهم القديم ، ورضوا أن يعيشوا تحت حماية الحكم الاسلامى . وقد كانت منهم أقليات تقيم فى المدن الكبرى مثل طليطله وقرطبة . أما العنصر الآخر فهم اليهود الذين تمتعوا بحماية الحكم الاسلامى طيلة حكمه فى الأندلس.(١)

ان كل ما يهمنا فى هذا المقام هو : كيف استطاع النصارى وهم قلة ، أن يتغلغلوا فى الجزيرة الأندلسية ليقيموا لهم كيانا وممالك ، نستطيع أن تقف فى وجه المسلمين ، بل وتتمكن من السيطرة على القواعد والمدن الأندلسية فى الأندلس ؟

للاجابة على هذا السؤال يجدر بنا أولا أن نتحدث عن كيفية نشأت المملكة الاسبانية النصرانية فى الأندلس بعد الفتح الاسلامى .

---

(١) انظر دولة الاسلام فى الأندلس / للمؤلف محمد عنان / ١/ ٢٠٣ - ٢٠٦

(نشأت المملكة الأسبانية النصرانية)

ان مما يحير الألباب ، ويدهش العقول هو : كيف نشأت المملكة الأسبانية النصرانية فى الأندلس ؟ وخاصة بعد أن فتح جنود الاسلام اسبانيا وأقاموا عليها صرحا شامخ البنيان ؟

ولكن كما يقولون اذا عرف السبب بطل العجب .

فبعد الفتح الاسلامى لأسبانيا ، وبعد أن سحق المسلمون دولة القوط القديمة ، فى موقعة شريش ، والتى مزق فيها جيش القوط سنة ٩٢ هـ ، فرّت شراذم قليلة من الجيش المنهزم الى الشمال ولجأت الى الجبال الشمالية ، التى وقف عندها الفتح الاسلامى ، فاجتمع هؤلاء النصارى فى الهضاب الشرقية تحت لواء زعيم يدعى الدوق بتروس ، واجتمع آخرون فى الهضاب الغربية تحت لواء زعيم يدعى بلا جيوس . (١)

ثم ان هذه الشراذم القليلة من القوط ، أقامت امارتان نصرانيتان فى كانتابرنا وجليقية . أما امارة جليقية ، والتى أقيمت فى أعماق جبال اشتوريش الوعرة ، والبعيدة عن غزوات الفاتحين من المسلمين ، فقد كانت مهد المملكة النصرانية ، التى تكونت من فلول النصارى . (٢)

ان عدم انتباه المسلمين لهذه الشراذم واغفال أمرها ، أدى الى كوارث حلت بالمسلمين فيما بعد . لقد استطاعت هذه الشراذم فى النهاية أن تجمع نفسها ، وقد انضم اليها الكثير من النصارى ، ونصّبوا عليهم ملكا ، وهو بلايو الذى رأى أن الفرصة سانحة لتوسيع مملكته ، وبدأ يغير الأراضى الاسلامية الشمالية . ثم جاء بعد الدوق بتروس ولده الفونسو ، الذى وحد النصارى ، وجمع هاتان الامارتان ،

---

(١) انظر دولة الاسلام فى الأندلس ١/ ٢٠٨

(٢) المرجع السابق ١/ ٢١٠

وكون منهما مملكة نصرانية واحدة . وهى مملكة ليون النصرانية . ولهذا يعتبر الفونسو مؤسس المملكة النصرانية الشمالية ، وهو من أصل ملوك قشتالة الذين لبثوا آمادا طويلة يدفعون حدودهم داخل المملكة النصرانية . (١)

وكان أعظم الملوك الذين توارثوا المملكة عند النصارى بالأندلس ، وقسموا بلادها أربعة أزفونش وهو ملك قشتالة ، وهى أعمال فى جهة طليطله الى البحر المحيط ، وكانت قاعدتها قبل أن تصير لهم طليطله مدينة غلسية ، ثم البرجلونى وهو ملك مشرق الأندلس ، ويقال لمملكته أرغون ، لأنه كان فى مدينة أرغون حتى ملك طرطوشه وبرجلونه . ثم البيوج وهو فى بلاد الشمال مجاور لبطليموس قاعدته ليون . ثم ابن الريق وهو ملك جليقيه وهى فى الشمال والغرب من الأندلس ، وكانت قاعدته مدينة شانت . (٢)

ومما تقدم نخرج بنتيجة أن سكوت المسلمين فى الأندلس فى بادىء الأمر ، عن الشراذم من القوط ، والذين فروا الى الجبال والهضاب ، كان بمثابة المسمار الذى دق فى نعش الوجود الاسلامى فى الأندلس ، ومكّن للنصارى حتى أصبح المسلمون هناك يواجهون يوميا بضربات مؤلمة من نصارى الأندلس .

-----

(١) دولة الاسلام فى الأندلس ١/ ٢١٢ - ٢١٣

(٢) المغرب فى حلي المغرب للمؤلف ابن سعيد المغربى ٢/ ٢٤٣

(مواجهة المسلمين للمالك النصرانية فى شمال أسبانيا)

بعد أن قام للنصارى دولة ، وأصبح لهم قوة وكيانا ، بدأ المسلمون فى الأندلس ينظرون الى هذه القوة الجديدة والى هذا الخطر الداهم بعين الاهتمام. وخاصة بعد أن توالت الغزوات للأراضى الاسلامية من قبل النصارى .
لقد تولى حكم المملكة الأسبانية الفونسو الثانى ، الذى قام بغزو الأراضى الاسلامية فى عهد الحكم بن هشام ، مما حدى بالحكم الى أن يرد على هذه الغزوات بالمثل . فغزى جليقية عقابا للنصارى وزجرا لهم . كما توجهت الجيوش الاسلامية فى عهد عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢٠٨ هـ الى غزو ألبة والقلاع . وقد انتصر المسلمون فى هذه الغزوة ، وعاثوا فى أراضى جليقية خرابا ، وأملوا على النصارى صلحا قاسيا . (١)

وقد تولى الحكم على المسلمين فى الأندلس بعد ذلك عبد الرحمن الناصر ، الذى توجه الى الممالك المسيحية فى شمال أسبانيا ليرد خطر أدون الثانى ليون وسانجة ملك نبرة . وفى سنة ٣٠٥ هـ وقعت معركة بين المسلمين بقيادة أحمد بن محمد أبى عبدة مع جيوش القشتاليين قرب شنت انهزم فيها المسلمون . وقد أحس الناصر بتطور الموقف لصالح النصارى فقام بنفسه سنة ٣٠٨ هـ وعبر الى جليقية يقود جيشا كبيرا ، وهدم حصن قاشتير وورش مما ألجأ النصارى الى الاستنجاد بملوك المسيحية ، وحصلت مواجهة بين المسلمين والنصارى ، انتصر فيها المسلمون انتصارا حاسما ، وبعد وفاة أدون الثانى خلفه أخوه أذفونش المعروف باسم الراهب والذى وقعت بينه وبين عبد الرحمن الناصر حروب كثيرة كان أشهرها موقعة الخندق التى انهزم فيها الناصر سنة ٣٢٧ هـ . (٢)

---

(١) انظر دولة الاسلام فى الأندلس ١/ ٣٥٤
(٢) انظر تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ٢٨٩

وبعد وفاة الناصر خلفه ابنه الحكم المستنصر الذى سار على نهج أبيه فى الوقوف أمام النصارى فى الشمال وعمل على وقف أعمالهم التوسعية . وقد خرج الحكم بنفسه لمحاربة النصارى سنة ٣٥٢ هـ ، ونازل النصارى على نهر دويرة وفتحها عنوة ، كما أرسل الحكم عامله على سرقسطه يحيى بن محمد التجيبى على رأس جيش لمحاربة ملك البشكنس ، فافتتحت جيوش المسلمين مدينة قلهرة . وعاود الحكم مرة أخرى سنة ٣٥٤ هـ وهاجم بلدة ألبة .(١)

وقد تولى الحكم بعد الحكم بن هشام المؤيد سنة ٣٦٦ هـ . وفى هذه الفترة أغار القشتاليون على قلعة رباح ، فاستغاث أهل الثغور حتى وصل صراخهم الى قرطبة ، ولكنهم لم يجدوا النصير سوى ابن أبى عامر الذى كان وزيرا لهشام ، فخرج بنفسه على رأس جيش سنة ٣٦٦ هـ قاصدا الثغر الى جليقية وفتح ربضة ، وعاد بغنائم كثيرة الى قرطبة .(٢)

وقد كان لابن أبى عامر غزوات كثيرة تعد من المفاخر الاسلامية ، كان منها خروجه الى طليطله عندما علم بتجمع القوات المسيحية هناك ضد الاسلام ، فلما وصل الى وادى دويرة التحم الجيشان ، ودارت الدوائر على القوات المسيحية ، انتصر فيها ابن أبى عامر وعاد الى قرطبة . وقد لقب بعد هذا النصر بالمنصور . كما أغار أيضا على برشلونه . وكان فى أشد غزواته ضد النصارى غزوة جربرة سنة ٣٩٠ هـ التى تجمعت فيها القوات المسيحية فاقتحم المنصور قشتالة وهزم النصارى هزيمة نكراء .(٣)

وقد تولى الحكم بعد المنصور المظفر عبد الملك ، الذى سار على نهج أبيه ، فهاجم الامارات المسيحية فى أسبانيا . وقد عقد بعد موت المنصور تحالف بين

---

(١) المرجع السابق ٢٩٠ .

(٢) تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ٣٢٧ - ٣٢٨

(٣) انظر تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ٣٣١ - ٣٣٢

النصارى ، أقامه شانجة غرسية قومس قشتالة لغزو الأراضى الاسلامية ،كما حاول قومس برشلونة مهاجمة الأراضى الاسلامية المجاورة ،فأوغل عبد الملك فى أراضى برشلونه سنة ٣٩٣ هـ ، كما قام بعدة غزوات ، كان منها الغزوة الكبرى المعروفة بغزوة قلونية سنة ٣٩٧ هـ . وقد هزم عبد الملك جموع النصارى المشتركة فى القتال وعاد الى قرطبة . ولم تنته حروبه مع النصارى ، وقد كان آخر غزواته المعروفة بغزوة العلة . وقد حاول رحمه الله أن يجمع الصفوف ويفاجىء العدو ولكن المرض لم يمهله فعاجله الموت وهو فى الطريق الى قرطبة بعد أن غزى النصارى سبع غزوات . (١)

وبهذا يظهر لنا جهاد الخلفاء الذين تعاقبوا على حكم الأندلس بعد الفتح الاسلامى ، وأنهم لم يدّخروا جهدا فى الدفاع عن حياض الاسلام ، وعن هذه الأرض المباركة الطيبة ، كما تبين لنا صلابة هؤلاء فى مقاومة الجيوش النصرانية التى زحفت على القواعد والمدن والقلاع الأندلسية لابتلاعها .

-----

(١) المرجع السابق ٣٤١ - ٣٤٢

(تعاقب المرابطين والموحدين على حكم الأندلس)

ان الذى يدقق النظر فى المصادر التاريخية ، يجد أن معظم المؤرخين يعتبرون المرابطين الذين حكموا الأندلس ،أنهم كانوا يمثلون الحصن الحصين للاسلام . ومن هنا نجد النصارى كانوا دائما فى موضع رعب وفزع منهم . وكانت أمنية النصارى الوحيدة هو القضاء على حكم المرابطين فى الأندلس . وقد كان زعيمهم يوسف بن تاشفين يعمل دائما على صيانة الحكم للمسلمين ، فى الوقت الذى اشتد فيه هجوم النصارى على الأندلس ، وثارت ثائرتهم لابتلاع الأندلس الاسلامى ، باسم حركة الاسترداد النصرانية.(١)

ومما قوى من أمل النصارى فى استرداد الأندلس ، ثغرات الضعف التى أخذت تتكاثر فى نهاية حكم المرابطين ، وضعف الدولة المرابطية . وقد هيأ هذا الضعف قيام ثورة على المرابطين ، وبالفعل قامت الثورة فى الأندلس على الحكم المرابطى سنة ٥١٥ هـ .(٢)

وقد سبق ثورة قرطبة على المرابطين ظهور دعوة الموحدين ، وكان الموحدون يظهرون بمظهر المناوىء للمرابطين ، مما جعل بعض المؤرخين يرجح أن دعوة الموحدين ، كانت من بين الأسباب التى أضعفت شأن المرابطين .
بالاضافة الى هذا فان دولة المرابطين كانت قد أصيبت فى هذه الفترة بضعف زلزل كيانها ، مما أدى الى استفحال أمر الموحدين ، وعجزت الدولة المرابطية أن تقف فى وجه الموحدين .

ولقد كان أهل الأندلس فى شغف للثورة على المرابطين ، ولهذا كانوا يرقبون الصراع الدائر بين عبد المؤمن الذى يمثل حكم الموحدين ، وبين الدولة

---

(١) انظر الدولة الموحدية للمؤلف عبد الله علام ١٤٣

(٢) المرجع السابق ١٤٤ .

المرابطية ، وذلك رغبة منهم فى زوال حكم المرابطين ، وتحمسهم لانتصار الموحدين .
ولهذا بعد وفاة ابن تاشفين اشتعلت الثورة بالأندلس ضد المرابطين . فكان منها ثورة الجنوب الغربى التى تزعمها أحمد بن الحسين بن قس ، والذى ينتمى جده الى أصل نصرانى . وقد أظهر هذا الرجل فى أول أمره التصوف ، ثم ادعى المهديه ، وأخذ يصارع حكم المرابطين ، كما فعل ابن تومرت والذى انتهت دعوته الى اسقاط الدولة المرابطية بالمغرب على يد تلميذه عبد المؤمن ، ولهذا لم يكن بعيدا أن يسقطها ابن قس بالأندلس .(١)

ولكن نهاية الصراع بين المرابطين والموحدين كانت لصالح النصارى ، فهم الذين استفادوا منه بسيطرتهم على حصون متعددة من بلاد الأندلس . ثم ان نهاية عهد المرابطين أدى الى ظهور أسبانيا النصرانية فى موقف القوة والمنعة لأن عدوهم اللدود قد ولى ولن يعود .

----

(١) انظر الدولة الموحدية ١٤٥ - ١٤٧

(ظهور دولة الموحدين)

من خلال مطالعة المصادر التاريخية وجدت أن ظهور الموحدين كان سنة ٥١٥ هـ ، وأن ذلك كان على يد أبي عبد الله محمد بن تومرت ، الذى رحل فى أول أمره الى المشرق طلبا للعلم ، وسمع من الطرطوشي والغزالى ، وقد رجع ابن تومرت الى المغرب ، في وقت وصلت فيه الامبراطورية المرابطية ذروتها فى الفساد . وقد استغل ابن تومرت هذا الوضع ، فأعلن عن نفسه أنه المهدى ، وشكّل مع الزمن قوة مسلحة أزعجت المرابطين . وقد وقع نزاع مسلح بينهم وبينه ، كما قام ابن تومرت بعدة ثورات ضد المرابطين ، وكان يتزعم هذه الثورات عبد المؤمن ، الذى حقق انتصارات ظاهرة ضد المرابطين أدت الى بروزه ، وتعيينه فى نهاية المطاف خليفة للموحدين بعد موت ابن تومرت سنة ٥٢٦ هـ .(١)

وقد تمكن عبد المؤمن من الاستيلاء على وهران وتلمسان ، كما فتح مدينة فاس سنة ٥٤٠ هـ . وكان ذلك عن طريق خيانة مسؤول مرابطي هو عبد الله الحاشى الأندلسى . كما أن النصارى المقاتلين الذين اصطحبهم تاشفين بن على الى الأندلس لقتال الموحدين والذين أظهروا فى بادىء الأمر قدرتهم على الصمود فى وجه الموحدين ، بعد أن تأكدوا من انهيار المرابطين ، فأراد النصارى الانتقام من الموحدين والمرابطين معا عن طريق ضربهم ببعضهم البعض . فقام النصارى وفتحوا أبواب المدينة فى وجه الموحدين الذين انقضوا عليها وذبحوا أهلها ، وكان منهم أمير المرابطين .(٢)

وقد كان النصارى فى هذه الفترة على جانب كبير من اليقظة ومحاولة النيل من المسلمين ، وكانوا يحاولون اضعاف سلطة المرابطين الذين يمثلون الحصن

---

(١) انظر مأساة انهيار الوجود العربى بالأندلس ٣٣٣ - ٣٤٦ .

(٢) المرجع السابق ٣٤٧

المنيع للاسلام . وقد تعرض المرابطون عبر التاريخ الى الظلم والافتراء ، وخاصة من الموحدين الذين أظهروا تعصبهم الشديد بسبب الاختلاف المذهبي مع المرابطين . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان تعصب النصارى ضد المرابطين كان واضحا جليا ويرجع ذلك الى ما كان يكنه النصارى في نفوسهم من كراهية شديدة للمرابطين لقيامهم على أساس اسلامي ، ولدفاعهم عن الأندلس من هجمات النصارى الصليبيين ، ولتثبيتهم الوجود الاسلامي في الأندلس أربعة قرون . فعمل النصارى والموحدون على تقويض دولة المرابطين حتى انهارت نهائيا .

ومما يبرهن على صحة ما قلت ، من أن الموحدين هم أهم الأسباب التي قوضت كيان دولة المرابطين ، أن عبد المؤمن نفسه والذى يمثل زعامة الموحدين ، عبر بنفسه الى الجزيرة الأندلسية وقام بسحق المرابطين . ولم يكن عمله هذا كراهية للاسلام ، بدليل أنه قام ونشر الدين على جميع المدن الأندلسية المهمة مثل قرطبة وغيرها .(١)

والذى يهمنا في هذه الفترة هو موقف زعيم الموحدين من النصارى ، صحيح أن نهاية عهد المرابطين أدى الى قوة ومنعة أسبانيا النصرانية ، كما أنه لم يكن موقف الموحدين ، كموقف المرابطين من النصارى . ولا يعني هذا بأى حال أن عبد المؤمن كان يمالئ النصارى ويقف الى جانبهم .

والذى يبدو لي من خلال مراجعة المصادر التاريخية أن عبد المؤمن قام ووقف أيضا في وجه النصارى ضد الحكم الاسلامي بالأندلس . ولكن الموحدين في عهد عبد المؤمن ، لم يقوموا بأى غزوة على غرار ما قام به يوسف بن تاشفين ، عاهل المرابطين بالأندلس. كما أنهم لم يستطيعوا أى الموحدون - أن يستردوا الثغور والقلاع التي اغتصبها النصارى في فترة انتقال الحكم من المرابطين الى الموحدين ويرجع السبب في ذلك الى المناوشات التي كان يفتعلها غير النصارى بايعاء منهم ، لأن النصارى كانوا دوما

---

(١) راجع مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس ٣٤٩ بتصرف .

يحاولون تجنب أى مواجهة مع الموحدين ، فكانوا يدفعون غيرهم لمثل هذه المواجهة .(١)

(ضعف الدولة الموحدية)

لقد بدأ الضعف يدب أوساط الدولة الموحدية ، وقد كان أول خلفاء الموحدين الضعاف المستنصر بالله ، أبو يعقوب بن محمد الناصر الذى كثر فى عهده الفتن والثورات ، وكثر الخارجون عليه ، واضطرب الأمر بعد وفاته التى كانت سنة ٦٢٠ هـ . وقد تولى الحكم بعده على عبد الواحد بن يوسف ابن عبد المؤمن ، الذى فى عهده تفرق أمر الموحدين . كما أنه استقبل فى عهده أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الذى لقب بالعادل وقد تولى السلطة بنفسه . الا أن عهد العادل لم يطل فقتل سنة ٦٢٤ هـ وخلفه أخوه أبو العلاء ادريس بن المنصور وبويع خليفة فى اشبلية مقر ولايته أيام أبيه المنصور .

وبعد مبايعة أبو العلاء قام صراع بينه وبين يحى بن الناصر ، الذى بايعه أهل مراكش بالخلافة ولم ينته الصراع الا بعد وفاة أبى العلاء سنة ٦٣٠ هـ وكان أبو العلاء قد استعان بفرقة من النصارى المرتزقة وأدخلهم الجيش ، وبنى لهم كنيسة . ومنذ ذلك التاريخ أصبح المغرب مسرحا للقتال بين خلفاء الموحدين .(٢)

-----

(١) بتصرف عن الدولة الموحدية ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) انظر تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى للمؤلف السيد عبد العزيز سالم/ ٧٤٠

(سقوط قواعد ومدن الأندلس بيد النصارى)

لقد بدأ النصارى فى منتصف القرن الخامس الهجرى بما يسمى بحرب الاسترداد القومية بعد أن انهارت الدولة الاسلامية فى الأندلس ، أو بعد أن بدأ الضعف والتفرقة تنخر الأمة الأندلسية . فرأى النصارى أن الوقت قد حان ، وأن الفرصة أصبحت سانحة ليضربوا ضربتهم القاصمة ، وكان الذى يتزعم أسبانيا النصرانية آنذاك الفونسو السادس زعيم مملكة قشتالة التى كانت تقود ميدان الصراع مع المسلمين .

لقد انتهى الأمر بالنصارى الى الاستيلاء على مدينة طليطله سنة ٤٧٨ هـ . أول قاعدة اسلامية سقطت بيد أسبانيا النصرانية . ولقد كان سقوط طليطلة بيد النصارى تذكيرا للمسلمين بالعدو والمتربص بهم ، فاجتمعت كلمة امراء الطوائف ، على الاستعانة باخوانهم ، فيما وراء البحر على عدوهم . فاستجاب زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين الى صراخ أهل الأندلس ، وعبر البحر بقوة عظيمة ، وهزم النصارى فى أسبانيا فى موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ . وكان هذا فاتحة عهد جديد للأمة الاسلامية فى الأندلس ، حيث استمد الاسلام فى أسبانيا من قوة المرابطين قوة جديدة . (١)

لقد كان جهاد المرابطين فى الأندلس جهادا اسلاميا ، يشارك فيه المسلمون كافة من أجل الدفاع عن أرض الاسلام ، التى يحاول النصارى ابتلاعها ، حتى تم لهم ذلك . وبالمقابل فقد كانت الحرب من جانب النصارى حربا صليبية تستهدف احتلال أرض المسلمين وطردهم من ديارهم ، وتحويلهم عن دينهم .

ولكن كما قلنا قبل قليل فان الأمر قد خرج من بين يدى المرابطين ، بسقوط دولتهم على أيدى الموحدين فى الأندلس فمكّن بذلك للنصارى وقويت شوكتهم ،

---

(١) انظر نهاية الأندلس / لمحمد عنان ٧٤ - ٧٥

فزاد طمعهم فى احتلال المدن والقواعد الأندلسية .

وعندما ضعف سلطان المرابطين فى الأندلس ، وخلفهم الموحدون فى المغرب وأسبانيا ، لبثت الدولة الاسلامية فترة أخرى عزيزة الجانب ، وان كانت فى هذه الفترة ، قد فقدت بعض قواعدها مثل سرقسطة التى سقطت بيد النصارى سنة ٥١٢هـ وبقية قواعد الثغر الأعلى التى سقطت بعد فترة قصيرة . ولكن الاسلام أحـــرز للمرة الثانية ، على النصرانية ، نصرا حاسما فى موقعة الأرك ، التى انتصـرت فيها جيوش يعقوب المنصور خليفة الموحدين على جيوش الفونسو الثامن ملك قشتالة سنة ٥٩٣ هـ . ثم انكمشت أسبانيا النصرانية فترة من الزمن ، ثم اجتمعت كلمتها ، واتحدت الجيوش النصرانية وسارعت لملاقاة المسلمين ، بقيادة خليفة الموحديـن محمد الناصر ولد يعقوب المنصور . وقد أصيب المسلمون فى موقعة العقاب بهزيمة فادحة سنة ٦٠٩ هـ . كما بدأ مصير الأندلس يهتز ، وسلطان الموحدين يتداعى ، وبدأت النصرانية يومئذ فى أوج قوتها . ولم تمض فترة وجيزة ، حتى بدأت قواعد الأندلس العظيمة تسقط واحدة تلو الأخرى بيد النصارى.(١)

وكان من المدن العظيمة التى سقطت قرطبة ، حيث هاجمها جيوش قشتالة سنة ٦٣٣ هـ وسقطت بيد النصارى . وقد أثار سقوطها فى أيدى النصارى الحزن والألم ، وتحطمت أعواد أسبانيا الاسلامية . كما حول النصارى جامع قرطبـــة الى كنيسة كبرى ، وهجر المدينة عدد كبير من المسلمين ، واستبدل فرناندو بهم سكانا آخرين من قشتالة وليون وغيرها من أقاليم أسبانيا النصرانية .(٢)

وبهذا تكون حاضرة الخلافة الأموية فى الأندلس قد سقطت فى يد النصـــارى ، فى زمن الموحدين ، كما سقط أيضا فى أيدى النصارى بلنسية سنة ٦٣٦ هـ ، ثـم

---

(١) انظر نهاية الأندلس / لمحمد عنان ٧٥

(٢) انظر تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ٢٩٧

مرسية سنة ٦٤١ هـ ، ثم شاطبة وبلنسية سنة ٦٤٤ هـ ، ثم اشبيلية سنة ٦٤٦ هـ.(١)

ولم تكن هذه القواعد العظيمة والمدن الكبرى ، لتسقط فى أيدى النصارى ، لولا انشغال المسلمين بالحروب الأهلية فى الأندلس .

وفى الوقت الذى كانت قواعد الأندلس الكبرى تسقط تباعا فى أيدى النصارى ، كانت الجيوش الأوروبية الصليبية تسير الى المشرق متحدة لغزو العالم الاسلامى . فقد كانت الجيوش الصليبية فى أوائل القرن السابع الهجرى تحاول غزو مصر حصن الاسلام فى المشرق . وبهذا يكون هدف النصارى فى الأندلس هو نفس الهدف الذى تقصده الجيوش الصليبيه الزاحفة الى ديار الاسلام فى المشرق . فقد كانت الحروب التى يقودها النصارى فى أسبانيا تحمل الطابع الدينى العميق ، كما كانت غزوات المسلمين تحمل طابع الجهاد الاسلامى . فقد كان يهرع أهل الثغور الى مرافقة الجيش جنبا الى جنب لمقاتلة النصارى ، كما كان يرافق الجند من النصارى الى القتال جموع غفيرة من الأحبار ورجال الدين ، يسقطون الى جانب الفرسان فى ساحة القتال . وقد ظهر صدى النزعة الصليبية فى أسبانيا بقيام جماعات دينية محاربة ، واشتهر منهم جماعة فرسان المعبد ، وفرسان القديس يوحنا ، وكانت هذه الجماعات الدينية تؤدى للصليبيين خدمات جليلة فى السلم والحرب .(٢)

ومن الملاحظ أن هذه المعارك الحربية التى كانت الأندلس مسرحا لها ، بين المسلمين والنصارى ، كانت ذات مد وجزر ، بحيث أن الكفة ظلت الى حد ما متعادلة بين القوتين المتناطحتين ، حتى اذا ما ظهر ميلانها الى أحد الجانبين فى ظروف ما ، فان ذلك ما ينفك أن ينقلب الى الجانب الآخر . ورغم ما كان يحيط بالمسلمين فى هذه الفترة من العوائق الداخلية والخارجية ، فانهم استطاعوا أن

---

(١) انظر نهاية الأندلس ٧٥ ، وانظر تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى ٧٤٥

(٢) المرجع السابق ٧٧

يجاهدوا من أجل الحفاظ على وجودهم المضطرب قرنين أخرين ، بعد وفاة المنصور سنة ٥٩٥ هـ ، وخاصة بعد تعاقب المرابطين والموحدين على حكم الأندلس .(١)

وقد كان للتأييد الكنسي لنصارى الأندلس الأثر الكبير ، كما كان لتجمع النصارى واغداقهم الأموال والعتاد الأثر البالغ فى تمادى النصارى فى عدوانهم على القرى والمدن الأسبانية . ولهذا فقد كان النصارى يكثرون من غاراتهم على المدن والقرى الأسبانية ، يسلبون وينهبون ، مما جعل أهل الأندلس يغادرونها وينادون بعدم الاقامة فيها . وكان من بين هؤلاء الامام القرطبى الذى فر بدينه من الأندلس ، من بلدة قرطبة مسقط رأسه ، حتى لجأ الى منية بنى خصيب فى مصر حتى مات فيها . الا أن القرطبى وغيره من علماء الأندلس لم يكونوا مكتوفى الأيدى ، بل كانوا يجاهدون بكل ما يملكون . ومن هنا كان يجرى فى الأندلس بالاضافة الى المعارك الحربية ، معارك كلامية بين القساوسة والرهبان من النصارى من جهة وبين علماء المسلمين الذين يعيشون فى الأندلس من جهة أخرى . وكان من بين هذه المعارك الكلامية ما حصل مع صاحبنا القرطبى رحمه الله أثناء فترة وجوده فى قرطبة ، حيث وقع بين يديه كتاب لأحد علماء النصارى ، وقد أشار اليه القرطبى فى ثنايا كتاب الأعلام ، واسمه كتاب تثليث الوحدانية . وبعد أن اطّلع عليه القرطبى قام بتأليف كتاب الاعلام الذى سماه (الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن دين الاسلام واثبات نبوة نبينا محمد عليه السلام) والذى نقوم بتحقيقه الآن .

وقد ضمّن هذا الكتاب الرد على صاحب كتاب تثليث الوحدانية ، وبين فيه مفاسد النصارى وشرح عقائدهم فى الأقانيم والاتحاد والحلول ورد عليها ردا مركزا .

---

(١) انظر مأساة انهيار الوجود العربى بالأندلس ٣٨٢

كما رد فيه على شبه كثيرة يبدو أنه قد أثارها ذلك النصرانى ، أو أنها كانت تثار من قبل نصارى الأندلس . فأراد القرطبى أن يجليها ويوضحها .

وكان من ضمن هذه الشبه : أن دين الاسلام انتشر بالسيف ، وأن النصرانية لا تدعو للقتال كما يزعمون كما رد أيضا على شبهة اباحة الاسلام للطلاق ، وتعدد الزوجات فى الاسلام . وغيرها من الشبه التى نقدها القرطبى فى الاعلام ورد عليها من كتبهم ردا شديدا بطريقة أدبية رائعة .

الفصل الثاني : فيما يتعلق بالمخطوط وخطوات التحقيق

ويشمل هذا الفصل عدة مباحث :

المبحث الأول

في بيان سبب تأليف الكتاب ونسبته لمؤلفـــــــه

(١) سبب تأليف الكتـــاب :

لقد ذكر المؤلف رحمه الله في بداية المخطوط سبب تأليفه له ، حيث ان بعض المنتحلين لدين الملة النصرانية ألف كتابا سماه تثليث الوحدانية ، وقـد بعث به من مدينة طليطلة الى مدينة قرطبة ، وقد تعرض هذا النصراني لديــن الاسلام والمسلمين بالشتم والاهانة مما دفع القرطبي رحمه الله الى تأليف هــذا المخطوط ردا عليه .

يقول القرطبي في مقدمة المخطوط " أما بعد فقد وقفت وفقك الله على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين الملة النصرانية سماه كتاب تثليث الوحدانية ، بعث به من طليطلة أعادها الله الى مدينة قرطبة حرسها الله . متعرضا فيه لديــن المسلمين نائلا فيه من عصابة الحق الموحدين سائلا عما لا يعنيه ، ومتكلما بمـــا لا يدريه ، فأمعنت النظر فيه ، فاذا بالمتكلم يسرف بما لا يعرف وينطق بما لا يحقق . ناقض ولم يشعر وعمي من حيث يظن أنه يستبصر " .

(٢) نسبة المخطوط لمؤلفـــه :

وقد حاولت الوصول الى مؤلف المخطوطة . فبدأت أولا بتحديد المدة التي ألف فيها هذا المخطوط . وقد تبين لي من خلال كلام المؤلف ، أنه قد ألف في الفترة الواقعة ما بين سنة ٤٧٨ هـ الى سنة ٦٣٣ هـ . لأن مؤلف المخطوط يقول عن كتاب تثليث الوحدانية أن مؤلفه " بعث به من طليطله أعادها الله الى قرطبـــة حرسها الله ".

وقد استولى النصارى على مدينة طليطلة فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ هـ ، وتغلب النصارى على قرطبة سنة ٦٣٣ هـ . (١) وبهذا يظهر لنا أنه قد ألف بعد ضياع طليطلة وقبل ضياع قرطبة .

وقد وجدت فى مقدمة الأعلام نسخة " ج " وهى النسخة المصورة عن المكتبة الملكية بالرباط تعليقا ليس من الناسخ حيث يقول :

" يوجد من هذا الكتاب نسخة فى مكتبة كوبريللى بتركيا رقم ٧٩٤ مكرر ، وفى معهد المخطوطات بالجامعة العربية نسخة مصورة عنها باسم :

(الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن دين الاسلام واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام) تأليف القرطبى ؟

وفى فهرس المخطوطات المصورة أن مؤلفه فرغ منه سنة ٦٨٤ هـ بالكرك المحروس. ويلاحظ أن بآخر نسخة مكتبة القصر الملكى هذه أن أحمد بن يوسف السلاسي قرأ الكتاب على مؤلفه سنة ٦٢٨ هـ . وأن أحمد بن عمر قابله على المبيضة سنة ٦١٧هـ فكيف يصح أن المؤلف أتمه سنة ٦٨٤ هـ ؟

كما يلاحظ على هذه النسخة ما بآخرها من أنها منقولة من نسخة كتبت سنة ٧٢٦هـ فكيف يصح مع ذلك أن تقابل سنة ٦١٧ وتقرأ على المؤلف سنة ٦٢٨ هـ الا أن تكون هى الأخرى منقولة من نسخة قوبلت وقرأت من التاريخين الأولين ؟" ا.هـ

وقد أشار الناسخ فى نهاية نسخة مكتبة القصر الملكى بالرباط الى أنه وجد على أصل النسخة المنتسخ منها أن أحمد بن يوسف السلاسي قرأ المخطوط على المؤلف في مفتتح عام ثمانية وعشرين وستمائة . كما ذكر أنه وجد على الأصل المقابلة بالمبيضة التى قام فيها أحمد بن عمر فى العشر الأول لمحرم سنة سبعة عشر وستمائة .

---

(١) انظر صفة جزيرة الأندلس / لأبى عبد الله الحميرى / ١٣٠ - ١٣٥ وصفحة ١٥٣ .

ولهذا التعليق فائدة عظيمة ، حيث أنه يرجح ما توصلنا اليه قبل قليل من أن المخطوط ألف قبل سنة ٦٣٣ هـ ، وينفى ما زعمه فهرس المخطوطات الموجودة فى جامعة الدول العربية من أن مؤلفها انتهى من نسخها سنة ٦٨٤ هـ .

كما يبين أن ما ورد فى نهاية كتاب الاعلام فى النسخة " أ " و " ج " من أن الفراغ من الأصل كان سنة سبعمائة وست وعشرون من الهجرة ، أنها ليست أصل نسخة المؤلف ، انما هى نسخة منقولة عن نسخة المؤلف .

ولعل ما تقدم يعطينا اشارة الى أن مؤلف كتاب الاعلام هو الامام القرطبى المفسر حيث كانت وفاته سنة ٦٧١ هـ .

ومما يعضد القول من أن المخطوطة انما تنسب للقرطبى المفسر (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبى) صاحب الجامع لأحكام القرآن ما يلى :

أولا : ما ذكره بروكلمان من أن مؤلف كتاب الاعلام هو القرطبى صاحب تفسير القرآن الكريم . ويعرف بالقرطبى مؤلف الاعلام والتفسير المسمى " الجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة وأى الفرقان " شمس الدين : محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ستمائة وواحد وسبعين للهجرة . وقد ذكر بروكلمان أن للمخطوط نسختين خطيتين فى مكتبة كوبريللى بتركيا الأولى تحت رقم ٧٩٤ - والثانية تحت رقم ٨١٤ ".(١)

ثانيا : كما أشار اسماعيل البغدادى فى كتابه " هدية العارفين " الى أن مؤلف هذه المخطوطة (الاعلام) هو محمد بن أحمد بن أبى بكر فرح الأنصارى الخزرجى شمس الدين أبو عبد الله القرطبى المالكى المتوفى بمنية ابن خصيب سنة ٦٧١هـ فقال : " له من الكتب الاسنى فى شرح أسماء الله الحسنى والاعلام بما فى دين النصارى واظهار محاسن دين الاسلام . التذكار فى فضل الاذكار . التذكرة فى أحوال الموتى

(١) انظر تاريخ الأدب العربى / كارل بروكلمان ١/ ٧٣٧

وأمور الآخرة . جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآى الفرقان .. وغير ذلك" (١) .

ثالثا - ثم ان مؤلف المخطوط يقول فيه بعد أن ذكر حديث حبس الشمس آية للرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ذكر هذا الحديث الطحاوى من طريقين قال عياض وهذان الطريقان ثابتان رواتهما ثقاة حكاه البكرى " والبكرى هو أبو على الحسن بن محمد البكرى الحافظ وهو من شيوخ القرطبى . وهذه قرينة فيها اشارة واضحة الى أن القرطبى سمع من شيخه هذه الرواية فنقلها فى كتاب الأعلام .

رابعا : وقد أيد الدكتور القصبى زلط فى كتابه " القرطبى ومنهجه فى التفسير " أن كتاب الأعلام انما هو للقرطبى المفسر " أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر ابن فرح الأنصارى القرطبى " (٢) اعتمادا على ما ذكره بروكلمان والبغدادى .

خامسا : وبتتبع بعض المواطن فى تفسير القرطبى ومحاولة مقارنتها بما ورد فى المخطوط، نجد بعض القرائن والاشارات التى تؤكد وتثبت نسبة المخطوط لمؤلفه .

من ذلك ما أورده القرطبى فى تفسيره عند قوله تعالى (وأوحينا الى أم موسى : أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) (٣) .

قال : ومن فصاحة القرآن أن الله تعالى جل ذكره - ذكر فى آية واحدة أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين " (٤) .

وكذلك ذكرها فى المخطوط " فانه جمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين " وأورد فى التفسير هذه فى موطن آخر بعد ذكر قصة الأصمعى مع الجارية وقال : " فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين " (٥) .

مع أن القرطبى رحمه الله لم يشر صراحة فى تفسيره الى اسم المخطوط كما أن ابن فرحون لم يذكر كتاب الأعلام من بين مؤلفات القرطبى عندما ترجم له ، وكل هذا

---

(١) انظر هدية العارفين . اسماعيل البغدادى ٢ / ١٢٩

(٢) القرطبى ومنهجه فى التفسير ٤٧ - ٤٨

(٣) سورة القصص ٧

(٤) تفسير القرطبى ١ / ٦٧ طبع دار الشعب .

(٥) تفسير القرطبى ٦ / ٤٩٦٨ طبع دار الشعب .

لا ينفى أن يكون الاعلام من مؤلفات القرطبى .

وبينما كنت أطالع كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى عثرت على موضعين ينقل فيها عن كتاب الاعلام ، أما الموضع الأول :

ما ورد فى الجزء الأول من كتاب اظهار الحق قول الهندى (١) :

" وقال الامام القرطبى فى الفصل الأول من القسم الثانى من كتابه (يشير الى كتاب الاعلام) :

" وقد تفطن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود وقرأ بعض كتبهم فقال : يخرج مما ذكر من عبارة التوراة فى موضعين اسم محمد صلى الله عليه وسلم بالعدد على ما يستعمله اليهود فيما بينهم الأول قوله (جدا جدا) بتلك اللغة (بماد ماد) وعدد هذه الحروف اثنان وتسعون ، لأن الباء اثنان ، والميم أربعون والألف واحد ، والدال أربعة ، والميم الثانية أربعون . والألف واحد والدال أربعة ، وكذلك الميم من محمد أربعون ، والحاء ثمانية والميم أربعون والدال أربعة . والثانى : قوله (لشعب كبير) بتلك اللغه (لغوى عذول) فاللام عندهم ثلاثون والغين ثلاثة لأنه عندهم فى مقام الجيم ، اذ ليس فى لغتهم جيم ولا صاد . والواو ستة ، والياء عشرة والغين أيضا ثلاثة ، والدال أربعة ، والواو ستة ، واللام ثلاثون . فمجموع هذه أيضا اثنان وتسعون " .

وهذا النص من كلام القرطبى فى الاعلام ، وان كان الشيخ رحمة الله الهندى قد نقل أحيانا كلام القرطبى بالمعنى وتصرف بالنص ، وقد حذف من بين النص عبارة (ثم ذكر ما قدمته من قول الله لابراهيم : " قد استجبتك فى اسماعيل") .

أما الموضع الثانى :

يقول الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه (٢) : " قال الامام القرطبى رحمه الله فى

---

(١) انظر اظهار الحق ١/٥١٧ - ٥١٨

(٢) اظهار الحق / الجزء الثانى /٥٠٦

كتابه (يقصد كتاب الاعلام) فى حق بولس هذا مجيبا لبعض القسيسين فى بحث مسئلة الصوم هكذا : " قلنا ذلك - أى بولس - هو الذى أفسد عليكم أديانكم وأعمى بصائركم وأذهانكم ، ذلك هو الذى غير دين المسيح الصحيح الذى لم تسمعوا له بخبر ، ولا وقفتم منه على أثر ، هو الذى صرفكم عن القبلة ، وحلّل لكم كل محرم كان فى الملة . ولذلك كثرت أحكامه عندكم ، وتداولتموها بينكم " .

هذا ما نقله الهندى عن كتاب الاعلام . وان هذا يمكن أن يكون قرينة تفيد بالايماء الى أن كتاب الاعلام انما هو للقرطبى المفسر . لأنه فى الغالب اذا أطلق لفظ الامام القرطبى انصرف الى صاحب التفسير والله أعلم .

وفى نهاية الحديث عن هذا المبحث يبدو لى - والله أعلم - أن تأليف هذا المخطوط كان فى بداية حياة القرطبى العلمية أثناء مقامه فى قرطبة ، وقبل مرحلة نضوجه العلمى ، مما جعل أسلوبه فى تأليف المخطوط يغلب عليه جانب الحماس الشديد والعنف فى الرد على الخصوم ، فاختلف هذا الأسلوب عنه فى تأليف الجامع لأحكام القرآن ، والذى ألفه بعد رحيله الى مصر . وقد كان يومها قد وصل فى التأليف الى مرحلة النضوج العلمى الصحيح .

. . . .

المبحث الثانـــي

" وصف النسـخ الخطيـــة "

ميزة المخطوطـة :

يوجد هناك مشابهات بين النصوص التي نقلها القرطبي في الاعلام ، وبـين التي نقلها الخزرجي في كتابه مقامع الصلبان ، وكذلك غالبا ما يكون هناك وجـــه شبه بين الردود على هذه النصوص المنقولة من الانجيل . وهذا يعطينا القدرة على أن نقول : اما أن يكونا الاثنان قد نقلا من مصدر واحد ، أو يكون القرطبي المفسر قد أخذ عن أبي عبيدة الخزرجي . وهذا ليس بعيدا حيث أن وفاة أبي عبيدة الخزرجي سنة ٥٨٢ هـ بينما كانت وفاة القرطبي سنة ٦٧١ هـ .

ولقد أشرت من قبل أن هذا المخطوط قد طبع مرة واحدة بمصر ، وأنه خلـى من التحقيق العلمي ، وأن طباعته جاءت على نسخة واحدة وهي التي تحمل رقم (٧٩٤) فجاء نص المطبوع ناقصا ومشوها . ولكن انصافا للحق أنني كنت ألجـأ اليه أحيانا لتوضيح ما سقط من المخطوط أو خفي عليّ فيه .

وقد وقع بين يدى ثلاثة نسخ من كتاب الاعلام أحدها : صورة ميكروفلم موجود بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى وهو مصور عن ميكروفلم موجود بمعهد المخطـــوطات بجامعة الدول العربية ، المصور عن نسخة تحمل رقم (٧٩٤) موجودة في مكتبـة كوبريللى بتركيا . وقد عملت لمدة سنة ونصف عليها ، حتى تمكنت من الحصول علـى النسخة الثانية وهي تحمل رقم (٨١٤) موجودة بمكتبة كوبريللى بتركيا ،ثم قمـت بتصوير النسخة الثالثة وهي ميكروفلم مصور عن مكتبة القصر الملكي بالرباط ويحمـــل رقم (٨٣) وقد عثرت عليه بقسم الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية .

أما من حيث مميزات النسخ الثلاث عن بعضها البعض من زيادة ونقصان وتحريف ، ووضوح في الخط وسهولة قراءته وتاريخ النسخ وعدد الأوراق فقد اختلفت عن بعضهـا البعض . وقد رمزت الى النسخ بالرموز التالية : ـ

١ - المخطوط رقم (٧٩٤) رمز "أ"

٢ - المخطوط رقم (٨١٤) رمز "ب"

٣ - المخطوط رقم (٨٣) رمز "ج"

أما من حيث عدد الأوراق وتاريخ النسخ ومكانه :

فلقد وقعت نسخة "أ" فى مائتين وأربعة عشر صفحة ، وكل صفحة يوجد فيها تسعة وعشرين سطرا بينما نسخة "ب" جاءت فى مائة وخمسين ورقة ، وفى كل صفحة ثلاث وعشرين سطرا . أما النسخة الثالثة وهى نسخة "ج" فهى تقع فى اثنين وتسعين ومائتين من الصفحات ، وفى كل صفحة ثلاث وعشرين سطرا .

أما تاريخ النسخ واسم الناسخ : أما نسخة "أ" فقد انتهى الناسخ من نسخها فى السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وثمانى مائة ، عن أصل نسخة كان الفراغ منها فى السادس من شهر شعبان سنة ست وعشرين وسبع مائة بدمشق المحروسة . وناسخ هذه النسخة هو على بن محمد بن عاتقة الفيومى نسبا والشافعى مذهبا .

بينما نسخة "ب" كان الانتهاء منها يوم الخميس من شهر رجب سنة سبع وثمانين وألف عن أصل نسخة كان الفراغ منها فى العاشر من صفر ، ولم يذكر السنة بالتحديد التى انتهى صاحبها من نسخها . وناسخ هذه النسخة هو محمد الحنفى الشهير بالقطرى المصرى .

أما نسخة "ج" فقد كان الانتهاء من نسخها يوم الخميس من أواخر شهر جمادى الأولى سنة اثنين وأربعين ومائة وألف بجزيرة حربة ،عن أصل نسخة كان الفراغ منها ضحوة سادس يوم من شعبان سنة ست وعشرين وسبعماية بدمشق المحروسة . أما ناسخها فهو محمد بن أبى أحمد بن موسى ابن يوسف بن ابراهيم بن عبد الله بن مغيرة بن شرحبيل .

أما من حيث ظهور الخط وعدم ظهوره : فتمتاز نسخة " ج " بأنها بخط مغربي كبير فهو مقروء وليس بالردئ ، وأما نسخة "ب" فهي بخط واضح وجيد ومقروء ، بينما كانت نسخة " أ " والتي هي ميكروفلم مصور عن ميكروفلم آخر ومصور عن النسخة رقم (٧٩٤) فقد جاءت بخط صغير يتعب البصر ، بل انك تجد عدم الوضـوح في بعض الصفحات ، حتى أنني لم أتمكن من تصويرها حتى على الورق الحساس لعدم امكانية التصوير لعدم وضوح المخطوط .

هذا وقد ظهر لي أثناء المقارنة أن هناك تقاربا بين النسختين رقم (٧٩٤) ورقم (٨١٤) وقد سلكت في تحقيق هذا المخطوط طريقة النص المختار ، أي انني لم اعتمد نسخة واحدة بعينها ، ولكنني اعتمدت في المتن ما وجدته في النسـخ الأخرى يكمل المعنى ، أو وجدته هو الصحيح .

وقد دفعني الى اختيار هذه الطريقة عدة أمور أهمها :

أولا : أنه لا يوجد نسخة من هذه النسخ بخط المؤلف .

ثانيا : بعد هذه النسخ عن عصر المؤلف ، حتى أن أقربها الى عصر المؤلف نسخة " أ " فقد كان تاريخ الانتهاء منها سنة تسع وسبعين وثماني مائة للهجرة .

ثالثا : أن النسخ الثلاث التي وقعت بين يدي فيها كلام ساقط بل أحيانا سطرا كاملا ، وخاصة نسخة " أ " فقد سقط منها الكثير .

رابعا : ثم ان هذه الطريقة ـ طريقة النص المختار ـ لها ميزة حسنة فهي تخـرج النص متكاملا من جميع الجوانب ، كما أنها تجمع جميع حسنات نسخ المخطوط .

هذا وقد ورد في آخر نسخة " ج " وهي المصورة عن المكتبة الملكية بالرباط ثمانية صفحات تتحدث عن الاباضية . وقد طرحتها لسببين :

السبب الأول : لعدم علاقتها بالموضوع الذي تحدث عنه القرطبي في الاعلام وهـو يرد على النصرانية ، وبالذات على صاحب كتاب تثليث الوحدانية .

السبب الثانى : أنها ليست من كلام المؤلف وانما هى زيادة ومن عمل الناسخ ، والدليل على ذلك : أن الناسخ ينقل عن ابراهيم بن على بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن فرحون المالكى ، ويقول بعد أن ينقل عنه فيما يتعلق بالاباضية رحمه الله .

وابن فرحون صاحب تبصرة الحكام فى أصول الأقضية وافاه الأجل سنة ٧٩٩ هـ ، بينما كانت وفاة القرطبى مؤلف الأعلام سنة ٦٧١ هـ ، مما يبرهن أن ما يتعلـــق بالاباضية ليس من كلام القرطبى وانما هى من عمل الناسخ .

.....

المبحث الثالث: منهج المؤلف في المخطوط

جاء تأليف هذا الكتاب ردا على أحد المنتحلين لدين النصارى في كتاب ألفه وسماه تثليث الوحدانية . والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل نهج القرطبي في رده على هذا النصراني الموضوعية العلمية ؟ وهل ناقشه بعيدا عن التحيز دون أن يحمّل الخصم كلاما لم يقله ؟ وها نحن نبين المنهج الذي سلكه المؤلف في هذا الرد .

١ - ان المؤلف كان غالبا في نقاشه للخصم علميا ، حيث كان يعترف للخصم اذا ورد في كلامه كلام حق وصدق ، كما أنه لم يمنعه مخالفته لدينه أن يعترف للخصم بما ورد في كلامه من الحق وهذا من المنهج العلمي في دراسة الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة . فانظر مثلا قوله " أما قوله الحمد لله فكلام حق ومقال صدق عند من عرف معناه وفهم فحواه " .

٢ - ثم انه كان يقر المبدأ كما هو بدون زيادة ولا نقصان ، أي يعرض شبهة الخصم كما هي أولا ثم يقوم بالرد عليها .

٣ - نهج المؤلف في رده على الشبه في كثير من الأحيان طريقة المتكلمين ، كما أنه كان يستعمل في رده الشعر والنثر والأمثال .

فلو أردنا أن نأخذ مثلا من المواقف التي استعمل فيها المؤلف دليل المتكلمين ، وذلك في رده على أن الصدا اله وهو الذي خاطب موسى عليه السلام بقوله : (أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) (١) وأن صاحب كتاب التثليث شبه هذا الموقف بكلام عيسى وقوله أنا الله كما يزعمون .

قال القرطبي : " اذن الآلهة عندهم خمسة فياليت شعري هذه الآلهة الخمسة هل اشتركوا في ايجاد الموجودات ، واختراع الكائنات ، أو انفرد

---

(١) سورة طه ١٤

بها أحد هم ؟ فان كان قد انفرد بها أحد هم فهو الاله الحق الواحد الفرد ، وان كانوا قد اشتركوا وتعاونوا على خلق المخلوقات ، وسائر المخلوقات فلا معنى للشرك الا هذا . ويلزم على تقدير اجتماعهم وتوافقهم على الخلق أن يكون كل واحد منهم مضطرا الى مساعدة الآخر ، وكل مضطر ناقص والناقص ليس باله ."

وقد استعمل القرطبى فى هذا الموضع دليل المتكلمين على الوحدانية .

٤ - كما أنه استعمل فى رده على الشبه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسرد جانبا كبيرا من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم للرد على النصارى الذين استدلوا على ألوهية عيسى بالمعجزات ، كما ذكر بعض خوارق العادات ، وكرامات الصحابة ، وفى هذا يرد على النصارى الذين استدلوا بمثل هذه الخوارق على كون الحواريين من الرسل .

كما رد عليهم فى مواضع كثيرة من الكتاب المقدس - أى العهد القديم والعهد الجديد ليكون ذلك أقرب الى عقول النصارى .

٥ - ثم انه يستعمل السجع كثيرا فى كلامه فخذ مثلا :

ما قاله المؤلف فى بعض المواطن وهو يرد على صاحب كتاب التثليث :

" يا هذا أسهبت وأطنبت ، وبحبة خردل ما أتيت . كثر كلامك ، فكثر غلطك وقلت فائدته وظهر فضولك وسقطك ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كانت النار أولى به . أعجبت لجهلك بلحنه ، ولم تتفطن لشبيجه ولحنه ، فلقد استسمنت ذا ورم ونفخت فى غير ضرم" .

وفى موضع آخر قال المؤلف :

" فاذا أنت أمعنت النظر ، واشتدت منك العبر ، علمت أن هذه الحكايات بواطل ، وأن ملحقها فى التوراة وناسبها الى الله متزندق جاهل ".

٦ - العنف في الرد :

غلب على أسلوب المؤلف في المخطوط التوبيخ والشتيمة ، حيث أن القرطبي يستمر أحيانا في التوبيخ والشتيمة حتى انه لينسى الموضوع الذى يتحدث عنه ، فيضيع المقصود وهو الرد على الفكرة التي يكون يتحدث عنها .

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب قول القرطبي وهو يرد على صاحب كتاب التثليث " اسكت يا جهول فلست تعرف ما تقول ، فما كان أجمل بك أن لو سترت عوارك ولم تبد عوارك ، كيف تتحكم بما لا تعرف ولا تفهم ".

وقوله أيضا " فان كنت تريد أن تظفر بأمثال هذه الأسرار فعجل الى الله الفرار ولا تلهينك الدعة والقرار والا فأنت أسوأ حالا من الثور والحمار ".

وانظر قوله مثلا " يا هذا التيس ، وأى ذنب ساتر التيس أتظن أنك تتفصح وتستعير وأنت لا في العير ولا في النفير ، وكيف تظن السلامة من الحمق والبؤس ممن يجهل كيفية أذناب التيوس ".

وقد أشار في موضع من كتاب الاعلام أن السب لولا أنه ليس من مكارم الأخلاق لأكثر منه حيث يقول : "لولا أن السب منهى عنه على الاطلاق وليس من مكارم الأخلاق لأكثرت من سبك ولأوغلت في لومك وعتبك ".

مع أنه في بداية الكتاب وعد المؤلف بأن يلتزم الجانب العلمي في نقاشه ورده وأن لا يسبهم كما قال : " على أني لا أتعرضهم بقزع السباب " .

وقد قيّد نفسه في موضع آخر بأنه لن يستعمل هذا الأسلوب وأنه لن يسب حيث قال : " على أني لم أتعرض لهذا السائل ولا لأحد من ملتهم بالسب أكثر من تبين جهلهم وركاكة هذيانهم وقولهم ".

وهناك مواضع كثيرة من هذا النوع ، حيث يظهر فيها المؤلف العنف في الرد والشتيمة على الخصم ، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب ولكن الى حد ما فمثلا نجده يوبخ الذين يعبدون الأصنام من دون الله كما في قوله تعالى :

(أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) (١) .

وانظر مثلا الى قوله تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب) (٢) .

وقد قال تعالى فى سورة الجمعة :

(مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين) (٣) .

٧ - كما أنه يغلب على المؤلف طريقة الصوفية أحيانا فانظر مثلا قوله " ان عيسى عليه السلام كان محبا لله مشتهرا فى محبته وفى عادة المشغوف بشيء المشتهر به أن يستحضر ذلك الشيء المشتهر فيه فى قلبه ويجعله نصب عينيه حتى لا يلاحظ شيئا سواه بل ربما ينتهى ذلك به الى أن يذهل عن نفسه ويغيب عن حسه ففى مثل تلك الحالة يظن المشتهر أن الشيء الذى شغف به هو هو حتى يقول أنا من أهوى ومن أهوى أنا " ،

وفى موضع آخر نراه يقول :

" وكذلك قال موسى عليه السلام لما انكشف له من سلطان الحقيقة أمر ما غاب عن نفسه وفنى عن حسه لما شاهد من جمال الربوبية والحضرة الألهية فذهل عن كل ما سوى الله فقال أنا الله . وهذه أمور عجيبة وأذواق غريبة لا يدركها الا من أختاره الله من خلقه واصطفاه لحضرته " .

٨ - من حيث الأمانة العلمية :

نلحظ أن المؤلف ينقل ولا يشير ، وهذا سابقا لم يكونوا يعتبرونه عيبا فى التأليف . وقد نقل المؤلف عن القاضى عياض من كتاب الشفا ، بل ان القرطبى أخذ منه فصولا بكاملها فاذا ما نظرنا الى الباب الثالث وهو باب النبوات واثبات نبوة

---

(١) سورة الأنبياء ٦٧

(٢) " المسد ١

(٣) " الجمعه ٥

محمد عليه السلام نكاد نجد أن فصل انشقاق القمر وحبس الشمس ، وفصل نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم ، وتكثير الطعام ببركة دعائه ، وفصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة ، وفصل حنين الجذع ومثله في سائر الجمادات، وفصل في الآيات في ضروب الحيوانات واحياء الموتى وكلامهم ، وفصل ابراء المرضى وذوى العاهات ، وفصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ، وبركة فيما لمس وفي بركاته وكراماته ، وما أخبر عنه من غيوب تكاد أن تكون كلها أو معظمها مقتبسة من كتاب الشفا للقاضي عياض . بل انه ينقل هذا بألفاظه وحروفه دون أن يعزو في نقله الى المصدر أو المؤلف .

كما أنه ينقل عن أبي عبيدة الخزرجي من كتابه مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الايمان وقد أشرنا الى أن هناك تشابها كبيرا بين النصوص الموجودة في كتاب الاعلام وبين كتاب الخزرجي . فالقرطبي ينقل عن هذا الكتاب ولم يشر ولا في موضع الى مصدر هذا الكلام . كما أنني وجدت أيضا تشابه كبير في مواضع كثيرة في بعض النصوص التي نقلها ابن القيم في كتابه هداية الحيارى ، ويظهر أن ابن القيم أيضا قد أخذ عن الاعلام ولكنه لم يشر اليه في كتابه . وإما أن يكونوا قد أخذوا جميعا عن مصدر واحد .

٩ - <u>الاستطراد والشمول</u> : الواقع أن القرطبي رحمه الله كان في رده على الفكرة يستطرد كثيرا ، وكان يورد على الخصم الالزامات التي تلزم من قوله . وكان يفصل كل ذلك بأسلوب أدبي راقي ممتع ، وكان غالبا يحيط الفكرة من جميع جوانبها ، ويرد على النصارى من كتبهم ، من العهدين القديم والجديد ، ليكون ذلك أبلغ في الحجة عليهم .

كما أنه نقل أيضا نصوصا كثيرة من كتبهم ، ورد عليها ردا مركزا ، ويظهر لنا من هذا سعة اطلاع المؤلف وثقافته الواسعة في هذا الفن .

١٠ - كما أن المؤلف رتب المخطوط فى نسق جيد ، ويظهر ذلك من خلال ترتيبه على أربعة أبواب وصدر . وقد تقدم هذه الأبواب هذا الصدر الذى مهد فيه المؤلف للرد على صاحب كتاب تثليث الوحدانية . وقد عنون المؤلف لهذه الأبواب، كما اندرج تحت هذه الأبواب فصول شتى أشرنا اليها فى مقدمة هذه الرسالة ، وان كان قد فات المؤلف أن يعنون أحيانا لبعض فصول الأبواب . وقد قمت بنفسي ووضعت لها العناوين استدراكا لما فات المؤلف ووضعتها بين قوسين مفتوحين لتمييزها عن كلام المؤلف .

. . . .

المبحث الرابع : منهجي في تحقيق المخطوط

لقد اشتمل هذا المنهج على جانبين :

الجانب الأول فيما يتعلق بالدراسة لأنني قسمت هذه الرسالة الى جانب الدراسة وجانب التحقيق .

أما جانب الدراسة ، فقد قمت بتقسيمها الى بابين : جاء الباب الأول : بين يدى المخطوط . وقد اشتمل على فصلين ، وقد شمل الفصل الأول ما يتعلق بالمقدمة . وقد تحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع ، وأشهر من ألف في هذا الفن ، والمصادر التي اعتمد عليها مؤلف الأعلام .

كما أنني ترجمت فيها لمؤلف الأعلام ولشيوخه وتلاميذه . ثم تحدثت في هذه المقدمة عن مناسبة تأليف المخطوط للعصر الذى عاش فيه المؤلف .

أما الفصل الثاني : بحثت فيه ما يتعلق بالمخطوط وخطوات التحقيق ، وقد شمل هذا الفصل أيضا مباحث شتى تكلمت فيها عن سبب تأليف المخطوط ونسبته لمؤلفه ، ثم ما يتعلق بوصف النسخ الخطية ، ومنهج المؤلف في تأليف المخطوط ، ثم أشرت الى منهجي في التحقيق كما هو الآن .

أما الباب الثاني من هذه الدراسة فهو ما اشتمل عليه الكتاب وعرض لعقائد النصارى ، تناولت في هذا الباب فصول عدة تكلمت فيها بايجاز عما اشتمل عليه الكتاب ، وعن عقيدة النصارى في الأقانيم ، وعقيدتهم في الاتحاد والحلول ، وعقيدتهم في الصلب . وقد اختتمت هذه الفصول بفصل يبين أن النصرانية انما هي خاصة لبني اسرائيل وأنها ليست دعوة عالمية كما يزعمون .

أما الجانب الثاني : فيما يتعلق بمنهجي في التحقيق فقد اشتمل على ما يلي :

أولا : ما ينبغي أن يكون عليه عمل كل محقق ، من العمل على تحقيق النص وضبطه ، واخراجه كما صدر عن مؤلفه بقدر الامكان . وبيان ما بين النسخ من خلاف . الا أنني لم أعتمد في التحقيق نسخة واحدة بعينها كأصل يقارن بها غيرها ، وذلك لأنني

سلكت في التحقيق طريقة النص المختار كما أشرت قبل قليل . حيث انني اعتمدت في المتن ما وجدته في النسخ الأخرى يكمل المعنى ، أو وجدته هو الصحيح من حيث المعنى أو اللفظ ، أو أصح أو أوضح ، وقد أثبت الخلافات بين هذه النسخ بالهامش.

ثانيا : وقد رأيت أيضا لزاما عليّ أن أشير في الهامش الى موضع الآيات القرآنية من حيث رقمها وسورتها في القرآن الكريم . كما أنني أشرت الى الآيات القرآنيـــة كاملة في الهامش ، والتي كان المؤلف يوردها بطريق الاقتباس وليس بالنص .

ثالثا : عملت على تخريج جميع الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية ، وقد سرت في هذا التخريج بأن ذكرت رقم الحديث ان وجد واسم الكتاب والباب ، وان لم يذكر رقم الحديث اكتفيت برقم الجزء والصفحة مع ذكر الكتاب والباب.

رابعا : كما أنني قمت بتخريج الآثار والحكم والأمثال التي وردت في ثنايا المخطوط ، كما خرجت الأبيات الشعرية باستثناء عشرة أبيات لم أعثر على قائلها ، وقد سألت بعض أساتذة اللغة والأدب من ذوي الاختصاص ولكن دون جدوى .

خامسا : كذلك قمت بشرح الألفاظ الغامضة والعبارات المبهمة مستندا في ذلك الى أمهات الكتب المعتمدة من لغوية أو أصولية أو فقهية .

سادسا : ترجمت في الهامش للأعلام التي ورد ذكرها في المخطوط باستثناء بعض أعلام النصارى الذين لم أعثر لهم على ترجمة - ، والتي يحتملها المقام وتتناسب مع المترجم له . فلم نوجز الايجاز الشديد الذي لا يغني ، ولم نطل الاطالة التي تبعد عن الموضوع ، وقد أشرت عقب كل ترجمة الى المصدر الذي اعتمدت عليه .

سابعا : عملت على ضبط الاصحاحات التي أوردها المؤلف من العهدين القديم والجديد أي (التوراة والأنجيل) وقد أثبتها جميعا بالهامش بالنص الحرفي ، وذلك اعتمادا على الترجمة الحديثة التي وردت في التوراة والانجيل .

ثامنا : لم يرد في المخطوط أي اشارة الى الفواصل أو النقط . وانما بدأ الكلام فيه من أوله الى آخره ، والكتابة مستمرة مع أن المؤلف قد قسم الكتاب الى أبواب وفصول في نسق جيد وكان غالبا يشير الى عنوان الفصل واحيانا يتركه بلا عنوان . وقد وضعت عناوين للفصول التى لم يعنون لها مع وضعها بين قوسين مفتوحين لتمييزها عن كلام المؤلف .

كما أنني كنت أضع أحيانا هوامش جانبية لتعين القارئ وتيسر له فهم الموضوع أو المسألة .

تاسعا : كما أنني قمت بالتعليق على القضايا والمسائل العلمية التى ذكرها المؤلف في المخطوط . كما أنني بينت عقيدة كل فرقة تعرض لها الكتاب .

وبعد فهذا الاعلام هو من تأليف القرطبي رحمه الله صاحب التفسير ، وقد حققت نسبته الى صاحبه ، وحققت ألفاظه ومعانيه ، والنصوص الواردة فيه من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، والاصحاحات الواردة من التوراة والانجيل . فقمت بنسخها بنفسي ثم مقارنتها بالنسخ الأخرى ثم بشرحها والتعليق عليها .

ويعلم الله أن هذه المخطوطة كانت تلازمني في كل الأوقات في السفر والاقامة ، وكنت أواصل ليلي بنهاري حتى خرجت على وضعها الحالي .

. . . .

الباب الثاني

(في بيان ما اشتمل عليه الكتاب وعرض لعقائد النصارى)

ويشتمل على عدة فصول :

الفصل الأول : بيان موجز لما اشتمل عليه الكتاب :

لقد جاء كتاب الاعلام للقرطبي في أربعة أبواب ، وقد تقدم هذه الأبواب صدر جاء فيه :

أولا : كان فيه رد على صاحب كتاب تثليث الوحدانية ، بين فيه مؤلف الاعلام أن تثليث الوحدانية فاسد من الناحيتين اللفظيه والمعنوية . كما بين أن الوحدانية تناقض التثليث ، حيث أن الوحدانية مأخوذ من الوحدة بينما التثليث يقتضي التعدد والكثرة . واضافة التعدد والكثرة الى الوحدانية يفضي الى تكثير ما لا يتكثر .

ثانيا : كما رد المؤلف في هذا الصدر على مبدأ النصارى في التثليث .

فقد بين فيه المؤلف أن صاحب كتاب تثليث الوحدانية لم يحسن طريقة النظر والمناظرة وبين أنه خالف زعيمهم الأعظم اغشتين الذي يقول في مصحف العالم : " ينبغي أن يحصل الكلام في النظريات على منازل ودرجات ، ليكون من اجتمع معنا في الدرجة الأولى تكلمنا معه في الدرجة الثانية ، ومن اجتمع معنا في الدرجة الثانية تكلمنا معه في الثالثة ، ثم نمضي كذلك الى أقصى نهاية الكلام . فانما يكون فساد الكلام وتناقضه واشتباهه من قبل النقص في معرفة هذه الدرج لأنا متى نظرنا في الدرجة الثانية من لم يجتمع معنا في الأولى لم يبلغ الكلام غاية ولم يقف على نهاية " أ . هـ .

ثم ان الانجيل في غالب نصوصه يضعف قضية التثليث : فقد ورد في انجيل مرقس ما نصه " فأجابه يسوع ان أول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى ، وثانية مثلها : هي تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين . فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت ، لأنه

الله واحد وليس آخر سواه ".(١)

ثم ورد في انجيل متى ما نصه " قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد ".(٢)

ثالثا : ثم صرّح صاحب كتاب تثليث الوحدانية الى أن رسالة عيسى كانت عامة لجميع الأجناس . فرد عليه مؤلف الاعلام ردا قصيرا بين فيه أن رسالة عيسى كانت خاصة لبني اسرائيل . وسنفرد لهذه المسألة فصلا خاصا فيما بعد .

رابعا : ثم ناقش القرطبي مبدأ النصارى في اعتقاد الأقانيم الثلاث وهي الأب والابن وروح القدس . وبين أنه ليس للنصارى أي دليل أو حجة في ذلك . ثم بين أن المراد بالأب هنا ليس البنوة الحقيقية ، وانما المقصود به الحنان فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم . وقد نهى عن اطلاق القول بالبنوة كما ورد في الانجيل :

" وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهي تصرح وتقول أنت المسيح ابن الله فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون ".(٣)

وقد رجح القرطبي أن يكون مراد صاحب كتاب تثليث الوحدانية من الأقانيم الثلاث الأب والابن والروح القدس باعتبار قضايا ثلاث. وذلك أن القدرة انما سميت أبا باعتبار أنها أصل الموجودات ، وسمي العلم ابنا باعتبار أنه اتحد بالابن الذي هو المسيح وصدر عنه . وسميت الارادة روح القدس باعتبار مكافأة الخلق في الدار الآخرة .

ثم رد القرطبي على صاحب كتاب التثليث في كون الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا ، وبين أن النصارى يتبرأون من هذا وأنهم متفقون على أن الأقانيم الثلاثة آلهة وأنها اله واحد .

---

(١) انجيل مرقس / الاصحاح الثاني عشر / ٢٩ - ٣٢

(٢) انجيل متى / الاصحاح الرابع ١٠

(٣) انجيل لوقا / الاصحاح الرابع ٤١

وفى نهاية الأمر بين المؤلف أن التثليث عندهم أسماء أفعال لخواص قائمة ، وأن الذات واحد لا ينقسم ولا يتبعض ثم تساءل القرطبى لماذا بعضتم الذات دون الأب وروح القدس ؟ ولماذا سميتم المسيح ابنا ؟ ولماذا سميتم الأب والروح القدس ؟ .

وسنفرد لمسألة الأقانيم أيضا فصلا كاملا فيما بعد ان شاء الله تعالى .

أما أبواب الكتاب فهى أربعة ، تناول فيها المؤلف عقائد النصارى وشعائرهم كما يلى :

الباب الأول : تكلم فيه المؤلف على أقانيم النصارى ومذاهبهم فيها . كما رد عليهم وأبطل شبههم وأوهامهم فيها وناقشهم فى مسألة الأفعال وبين أنها أكثر من ثلاثة . وانتقل رحمه الله الى الحديث عن قول النصارى فى مسألة أقانيم الصفات وهى القدرة والعلم والحياة وناقشهم فى هذه المسألة ورد عليهم ، وقد أجاد فى رده على هذه المسألة . ثم بين رأيهم فى تعليل التثليث والأدلة على ذلك .

الباب الثانى : تناول فيه المؤلف الكلام على الاتحاد والحلول عند النصارى ، ونقل رأيهم فى معنى الاتحاد . وهى مسألة توحيد القديم بالحادث والخالق بالمخلوق فهم يزعمون أن الحديث هو الذى صار الها ، ولا يقولون أن الاله صار حديثا ، وعليه فالاتحاد عندهم هى الارادة . ثم انهم قالوا ان هذا الاتحاد قديم وحادث فهو قديم بالقوة حديث بالفعل .

وهذا القول يؤدى الى حلول الحادث فى الجوهر ، واتحاده به . وهذا لم يزعمه أحد من المخلوقات على الاطلاق . أما اختلاف النصارى وفرقهم فى الاتحاد والحلول، فقد بين المؤلف أنه لا يوجد من نفى الاتحاد والحلول من النصارى سوى فرقة واحدة وهم الأروسية . أما الفرق الأخرى فقد بين رأيهم فى تجسد الكلمة بالمسيح على النحو التالى :

١ - فقد ذهبت اليعقوبية والنسطورية الى أن الكلمة خالطت جسد المسيح ومازجته كما يمازج الخمر اللبن وهذا أيضا مذهب الروم ، الا أنهم زادوا على ذلك فقالوا : ان الكلمة اختلطت بالمسيح فصارت شيئا واحدا .

ويرى اليعاقبة أن الله تعالى - عما يقولون علوا كبيرا - نزل من السماء فدخل بطن مريم واتخذ من لحمها جسدا ، فصار الله مع الجسد نفسا واحدا . وذهب بعضهم الى القول : أن الكلمة انقلبت لحما ودما .

وقد قال بعض اليعقوبية : ان الاتحاد مثاله مثال ما ينطبع فى الأجسام الصقلية التى تقابلها ، وهو ظهور وفيض . فقد بين القرطبى أن هذا يصح لو كان العلم صورة محسوسة ، وجسد المسيح صقيلا ينطبع فيه صور المقابلات له .

ولهذا لا يمكن أن تتمثل ذات الحياة ولا ذات الارادة فى المرأة ، فكذلك أيضا ، فان الكلمة لا يمكن أن تتمثل فى جسد المسيح .

أما النسطورية فقالوا : ان الاتحاد مثاله مثال نقش الخاتم فى الشمع . وقد رد عليهم القرطبى فى مكانه ولا داعى للاعادة .

٢ - أما الملكانية : فقد ذهبت الى أن الكلمة حلت جسد المسيح كما يحل العرض محله . والواقع كما يقول القرطبى أن حقيقة الحلول هو أن يحصل جسم أو متحيز فى شيء أو على شيء ، فيسمى الحاصل حالا والمحصول فيه محلا ، والنسبة بينهما تسمى حلولا .

ويقال : حل العرض فى محله . ومعنى ذلك صار المحل متصفا به ، وصار العرض قائما به ، وموجودا فيه .

فان قصدوا حقيقة الحلول فهو محال ، لأن العلم ليس بجسم ولا جوهر . وان أردوا الثانى فهو أيضا محال ، لأنه يلزم عليه مفارقة العلم الجوهر ، وبقاؤه جاهلا ، ويقوم عرض واحد بمحليــن فى زمان واحد .

٣ - وذهب البعض الى القول بأن ظهور اللاهوت على المسيح كمعنى استواء الاله على العرش عند المسلمين . وهذا من التلبيس ، لأن الاستواء لا يقال عليه عندنا اتحاد ولا حلول . لأنه بعد استواء الله على العرش فالله هو الله ، والعرش هو العرش ، بخلاف الكلمة لما حلت بالناسوت عندهم صار الجديد شيئا آخر .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا ، ما الذى حمل النصارى على القول بالاتحاد ؟ لقد نقل القرطبى أقوالهم فى الدافع على القول بالاتحاد . فقال بعضهم : ان ذلك كان تقليدا للانجيل كما ذكر صاحب كتاب تثليث الوحدانية .

وقال آخرون ان الذى دفعهم الى القول بالاتحاد هو أن عيسى ظهر على يديه بعض الأفعال التى لا تصدر الا عن اله ، مثل احياء الموتى ، وابراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين .

والواقع أن عيسى عليه السلام كان يستدل بمثل هذه المعجزات على رسالته وانه مرسل من عند الله ، ولتوليد الايمان فى نفوس الآخرين كما ورد فى انجيل يوحنا :

" وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لي ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى ". (١)

وقد ذهب فريق ثالث الى أن الذى دفع النصارى الى القول بالاتحاد هو أن عيسى لم يخلق من النطفة ، ولم يخرج عن شهوة آدمية ، وانما خلق الله ناسوته من غير أب . وقد رد عليهم القرطبى فى هذه المسألة : أنه اذا كان هذا يدل على ألوهية عيسى ، فمعنى ذلك يجب عليهم أن يعترفوا لآدم بالألوهية ، فانه مثل عيسى لم يخرج عن شهوة آدمية ، ولم يخلق من نطفة أب ، وانما خلق من تربة الأرض ، ثم نفخ الله فيه الروح كما فعل بعيسى الذى هو نفخة من روح الله .

الباب الثالث : فهذا الباب الثالث والذى تحدث فيه المؤلف عن النبوات . وقد أشار فى بداية هذا الباب الى كلام صاحب كتاب تثليث الوحدانية فى مسألة المسيح

---

(١) انجيل يوحنا / الاصحاح الحادى عشر / ٤١ - ٤٢

المنتظر . فنقل القرطبي قوله فيه ،ورد عليه . وبين الأدلة من التوراة والانجيل المبشرة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

كما أشار في هذا الباب الى التغيير والتحريف الذى طرأ على التوراة والانجيل . ثم نقل نصوصا من الأناجيل بين تناقضها مع بعضها البعض . ثم عقد فصلا بين فيه معنى النبوة والمعجزة ، واستعرض جانبا كبيرا من وجوه اعجاز القرآن الكريم . كما رد في هذا الباب على النصارى الذين يستدلون بالمعجزات التى وقعت على يد المسيح ، بأنها تدل على ألوهيته ،وأثبت أنها تدل على أنه رسول من عند الله. ثم تناول القرطبي في هذا الباب بالتفصيل اثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وقد جاء بالأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وسرد جملة من معجزات الرسول التى وقعت على يديه وجانبا من خوارق العادات التى وقعت للصحابة الكرام . وكل هذا ليثبت أن المعجزات وخوارق العادات لا ترفع صاحبها الى مقام الألوهية كما يزعم النصارى .

الباب الرابع : بين فيه المؤلف تحكّم النصارى بأديانهم ، وأنهم لا مستند لهم الا التحكّم في الأقوال . وقد ذكر القرطبي جملة من قواعدهم وطقوسهم . ومما ذكره المؤلف في هذا الباب :

أولا : المعمودية : وخلاصة عقيدتهم فيها : أن الذى يريد أن يدخل في النصرانية، أو التائب من الذنب يجتمع اليه القساوسة ، ويمنعونه من الدسم عدة أيام ، ثم يطلبون منه أن يصرح بعقيدتهم وهي (باسم الأب والابن والروح القدس)(١) ثم يغطسونه في بركة ماء . ويزعم النصارى أن كل من لم يعمد في الماء فهو محروم ولا يدخل في ملكوت الله .

ثانيا : الاعتراف بالذنب أمام القسيس من أجل التوبة : وقد بين القرطبي ان من جملة قواعدهم وشعائرهم أن المذنب ، حتى تغفر ذنوبه ،يجب عليه أن يذهب الى

---

(١) انجيل متى / الاصحاح ٢٨ : ١٩

القسيسين من أجل تكفير ذنوبه وخطاياه . ويستند النصارى فى هذه المسألة الى ما ورد فى انجيل يوحنا : " من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت" (١) .

ثالثا : مسألة القربان : تكلم القرطبى عن هذه المسألة ، فبين أن النصارى قد حرفوا التوراة بشأن القربان حيث أن الأنبياء وبنى اسرائيل كان يقربون المجول والجزر والخرفان ، فعدلوا الى قربان الخبزوالخمر . وقد علل القرطبى سبب عدولهم الى الخمر والخبز ، - كما يزعمون - لأن ملكى صادق أول من قرب الخمر والخبز ، ولأن المسيح قال " من أكل لحمى وشرب دمى كان فيّ وأنا فيه" (٢) .

كما ذكر القرطبى أنهم عدلوا عن حكم التوراة بشأن القربان لارتفاع ثمن المجول والغرفان والجزر ، ولأنه يوجد فى الخمر من اللذة والطرب الداعيين الى شربها .

رابعا : مسألة ترك الختان : ثم ناقشهم القرطبى فى مسألة ترك الختان مع أن الانجيل قد نص على أن عيسى قد ختن " ولما تمت ثمانية أيام ليختتوا الصبى سمي يسوع" (٣) . وكذلك التوراة نصت على الختان (٤) كما نقل قول النصارى من أنه لا فائدة من قطع الغرلة " اذا ما هو فضل اليهودى أو ما هو نفع الختان " (٥) لأن الختان عندهم انما هو بنقاوة القلوب وصفاء النية كما يذكرون فى سفر أعمال الرسل : " يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلب" (٦) .

وقد رد المؤلف على النصارى وبين أن للختان فوائد كثيرة لا داعى لتكرارها هنا . وقد ظهر لي أن الذى نقض شريعة الختان هو بولس عدو الأديان كما ورد فى أحد رسائله :

---

(١) انجيل يوحنا / الاصحاح ٢٠ : ٢٢ - ٢٣

(٢) انجيل يوحنا / الاصحاح السادس / ٥٦

(٣) انجيل لوقا / الاصحاح الثانى ٢١

(٤) كما ورد فى سفر اللاويين " وفى اليوم الثامن يختن لحم غزلته " (لاويين ١٢ : ١-٤)

(٥) رومية - الاصحاح الثالث ١

(٦) اعمال الرسل / الاصحاح السابع ٥١

" دعى أحد فى الغرلة فلا يختتن ليس الختان شيئا وليست الغرلة شيئا بل حفظ وصايا الله ".(١)

خامسا : مسألة فى صيامهم :

تحدث القرطبى عن مسألة الصيام عند النصارى وبين أنهم يذكرون أن عيسى صام أربعين يوما كما ورد فى انجيل متى : " فبعد ما صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا "(٢) كما صامها موسى " وقال الرب لموسى . . . وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء "(٣) وكذلك يذكرون عن الياس " وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة "(٤) ثم بين القرطبى كيف استحدث هؤلاء ثلاثة أيام زيادة على الأربعين . ثم ناقشهم حول علم موسى وعيسى بهذه الأيام الثلاث ، فان علموها ولم يفعلوها فيلزم عليهم المعصية من حيث أنهم لم يصوموها ، وان لم يعلموها فقد جهّلوا رسلهم . ثم بين القرطبى فى نهاية المطاف أن الذى غير دين النصارى وعقائدهم وأحكامهم هو بولس عدو الأديان . حتى لقد اعتبره بعض المؤلفين الذين كتبوا عن النصارى المؤسس للمسيحية التقليدية بعد المسيح .

والواقع أن المؤلف أحسن فى هذا الكتاب عرض الأفكار بطريقة حسنة ورد عليها ، كما أنه رد أيضا على كتب شتى مثل كتاب أغسطين (مصحف العالم الكائن) وكتاب تثليث الوحدانية ، وكتاب المسائل ، ورسائل حفص بن البر ورسالة الأسقف ليون ، وكتاب الحروف ، ونقل منها كلاما لهم ورد عليها ، ونقدها نقدا شديدا ، مما يدل على سعة اضطلاع المؤلف وطول باعه فى هذا الموضوع .

واستكمالا لما تقدم ، وحيث أن المؤلف قد فاته أشياء وغابت عنه مسائل ، فقد أحببت أن أتوسع فى بعض عقائد النصارى وذلك استكمالا للدراسة ، واستيفاء للمواضيع التى لم يتوسع فيها مؤلف الاعلام .

---

(١) الرسالة الأولى لأهل كورنتوس ٧ : ١٨ - ١٩
(٢) انجيل متى / الاصحاح الرابع : ١- ٢
(٣) سفر الخروج / ٣٤ : ٢٧ - ٢٨
(٤) سفر الملوك الأول ١٩ : ٢ - ٨

الفصـل الثانـي

(في بيـان عقيدة النصـارى في الأقانـيم)

الأقانيم : جمع أقنوم بمعنى الأصل والمبدأ . وهي : الوجود والعلم والحياة .(١) وكلمة أقنوم المستعملة في العربية ، كلمة سريانية معناها : شخص أساسي ، أو شخص رئيسي . وهي كلمة قريبة من الكلمة اليونانية ومعناها : قانون . ولهـذا فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخصي ، لأن المقصود في التثليث بالأقنوم كيان ذاتي ، أو في الذات .(٢)

والأقانيم عند النصارى ثلاثة : أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس.

ويزعم النصارى أن هذه الأقانيم الثلاثة واحد بوحدانية غير قابلة للتفكك ، نظـرا لأن اللاهوت لا يتجزأ ولا يتحيز بحيز . وفي نفس الوقت هو جوهر الأقانيم معا ، وجوهر كل أقنوم على حده . ولهذا فانه منذ الأزل الى الأبد لا ينفصل أقنـوم عـن الأقنومين الآخرين بأي حال من الأحوال .(٣)

ويستدل النصارى على عدم تحيز أي أقنوم بحيز بما ورد على لسان المسيـح في انجيل يوحنا :

" وليس أحد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الانسان الذي هو في السماء " .(٤)

ويعتقد النصارى أن الله الواحد مكون من ثلاثة أقانيم ، أو ثلاثة عناصر. وهذه العناصر هي الذات والنطق والحياة . والذات هي الأب ، والنطق هو الله الابن ، والحياة هي الله الروح القدس .(٥)

(١) أنظر الجانب الالهي من التفكير الاسلامي / د . محمد البهي / ٨١

(٢) أقانيم النصارى / للسقا / ٩ ـ نقلا عن دراسات في الكتاب المقدس للانبا اثناسيوس

(٣) أنظر كتاب عوض سمعان الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثه / ٤٧

(٤) انجيل يوحنا / الاصحاح الثالث ١٣

(٥) انظر الله واحد أم ثالوث / د مرجان / ٩٣

ويستدل النصارى على أن الأقانيم ثلاثة ، وانه تعالى ليس أقنوما واحدا بل أقانيم ، وأن هؤلاء الأقانيم ثلاثة لا أكثر ولا أقل بما يلى :(١)

١ - عند صعود المسيح الذى هو من الناحية الجوهرية عند النصارى أقنوم الابن أو الكلمة ، من ماء المعمودية حل عليه روح الله ، كما يذكرون فى انجيل متى :

" فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا عليه وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" .(٢)

٢ - وفى آواخر خدمة المسيح على الأرض ذكروا أنه قال لتلاميذه " وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ،لأنه لا يراه ولا يعرفه ".(٣)

٣ - وقال أيضا لهم " ومتى جاء المعزى الذى سأرسله اليكم من الأب روح الحق الذى من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي ".(٤)

٤ - ثم فى انجيل متى ذكروا أن المسيح قال لتلاميذه قبل صعوده الى السماء :(٥)

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" .

ويقول عوض سمعان :(٦)

" وبالتأمل فى هذه الآية . . . نرى أنها لا تقول بأسماء الأب والابن والروح القدس، بل " باسم الأب والابن والروح القدس . وكلمة باسم المفردة تدل على أنه لا يقصد بالأقانيم الأب والابن والروح القدس ثلاثة كائنات ، بل كائن واحد هو بذاته الأب والابن والروح القدس ،أو بالحرى هو الله دون سواه . لأن كل اقنوم ليس مضافا

---

(١) انظر الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثة / ٤١

(٢) انجيل متى / الاصحاح الثالث ١٦ - ١٧

(٣) انجيل يوحنا / الاصحاح الرابع عشر ١٦ - ١٧

(٤) انجيل يوحنا / الاصحاح الخامس عشر ٢٦

(٥) انجيل متى / الاصحاح الثامن عشر ١٩

(٦) انظر الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثة / ٤١

هنا على حدة الى كلمة " باسم " حتى كان يظن أنه منفصل عن الأقنومين الآخرين ، بل ان كلمة باسم هنا يراد بها اسم الأقانيم معا " أ . هـ .

ويقول أيضا في نفس المرجع :

" ان حقيقة كون الله ثلاثة أقانيم عبر عنها باللغة اليونانية بكلمة " ترياس " وذلك بواسطة علماء المسيحيين سنة ١٧٠م . وهذه الكلمة معناها الحرفي " وحدانية ثلاثة " أو " ثالوث وحدانية " ونظرا لأنه ليس هناك كلمة واحدة في اللغة العربية تقابلها تماما لذلك اكتفى بترجمتها " الثالوث " . ومن ثم فان الثالوث ، ليس معناه أن هناك ثلاثة آلهة كما يظن بعض الجهلاء ، بل معناه أن الله الذى لا شريك له ولا تركيب فيه هو بذاته ثلاثة أقانيم ، لأنه تعالى هو بذاته المقصود بالأب والابن والروح القدس " . (١)

وأقوى ما يؤخذ من هذين النصين أن الله تعالى عندهم ثلاثة أقانيم ، وأن هذه الأقانيم الثلاثة هي عين ذاته الواحدة التي لا تركيب فيها .

(التوراة والتثليث)

ويزعم النصارى أنه ليس العهد الجديد هو وحده الذى شهد بأن الله ثلاثة أقانيم ، ولو كان الأمر كذلك لكان هناك مجال للطعن في شهادته . لكن العهد القديم أيضا يشهد بذلك ، أى بأن الله ثلاثة أقانيم ، ويزعمون أن هذا مكتوب بالوحي الالهي مما لا يدع مجالا للشك فيه . (٢)

وقد ذكروا من النصوص الواردة في العهد القديم والتي تشير - كما يزعمون - الى سر الثالوث اشارات واضحة ولكنها غير مباشرة منها :

---

(١) انظر الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثة / ٤٢ - ٤٣

(٢) الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثة / ٤٨

١ - جاء فى سفر التكوين ما نصه : " وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا" (١)

وقد اختلف بعض الناس فيما تدل عليه صيغة الجمع المستعملة فى الكلمات

(صورتنا كشبهنا) فذهب فريق الى أنها تدل على تعظيم الله لذاته .

وذهب آخرون الى أنها تدل على أن وحدانيته تعالى هى وحدانية جامعة. (٢)

ويفهم من هذا القول أن الله تعالى عندهم ليس أقنوما واحدا بل أقانيم .

وهذا معنى قولهم أن وحدانية الله تعالى وحدانية جامعة .

ويعتقد بعض النصارى أن هذه العبارةوالتى وردت بصيغة الجمع تبين أن الله

يستطيع أن يتشاور مع نفسه ، كما يتشاور أناس كثيرون مع بعضهم البعض. (٣)

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

٢ - ومن النصوص التى يستدلون بها على التثليث ما ورد أيضا فى التوراة :

" وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر" . (٤)

ويعتقد النصارى : أن هذه العبارات ، وان لم تشر الى أقانيم الهية اشارات

واضحة ، فانهم يرون لأنفسهم الحق ، فى الاعتقاد أنها سر لها ، واشارات

مقصودة الى سر الثالوث . وثمرة بذور زرعت فى العهد القديم .

يقول القمص ابراهيم : (٥)

" وهنا أقول بأن الأدلة التى وردت ، وان كانت قد أبانت أن اللاهوت عدة أقانيم ،

الا أنها لم تبين لنا عدد الأقانيم . ولذلك أذكر هنا الآيات الدالة على أن أقانيم

الله ثلاثة فقط لا أكثر " كما ورد فى سفر اشعياء :

" فانهم يسمّون من مدينة القدس ويسندون الى اله اسرائيل رب الجنود اسمه " . (٦)

---

(١) سفر التكون / الاصحاح الأول عدد ٢٦

(٢) انظر الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثه / ٢١

(٣) انظر رسالة التثليث والتوحيد / القمص ابراهيم ٣٩

(٤) سفر التكوين - الاصحاح الثالث عدد ٢٢

(٥) انظر رسالة التثليث والتوحيد / ٣٩

(٦) سفر اشعياء / الاصحاح ٤٨ عدد ٢

وجاء أيضا فيه :

" لم أتكلم من البدء في الخفاء منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه " . (١)

يقول الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس :

" طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الله الأب ، والله الابن ، والله الروح القدس فالى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفداء ، والى الروح القدس التطهير " . (٢)

وهكذا نرى أن النصارى يؤمنون بعقيدة التثليث ، وأن الله الواحد مكون من ثلاثة أقانيم - الله الأب والله الابن ، والله الروح القدس ويستدلون على هذه العقيدة بالتوراة والانجيل .

والسؤال الذى يطرح نفسه في هذا المقام كيف يكون الاله الواحد والجوهر الواحد ثلاثة أقانيم ؟ وهو ما يطلقون عليه الأب والابن وروح القدس كما يزعم النصارى .

لقد أجاب ابن تيمية على النصارى في هذه المسألة من عدة وجوه : (٣)

الأول : أن الذى ورد فى الكتب الالهية هو نفى التعدد ، واثبات وحدانية الله ، ونفى الهية ما سواه كما أنه ليس فى التوراة ولا فى الانجيل ذكر للاقانيم لا لفظا ولا معنى . والنصارى يجعلون الأقنوم اسما للذات مع الصفة ، ويقولون ان الذات واحدة وانما التعدد فى الصفات وليس فى الذات .

الثانى : أن النصارى يقولون : انما نثبت الها واحدا ، وهم فى الحقيقة فى كلامهم وأدلتهم انما يثبتون ثلاثة آلهة وبالتالى يحصل التناقض فى كلامهم ، ويظهر

---

(١) سفر اشعياء / الاصحاح ٤٨ عدد ١٦

(٢) انظر محاضرات في النصرانية لأبى زهرة / ١٠٠ نقلا عن تاريخ الكتاب المقدس.

(٣) انظر الجواب الصحيح ٢/ ٢٤٥ - ٢٤٧

التناقض فى كلامهم ما يعلم بطلانه بالضرورة كل عاقل .

الوجه الثالث : ثم ان هذا القول الذى يزعموه " أب وابن وروح القدس" أنه يدل على التثليث ، أمر يعترفون ابتداء أنهم لم يقولوه وأن العقل لا يدل عليه . ثم ان هذه العبارة التى يستندون اليها (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس)(١) على أنها تدل على التثليث وعلى الأقانيم الثلاث، ان كان المسيح قد قالها حقيقة فيجب النظر فى مضمونها ليعرف ما الذى أراده بها وينظر فى سائر ألفاظه ومعانيها ، حتى يفسر كلامه بلغته التى تكلم بها تفسيرا يناسب سائر كلامه . ثم من أين جاءوا بأن كلام الله أو علمه ، أو نطقه يسمى ابنا ؟ ان هذه التسمية قد ابتدعوها من عند أنفسهم وحمّلوا المسيح كلاما لم يقله ،حيث قالوا ان مراد المسيح بالابن الكلمة ، وهو افتراء عليه وحمل لكلامه على معنى لا يدل عليه لفظه .

ثم ان هذه العبارة " عمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" يشك فيها كثير من العلماء ، ويعتبرونها دخيلة على انجيل متى ، ويرجع السبب فى ذلك الشك كما يقول أدولف هرنك الى الآتى : -

١ - لم يرد الا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .

٢ - ان صيغة التثليث هذه (التى تتكلم عن : الأب والابن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل - وهو الشىء الذى كانت تبقى جديرة به - لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا "(٢).

---

(١) انجيل متى / الاصحاح الثامن والعشرون ١٩

(٢) انظر المسيح فى مصادر العقائد المسيحية / احمد عبد الوهاب / ٦١ نقلا عن مصدر أجنبى .

(حقيقة الأقانيم الثلاث)

قلنا من قبل أن النصارى يعتقدون أن الله مكون من ثلاثة أقانيم وهى الأب والابن والروح القدس . وإذا أردنا أن نتعرف على حقيقة أفراد هذا الثالوث ، وأن نعرف سبب التسمية التى أطلقت على كل عضو من أعضاءه ، وما هى طبيعة عناصر ذلك الثالوث ؟ ومن هو الأب ؟ ولماذا سمى بهذا الاسم ؟ ومن هو الابن ؟ ولماذا سمى كذلك؟ ومن هو الروح القدس ؟ ولماذا دعى هكذا ؟ اذا ما حاولنا أن نعرف ذلك ، علينا أن نستعرض الاناجيل التى يزعم أصحاب الثالوث أنهم استمدوا ثالوثهم منها ، ثم التوراة بجميع أسفارها لعلنا نعثر على جواب ما سألنا عنه (١) .

وسنبدأ أولا بمحاولة التعرف على حقيقة الأب .

(١) أقنوم الأب

الله الأب هو الأقنوم الأول فى الثالوث المسيحى ، وقد سمى أبا لأن له فى اعتقاد فلاسفة المسيحية ابنا فمن أجل وجود هذا الابن سمى الله أبا (٢) .

وكلمة " لآب " بمد الهمزة ونطق الباء مخففة كلمة عبرانية تساوى كلمة " الأب " بهمزة مفتوحة فى اللغة العربية (٣) .

وقد كان اليهود يطلقون على الله تعالى اسم " الوهيم " و " يهوه " .

والوهيم : ترجمته الحرفية : الآلهة " أو بالحرى : الله الجامع لكل ما هو لازم لوجود صفاته بالفعل أزلا ، ولاستغنائه بذاته عن كل شىء فى الوجود (٤) .

وأول اسم لله تعالى فى التوراة هو : " الوهيم " ويقابلها فى العربية " الله " كما

---

(١) راجع الله واحد أم ثالوث / د . محمد مرجان / ٩٣

(٢) المرجع السابق / ٩٤

(٣) راجع أقانيم النصارى د . السقا / ٩

(٤) انظر الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثة / ٢٥

فى الاصحاح الأول من سفر التكوين . وتدل الوهيم على الآله الذى يخضع له كل بشر وكل شيء . (١)

ثم ورد بعد ذلك فى سفر الخروج اسم آخر لله هو " أهوه " أو " يهوه " ومعناها (الموجود) أو الكائن ، أو الذى كان لأنه مشتق من اللفظ العبرانى " هيه " أو " هوه " الذى يفيد الوجود . ويقابلها فى اللغة العربية : الرب أو الله . (٢)

جاء فى سفر الخروج ما نصه : " فقال موسى لله ها أنا آتى الى بنى اسرائيل وأقول لهم اله آبائكم أرسلنى اليكم فاذا قالوا لى ما اسمه . فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه . وقال هكذا تقول لبنى اسرائيل أهية أرسلنى" (٣) وقال أيضا : " وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل يهوه اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم ". (٤)

ثم ورد فى التوراة كلمة " أدوناى " وتترجم فى العربية " السيد " وقد تترجم "الرب" (٥)

وقد جاء فى التوراة عن أدوناى قول داود عليه السلام :

" قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك ". (٦)

ونجد أيضا كلمة " ايل " تشير الى الله تعالى ، وكثيرا ما تستعمل مع صفة من صفات الله مثل : " ايل عليون " كما جاء فى الأصل العبرانى أى الله العلى . (٧)

---

(١) انظر أقانيم النصارى / ١٠
(٢) أقانيم النصارى / ١٠
(٣) سفر الخروج / الاصحاح الثالث عدد ١٣ - ١٤
(٤) سفر الخروج / الاصحاح الثالث عدد ١٥
(٥) انظر أقانيم النصارى / ١١
(٦) المزمور المئة والعاشر / عدد ١
(٧) أقانيم النصارى / للسقا ١١

وكان العبرانيون يضيفون " ايل " أحيانا فى آخر الاسم فيقولون " اسرائيل" كما جاء فى سفر التكوين :

" فقال لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " (١). وسمى يعقوب باسرائيل لأنه جاهد مع الله والناس وقدر. (٢)

وقد جاء الانجيل أيضا باستعمال لفظ الله كما ورد فى انجيل يوحنا :

" قد كلمتكم بهذا لكى لاتعثروا سيخرجونكم من المجامع بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله ". (٣)

وبهذا يظهر لنا أن عيسى كان يتحدث عن الله باسمه الأعظم ، بل انه كان يدعو للايمان بالله وحده لا شريك له كما ورد فى انجيل مرقس :

" فأجابه يسوع ان أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك . . . ثم قال له الكاتب : جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ". (٤)

وقد ظهر عيسى عليه السلام وهم يتحدثون عن الله بلقب " الأب " (٥) فقال لتلاميذه :

" فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات . . . " (٦) وقال أيضا :

" أيها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون " (٧)

وقال أيضا لتلاميذه :

" وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الأب ولا عرفونى " . (٨)

---

(١) سفر التكوين / ٣٢ عدد ٢٨
(٢) أقانيم النصارى ١١
(٣) انجيل يوحنا / الاصحاح السادس عشر ١ - ٢
(٤) انجيل مرقس / الاصحاح الثانى عشر ٢٩ - ٣٢
(٥) أقانيم النصارى / ٢٤
(٦) انجيل متى / الاصحاح السادس ٩
(٧) انجيل يوحنا / ١٧ : ٢٤
(٨) انجيل يوحنا / ١٦ : ٣

ويعتقد الفلاسفة المسيحيون أن السيد المسيح هو ابن الله ، ويقولون بما أنـــه مولود من الله فهو اله مثل الله ، وبهذا سموا الوالد أبا والمولود ابنا .(١) ان هذا اللفظ " ابن الله " لم يقصد به اطلاقا المعنى الحرفي له ، وانما قــد أطلق كثيرا وكثر استعماله بالمعنى المجازى ، ولم يكن يراد به سوى المقربين لله والمؤمنين به . وان لفظ ابن الله الذى كان يطلق فى بعض الأحيان على المسيح لم يقصد به على الاطلاق وجود علاقة نسب خاصة بين الله وبين المسيح ، كما لم يقصد ولادة المسيح أو تناسله من الله ، وانما قصد بها فقط ابراز قرب المسيح من الله ، ويشترك فى هذا القرب كافة أنبياء الله وجميع عباده الصالحين .(٢)

ومن خلال استعراض العهدين القديم والجديد نجد أن جميع الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحين قد شاركوا المسيح فى صفة البنوة لله ، بل لقد اطلق على بعضهم لفظ ابن الله الوحيد امعانا فى قربه من الله وعطف الله الأب عليه .(٣)

فانظر مثلا ما ورد فى انجيل لوقا عن آدم " آدم ابن الله " .(٤)

وقد اطلق هذا اللفظ على داود عليه السلام " هو يدعونى أبى . . . أنــا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض " .(٥)

وورد أيضا على لسان داود " انى أخبر من جهة قضاء الرب قال لى أنت ابنى أنا اليوم ولدتك " .(٦)

فهل معنى هذا أن داود عليه السلام ابن تناسلى لله ، وأن الله قد ولده فى اليوم الذى يتحدث عنه ،أم هو قربه من الله هو الذى جعل الله يدعوه ابنا ؟(٧)

---

(١) الله واحد ام ثالوث / د . مرجان / ٩٤
(٢) نفس المرجع السابق / ٩٥
(٣) الله واحد ام ثالوث / ٩٥
(٤) انجيل لوقا / الاصحاح الثالث ٣٨
(٥) المزمور التاسع والثمانين /عدد ٢٦ - ٢٧
(٦) المزمور الثانى عدد ٧
(٧) الله واحد ام ثالوث / ٩٦

وكذلك أطلقت التوراة لفظ ابن الله على سليمان عليه السلام :

" وهو يكون لى ابنا وأنا له أبا " .(١)

وأخبر الانجيل أيضا عن الملائكة بأنهم ابناء الله كما ورد فى انجيل لوقا :

" لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله " .(٢)

وبهذا يظهر أن الله هو أب الكل ، وأب الأبناء ، وأب الملائكة والمؤمنين ولهذا جاءت التوراة وعبرت عن جميع بنى اسرائيل بأنهم أولاد الله .

كما ورد فى سفر التثنية " أنتم أولاد للرب الهكم ".(٣)

والمسيح من بنى اسرائيل ومن نسل هارون فانه بحسب الشريعة ابن لله بالمعنى المجازى وتلاميذه أيضا هم أبناء لله ، وهم اخوة بعضهم لبعض لأن أباهم واحد كما تقول التوراة :

" أليس أب واحد لكلنا ؟ أليس اله واحد خلقنا ؟ " .(٤)

ولما كانت التوراة قد عبرت عن جميع بنى اسرائيل بأنهم أولاد الله وأن المسيح واحدا منهم ، لما كان الأمر كذلك - فانه بمقتضى الشريعة ، وعلى وفق عادة بنى اسرائيل ولسانهم قال المسيح عن الله انه أبوه بالمعنى المجازى ، وأن التلاميذ كلهم أخوة له .(٥)

ان الصلة الحقيقية بين الله والناس صلة الأب ببنيه ، لا عبودية ولا استرقاق ولا مذلة بل هى صلة الحب والعطف ولهذا يذكر داود مراحم الله الأب وعطفه على بنيه فيقول :

" كما يتراءف الآب على البنين يتراءف الرب على خائفيه ".(٦)

---

(١) أخبار الأيام الأول / الاصحاح ٢٢ عدد ١٠
(٢) انجيل لوقا / ٢٠ : ٣٦
(٣) سفر التثنية الاصحاح ١٤ عدد ١
(٤) ملاخي الاصحاح ٢ عدد ١٠
(٥) انظر اقانيم النصارى / ٢٥
(٦) المزمور المئة والثالث عدد ١٣

ان هذه البنوة لله لا تقتصر على أحد من البشر ، وليست بنوة تناسل باللحم والعروق ، وانما هي نبوة روحيه مجازية يحصل عليها كل مؤمن عامل بوصاياه .(١)

ولقد وصل الأمر بعيسى عليه السلام الى أن يدعو الناس الى الاعتماد على أبيهم السماوى وعدم الاعتماد على آبائهم الأرضين(٢) يقول المسيح فى الانجيل : " لا تدعو لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ".(٣)

وبهذا يظهر لنا أن الله تعالى الذى يطلقون عليه لفظ الأب هو اله واحد لنا جميعا ، وأب واحد للجميع ، ولا يتفرد بأبوته أحد ، ولا يحتكر محبته أحد ، بل يشمل بأبوته الحانية ، ويوزع عطفه ورحمته على كافة أبنائه البررة ، ويستوى فى ذلك الأنبياء والملائكة والمؤمنون العاملون بوصاياه ، وأن بنوة المسيح لله لا تفترق فى شىء عن بنوة اخوته من البشر لأبيهم السماوى .(٤)

وقد بين هذا عيسى قبل أن يرفع الى السماء " انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم ".(٥)

....

---

(١) الله واحد أم ثالوث / د . مرجان / ٩٩

(٢) المرجع السابق / ٩٨

(٣) انجيل متى ٢٣ : ٩

(٤) الله واحد ام ثالوث / ١٠٣

(٥) انجيل يوحنا / ٢٠ : ١٧

(٢) أقنوم الابـــــن

يزعم النصارى أن الله الابن هو كلمة الله ، وأن هذه الكلمة التى خرجت من الذات صارت ابنا للذات ، وصارت الذات أبا للكلمة . وبهذا خرجوا بنتيجة أن كلا من الذات والكلمة أصبحتا أقنوما قائما بذاته وأطلق على الأول الله الأب ، وأطلق على الثانى الله الابن .(١)

والدليل الذى يعتمد عليه النصارى هو ما ورد فى انجيل يوحنا :

" فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله " ثم يقول :
" والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الأب ".(٢)

وقد خرج النصارى بنتيجة من هذا النص أن الله الكلمة وهو الله الابن وأنه كان منذ البداية عند الله الأب ، وأن الله الكلمة تجسد وحل بين البشر على الأرض ، وأن الله الكلمة هو الابن الوحيد لله الأب ، ويقصدون به عيسى عليه السلام فهو عند النصارى ابن الله الوحيد ، وهو الاله الكلمة الذى اتخذ جسده وحل بين البشر .(٣)

ويعتقد النصارى أن اطلاق اسم الابن على هذا الاقنوم لا يقصد به المعنى الجسدى الذى يتبادر الى الأذهان ، وانما يقصد به المعنى الروحى الذى يتوافق مع روحانية الله . ولهذا نجد الكتاب المقدس قد أطلق عليه لفظ ابن الله ولم يطلق عليه لفظ " ولد الله " لأن التعبير الثانى يدل بصفة عامة على التناسل أو التعاقب . أما التعبير الأول فيدل على المركز أو المقام .(٤)

وقد استدل النصارى على هذا المعنى المتقدم بما ورد فى انجيل يوحنا :

---

(١) انظر الله واحد ام ثالوث / د . محمد مرجان / ١٠٤

(٢) انجيل يوحنا ـ الاصحاح الأول ١ : ١٤

(٣) الله واحد ام ثالوث / ١٠٤

(٤) انظر الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثه / ٥٢

" الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا ".(١)

أما وجه استدلالهم من هذا النص على المعنى الذى أرادوه ، أنهم قالوا : أن الروح لا تركيب فيه وأنه لا يتناسل على الاطلاق ، ولا يتعرض للزيادة أو النقصان . وأن الثالوث ليس (الأب والأم والابن) بل الأب والابن والروح القدس .(٢)

ويظهر لنا مما تقدم أن عبارة الابن لا يقصد منها الولادة البشرية المعروفة ، وانما يصف هذا التعبير سرية فائقة بين أقنوم وآخر فى اللاهوت الواحد . فأراد الله أن يفهمنا هذه النسبة ، فلم تكن هناك عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة فى الذات ، أما الولادة البشرية فالله منزه عنها .(٣)

ويعتقد النصارى بأن أقنوم " الابن " يدعى أيضا الكلمة أو " كلمة الله " كما ذكروا فى الانجيل " فى البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله ، وكان الكلمة الله ".(٤)

ان القرآن الكريم قد أشار أيضا الى أن السيد المسيح هو كلمة الله كما فى قوله تعالى : (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) .(٥)

نعم ان الله تعالى قد خلق عيسى بكلمة منه ، ولكن ما هى الصلة بين الله وكلمته ؟ وما هى العلاقة بين المتكلم وكلمته ؟ هل الكلمة هى ذات المتكلم أم هى شيء آخر ؟(٦)

يعتقد النصارى أنه لا فرق بين الله وكلمته . يقول القمص ابراهيم :

---

(١) انجيل يوحنا / الاصحاح الرابع ٢٤

(٢) الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثه /عوض سمعان / ٥٢

(٣) انظر محاضرات فى النصرانية لابى زهرة / ١٠١ نقلا عن رسالة الأصول والفروع للقس بوطر .

(٤) انجيل يوحنا / الاصحاح الأول ١ - ٢

(٥) سورة آل عمران / ٤٥

(٦) انظر الله واحد ام ثالوث / د . محمد مرجان ١٠٥

" وجميعهم (النصارى) يعتقدون عقيدة واحدة ، ويقرون اقرارا واحدا كل بلغته بأن الكلمة الآتية الذى هو الله وابن الله من الأزل " . (١)

والواقع أن الكلمة اذا كانت بيانا لمقاصد المتكلم واغراضه وتعبيرا عن أفكاره ، فانها تكون كيانا منفصلا عن المتكلم فالكلمة شىء والمتكلم شىء آخر ، فيكون هناك فرق بين المتكلم والكلمة التى تصدر منه . فالكلمه عبارة عن قوة تصدر من المتكلم لتنفيذ أغراضه ، فهى تصدر من ارادة المتكلم ، ولا ترتبط بكيانه بأى حال من الأحوال . (٢)

ثم على فرض أن المسيح الذى هو كلمة الله هو الله - تعالى الله عما يقولون - فهل المسيح هو الكلمة الوحيدة لله ؟ ألم ينطق الله تعالى بكلام قبل خلق عيسى ؟ وهل توقف الله تعالى عن النطق والكلام بعد خلق المسيح ؟ أم أنه خلق عيسى بكلمة ثم حرم النطق على نفسه بعد ذلك ؟ (٣)

ان المسيح عليه السلام ليس هو الكلمة الوحيدة لله ، والصحيح أن عيسى خلق بكلمة من الله ، وهذه الكلمة هى لفظ الكينونة الذى ألقاه الى مريم العذراء فخلق بها المسيح ، وكما خلق المسيح عيسى بكلمة الله كن خلق من قبله آدم بكلمة الله كن كما جاء فى القرآن :

(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) (٤)

وبهذا يظهر أن الله تعالى الذى خلق المسيح بكلمة من الله هو الذى خلق آدم أيضا بكلمة من الله ، وخلق البشر والكون بكلمة من الله ، وخلق كل شىء فى الوجود بكلمة من الله ، وما زال سبحانه يخلق ما يشاء بكلماته . (٥)

---

(١) انظر رسالة التثليث والتوحيد / ٤٣

(٢) الله واحد ام ثالوث / ١٠٥

(٣) المرجع السابق / ١٠٦

(٤) سورة آل عمران / ٥٩

(٥) الله واحد أم ثالوث / ١٠٦ - ١٠٧

قال تعالى (بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (١)
نعم ان الله تعالى يخلق ما يشاء ويختار وبكلمة واحدة تصدر منه يسير الكون .
وكم من كلمات صدرت من الله ، وكم من كلمات تصدر ، وفي كل هذه الأحوال لا يتغير ولا ينتقص منه شيء ، ولا ينفصل منه جزء أو عنصر ، وليس لأحد أن يطلق على كلمة من هذه الكلمات التي تصدر أقنوم ، أو عنصر من الله أو أنها الابن الوحيد لله ، أو أنها ذات الله . (٢)

ان عيسى عليه السلام كان دائما يفخر ببشريته وانسانيته كما يذكر الانجيل :
" وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله ". (٣)

كما أن تلاميذه لم يعرفوه الا أنه بشر مرسل من عند الله كما جاء في الانجيل :
" فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل " (٤)

فهذا هو المسيح عليه السلام يتحدث عن نفسه فيعلن أنه انسان مرسل من الله ، ويتحدث عنه تلاميذه والمقربون منه بما رأوه وعرفوه فيقولون انه نبي . (٥)

كما قرر القرآن الكريم بشرية عيسى وأنه مرسل من عند الله كما في قوله تعالى :
(ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون) (٦)

وقد نفى القرآن الكريم نفيا قاطعا اتخاذ الله ولدا ، وأن كل من في السموات والأرض انما هم عبيد لله تعالى كما في قوله تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادّا تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والأرض الا أتي الرحمن عبدا) (٧)

---

(١) سورة البقرة ١١٧
(٢) الله واحد ام ثالوث ١٠٧
(٣) انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن : ٤٠
(٤) انجيل متى / ٢١ : ١١
(٥) الله واحد ام ثالوث ١٠٩
(٦) سورة المائدة / ٧٥
(٧) سورة مريم ٨٨ - ٩٣

(٣) أقنوم الروح القدس

يقول اليهود وبعض النصارى : ان معنى الكلمة العبرية " رواه " هو الريح .

وقد جاء في سفر التكوين ما نصه :

" وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه الماء ". (١)

يقول مفسروا التوراة عقب هذه الآية :

" ذهب جماعة من علماء التفسير الى أن المقصود بالروح هنا : ريح عظيمة بدد الله بها ظلمات الغمر". (٢)

ويقول سبنيوزا :

" تدل كلمة (رواه) في معناها الأصلى على الريح كما هو معروف ". (٣)

وعوام النصارى يقولون : ان كلمة الريح في الآية المذكورة انما تعنى : روح الذات الالهية . أى الاله الثالث وهو اقنوم الروح القدس . وهذا ما نجده في كتبهم الحديثة " روح الله " بالواو بدل الياء . (٤)

ويرى معظم النصارى أن السبب في اطلاق اسم " الروح القدس " على هذا الأقنوم ليس لأنه يشبه الروح أو الريح ، وانما هو مثل الأقنومين الأخريين ، لا شبيه له ولا نظير ، وليس لأنه يتميز عن هذين الأقنومين بروحانية الجوهر ، لأن للأقانيم جوهرا روحيا واحدا . ولهذا جاء في الانجيل ما يدل أن الله بأقانيمه الثلاثة هو روح ، كما في انجيل يوحنا :

" الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا ". (٥)

---

(١) سفر التكوين / الاصحاح الأول عدد ٢

(٢) أقانيم النصارى / ٤٢ نقلا عن السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم . وانظر الجواب الصحيح ٢/١٢٤ .

(٣) أقانيم النصارى / ٤٢ نقلا عن رسالة في اللاهوت والسياسة لسبنيوزا

(٤) انظر أقانيم النصارى / للسقا ٤٢

(٥) انجيل يوحنا / الاصحاح الرابع ٢٤

انما سمى بالروح لأنه يقوم بأعمال اللاهوت بوسيلة روحية ، أو بوسيلة غير منظورة . كما يوصف بالقدس لأنه هو الذى يعلن بحالة روحية قداسة الله ، التى هى الطابع العام لذاته .(١)

ويستندون فى هذا على ما ورد فى سفر الخروج :

" من مثلك بين الآلهة يارب . من مثلك معتزا فى القداسة ".(٢)

وبما ورد فى انجيل يوحنا " ولست أنا بعد فى العالم وأما هؤلاء فهم فى العالم وأنا آتى اليك أيها الأب القدوس ".(٣)

وباختصار فان النصارى يقولون ان تسمية هذا الأقنوم بالروح لا تدل على أنه مجرد قوة الهية كما يعتقد البعض وانما لأن الوحى يسند اليه أعمالا الهية لا يقوم بها الا أقنوم من أقانيم اللاهوت.(٤)

ولهذا فان النصارى يعتقدون أن الروح القدس الذى يمثل عنصر الحياة فى الثالوث المقدس يعتبر أقنوما قائما بذاته ، والها مستقلا لأن الثالوث المقدس عندهم يتمثل فى ثلاثة أقانيم الذات الذى هو الله الأب ، والكلمة الذى هو الله الابن ، والحياة وهى الله الروح القدس . اذ أن الذات والد النطق ، والكلمة مولودة من الذات ، والحياة منبعثة من الذات .(٥)

يقول يس منصور :(٦) " ان الروح القدس هو الله الأزلى فهو الكائن منذ البدء قبل الخليقة ، وهو الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء والحاضر فى كل مكان ، وهو السرمدى غير المحدود ".

---

(١) الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثة ٩١ - ٩٢
(٢) سفر الخروج ١٤ : عدد ١١
(٣) انجيل يوحنا ١٧ : ١١
(٤) الله ثالوث وحدانية ووحدانية ثالوثه ص ٩٢
(٥) الله واحد أم ثالوث /د. محمد مرجان ١١٦ ، ومن المعلوم أنهم قالوا بتأليه الابن فى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ م وبتاليه الروح القدس فى مؤتمر القسطنطينى الأول سنة ٣٨١م. (انظر محاضرات فى النصرانية ١٢٤ - ١٣٣)
(٦) انظر الله واحد أم ثالوث ١١٦ نقلا عن رسالة التثليث والتوحيد .

ويقول أيضا :

" ان الروح القدس هو الأقنوم الثالث في اللاهوت ، وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة ، بل هو ذات حقيقي ، وشخص حي ، وأقنوم متميز ولكنه غير منفصل ، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن ومساو لهما في السلطان والمقام ومشترك وإياهما في جوهر واحد ولاهوت واحد ". ا. هـ .

وكلمة روح القدس ليست مختصة بالمسيح عليه السلام ، ولقد تحدث عيسى عن نبي الاسلام أحمد ولقبه بالروح القدس (١) كما ورد في انجيل يوحنا :

" وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم ". (٢) وكذلك ورد على لسان داود النبي " وروحك القدوس لا تنزعه مني ". (٣)

وهذا يدل على عدم خصوصية روح القدس بالمسيح ، وهم يسلمون بهذا ، لأن الكتب التي بأيديهم تشير الى أن روح القدس قد حلت في غير المسيح . فان كان روح القدس هو حياة الله ، ومن حلت فيه يكون لاهوتا ، لزم عليه أن يكون الها ، ويلزم عليه أن يكون كل من حل فيه روح القدس أن يكون لاهوت وناسوت كالمسيح ، وهذا مخالف لما عليه جميع طوائف النصارى واليهود والمسلمين. (٤) ثم ان النصارى يزعمون أن المسيح مختص بالكلمة والروح ، وهذا يلزم منه أن يكون المسيح فيه لاهوتان الكلمة وروح القدس ، فيكون المسيح من الناسوت أقنومين : أقنوم الكلمة ، وأقنوم الروح القدس ، ثم اذا كان روح القدس قد حل بداود والحواريين بطل تخصيص المسيح به ، ثم ان داود عبد الله تعالى ، وان كان قد حل فيه روح القدس ، كما أن عيسى عبد الله وان كانت روح القدس فيه. (٥)

---

(١) أقانيم النصارى ٤٦
(٢) انجيل يوحنا ١٤ : ٢٦
(٣) المزمور الحادي والخمسون عدد ١١
(٤) الجواب الصحيح لابن تيميه ٢/ ١٢٤
(٥) المصدر السابق ٢/ ١٢٥

ثم لو أردنا أن نعرف حقيقة روح القدس علينا أن نتتبع التوراة والانجيل والقرآن ، لنعرف مدلول هذه الكلمة ، فقد وردت كلمة روح القدس في عدة معان في كثير من المواضع من الكتب السماوية على النحو التالي :

١ - جاءت بمعنى نسمة الحياة التى تدب فى الكائنات ، وهذه النسمة هى التى تبعث القوة فى أجسادنا ، والتى نسميها الروح ، وهى نفخة من روح الله تعالى (١) .

وقد ورد هذا المعنى فى التوراة : " وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية " (٢) .

كما ورد هذا المعنى أيضا فى القرآن الكريم : فى قوله تعالى :

(واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) (٣) .

ونخلص مما تقدم أن الله تعالى أعطى آدم روحا ، وهى نفخة من روح الله ، فدبت الحياة فى جسد آدم وحركت الروح كيانه ، فبذلك يكون آدم والمسيح روح من الله ونفخة من روح الله ، كما أن البشر أيضا نفخة من روح الله ، ذلك أن جسد الانسان من تراب الأرض ، أما روحه فهى نفخة أو قبس من روح الله .

وبهذا المعنى يورد حزقيال النبى قول الله لالآف الموتى الذين أحياهم الله على يدى حزقيال فيقول الله لهم : كما يذكرون فى التوراة :

" وأجعل روحى فى داخلكم " (٤) .

أى أن الله يعطى روحه لأولئك الموتى ، أى يعطيهم نسمة الحياة ، ويعطيهم الروح التى هى ملكه (٥) .

---

(١) انظر الله واحد ام ثالوث ١١٨
(٢) سفر التكوين / الاصحاح الثانى عدد ٧
(٣) سورة ص ٧١ - ٧٢
(٤) حزقيال ٣٦ : عدد ٢٧
(٥) انظر الله واحد ام ثالوث ١١٧ - ١١٨

٢ - كما وردت أيضا الروح بمعنى النفخ أو تنفس.(١)

وقد ورد هذا المعنى فى صموئيل الأول " ورجعت روحه اليه ".(٢)

أى أنه بدأ فى التنفس .

٣ - وردت أيضا روح القدس بمعنى القوة التى يبعثها الله لتأييد أنبياءه الذين يجاهدون فى سبيله فالله تعالى يؤيد هم ويشد أزرهم هم والمؤمنون به بروح من عنده ، وبقوة من لدنه تمكنهم من أداء رسالتهم وتحمل المصاعب والمشاق فى سبيل اعلاء كلمة الله .(٣)

وقد ورد هذا المعنى فى انجيل لوقا :

" روح الرب عليّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأنقى المنكسرين(٤) ".

وكذلك ورد هذا المعنى فى أعمال الرسل : " يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة ".(٥)

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى بقوله تعالى :

(وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)(٦)

وكما أيد الله رسوله عيسى عليه السلام بروحه القدس وبقوته العلويه ، فقد أيد بتلك الروح والقوة كثيرا من الأنبياء والصالحين .(٧)

فقد جاء فى التوراة أن روح الله حل على داود عليه السلام :

---

(١) أقانيم النصارى ٤٣

(٢) صموئيل الأول ٣٠ : عدد ١٢

(٣) انظر الله واحد ام ثالوث ١١٩

(٤) انجيل لوقا / الاصحاح الرابع ١٨

(٥) سفر اعمال الرسل /الاصحاح العاشر ٣٨

(٦) سورة البقرة / ٨٧

(٧) الله واحد ام ثالوث ١٢٠

" روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني " (١) أما اشعياء فيقول الله عنه :

" و يحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة " . (٢)

ويقول عن حزقيال : " وحلّ عليّ روح الرب وقال لي قل هكذا قال الرب " . (٣)

ومما تقدم نعلم أن الروح القدس هى القوة التى يؤيد الله بها الأنبياء الكرام البررة وهو الذى يؤيد أيضا عباده المخلصين ويشد أزرهم به . ومما جاء فى القرآن الكريم ما يدل على أن الله يؤيد بالروح القدس رسله الكرام ما ورد فى قوله تعالى :

(أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) . (٤)

كما أن الله يمد بروحه وقوته المؤمنين والعاملين بوصاياه ، وتقوية أوليائه الصالحين . (٥)

كما ورد فى قوله تعالى :

(ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده) (٦)

ثم ان روح الله القدس تتوجه بأمره وارادته الى من يريد ، لتأييد وتعضيد من يريد . (٧)

كما ذكروا فى انجيل متى :

" ان كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله " . (٨)

---

(١) صموئيل الثانى ٢٣ : عدد ٢

(٢) اشعياء الاصحاح ١١ : عدد ٢

(٣) حزقيال ١١ عدد ٥

(٤) سورة المجادلة ٢١

(٥) الله واحد ام ثالوث ١٢١

(٦) سورة النحل ٢

(٧) الله واحد ام ثالوث ١٢١

(٨) انجيل متى ١٢ : ٢٨

وكما قال تعالى :

(اذ قال الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الأكمه والأبرص باذني واذ تخرج الموتى باذني ـ . . .) (المائدة / ١١٠)

ويفهم من هذا أن عيسى عليه السلام يشفي الأمراض ، ويخرج الشياطين بروح الله ،أي بقوة من الله . ولا يمكن أن يتصور أن روح الله التى يقصدها المسيح هنا هي الله نفسه أو جزء من الله .(١)

٤ - وروح القدس هو الروح الطاهر ، الروح الأمين جبريل عليه السلام . أى هو روح مقدس من الله وروح مبارك أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه القرآن .(٢)

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا في قوله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) .(٣)

وقال رب العزة في موضع آخر من القرآن الكريم :

(قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين)(٤)

وجبريل روح الله ، هذا الروح الكريم المبعوث من لدن الله هو الذى بشر مريم العذراء بمولودها الكريم المسيح عليه السلام كما ورد في صدر الاصحاح الأول من انجيل متى :

" أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس " .(٥)

(١) ~~الله واحد~~ ام ثالوث / ١٢٢
(٢) المرجع السابق ١٢٤
(٣) سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٤
(٤) سورة النحل ١٠٢
(٥) انجيل متى / الاصحاح الأول

وقد وردت هذه البشارة فى القرآن الكريم (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)[(١)].

وبهذا يظهر لنا مما تقدم أن روح الله روح القدس ليست هى الله ، وليست أقنوما أو جزءا أو عنصرا فى الله ، وانما هى نفخة من قواه ، وقبس من نور ضياه ينعم بها الله على المؤمنين والأنبياء والصالحين .[(٢)]

....

---

(١) سورة مريم ١٧

(٢) الله واحد ام ثالوث ١٢٤

(بطلان التثليث الذى يدعيه النصارى)

أجمع النصارى بعد مجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١ م على الثالوث وهو الأب والابن والروح القدس . ويزعمون أنها ربهم ، ويعبرون عن الأب بالذات ، وبالابن عن النطق الذى هو الكلام ، وبالروح عن الحياة . وقد اختلف النصارى فى الحياة والنطق ، هل هى ذوات أو صفات ؟ فذهب البعض منهم الى القول : ان الحياة والنطق صفات لجوهر الأب ، وبعضهم يقول : بل انها ذوات . وذهب آخرون الى القول بأنها خواص للجوهر .(١)

ويمكن أن نبطل ما ذهب اليه النصارى من القول بالتثليث بالأدلة العقلية ، والأدلة الأنجيلية .

أولا : الأدلة العقلية : فالتثليث الذى يزعمه النصارى باطل من عدة وجوه منها :

أولا : هل ينسبون اللاهوت لكل واحد من الأقانيم الثلاث ؟ أم أنهم يزعمون أن الجميع واحد ؟ أو أن الاله واحد من الثلاث والباقى صفات له ؟

فان زعموا أن الاله واحد وأن الزائد منها صفات فقد أبطلوا التثليث ، وأمنوا بأن الاله واحد ، وأن له من الصفات ، العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والكلام ... الخ . ثم ان هذه الصفات ليست الها ، وانما الاله ذات موصوفة بهذه الصفات . وعلى هذا يكونوا قد فارقوا القول بأن الأب اله واحد ، وأن الابن اله واحد ، وأن روح القدس اله ثالث . وان زعموا أن الجميع اله واحد ، وأن واحدا من الثلاث ليس باله على انفراده ، فقد تركوا القول بالتثليث ، وعبدوا الها واحدا مركبا من ثلاثة أقانيم وهذا أيضا مفسد لما يدعيه بعض النصارى ، من أن كل واحد من الأب والابن والروح القدس اله مستقل باللاهوتية . وبهذا يكونوا قد هدموا أساس النصرانية .(٢)

---

(١) انظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ٥٤

(٢) المصدر السابق ٥٤ - ٥٥

ثانيا : ثم كيف يمكن تثليث الوحدانية ؟ فان هذا الأمر لا يمكن أن يكون ،لأنه اذا وجد التثليث الحقيقي لا بد أن توجد الكثرة الحقيقية ، واذا وجدت لا يمكن ثبوت التوحيد الحقيقي . والا لزم عليه اجتماع الضدين وهو محال . ولأنه اذا ثبت التثليث الحقيقي تعدد الوجباء ، أى تعدد واجب الوجود . ثم انه يستحيل أن يجتمع الضدان الحقيقيان ، أو النقيضان في نفس الأمر في أمر واحد شخصي ، في زمان واحد ، من جهة واحدة . ثم ان الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح ، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد ، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأسا . ثم ان الواحد الحقيقي جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا في محل واحد للزم عليه كون الجزء كلا ، والكل جزأ ، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل ، لاتحاد حقيقة الكل والجزء ، على هذا التقدير ، والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التى تكون عين هذا الجزء ، وهكذا دواليك .(١)

ثالثا : يقول الشيخ رحمة الله الهندى(٢) : " الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي اذ لو كان حقيقيا لكان أقنوم الابن محدودا متناهيا ، وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنا ، وكل ما كان كذلك كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر ، وكل ما كان كذلك فهو محدث فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثا ، ويستلزم حدوثه حدوث الله " ا . هـ

ويقال هنا للنصارى : اذا قلتم أن الناسوت حادث واللاهوت قديم ،وقلتم أن اللاهوت اتحد بالناسوت فلا يخلو : اما أن ينقلب القديم حادثا أو الحادث قديما ، أو يبقى كل واحد على حاله . فمن المستحيل أن ينقلب القديم حادثا

---

(١) انظر اظهار الحق / للشيخ رحمة الله الهندى ١/ ٣٣٥
(٢) اظهار الحق ١/ ٣٣٦

أو الحادث قديما لأن الحقائق لا تتقلب ، وحقيقة القديم من ليس لوجوده بداية ، وحقيقة الحادث ما وجد بعد عدم ، فلم يبق الا أن يكون كل واحد على حقيقته فلا معنى للاتحاد فلا يكون المسيح الها . (١)

ثانيا : بطلان التثليث بالأدلة الأنجيلية :

لقد ورد في الانجيل أدلة كثيرة تثبت الوحدانية لله تعالى ، وتنفى ما يزعمه النصارى من التثليث .

فمن هذه الأدلة التي وردت في الأنجيل (٢) :

١ - ما ورد في انجيل يوحنا : " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته ". (٣)

ويؤخذ من هذا النص أن الحياة الأبدية الأخروية هو اعتقاد التوحيد وأن الله واحد حقيقي ، ونفي الشريك عنه ، وابطال التثليث ، واعتقاد أن عيسي مرسل من عند الله ، وليس الها كما يزعمون . (٤)

٢ - ما جاء في انجيل مرقس : " فاجابه يسوع ان أول كل الوصايا هي اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هي الوصية الأولى . وثانية مثلها . . . . فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ". (٥)

ان ما يؤخذ من هذا النص أن عيسى عليه السلام يدعو غيره الى التوحيد ، ويبين أن اله الجميع ورب الجميع واحد وهو الله ، كما يجب أن تكون محبته

---

(١) انظر ارشاد الحيارى فى الرد على النصارى / للدميرى ٧ - ٨

(٢) راجع هذا الموضوع فى كتاب اظهار الحق ٢ / ٣٤٣ - ٣٥٠

(٣) انجيل يوحنا ١٧ : ٣

(٤) بتصرف عن اظهار الحق ٢ / ٣٤٣

(٥) انجيل مرقس / الاصحاح الثانى عشر ٢٩ - ٣٢

من كل قلبه ومن كل فكره وقدرته . ولهذا لما رأى الكاتب أنه أجاب بتعقل أن الله واحد وليس آخر سواه قال له عيسى : " لست بعيدا عن ملكوت الله ". (١)

٣ - ما ورد في انجيل متى : " واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله ". (٢)

فهذا القول يقلع أصل التثليث ، حيث أن عيسى رفض أن يطلق عليه لفظ الصالح تواضعا لله ، ولو كان الها لما كان لقوله معنى ، ولكان يجب عليه أن يبين أنه لا صالح الا الأب وأنا وروح القدس. (٣)

٤ - ما ورد في انجيل يوحنا : " والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني ". (٤)

وأقوى ما يؤخذ من هذا النص أن المسيح عليه السلام يصرح بأن الله الآب هو الذي أرسله للناس ، وأن الكلام الذي يصدر منه انما هو بوحي من الله تعالى . (٥)

٥ - كما ورد أيضا في انجيل يوحنا : " قول المسيح : " اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني أصعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم ". (٦)

---

(١) انجيل مرقس ١٢/ ٣٤

(٢) انجيل متى / ١٩ : ١٦ - ١٧

(٣) اظهار الحق ٢/ ٣٤٥

(٤) انجيل يوحنا ١٤ : ٢٤

(٥) اظهار الحق ٢/ ٣٤٩

(٦) انجيل يوحنا ٢٠ : ١٧

ويظهر من هذا النص أن المسيح سوى بينه وبين الناس فى هذا القول ، ولهذا قال " أبى وأبيكم والهى والهكم " حتى لا يتقولوا عليه الباطل فيزعمون أنه اله أو ابن اله . فتلاميذه عبيد لله وليسوا بأبناء الله حقيقه بل بالمعنى المجازى . كذلك فان عيسى عليه السلام هو عبد لله وليس بابن الله حقيقة.(١)

وهذا القول يطابق ما ورد فى القرآن الكريم على لسان المسيح فى قوله تعالى : (ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم).(٢)

٦ - كذلك ورد فى انجيل متى " ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن آباكم واحد الذى فى السموات ".(٣)

وفى هذا النص تصريح من المسيح بأن الله واحد وهو آباهم الذى فى السماء.(٤)

ونكتفى بهذا القدر ما قدمناه وهناك أدلة كثيرة وردت فى التوراة والانجيل تثبت وحدانية الله تعالى ، وتنفى التثليث الذى يزعمه النصارى ، والذين يدّعون أنه مكون من ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس .

. . . .

---

(١) اظهار الحق ٢/٣٤٩

(٢) سورة المائدة ١١٧

(٣) انجيل متى ٢٣ : ٩

(٤) اظهار الحق ٢/٣٤٩ .

الفصل الثالث
فى بيان عقيدة النصارى فى الاتحاد والحلول

معنى الاتحاد عند النصارى :

والاتحاد عند النصارى أن الكلمة التى هى صفة النطق والعلم فارقت موصوفها ونزلت فى رحم امرأة وصارت لحما ودما ، وكانت فى هذا العالم بشرا مكرما . (١)

والنصارى الذين يعيشون فى العالم على فريقين : الأرثوذكس وهم نصارى الشرق ، والكاثوليك وهم نصارى الغرب .

وعقيدة الأرثوذكس فى الحلول : أن الله تعالى واحد فى ثلاثة أقانيم ، وأن الله نزل من السماء واختبأ فى بطن مريم تسعة أشهر ، ثم خرج طفلا اسمه عيسى ، ونما كما ينمو الأطفال . ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة ، وبعد سنتين وأشهر صلبه اليهود . ثم دفن فى القبر ثلاثة أيام ونزل الى الجحيم وهو فى القبر ، ثم خرج فى اليوم الثالث وصعد الى السموات . ويسمى قبل التجسد الآب ، ويسمى الابن بعد التجسد ، ويسمى الروح القدس ، الاسم الذى كان له قبل انشاء العالم . وعيسى عندهم هو الله خالق السماء والأرض ، والله هو عيسى . (٢)

وقد استدل هؤلاء على ما يقولون بما ورد على لسان بولس :

" الله ظهر فى الجسد ، تبرر فى الروح ، تراءى لملائكته ، كرز به بين الأمم ، أومن به فى العالم رفع فى المجد " . (٣)

ويقول حبيب جرجس :

" ان فاديهم العظيم قد تنازل عن سماء مجده ، وقبل أن يتحد بالانسان ، باتخاذه جسدا حقيقيا بنفس عاقلة ناطقة ، فحبل به بقوة الروح القدس فى بطن القديسة

---

(١) انظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل / ٤٩

(٢) انظر أقانيم النصارى للسقا ٦٧

(٣) رسالة بولس الأولى الى تيموثاوس / الاصحاح الثالث ١٦

الطاهرة مريم العذراء . وقد مثل آباء الكنيسة اتحاد اللاهوت بالناسوت بمثل تقريبي يبين لنا هذا الاتحاد الشريف ، وهو أن الانسان مركب من جزئين أحدهما : الجسد الكثيف المأخوذ من التراب . وثانيهما : النفس العاقلة والناطقة . ومع وجود هذين الشيئين واتحادهما بدون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصا واحدا ذات طبيعة واحدة . وهكذا اتحاد اللاهوت بالناسوت . فاللاهوت هو الجزء البسيط ، والناسوت هو الجزء الكثيف مع النفس الناطقة ، وباتحادهما معا بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتا واحدة ، جوهرا واحدا ، طبيعة واحدة ، مشيئة واحدة ". (١)

أما عقيدة الكاثوليك في الاتحاد : فهي أن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون : وهي الآب ، والابن والروح القدس . ولهذا يقول الكاثوليك في شرح الآية الأولى من انجيل يوحنا : " والكلمة كان عند الله " (٢) بمعنى :

" أن الكلمة متميز عن ولده ، فالآب غير الابن . والابن غير الآب . ومع ذلك فهما شيء واحد ، في الطبيعة والذات والحكمة ". (٣)

وقد اختلفت أقوال النصارى في الاتحاد اختلافا متباينا : (٤)

فقد ذهب قوم منهم الى أن الاتحاد هو : أن الكلمة " الابن " قد حلت جسد المسيح . وهذا قول أكثر النصارى .

وزعم آخرون : أن الاتحاد هو الاختلاط والامتزاج .

وذهب قوم من اليعقوبية : الى أن الكلمة انقلبت لحما ودما بالاختلاط .

---

(١) أقانيم النصارى / ٦٨ - نقلا عن خلاصة الأصول الايمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية .

(٢) انجيل يوحنا / الاصحاح الأول : ١

(٣) انظر أقانيم النصارى / ٦٨ - نقلا عن حاشية الكتاب المقدس للكاثوليك .

(٤) راجع هذا الاختلاف في الجواب الصحيح لابن تيمية ٢ / ١١٢

وقالت النسطورية وبعض اليعقوبية ان الاتحاد هو : أن الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط الماء بالخمر وامتزاجهما ، واختلاط اللبن بالماء .

وقال فريق منهم ان الاتحاد هو أن الكلمة والناسوت اتحدا فصارا هيكلا واحدا .

وقال قوم منهم : ان اتحاد الكلمة بجسد المسيح معناه أنها حلته من غير مماسة ولا ممازجة كما نقول : الله فى السماء على العرش من غير مماسة ولا ممازجة .

وقالت الملكانية : ان معنى الاتحاد هو أن الأثنين صارا واحدا ، وصارت الكثرة قلة .

ونرد على هؤلاء فنقول :

أما الذين قالوا : ان الكلمة حلت فى جسد عيسى عليه السلام أو خالطته ، أو صارت صفة له نقول لهم فهل فارقت الآب أم لا ؟ فان قالوا انها فارقت الآب ، فقد جوزوا عليه النقص ، وان قالوا لم تفارقه لزم قيام صفة بموصوفين ، أو موجود فى محلين وذلك محال . (١)

ثم ان الصفات لا تنتقل من جوهر الى جوهر ، اذ يلزم من ذلك قيامهـا بنفسها فى حالة من الحالات ، ويلزم أيضا من حلولها فى المسيح عليه السلام خلّو الرب منها تعالى الله عما يقولون . (٢)

أما الذين قالوا : ان الكلمة انقلبت لحما ودما فيقال لهم : لم لا يجوز أن تنقلب محدثة ؟ ثم ان انقلاب الكلمة التى هى صفة للجوهر لحما ودما محال ، كما أن انقلاب القديم حادثا محال . فثبت أن كلمة الله صفة من صفاته لا تحل فى جسم من الأجسام ، بمعنى الحلول ، ولا المجاورة ولا الاختلاط. فلا معنى للاتحـاد ، ولا معنى لالهية المسيح بوجه من الوجوه . (٣)

---

(١) ارشاد الحيارى فى الرد على النصارى للدميرى ٨

(٢) المصدر السابق ٤ - ٥

(٣) المصدر السابق ٥ - ٦

أما قول النسطورية وبعض اليعقوبية الذين قالوا : ان الكلمة والناسوت اختلطا وامتزجا كما يمتزج اللبن بالماء ، فهذا ظاهر البطلان ، لأن الامتزاج انما يكون بين جسمين حادثين . فاما القديم فلا يجوز امتزاجه بغيره ، لأن القديم والحادث لا يتجاوران ولا يمتزجان .(١)

ويرد أيضا على من قال : ان الكلمة والناسوت اتحدا فصارا هيكلا واحدا ، أن الكلمة ان كانت قد انتقلت الى الناسوت وخلا الجوهر منها ، لزم خلوه من العلم ونقصه .(٢)

أما من مثل اتحاد الكلمة بجسد المسيح عند النصارى باستواء الله على العرش من غير مماسة ولا ممازجة . فهو أيضا تمثيل باطل .

وذلك أن استواء الله على العرش عندنا لا يقال عليه اتحاد ولا حلول . وذلك لأنه بعد الاستواء فالله هو الله والعرش هو العرش . أما الاتحاد عند النصارى فانه بعد اتحاد الكلمة بجسد المسيح أصبحا يشكلان شيئا جديدا ، وهو القول بألوهية المسيح واتحاد الكلمة " الابن " بجسد المسيح .

. . . .

---

(١) ارشاد الحيارى فى الرد على النصارى ٦

(٢) المصدر السابق ٧

(فى بيان الرد على النصارى من أن اللاهوت اتحد بالناسوت)

وقد ذهب النصارى الى القول بتجسم كلمة الله الخالقة بانسان مخلوق ، وأن الكلمة ولدت مع الناسوت ، ثم قالوا ان هذه الكلمة التى بها خلق كل شئ قد اتحدت بهذا الانسان المخلوق اتحادا بريأ من اختلاط أو تغير أو استحالة . وأنه خاطب الناس ، كما خاطب الله موسى النبى من العوسجة ، ففعل المعجز بلاهوته ، وأظهر العجز بناسوته والفعلان هما من المسيح الواحد .(١)

وفى قولهم هذا تناقض عجيب يظهر لنا من عدة وجوه .

الأول : ان دعوى النصارى أن تجسم كلمة الله الخالقة بانسان مخلوق، وولادتهما معا ، وهو الذى يعبر عنه النصارى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، هو أمر ممتنع بصريح العقل ، والرسل لم تخبر بما هو ممتنع بصريح العقل ، انما أخبرت بما لا يعلمه العقل أنه ممتنع . وتجسم كلمة الله الخالقة بانسان مخلوق أمر ممتنع من عدة وجوه :

يقال للنصارى هل المتحد بالمسيح الكلام مع الذات أو الكلام بدون الذات؟

فان قالوا أن المتحد بالمسيح الكلام مع الذات ، فمعنى ذلك أن المسيح هو الأقانيم الثلاث الأب والابن والروح القدس . وهذا الكلام باطل باتفاق النصارى . وان كان المتحد به الكلمة فقط ، والكلمة صفة ، والصفة لا تقوم بغير موصوفها ، والصفة ليست الها ، والمسيح عند النصارى اله تام خالق فبطل ما ذكروه على الوجهين .(٢)

وان زعموا أن المتحد بالمسيح هو الموصوف بالصفة وهو الآب ، والمسيح عندهم ليس الآب . وان زعموا أن الذى اتحد به انما هو الصفة فهو ايضا غير صحيح لأن الصفة لا تفارق الموصوف ولا تقوم بغيره ، كما أن الصفة لا تخلق ولا ترزق وبالتالى فهى ليست اله . (٣)

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/٢٦٦

(٢) الجواب الصحيح ٢/١٦٠ - ١٦١

(٣) المرجع السابق ٢/١٦١

الثانى : ثم زعم النصارى بأن كلمة الله الخالقة التى بها خلق كل شىء ، كلام فيه تناقض غريب كما يقول ابن تيمية رحمه الله : " فان الخالق هو الاله الخالق ، وهو خلق الأشياء بكلامه وهو قوله " كن " فالخالق لم يخلق به الأشياء ، بل هو خلقها والكلام الذى به خلقت الأشياء ليس هو الخالق لها ، بل به خلق الخالق الأشياء. والفرق بين الخالق والمخلوق ، وبين ما به خلق الخالق معقول " فالنصارى جعلوا الخالق به خلقت المخلوقات ، وبذلك جعلوا الكلمة هى الخالق ، وقالوا ان المخلوقات خلقت بها . (١)

وبهذا يظهر زيف النصارى من أن الكلمة هى الخالقة لكل شىء ، وأنه ليس فى سائر الكتب السماوية أى دليل على اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو حلوله فيه .
ان خلاصة ما أخبرنا عنه القرآن الكريم هو قوله تعالى :

(انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) (٢)

فالمسيح كما أخبر القرآن رسول من عند الله خلقه الله عز وجل بكلمة " كن " ، وهو نفخة من روح الله .

الثالث : ثم قول النصارى أن الكلمة تجسدت وتجسمت ، ان هذا يقتضى انقلاب الكلمة الى جسد ، وهذا يؤدى الى تغييرها وهم يقولون : اتحادا بريا من التغيير والاستحالة .

رابعا : ثم ان زعمهم أن هذا الاتحاد برى من الاختلاط أو التغيير أو الاستحالة فيه أيضا تناقض واضح ، فالاتحاد أن يصبح الاثنان واحدا ، ويقال كان اللاهوت جوهرا والناسوت جوهرا آخر . فبعد الاتحاد اما أن يصير الاثنان واحدا ، أو يكونا كما كانا . فان كانا كما كانا فلا اتحاد بينهما ، وان صارا شيئا واحدا فلا

---

(١) الجواب الصحيح ٢/٢٦٦

(٢) سورة النساء ١٧١

يخلو : اما أن يكون هذا الواحد أحدهما فبذلك يكون الآخر قد عدم ، وهذا عدم لأحدهما وليس اتحاده بالآخر . أو أن هذا الذى صار واحدا ليس هو أحدهما فبذلك يكون التغيير والاستحالة . والا كانا بعد الاتحاد اثنين باقين بصفاتهما وهذا ليس فيه اتحاد . (١)

خامسا : ان ما زعمه بعض النصارى وهو ما ينسب الى اليعقوبية الذين يقولون ان اللاهوت اتحد بالناسوت وانه بعد الاتحاد أصبح جوهرا واحدا ومشيئة واحدة ، وطبيعة واحده ، ويمثلون ذلك باختلاط اللبن بالماء هو فاسد لجميع العقول . وذلك لأنه بعد اختلاط الماء باللبن ينتج عندنا شيئا ثالثا ، لا هو باللبن الخالص ، ولا بالماء الخالص ، ويكون الماء واللبن قد استحال وتغير ، فلا يكون هناك اتحاد . واذا كان هذا فاسدا وهو لازم للنصارى ، فيكون عليه فساد اللازم يدل على فساد الملزوم . وعلى ظاهر قولهم أن الذى كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط ، وأن الذى أهين وبصق فى وجه وصلب ووضع على رأسه الشوك هو الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا . (٢)

ولقد صدق الله اذ يقول :

(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ، ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) . (٣)

اذا فالجميع عبيد لله عز وجل والمسيح واحد منهم . فهو ليس باله كما يزعمون وانما خلقه الله تعالى بكلمة " كن " وبهذا فلا معنى لقولهم بالاتحاد وما يزعمونه من الحلول الذى هو فى غاية التناقض والفساد .

---

(١) انظر الجواب الصحيح ٢ / ٢٦٧

(٢) الجواب الصحيح ٢ / ٢٦٨ بتصرف

(٣) سورة مريم ٨٨ - ٩٥

(فى بطـلان الاتحـــاد)

تقدم قبل قليل أن فرق النصارى اختلفت فى الاتحاد . ويمكن أن نجمل رأى كبار فرقهم فى الاتحاد . وكبار فرق النصارى ثلاثة وهم اليعقوبية ، والنسطورية ، والملكانية . ورأيهم فى الاتحاد نلخصه بما يلى :

فقد ذهب اليعقوبية الى أن المسيح أصبح بالاتحاد طبيعة واحدة ، وأقوما واحدا . فالمسيح عندهم اله كله وانسان كله . (١)

أما الملكانية فقد ذهبوا الى القول أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وهــو أقوم واحد . وقالوا ان له بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الآب ، وبطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة داود غير أنه أقوم واحد . (٢)

أما النسطورية فقالوا ان المسيح بعد الاتحاد جوهران اقومان باقيان كما كانا قبل الاتحاد . (٣)

والآن لنأخذ رأى كل فرقة على حدة ونناقشه ونبطل قولهم فيه :

أولا : مذهب اليعقوبية :

وخلاصة مذهبهم أن الاله هو الانسان ، والانسان هو الاله . فيرد علـى زعمهم من أن الطبيعتين صارتا طبيعة واحدة . فيقال لهم : هل تغيرت الطبيعتيان عما كانتا عليه قبل التركيب ؟ فان زعموا أنها لم تتغير فيكون المسيح بعد الاتحاد كما كان قبله ، وهذا نقض لمذهبهم . وان قالوا : أن الطبيعتين صارتا طبيعة واحدة مركبة منهما أى من الأوليين ، فعلى هذا تكون الطبيعـــة الواحدة المركبة لا اله ولا انسان ، بل هو شىء آخر غريب . (٤)

(١) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ٤٩

(٢) المصدر السابق ٥١

(٣) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ٥٢

(٤) المصدر السابق ٤٩ - ٥٠

ثم ان مذهبهم هذا مردود من عدة وجوه منها (١) :

١ - أنه ورد في الانجيل (انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم) (٢)
فهذا النص يفرق بين الصاعد والذى يصعد اليه ، فبطل اتحادهما والا
اتحد الصاعد والذى يصعد اليه ، والداعي والمدعو له .

٢ - ثم على قولهم يصبح طبع الاله والانسان واحدا ، وطبع الخالق هو طبع
المخلوق ، وطبع العلة هو طبع المعلول وذلك محال .

٣ - كما أنه اذا تغير جوهر الأزلى وأقنومه ، فقد أصبح الأزلى زمنيا ، والزمنى
أزليا ، وبهذا تكون فائدة الاتحاد قد بطلت ، لأن النصارى تزعم أن الاتحاد
هو حلول اللاهوت على الناسوت ، فاذا تغيرت الطبيعة وانقلبت الى شىء ثالث،
فلا المفيد يبقى مفيدا ، ولا المستفيد يبقى مستفيدا .

٤ - ثم ان الأقنومين والجوهرين اما أن يكونا سليمين فى المسيح أو فاسدين ،
فان كانا سليمين لا يصح أن نقول انهما صارا واحدا بالعدد ، لأنه لا يمكن
أن يطلق على الكثرة أنها واحد فى الجهة التى هى كثرة ، كما لا يمكن
أن يقال فى الواحد أنه كثرة فى الجهة التى هو فيها واحد .
وأما اذا كانا الجوهران والأقنومان فاسدين عند ذلك ينبغى أن يكون المسيح
قد انعدم وتلاشى .

٥ - كما أنه اذا صار الجوهران والأقنومان واحدا بالعدد ، عند ذلك يبطل فعل
الاثنان ، لأن مختلفى الطباع اذا تركب منهم طبع آخر لم يبين فعل الأول ولا
الثانى . فلا يظهر للمسيح فعل لاهوتى ولا ناسوتى . فلا يكون المسيح انسانا
ولا الها ويرتفع الاتحاد .

---

(١) انظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجل / ٥٠

(٢) انجيل يوحنا ٢٠ : ١٧

٦ - ويذكرون أيضا في الانجيل أن المسيح كان يزيد وينمو في علومه ومعارفه وجسمه، اذا فالمتزايد يختلف عن الكامل وعلى هذا لا يكون شيئا واحدا ، كما أن الاله لا ينقلب ولا يتغير ولا يزيد ، فان زعموا أنه صار واحدا فقد انقلب وتغير، فيصير غير المنقلب منقلبا . ثم على زعمهم أن الكلمة قد انقلبت فمن الذى قلبها ؟ ثم ان الله تعالى خالقه قد أوجده بعد أن لم يكن ، فمن الجهل أن يقال انه صار هو وموجده وخالقه شيئا واحدا وطبيعة واحدة .

٧ - ثم اذا كان من المستحيل أن يصبح الجوهران المتنافيان كالثلج والنار واحدا ، فمن باب أولى يستحيل أن يصير خالق الجوهر مع الجوهر واحدا .

ثانيا : مذهب الملكانية :

وخلاصة مذهبهم أن المسيح بعد الاتحاد جوهران ، وأنه أقنوم واحد وبذلك يكونوا قد ردوا الاتحاد الى الأقنوم ، لأنهم رأوه مستحيلا بالنسبة للجوهر . ويمكن أن يرد عليهم من عدة وجوه منها (١) :

١ - اذا كان المسيح قد بقي على حالته كما كان قبل الاتحاد ، فقد بطل قولهم في الاتحاد ، لأن الاتحاد هو أن يصبح الأكثر من الواحد واحدا . فان بقي الجوهر الأزلي على حاله ، وجوهر الانسان بقي أيضا على حاله ، فقد آل الاتحاد الى مجرد تسمية فارغة خالية من المعنى .

٢ - كما يرد على الملكانية بأن يقال لهم : هل اتحاد اللاهوت بالناسوت حقيقة أو مجازا ؟ فان كان مجازا فقد أبطلوا الاتحاد ، وان قالوا أن الاتحاد حقيقة ، لزم أن يكون مشيئتهما واحدة ، لأن الواحد ليست له الا مشيئة واحدة ، لأنه لو كان للواحد مشيئتان للزم اما أن يكونا مختلفين أو متماثلين

---

(١) انظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ٥١ - ٥٢

فان كانتا متماثلتين فاحداهما تغني عن الأخرى ، وان كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما ، فلابد من ابطال أحد الشيئين ان كان الاتحاد حقيقة ،أو ابطال الاتحاد جملة ان شئت المشيئتان .

٣ - ويقال أيضا لمن قال أن المسيح بعد الاتحاد جوهران وأنه أقنوم واحد ، ان قلتم أن الأقنومين الأزلي والانساني ، قد صارا واحدا ،فالجوهران أيضا قد صارا واحدا ، والقول بمثل هذا باطل .

٤ - ثم ان القول بأن الجوهرين قد صارا شخصا واحدا ، أى أقنوما واحدا فيه جهالة ، لأنه يلزم عليه أن يشار الى المسيح بأنه قديم ومحدث باشارة واحدة .

٥ - والقول أيضا بأن الأقنوم الالهي والأقنوم الانساني قد صارا اقنوما واحدا أحدهما زمني والآخر أزلي يؤدى الى أن يصبح الأزلي زمنيا والزمني أزليا ، أو أن يحدث شيء آخر لا هو بالأزلي ولا هو بالزمني وهذا محال . وهذا يؤدى الى ابطال فعل اقنوم الانسان من الأكل والشرب وغير ذلك . كما يؤدى الى ابطال فعل أقنوم الاله من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص. وقد وصف المسيح بالفعلين .

ثالثا : مذهب النسطورية : وخلاصة مذهب النسطورية أن المسيح بعد الاتحاد جوهران واقنومان باقيان كما كانا قبل الاتحاد . وقد رد هؤلاء الاتحاد الى خاص النبوة وهو علم الله تعالى . وقالوا ان الشخص المأخوذ من السيد شارك الله فى هذه الخاصة ، فصار بها ابنا وشريكا .

ويرد على هؤلاء من وجوه كثيرة منها (١) :

١ - ان القول بأن الجوهرين باقيان والأقنومين باقيان لا يؤدى الى الاتحاد ، بل صار الاتحاد مجرد تسمية فارغة بدون فائدة .

---

(١) انظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ٥٢ - ٥٤

٢ - ثم ان القول بأن المسيح أقنومان أمر يكذبه الحس ، لأن الواقع الذى يصدقه البصر أن المسيح انما هو شخص واحد .

٣ - كما أن حملة الانجيل يكذبون القول بأن المسيح اقنومان ، لأنهم يؤكدون أن المسيح هو ابن داود بن ابراهيم ، وأنه ولد فى بيت لحم ، وانه أكل وشرب وفرح وحزن ، وانه كان شخصا واحدا غير متعدد .

٤ - وهذا المذهب مردود أيضا بقول يوحنا : " الكلمة صار جسدا وحل بيننا " (١) .

وهذا النص - عند النصارى - يعبر عن انقلاب الاقنوم الالهى انسانا مسيحا . فكيف يزعم نسطور واتباعه أن المسيح أقنومان ، ويوحنا يقول انه اقنوم واحد ؟

٥ - كما أن النسطورية والروم يلعنون اليعاقبة لأنهم يزعمون أن الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية قد صارتا طبيعة واحدة بالاتحاد ! فكيف من يزعم أن المسيح اثنان فى العدد بعد كونه واحد ؟ لا شك أن هذا أحق بالذم واللعن .

وفى نهاية هذا الموضوع ان ما يرد به على الفرق الثلاث ، ويبطل دعوى الاتحاد قول بولس الى أهل أفسس " لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن ليحل المسيح بالايمان فى قلوبكم " (٢) .

فعلى قول بولس يجب أن يكون اتحاد اللاهوت بناسوت المسيح ، كاتحاد المسيح بناسوت أمته ومتبعيه . ولئن كان من المستحيل أن يتحد جسد المسيح بأجساد آلاف النصارى ، من أقطار الأرض ، فاتحاد القديم جل جلاله بجسد المسيح أولى بالاستحالة ! (٣)

---

(١) انجيل يوحنا / الاصحاح الأول / ١٤

(٢) رسالة بولس الى أهل أفسس / الاصحاح الثالث / ١٦ - ١٧

(٣) راجع المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل / ٥٤

الفصل الرابع : في بيان عقيدة الصلب عند النصـــارى

عقيـــدة

" الكفـــارة والصلـــب "

يعتقد النصارى أن الله تعالى أوصى آدم بأن لا يأكل من الشجرة كما جاء في التوراة " وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ".(١)

وقد ورد في القرآن الكريم ما يقرر هذا المعنى : وهو قوله تعالى :

(ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين).(٢)

ويقول النصارى ان الشيطان قد احتال على المرأة وزين لها أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر حتى ضعفت حواء للاغراء ، ومدت يدها الى ثمر هذه الشجرة، وأكلت منها واعطت زوجها آدم حتى أكلا منها معا.(٣)

تقول التوراة : " فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ".(٤)

وقد جاء في القرآن الكريم ما يقرر غواية الشيطان لآدم وحواء في قوله تعالى :

(فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين).(٥)

---

(١) سفر التكوين / الاصحاح الثاني عدد ١٥ - ١٧

(٢) سورة الاعراف ١٩

(٣) انظر المسيح انسان أم اله / ١٤٢ للدكتور محمد مرجان .

(٤) سفر التكوين / الاصحاح الثالث / عدد ١ - ٦

(٥) سورة الاعراف / ٢٢

ويعتقد النصارى أنه بأكل آدم وحواء من الشجرة استحق آدم وذريته العذاب . ولكن رحمة من الله تعالى بعباده جسد كلمته ، وهى ابنه الأزلي تجسدا ظاهرا ، ورضى بموته على الصليب ، وهو غير مستحق لذلك ، لكى يكون فداء الخطيئة الأولى . ولم يكن فى استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الانسان معا ، وكان ذلك الابن وهذا الفداء هو عيسى عليه السلام.(١)

يقول بولس :

" لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ، ومولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى " .(٢)

وبهذا نرى أن النصارى يعتقدون أن هذه الخطيئة الأولى لم تقتصر على آدم وحواء فقط ، بل امتدت بحكم التناسل لتشمل البشرية كلها على مر الأجيال ، وأنهم يدعون أن كل ما يحس به البشر على مر الأجيال من شك أو نزوع الى الفتنة ، وما اليها من الدس والوقيعة ، وجميع الجرائم كلها منحدرة من مصدر واحد وهو آدم وحواء .(٣)

وقد كان صاحب هذه الفكرة ، والذى كان له قصب السبق من النصارى هو بولس عليه غضب الله حيث يقول فى أحد رسائله :

" من أجل ذلك كانما بلسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم ، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذا خطأ الجميع ".(٤)

ونخلص من هذا القول أن خطأ آدم وحواء - عند النصارى - لم يقتصر عليهما فقط ، بل امتد وشمل هذا الخطأ سقوط كافة الجنس البشرى فى الاثم والخطيئة.

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية لابى زهرة / ٢٦

(٢) رسالة بولس الى أهل غلاطية / الاصحاح الرابع / ٤ - ٥

(٣) انظر المسيح انسان أم اله ١٤٣

(٤) رسالة بولس الى أهل رومية / الاصحاح الخامس ١٢

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام ، هو هل أصر آدم وحواء على هذه الخطيئة ؟ ألم يندما على هذا الفعل ويستغفرا ربهما ؟ هل تاب الله عليهما وعلى أبناءهما خوفا من الانحدار فى مهاوى الضلال ؟

ان كتّاب النصارى ينفون نفيا قاطعا مغفرة الله لآدم وحواء هذه الخطيئة ، بل تركهما وأبناءهما من بعدهما تحت حكم الدينونة . ولكن الى متى يظل آدم وابناءه مدنسين بهذه الخطيئة ؟ (١)

ان الذين جاء به القرآن الكريم هو أن الله تعالى قد غفر لآدم هذه الخطيئة كما فى قوله تعالى :

(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) (٢) .

ولكن النصارى يصّرون على أن الله تعالى لم يغفر لآدم هذه الخطيئة تبريرا لعقيدة الصلب وأن المسيح انما صلب تكفيرا لهذه الخطيئة حتى يخلص البشرية من وزرها . لأن النصارى يعتقدون أنه لا توجد مغفرة بدون سفك دم . ولكن من هو الشخص الذى يستحق أن ينوب عن آدم ؟ وما هى الدماء التى يكفى سفكها لتخليص آدم وزوجته وأبناؤهما من الخطيئة ؟

يقول كتّاب المسيحية : ان خطيئة آدم لا تشترى الا بدم زكى نفيس ، وهذا الدم لا يكون دم انسان من البشر - ذلك لأن البشر ملوثون ودماءهم نجسة . كذلك ليس دم حيوان من الحيوانات التى تعود الوثنيون واليهود ذبحها كفارة عن ذنوبهم . ذلك أن الحيوان لم يشترك فى خطيئة آدم (٣) . كذلك ليس دم ملاك لأن الملائكة ليس

---

(١) بتصرف عن المسيح انسان أم اله / ١٤٤

(٢) سورة طه ١٢٢

(٣) لقد ذكرت التوراة أن الحية (وهى حيوان) هى التى حرضت حواء على الأكل من شجرة معرفة الخير والشر كما يذكرون فى سفر التكوين / الاصحاح الثالث/ عدد ١ - ٥

لهم دم ، وبالتالى لا يصلحون للفداء اذن فلابد أن يكون الدم دما الهيا طاهرا ، ولكن فى نفس الوقت يمثل البشرية فهو دم طاهر - ولا طاهر الا الله ويمثل الانسان . ولكن هل للاله دم ؟ وكيف يكون الدم الهيا ويمثل البشرية فى نفس الوقت ؟

قالوا ان هذه المشكلة تحل بنظرية التجسد ، يرسل الله ابنه الوحيد ليحل فى جسد مريم العذراء ، ويظل فى بطنها ثم يولد بالجسد انسانا ذا لحم ودم ولكنه الله نفسه (١) تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

هذه النظرية يقوم عليها الدين المسيحى كله كما يقول القس بولس :

" ان موت المسيح وبالتالى سر الفداء يمثل نقطة الدائرة من الدين المسيحى ، لقد تم مفعول الوساطة بموت المسيح وسفكه دمه ، الذى به كفر عن خطايانا وأرضى الله أباه " . (٢)

ولهذا يعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام قد صلب تكفيرا عن خطايا البشر جميعا كما يقول بولس فى رسالته الأولى لأهل كورنتوس :

" أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب " . (٣)

والواقع أن بولس هو الذى أنشأ اللاهوت المسيحى ، وهو صاحب فكرة عقيدة الصلب عند النصارى .

يقول ول ديورانت :

" ولقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له الا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح . وكانت العوامل التى أوحت اليه بالأسس التى أقام عليها ذلك اللاهوت هى انقباض نفسه ، وندمه ، والصورة التى استحال اليها المسيح فى خياله ، ولعله قد

---

(١) انظر المسيح انسان ام اله ١٤٥ - ١٤٦

(٢) انظر يسوع المسيح ٩٤ نقلا عن المسيح انسان ام اله ١٤٧

(٣) كورنتوس الأولى ١٥ : ٣

تأثر بنبذ الأفلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شرا وخبثا ، ولعله تذكر السنة اليهودية والوثنية سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس : أما هذه الأسس فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم ، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي الا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته " .(١)

ولقد أسهب كتاب المسيحية في سرد نظرية الصلب ، صلب عيسى وسفك دمه ، من أجل تخليص البشر من خطيئة آدم ، النظرية التي يقوم عليها الدين المسيحي كله ، والتي من أجلها تجسد ابن الله - عيسى - وأتى الى الأرض.(٢)

وتذكر لنا الأناجيل(٣) روايات متعددة حول القبض على المسيح وصلبه ومع ذلك فاننا نلحظ أن بين هذه الأناجيل تناقضا كبيرا في سرد أحداث الصلب . فبعضهم يقتصد ، وبعضهم يبالغ ، وبعضهم يأتي بحدث أو حديث لا يذكره غيره ، أو يذكره على نحو مغاير(٤) حتى عذاب المسيح اختلفوا فيه فبعضهم تمادى في ذكر آلامه وأحزانه ، وبعضهم اقتصد في التعذيب والتأنيب .(٥)

وقبل أن ننتقل الى بيان استحالة قضية الصلب ، نريد أن نذكر مثالا واحدا ، مما ورد في الانجيل لنتبين مدى تلاؤمها مع نظرية الكفارة والصلب . وهو ما ورد في انجيل مرقس عن كيفية القبض على عيسى عليه السلام تمهيدا لصلبه :

" وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه وجاءوا (عيسى والتلاميذ) الى ضيعة اسمها جيثماني فقال لتلاميذه اجلسوا ههنا حتى أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ

---

(١) انظر قصة الحضارة ١١/ ٢٦٣ - ٢٦٤

(٢) المسيح انسان أم اله ١٤٧

(٣) انظر انجيل متى ٢٧ : ٣٢ - ٣٨ ، وانجيل مرقس ١٥ : ١٦ - ٢٥ ، وانجيل لوقا ٢٣ ، ٢٦ - ٣٤ ، وانجيل يوحنا ١٩ : ١ - ٢٠

(٤) راجع هذا الاختلاف في عقيدة الصلب في كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ١٢٧ - ١٨٨

(٥) انظر المسيح انسان أم اله ١٥٢

يدهش ويكتئب فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان أمكن ، وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس".(١)

كيف يتفق هذا الكلام مع ما يقرره كتاب المسيحية من أن عيسى جاء الى العالم، ونزل من علياءه وتجسد ليصلب ويفدى نفسه تكفيرا لخطيئة آدم ؟ واذا كان عيسي قد نزل باختياره وارادته ليصلب ، فما الدافع الى حزنه واكتئابه ؟ وما الذى يدفعه الى تغيير رأيه وطلب العدول عن صلبه ؟ وما الذى يجعله أن يصلي ويدعو الله أن يجيز عنه هذه الكأس وأن يخلصه من الصلب ؟.(٢)

وهذا أكبر دليل على أن الانجيل ليس من كلام الله ، وأن عيسي عليه السلام لم يصلب كما قرر عندنا القرآن الكريم .

....

---

(١) انجيل مرقس ١٤ : ١٠ و٣٢ - ٣٦

(٢) انظر المسيح انسان أم اله ١٤٨

(استحالة قضية الصلب (١))

ان القرآن الكريم يقرر حقيقة قاطعة لا شبهة فيها ، وهى أن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما يزعم النصارى ، وذلك فى قوله تعالى :

(وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا (٢))

وهذه الحقيقة القرآنية تؤكدها الأناجيل الأربعة ، ونحن نبين بالأدلة من الأناجيل فقط أنه لم يصلب ، وذلك ليكون حجة دامغة على النصارى .

ومن هذه الأدلة :

أولا : تدوين العهد الجديد : والسؤال الذى يرد هنا ، هل الانجيل موحى به من الله تعالى ؟ أم هو مجرد خواطر بشرية بأصابع بشرية ؟

ان الواقع ليشهد بأن الأناجيل ورسائل بولس من كلام البشر وليست بوحى من عند الله تعالى . فلو طالعنا مثلا انجيل لوقا نجد فيه هذا النص :

" اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا اذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به (٣) " .

وهذا النص فيه اشارة واضحة أن هذا الكلام ليس موحي به من الله تعالى وانما هو من وضع البشر .

---

(١) لقد استعنت فى هذه المسألة بالأستاذ ابراهيم خليل أحمد

(٢) سورة النساء ١٥٧

(٣) انجيل لوقا / الاصحاح الأول ١ - ٤

ثم ان انجيل مرقس يعتبر أقدم الأناجيل ، وقد كتب بعد رفع المسيح بنحو ٣٥ عاما ، وأن كاتبه لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، حتى انه لم يره ولو مرة واحدة في حياته . وما كان مرقس الا تابعا لبطرس . وكذلك انجيل متى ولوقا يعتبر نسخة منقولة من انجيل مرقس ، مطولة في أحيان كثيرة ، ومضافا اليها من مصادر أخرى مجهولة . وقد كتب هذان الانجيلان بعد رفع المسيح بنحو ٦٠ ، ٥٠ عاما على الترتيب . كما أن لوقا أيضا لم يكن من تلاميذ المسيح ولم يره ولو مرة واحدة في حياته ، وهو يعترف بذلك في مقدمة انجيله التي يقرر فيها أنه كان من الجيل الثاني في المسيحية (١) .

ومما يدل أيضا أن العهد الجديد ليس بوحي الهي ، وانما هو عبارة عن خواطر بشرية ما ورد في انجيل يوحنا :

" وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب " . (٢)

ويظهر من هذا النص أن ما كتب هنا انما هو بوازع من نفسه ، وبناء على اجتهاداته الشخصية ، وأنه كتب البعض وترك البعض الآخر . أضف الى هذا أن انجيل يوحنا كتب بعد رفع المسيح بمدة تتراوح بين ٧٠ ، ٩٠ عاما ، وأن انجيل يوحنا قد كتب لغرض سبق وضعه الكاتب نصب عينيه وهو التأكيد على نظرية تقول بلاهوت المسيح (٣) .

كما أن هناك أدلة كثيرة من الانجيل ومن رسائل بولس يشم منها أنها من وضع البشر بل وانها لتؤكد أنه صيغ بأصابع بشرية . فمن ذلك ما ورد في سفر اعمال الرسل :

" الكلام الأول أنشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به " (٤)

---

(١) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية / أحمد عبد الوهاب ١٢٧

(٢) انجيل يوحنا ٢٠ : ٣٠

(٣) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية ١٢٧

(٤) اعمال الرسل / الاصحاح الأول ١

وفى رسالة بولس لأهل كورنثوس :

" ولكن أقول هذا على سبيل الاذن لا على سبيل الأمر لأنى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا . ولكن أقول لغير المتزوجين . . " (١)

وكل هذا يدلل أن هذه الأناجيل ، وبقية أسفار العهد الجديد ، قد كتبت وفى ذاكرة مؤلفيها ان لم يكن أمامهم بالفعل ، نسخا من العهد القديم . ان هذا يعنى أن الكاتب يستطيع التوفيق بين ما فى ذاكرته من أفكار ومعتقدات حول المسيح ، وبين ما ارتآه صورة لها أو قريبة منها فى اسفار العهد القديم . لقد نقل كتبة أسفار العهد الجديد عن أسفار العهد القديم نصوصا ، واقتبسوا أفكارا استخدموها فى صياغة كتبهم بالأسلوب الذى ظنوه يساعد القراء على الايمان ، بأن كل ما ذكروه عن المسيح انما كان تحقيقا لنبوءات السابقين . (٢)

وكل هذا يؤكد أن عقيدة الصلب التى وردت فى الأناجيل لم تكن بوحى من الله تعالى ، انما هى عقائد وثنية ، وخواطر بشرية صاغها كاتبوا العهد الجديد نقلا عن أمثال بولس اليهودى وغيره .

ثانيا : تميّز المسيح عليه السلام بخصائص كثيرة منها :

١ - أنه مؤيد بالروح القدس ، وقد ورد فى الانجيل ما يؤيد ذلك " حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد ثم تركه ابليس واذا ملائكته قد جاءت فصارت تخدمه " . (٣)

وفى انجيل لوقا : " ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل " . (٤)

---

(١) رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس / الاصحاح السابع ٦ - ١٢

(٢) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ١٢٨

(٣) انجيل متى / الاصحاح الرابع ١٠ - ١١

(٤) انجيل لوقا / الاصحاح الرابع ١٤

والانجيل يؤكد أن الروح القدس كان قبل أن يكون المسيح : " أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس ".(١)

وهذا يؤكد أن عيسى مرسل من عند الله وأنه مؤيد بقوة من الله ، وأن الله تعالى لا يمكن أن يمكّن اعداءه من النيل من رسله عليهم السلام.

٢ - كان عنده القدرة على الاختفاء والقدرة على الظهور رغم الحواجز :

لقد جاء في الانجيل ما يبين قدرة المسيح على الاختفاء كما ورد في انجيل لوقا : " فقاموا واخرجوه خارج المدينة وجاءوا به الى حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه الى أسفل أما هو فجاز في وسطهم ومضى ".(٢)

وجاء في انجيل يوحنا ما نصه :

" قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى هكذا ".(٣)

كما ورد في الانجيل قدرة المسيح أيضا على الظهور : " ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم ".(٤)

وفي نفس الانجيل ورد فيه ما نصه :

" وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضا داخلا وتوما معهم فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف في الوسط وقال سلام لكم ".(٥)

---

(١) انجيل لوقا / الاصحاح الرابع ١

(٢) انجيل لوقا / الاصحاح الرابع ٢٩ - ٣٠

(٣) انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن / ٥٨ - ٥٩

(٤) انجيل يوحنا / ٢٠ : ١٩

(٥) انجيل يوحنا / ٢٠ : ٢٦

وفى انجيل لوقا : " وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحا " . (١)

فاذا كان الانجيل يقرر أن عيسى عليه السلام كان عنده القدرة على الاختفاء والظهور، فلماذا لم يختفى حين جاءوا لالقاء القبض عليه من أجل صلبه ؟

انه الاطمئنان الى أن الله معه ولن يتركه وحده . ولهذا فان الانجيل يقرر هذا كما ذكروا على لسان المسيح : " والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه ". (٢)

ولقد كانت آخر أقوال المسيح لتلاميذه فى تلك اللحظات التى سبقت عملية القبض مباشرة هو تأكيده لهم أن الله معه دائما ولن يتركه . (٣)

وقد ورد هذا المعنى فى انجيل يوحنا : " هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركوننى وحدى وأنا لست وحدى لأن الآب معى ". (٤)

٣ - تنبؤات المسيح وتشمل :

أ - تنبؤات المسيح بنجاته من القتل : (٥)

ان فكرة قتل المسيح ومحاولات قتله دخيلة على رسالته ، ويزداد الأمر يقينا حين نرى ما تذكره الأناجيل عن تنبؤات المسيح بنجاته من كل المحاولات التى يبذلها اليهود لقتله . وقد حدث ذات مرة فى احدى محاولات اصطياده :

---

(١) انجيل لوقا / ٢٤ : ٣٦ - ٣٧

(٢) انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن - ٢١ - ٢٩

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ٢٠٨

(٤) انجيل يوحنا ١٦ : ٣٢

(٥) انظر هذا الموضوع فى كتاب المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ٢٠٧ وما بعدها .

" فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه فقال لهم يسوع : أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى الى الذى أرسلنى ستطلبوننى ولا تجدوننى حيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا ". (١)

ولا يشك أحد فى وضوح هذا القول الذى يعنى أن اليهود حين يطلبون المسيح لقتله فلن يجدوه لأنه سيمضى للذى أرسله ،أى سيرفعه الله اليه ، ومن الطبيعى أن يقال أن السماء مكان يعجز اليهود عن بلوغه تعقبا للمسيح . (٢)

ب ـ تنبؤات المسيح باستحالة القبض عليه :

كما قرر الانجيل استحالة قتله ونجاته من القتل فقد قرر أيضا استحالة القاء القبض عليه . فقد ورد فى انجيل يوحنا ما يقرر ذلك :

" قال لهم يسوع أيضا أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيئتكم حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا فقال اليهود ألعله يقتل نفسه ، حتى يقول حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا فقال لهم أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم ". (٣)

وفى موضع آخر من انجيل يوحنا : " فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى الى الذى أرسلنى ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا فقال اليهود فيما بينهم الى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن ألعله مزمع أن يذهب الى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين ما هذا القول الذى قال ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا " . (٤)

---

(١) انجيل يوحنا / الاصحاح السابع ٣٢ - ٣٤

(٢) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ٢٠٧

(٣) انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن ٢١ - ٢٣

(٤) انجيل يوحنا / الاصحاح السابع ٣٢ - ٣٦

ثالثا : المسيح يرفض محاولة قتله :

ان الذى يتتبع الأناجيل يجدها بين الحين والآخر ، تضع علامات تذكرنا دائما باستبعاد فكرة قتل المسيح . وها هو المسيح نفسه الذى يعلم حقيقة دعوته وحدودها أكثر من بولس وغيره من كتبة الرسائل المسيحية ، هو الذى عمل كثيرا على احباط جميع المحاولات التى رآها تبذل من اليهود لقتله .(١)

وقد كان المسيح عليه السلام يعلم مسبقا بتآمر الرؤساء عليه . ويصرح بهذا انجيل يوحنا :

" قال لهم يسوع لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ".(٢)

وفى موضع آخر من الانجيل :

" فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه فلم يكن يسوع أيضا يمشى بين اليهود علانية .. فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم وهم واقفون فى الهيكل ماذا تظنون هل هو لا يأتى الى العيد وكان أيضا رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمرا أنه ان عرف أحد أين هو فليدل عليه لكى يمسكوه "(٣)

وفى انجيل لوقا :

" فى ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له أخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك ".(٤)

وقد كانوا دائما يتربصون به الدوائر ويصادرون أعماله كما فى انجيل لوقا :

" وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه لأنهم خافوا الشعب ".(٥)

---

(١) انظر المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ٢٠٢
(٢) انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن ٣٩ - ٤٠
(٣) انجيل يوحنا ١١ : ٥٣ - ٥٧
(٤) انجيل لوقا ١٣ : ٣١
(٥) انجيل لوقا ٢٢ : ٢

وورد في نفس الانجيل ما نصه :

" وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جدا ويصادرونه على أمور كثيرة وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا شيئا من فمه لكي يشتكوا عليه ". (١)

ومن هذا النص يظهر لنا أنهم كانوا دائما يتربصون به ، ويقومون بمحاولات ليجربوه حتى يأخذوا عليه مأخذا وكلمة من أجل يقدموه للمحاكمة فلم يستطيعوا . فهو كان دائما يأخذ حذره منهم . وقد كان يأخذ الاحتياطات اللازمة التي تجنبه الوقوع بالمخاطر ، لأنه كان يخشى على نفسه منهم.

وأكبر دليل على ما أقول ما ذكره انجيل لوقا : " ولما صار النهار خرج وذهب الى موضع خلاء وكان الجموع يفتشون عليه فجاءوا اليه وأمسكوه لئلا يذهب عنهم ". (٢)

وجاء في انجيل يوحنا : " لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع" (٣)

وورد أيضا في انجيل متى :

" فلما سمع يسوع انصرف من هناك في سفينة الى موضع خلاء منفردا فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن ". (٤)

رابعا : فشل تجربة تنفيذ المؤامرة :

لقد قاموا بمحاولات عدة ليجربوه من أجل القاء القبض عليه وتقديمه للمحاكمة ومن هذه المحاولات تجربة العملة كما ذكر انجيل لوقا :

" فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه الى حكم الوالي وسلطانه فسألوه . . . أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا فشعر بمكرهم وقال لهم لماذا تجربونني أروني دينارا ، لمن الصورة والكتابة فأجابوا وقالوا

---

(١) انجيل لوقا ١١ : ٥٣ - ٥٤

(٢) انجيل لوقا / الاصحاح الرابع : ٤٢

(٣) انجيل يوحنا / الاصحاح الثاني ٢٤

(٤) انجيل متى / الاصحاح الرابع عشر ١٣

لقيصر فقال لهم أعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلم يقدروا أن يمسكــوه بكلمة قدام الشعب ". (١)

ومنها تجربة السبت كما فى انجيل مرقس " فقال له الفريسيون انظر لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل فقال لهم أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله فى أيام آبيأثار رئيس الكهنة وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله الا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا ثم قال لهم السبت انما جعل لأجل الانسان ،لا الانسان لأجل السبت اذا ابن الانسان هــــو رب السبت أيضا ". (٢)

ومنها تجربة القيامة كما فى انجيل لوقا -الاصحاح العشرون عدد (٢٧ - ٤٠)

ومنها تجربة الطلاق كما فى انجيل متى -الاصحاح التاسع عشر عدد (٣- ١٢) حيث ورد فيه :

" وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان . قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق قال لهم ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم . . . . " (٣)

وقد كانت جميع هذه المحاولات من أجل أن يأخذوا عليه ممسكا ليقدموه الى المحاكمة ، ولكن بفضل الله باءت جميع هذه المحاولات بالفشل الذريع . ولكـن بداية المؤامرة الحقيقية كانت بتآمر يهوذا مع اليهود عليه ، حيث وعدوه أن يعطوه

(١) انجيل لوقا / الاصحاح العشرون ٢٠ - ٢٦
(٢) انجيل مرقس/ الاصحاح الثانى ٢٤ - ٢٨
(٣) انجيل متى / ١٩ : ٣ - ١٢

ثلاثين من الفضة مقابل أن يسلمه اليهم ويدلهم عليه كما ورد ذلك في انجيل متى :

" حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذى يدعى يهوذا الاسخريوطى الى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه اليكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه ". (١)

وفى انجيل متى :

" والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو هو أمسكوه فللوقت تقدم الى يسوع وقال : السلام ياسيدى وقبله ". (٢)

وعندئذ يكشف يسوع المسيح هذه القبلة الغاشة قائلا :

" فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان ". (٣)

ومن خلال متابعة الأحداث فى انجيل متى ويوحنا ولوقا نجد أن الذى أمسكوه ليس المسيح ، لأن الله قد أوقع شبه عيسى على أحد التلاميذ ومما يدلل على صحة هذا القول الحقائق التالية :

١ - أن المسيح كان دائما يؤكد أن الله لن يتركه وحده " والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه ". (٤)

وورد أيضا على لسان المسيح " وأنا لست وحدى لأن الآب معى ". (٥)

٢ - وما دام أن الله لن يتركه وحده فقد كان فى الشدائد وحالات الضيق يمده بعون من عنده ويقويه بالملائكة كما ورد فى انجيل متى :

" أتظن أنى لا استطيع الآن أن اطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ". (٦)

---

(١) انجيل متى / ٢٦ : ١٤ - ١٦ وانجيل لوقا / ٢٢ : ٣ - ٦
(٢) انجيل متى ٢٦ : ٤٨ - ٤٩
(٣) انجيل لوقا / ٢٢ : ٤٨
(٤) انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن ٢٩
(٥) انجيل يوحنا / ١٦ : ٣٢
(٦) انجيل متى / ٢٦ : ٥٣

وفى انجيل لوقا أيضا :

" يا أبتاه ان شئت أن تجيز عنى هذه الكأس ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك وظهر له ملك من السماء يقويه ". (١)

٣ - وما دام أن الله كان يقويه بالملائكة فى حالات الضيق ، فقد أرسل اليه ملاكا عندما اقتربوا منه ليأخذوه الى القتل . وان هذا الملاك خطف المسيح من بينهم ولم يبق معهم الا يهوذا الذى قبض عليه ظنا منهم أنه يسوع المسيح .
فقد ورد فى كل من انجيل لوقا ويوحنا ما يؤكد هذا ، حيث ان الأناجيل تكمل بعضها البعض :

" فلما قال لهم انى أنا هو واذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما فرجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ". (٢)

ومما يبرهن على صحة هذا الرأى ويقويه أن المسيح نفسه أقر بهلاك الخائن الذى غدر به :

" ولم يهلك منهم أحد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب ". (٣)

٤ - انكار بطرس ليهوذا كما ورد فى انجيل متى :

" أما بطرس فكان جالسا فى الدار فجاءت اليه جارته قائلة وانت كنت مع يسوع الجليلى فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين . . . فأنكر أيضا بقسم انى لست أعرف الرجل ". (٤)

فهو لا يعرف يهوذا لأن الله ألقى على يهوذا الاسخريوطى شبه عيسى عليه السلام . وفى نفس الوقت فهو ليس المسيح الذى ظنوه أنه هو ، انما المسيح رفعه الله اليه بواسطة الملاك .

---

(١) انجيل لوقا / ٢٢ : ٤٠ - ٤٣
(٢) انجيل لوقا / الاصحاح الثانى عدد ٩ ، وانجيل يوحنا ١٨ : ٦ - مع ملاحظة أن ماأوردته هنا هو مجموع من الانجيلين المذكورين .
(٣) انجيل يوحنا / ١٧ : ١٢
(٤) انجيل متى / ٢٦ : ٦٩ - ٧٢

٥ - ارتباك المقبوض عليه أثناء محاكمته كما ورد ذلك في انجيل لوقا :

" ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم قائلين ان كنت أنت المسيح فقل لنا فقال لهم ان قلت لكم لا تصدقون وان سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا على يمين قوة الله ".(١)

ثم تكون النهاية من الله لمن ألقى عليه الشبه ، حتى يلقى مصيره وهي صرخة اليأس على الصليب " ايلي ايلي لما شبقتنى أى الهي الهي لما تركتنى فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا : انه ينادى ايليا ... واما الباقون فقالوا اترك لنرى هل يأتي ايليا يخلصه ".(٢)

هذه نبوءة عيسى عليه السلام السابقة من أن المحاولات ضد قتله ستنتهى بالفشل ، وبرفعه الى السماء(٣) وهذا ما قرره القرآن الكريم منذ آلاف السنين فى قوله تعالى :

(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما)(٤)

أما من التوراة عندنا دليلان على أن قضية الصلب باطلة وليس لها أساس من الصحة :

الدليل الأول : نصت التوراة على رفض الذبائح البشرية كما ورد ذلك فى سفر التكوين :

فى قصة ابراهيم واسماعيل ، مع أن اليهود يقولون أن الذبيح اسحق :

" فلما آتيا الى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين

---

(١) انجيل لوقا / ٢٢ : ٦٦ - ٦٩

(٢) انجيل متى / ٢٧ : ٤٦ - ٤٩

(٣) المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ٢٠٨

(٤) سورة النساء ١٥٧ - ١٥٨

ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم ؟ فقال هأنذا فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا لانى الآن علمت أنك خائف الله ..... ونظر وان كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه ".(١)

وورد أيضا فى اشعياء يحاجج الله العصاة " اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم اصغوا الى شريعة الهنا يا شعب عمورة ، لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر ... لا أسمع أيديكم ملآنة دما ".(٢)

<u>الدليل الثانى</u> : ان قضية الفداء باطلة وليس لها أساس من التوحيد . وذلك لأن الله تعالى لا يمكن أن يعاقب أحدا بذنب غيره كما ورد فى سفر التثنية : (٣)

" لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل انسان بخطيئته يقتل "

وورد أيضا فى حزقيال : " النفس التى تخطىء هى تموت الابن لا يحمل من اثم الآب والآب لا يحمل من اثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون ".(٤)

وفى سفر الأمثال :

" الشرير تأخذه آثامه وبحبال خطيئته يمسك ".(٥)

وهذا أيضا ما قرره القرآن الكريم فى قوله تعالى : (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى).(٦)

وفى قوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ما سعى)(٧)

---

(١) سفر التكوين ٢٢ : عدد ٩ - ١٣
(٢) سفر اشعياء / الاصحاح الأول عدد ١٠ - ١٥
(٣) سفر التثنية ٢٤ : عدد ١٦
(٤) سفر حزقيال / ١٨ : عدد ٢٠
(٥) سفر الأمثال / الاصحاح الخامس عدد ٢٢
(٦) سورة الاسراء / ١٥
(٧) سورة النجم / ٣٩

الفصل الخامس : فى بيان أن النصرانية دعوة خاصة لبنى اسرائيل وأنها ليست دعوة عالميـــة

أشار القرطبى فى كتاب الاعلام وهو يرد على صاحب كتاب تثليث الوحدانية ، أن عيسى عليه السلام بعث برسالة خاصة الى شعب بنى اسرائيل . وقد كان رد القرطبى فى هذه المسألة مقتضبا جدا . لذا فقد أحببت أن أتوسع فى هـــذه المسألة وافرد لها فصلا خاصا ، فجاء هذا الفصل فى نهاية الدراسة كما نرى .

وقد زعم صاحب كتاب تثليث الوحدانية أن رسالة عيسي عليه السلام كانت عامة ، وأنها ليست خاصة لشعب بنى اسرائيل . والسؤال الذى يطرح نفسه فى هـــذا المقام هو :

هل النصرانية حقيقة دعوة عالمية كما يزعم البعض ؟ أم هى دعوة خاصة لبنى اسرائيل ؟ وللاجابة على هذا السؤال نقول :

لقد زعم بعض المسلمين ممن تأثروا بتقليدهم للنصارى أن دعوة عيسي عليه السلام كانت عامة لجميع الأمم . وكان من بين هؤلاء الذين وقعوا فى هذا الفخ الدكتور أحمد حجازى السقا طابع كتاب الاعلام ، حيث أيد عموم رسالة عيسي عليه السلام ، حتى أنه أفرد لهذه المسألة فصلا خاصا فى نهاية كتاب الاعلام المطبوع ، وقـــد وضع لهذا الفصل عنوانا بارزا أطلق عليه " عالمية الملة النصرانية " وقد قال فى نهاية هذا الفصل بعد أن قدم حججه للتدليل على عالمية الديانة النصرانية :

" وضح لنا أن مبادىء النصرانية : مبدأين اثنين ، ثم وضحت لنا عالمية دعوتهم" (١)

* جلّ ما يعتمد عليه النصارى وبعض السذج من المسلمين ممن اغتروا وتأثروا بالنصارى ، من أن دعوتهم عالمية ، هو ما ورد فى انجيل متى :

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس". (٢)

---

(١) أنظر كتاب الاعلام المطبوع للقرطبى / ٤٩٨

(٢) انجيل متى / ٢٨ : ١٩

ويرد على من يستند الى هذه العبارة على عموم رسالة المسيح بما يلى : يقول المهندس أحمد عبد الوهاب (١) :

" ان هذه الخاتمة لانجيل متى يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة عليه " ويرجع السبب فى ذلك الشك كما يقول أدولف هرنك الى الآتى :

١ - لم يرد الا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .

٢ - ان صيغة التثليث هذه (التى تتكلم عن الآب والابن والروح القدس) غريب ذكرها على لسان المسيح ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل - وهو الشيء الذى كانت تبقى جديرة به - لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا ".

ولهذا فان عبارة (تلمذوا جميع الأمم) لم ترد عن عيسى طيلة حياته قط ، كما أنه لم يسمعها منه تلاميذه طيلة حياته التى عاشها على الأرض . وان زعموا أنها صدرت منه بعد القتل والصلب فتكون من قبيل الرؤى والأحلام والأوهام ، مما يدعو الى الشك فيها ، وعدم نسبتها الى عيسى عليه السلام (٢).

هذه العبارة التى يستدل بها هؤلاء على عالمية الملة النصرانية ويستشهدون أيضا بأقوال بولس الذى أفاض فى شرح هذه المسألة فى رسائله .

ويعتبر بولس أول من زعم وادعى بأن النصرانية ديانة عالمية وليست خاصة لبنى اسرائيل . ولهذا ركز كثيرا فى رسائله على هذه المسألة ، كما يقول فى رسالته لأهل رومية :

" يسوع المسيح ربنا الذى به لأجل اسمه قبلنا نعمة ورسالة لاطاعة الايمان فى جميع الأمم " (٣).

---

(١) انظر المسيح فى مصادر العقائد المسيحية / ٦١
(٢) انظر النصرانية والاسلام / للطهطاوى ٢٩٣
(٣) رومية / الاصحاح الأول : ٥

ويقول أيضا فى نفس الرسالة :

" ليكون لى ثمر فيكم أيضا كما فى سائر الأمم انى مديون لليونانيين والبرابرة ، للحكماء والجهلاء . . . . لاني لست أستحي بانجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى ".(١)

ويقول أيضا فى رسالته لأهل غلاطية :

" لأنكم جميعا أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع ، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد فى المسيح ".(٢)

وبهذا يظهر لنا أن بولس يزعم بأن رسالة المسيح عالمية بل هو أول من قال بها فان هذه المسألة لم يدعيها أحد قط قبل أن يدعيها بولس.

ويرى كتّاب النصارى أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يفهموا هـذه الحقيقة حتى زعمها بولس كما يقول الطهطاوى نقلا عن وليم باتون (٣) مانصه :

" ولم يفقه التلاميذ الأولون فى بادىء الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت الى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية ، وعرف أنها لليهودى والأممى والبربرى واليونانى والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تمييز ". ا. هـ .

والواقع أنه ليس لبولس أى دليل على ما يقول بعد أن هدمنا تلك العبارة التى يستند اليها النصارى فى عموم رسالة المسيح . وأن ما أورده بولس فى رسائله انما هى مجرد أوهام من بنات أفكاره . وقد اضطر بولس أن يدخل فى الديانة النصرانية تعاليم أخرى ، تزيل الهوة بين ديانات بنى اسرائيل وأفكار الأمم المختلفة ،

---

(١) رسالة بولس لأهل رومية / الاصحاح الأول ١٣ - ١٦

(٢) غلاطية / الاصحاح الثالث ٢٦ - ٢٨

(٣) انظر أديان العالم الكبرى ترجمة حبيب سعد ١١٧ نقلا عن النصرانية والاسلام ٢٩٥

الذين فتح لهم باب المسيحية ، وخاصة من الوثنيين واليونانيين والأوربيين واتباع ديانة متراس . ولهذا نقل بولس عقائد كثيرة لها صلة بديانات هذه الأمم وهي بعيدة كل البعد عن تعاليم المسيح الحقيقية ، مثل القول بالتثليث ، وعقيدة الكفارة والصلبوغير ذلك مما أدى الى تشجيع الغربيين في الدخول في دين بولس.(١)

ونعود مرة ثانية الى جوهر السوءال الذى طرحناه في البداية ، هل دعوة المسيح عليه السلام كانت الى العالم أجمع كما يزعم النصارى ؟ أم أنها كانت قاصرة على شعب اليهود ؟

ان المتتبع للأناجيل يجد أن دعوة المسيح عليه السلام قاصرة على شعب اليهود فقط ، بل ان البشارة بمجيئه قبل مولده تشير الى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط.(٢)

وأكبر دليل على ذلك ما ورد في انجيل متى :

" وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين روساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل ".(٣)

وكذلك عند بشارة الملاك لمريم العذراء ، أخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب :

" وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية ".(٤)

ثم ان يسوع المسيح لما بدأ في الدعوة الى الايمان برسالته أعلن أنها قاصرة على بني اسرائيل ، كما يذكرون في انجيل متى على لسان المسيح عليه السلام :

---

(١) بتصرف عن النصرانية والاسلام للطهطاوى ٢٩٦
(٢) انظر النصرانية والاسلام ٢٨٩
(٣) انجيل متى / الاصحاح الثاني : ٦
(٤) انجيل لوقا / الاصحاح الأول : ٣١ - ٣٣

" فأجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة ".(١)

كما أن عيسى عليه السلام أكد بأن رسالته خاصة لبنى اسرائيل عندما أرسل تلاميذه لينشروا دعوته بين اليهود ، وليعاونوه فى تبليغ رسالته . فيكرر لهم الوصية بأن يقصروا الدعوة على اليهود ، ويحذرهم من دخول مدن الأمم والشعوب الأخرى ، ولو كانوا جيران اليهود .(٢)

وقد ذكروا هذا فى انجيل متى :

" الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بنى اسرائيل الضالة ".(٣)

كما أكد ذلك أيضا انجيل برنابا الذى قال :

" وقد أقامنى الله نبيا على بيت اسرائيل لأجل الضعفاء ".(٤)

مما تقدم يظهر لنا أن نصوص الأناجيل قد قصرت دعوة عيسى على بنى اسرائيل ، وهداية الضالين منهم . أما باقى الأمم والشعوب وسائر الأجناس والألوان ، فلا شأن لرسالة عيسى بهم ، ولا علاقة بينها وبينهم ولهذا فان رسالة عيسى انما جاءت لتخاطب ابناء بنى اسرائيل ، وليس من حق أحد غير الاسرائيليين اعتناق الرسالة العيسوية ، أو السير على نهجها ، ومن يفعل ذلك فقد خالف تعاليم المسيح نفسها .(٥)

ثم يأتى من بعد عيسى عليه السلام خليفته بطرس فيؤكد لليهود أن عيسى ما جاء الا لخلاص بنى اسرائيل وأن رسالته قد اقتصرت على أبناء اسرائيل .(٦)

" الكلمة التى أرسلها الى بنى اسرائيل يبشر بالسلام يسوع المسيح ".(٧)

---

(١) انجيل متى ١٥ : ٢٤
(٢) انظر المسيح انسان أم اله ١٢٧
(٣) انجيل متى الاصحاح العاشر : ٥ - ٦
(٤) انجيل برنابا ٥٢ : ٣
(٥) انظر المسيح انسان ام اله ١٢٨
(٦) المرجع السابق ١٣٢
(٧) سفر اعمال الرسل / الاصحاح العاشر : ٣٦

هذا ما ورد في الانجيل يعضد ما ذهبنا اليه من القول بخصوص رسالة المسيح وأنها لشعب بني اسرائيل فقط . ولم تكن هذه الرسالة في يوم من الأيام دعوة عالمية .

بل ان القرآن الكريم ليؤكد ما ذهبنا اليه من أن عيسى عليه السلام انما بعث لبني اسرائيل ، كما جاء في قوله تعالى :

(واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (١)

ان الله تعالى كان يبعث كل رسول الى قومه ، حتى كانت بعثة المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله هاديا لجميع الأمم ، ومبشرا ونذيرا الى كافة الشعوب ، ورحمة للعالمين ، الأبيض والأسود ، والأصفر والأحمر ، والعربي والأعجمي والرومي والفارسي . (٢)

ولهذا قال تعالى في القرآن الكريم :

(قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض) (٣)

وقال أيضا : (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (٤)

وقال تعالى : (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) . (٥)

---

(١) سورة الصف / ٦

(٢) بتصرف عن المسيح انسان ام اله / د . محمد مرجان ١٣٤

(٣) سورة الاعراف / ١٥٨

(٤) سورة سبأ ٢٨

(٥) سورة الأنبياء ١٠٧

الجانب الثاني

جانب التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)
(رب يسر واعن يا الله)

/ الحمد لله الذى من علينا بتوحيده ، وجعلنا من أفضل عبيده ، الذى جنبنا (١)
الاهواء المذلة (٢) والآراء المعتله (٣) ، أرانا الحق اذ هدانا لبرهانه ودليله ، وأظهر لنا الباطل وتفضل علينا بالعدول عن سبيله ، نحمده بمحامده التى لا تحصى ، ونشكره على الآئه (٤) التى لم تزل تترى ، ونسئله (٥) الصلاة على نخبه (٦) من كافة الورى أنبيائه ورسله أئمة الهدى . ، وخصوصا المبعوث الى الثقلين (٧) ، المفضل على العالمين ، المؤيد بالآيات الصادقة (٨) ، والبراهين القاطعة . موضح الحق بواضحات الدلائل ، ومزهق الكفر والباطل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وعلى جميع النبيين والمرسلين ، ورضى الله عن خلفائه الراشدين ، وعن صحابته أجمعين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد . (فانى) (٩) قد (١٠) وقفت وفقك الله على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين

---

(١) فى " ب " . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وفى "ج" (وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد)

(٢) فى " ب " وج (المضلة)

(٣) فى "ب" (وأرانا)

(٤) الآئه : الالاء : النعم (أنظر فتح القدير/ للشوكانى ٥/ ١٣٣)

(٥) فى "ب" (وأسأله)

(٦) النخب : البرهان (ترتيب القاموس المحيط ٤/ ٣٣٤- ط٢)
وفى "ب" (نخبته)

(٧) الثقلين : هما الجن والانس وبهذا قال الجمهور من المفسرين (انظر فتح القدير ٥/ ١٣٣)

(٨) فى "ب" وج (الصادعة)

(٩) سقطت من " أ " وقد ألحقت من "ب" وهى ليست فى " ج "

(١٠) فى " أ " (فقد) وكذلك فى " ج "

الملة النصرانية ، سماه كتاب تثليث الوحدانية ، بعث به من طليطلة (١) أعادها الله الى مدينة قرطبة (٢) حرسها الله ، متعرضا فيه لدين المسلمين ، نائلا فيه من عصابة الحق (٣) الموحدين ، سائلا عما لا يعنيه ، ومتكلما بما لا يدريه ، فأمعنت النظر فيه فاذا بالمتكلم يسرف بما لا يعرف (٤) ، وينطق بما لا يحقق ، تناقض (٥) ولم يشعر ، وعمى من حيث يظن أنه يستبصر (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل (٦) هم أضل سبيلا (٧)) يلحن اذا كتب ، ويعجم (٨) متى أعرب ، وذى خطل (٩) في القول يحسب أنه مصيب فما يلملم (١٠) به فهو قائله ، دل بقوله على ضعف عقله ، وبمكاتبته على سوء محاولته ، تعاطى درجة النظار وسود باباطيله (ذلك) (١١) الطومار (١٢) ، ليستزل به الأغبياء الأغمار (١٣) ويحصل بذلك على مأكله شنار (١٤) .

---

(١) وهى مدينة فى الأندلس ، وهى مركز لجميع بلاد الأندلس ، استولى عليها النصارى فى منتصف محرم سنة ٤٧٨ هـ (أنظر صفة جزيرة الأندلس لأبى عبد الله الحميرى ١٣٠ - ١٣٥)

(٢) قرطبة : قاعدة الأندلس ومستقر خلافة الأمويين وآثارهم بها ظاهرة ، تغلب عليها النصارى وحكموها فى آواخر شوال سنة ٦٣٣ هـ (صفة جزيرة الأندلس ١٥٣)

(٣) فى " ب " (الله) وكذلك فى " ج " .

(٤) وأصل المثل : لا تهرف بما لا تعرف " يقال ذلك للرجل يكثر القول فى وصفه الشىء والهرف : الاطناب (مجمع الأمثال للميدانى ٢/٢١٩)(وانظر جمهرة الأمثال للعسكرى ٢/٣٧٨)

(٥) فى " أ " وج (ناقض)

(٦) ساقطة من " أ "

(٧) سورة الفرقان ٤٤

(٨) يعجم : الأعجمى : الذى لا يفصح وكل من لم يقدر على الكلام فهو أعجم .
(معجم مقاييس اللغة ٤/٢٤٠ ط ٢

(٩) الخطل : المنطق الفاسد (النهاية لابن الأثير ٢/٥٠)

(١٠) يلملم : من اللم أى يقرب ويجمع (القاموس المحيط ٤/١٧٩)وفى "ب"يلمم

(١١) ساقطه من " ب "

(١٢) الطومار : الصحيفة (القاموس المحيط ٢/٨١)

(١٣) الاغمار : من الغمر بفتح الغين وسكون الميم : الكثير (النهاية لابن الأثير ٣/٤٢٧)

(١٤) الشنار : العيب (لسان العرب ١٣/٢٤٤)

(فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)(١) وليته اذا ادعى النظر (سلك)(٢) طريقه والتزم شروطه ، فاعترف بالبدهيات(٣) ، ولم ينكر الضروريات ، التى هى أصول النظريات ، ولكن حل من عنقه ربقة العقول فهو فى كل جهالة يجول ، واليها يدعو وبها يقول . فليته لو دفن من عواره ما كان مستورا(٤) ، ولكن كان ذلك عليه فى الكتاب مسطورا .

وان لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل(٥)

فاستغرت الله تعالى فى جوابه على تغليط معانيه وتشبيج(٦) خطابه . بعد أن أقول له : اعلم يا هذا(٧) أن البغاث بأرضنا لا تستنسر(٨) ، والتميز عندنا بين الفضة والقصة متيسر ، وها آنا ان شاء الله تعالى(٩) أجاوبك على ما كتب حرفا حرفا ، وأبين فساده الذى لا يكاد يخفى ، على أنهم لو فتح عليهم بابا من السماء فظلوا(١٠) فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)(١١) .

---

(١) سورة البقرة ٧٩
(٢) فى " ج " (سنها)
(٣) فى " ب " (بالبديهات) وما أثبتناه هو الصحيح لأننا نقول بدهي ولا نقول بديهي
(٤) فى " أ " مسطورا وكذلك فى " ج "
(٥) هذا البيت لطرفة بن العبد كما فى ديوانه صفحه ٨٥
(٦) فى " ب " (تكبيح)
(٧) كلمة (ياهذا) ساقطة من " ب "
(٨) واصل المثل (ان البغاث بأرضنا يستنسر) والمعنى أن الطير التى تصاد تستنسر فى بلادنا فلا يقدر على صيدها (كتاب الأمثال لابن سلام ٩٣)
(٩) كلمة تعالى ساقطة من "ب"
(١٠) فى "ب" لظلوا)
(١١) اقتباس من قول الله تعالى فى سورة الحجر (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) الحجر / ١٤-١٥ .

كيف لا(١) وقد ركبوا من استحالة الاتحاد والتثليث والحلول ، ما يدرك فساده بضرورة العقول . وقد قالوا في الأب والابن والأقانيم ، ما يمجه بفطرته الأولى كل ذى فهم مستقيم ، ولا يتسع لقبوله قلب(٢) ذى عقل سليم .

/ ومن كان اللحين له لسانا   فكل جداله زور ونكر (٢)

فكل مقالهم افك وزيغ   ونصّ كتابهم شرك وكفر.(٣)

ومن أعظم ما ظهر عليهم من الفساد(٤) ، فصرفوا لذلك عن التوفيق والرشاد ، إنكارهم ما يدل على نبوة نبينا من المعجزات ، وواضح(٥) الدلالات ، وقد قاربت الضرورات حتى أنكروا ما جاء في كتبهم من الاعلام على نبوته ، وايجاب اتباع شريعته ، فلقد كانوا يجدونه مكتوبا عندهم(٦) ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم(٧) ، وسأذكر ان شاء الله تعالى(٨) ما وقع في أناجيلهم من وصفه ، وصحيح نعته ، ولما تبين للعقلاء عنادهم ، سقط لذلك ارشادهم ، ووجب حملهم على السيف وجهادهم ،

---

(١) في "أ" فكيف

(٢) في "ب" (لب)

(٣) لم أعثر على قائلها ولعلها من قول المؤلف .

(٤) في "ب" و "ج" (العناد)

(٥) في "ب" (واوضح)

(٦) كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الاعراف ١٥٧

(٧) اقتباس من قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذى خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون الانعام ٢٠

(٨) كلمة تعالى ليست في "ب" ولا "ج"

فقد يفعل الله بالسيف والسنان ، ما لا يفعل بالبرهان ، ومن كلام الحكمة (١) " يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن (٢) " (٣) ، فاعرض العقلاء عنهم واكتفوا من الرد عليهم بحكاية مذهبهم ووكلوا الناظر فيه لظهور تناقضه وفساد معانيه ، وقد كنت عزمت على الاقتداء بالعقلاء في الأعراض ، حتى أكثر هذا (٤) المتكلم من التعرض والاعتراض ، فتعين لذلك الجواب ، وأنا أسأل الله التوفيق (للصواب ، ومجانبة الخطأ وما يوجب العتاب ، انه ولى التوفيق) (٥) وهو باجابة السائلين حقيق .

---

(١) فى "ب" (الحكماء)

(٢) يزع : وزعه اذا كفه ومنعه (النهاية / ابن الأثير ٥ / ١٨٠)

(٣) وقد أورده ابن كثير بلفظ (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) على أنه حديث عند تفسير قوله تعالى (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا)الاسراء ٨٠ والصحيح أنه ليس مرفوعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (تفسير القرآن العظيم ٥ / ١٠٩) والمشهور أن هذا القول ينسب الى عثمان بن عفان رضى الله عنه (مجمع الأمثال للميدانى / ٢ / ٤٥٣) وذكره القرطبى فقال : روى ابن القاسم قال : حدثنا مالك أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يقول (ما يزع الامام أكثر مما يزع القرآن) ذكره أبو عمر رحمه الله (انظر تفسير القرطبى ٣ / ٢٣٢٢ طبع دار الشعب)

(٤) كلمة (هذا) ساقطة من (ب)

(٥) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "ب"

فصل (فى بيان منهج المؤلف فى الرد على صاحب كتاب تثليث الوحدانية)

اعلم يا(١) هذا المنتسب لدين المسيح أنى أجاوبك ان شاء الله تعالى(٢) بمنطق عربى فصيح اسلك فيه مسلك الانصاف ، واترك طريق التعصب والاعتساف . على أن كلامك لا يستحق الاصغاء اليه ، ولا الجواب عنه لا(لكونك)(٣) لا تحسن(٤) السؤال ولا تعرف ترتيب المقال ، بل تقول ما لا تفهم ، وتكتفى بانك تتكلم . ولكون كلامك هذا كثير الغلط ، ظاهر التناقض والشطط ، وأنت مع ذلك لا تعرف مذاهب النصارى المتقدمين ، الذين(٥) كانوا بنوع نظر متمسكين ، وان كانوا عن مذهب الحق ناكبين حتى أنهم لو سمعوا كثيرا مما ذكرته لتبرؤا عنه(٦) ، ولأنفوا منه ، اذ لا ينسب أكثر ذلك الى من تكايس منهم ، ولا يرون بحال عنهم ، على أنهم فى أصول عقائدهم مختلفون ، وفى ورطة الجهل مرتبكون(٧) ، وسيتبين لك ذلك كله ان شاء الله تعالى . ولما تبين ذلك منك(٨) ، اعرض المسلمون عن جوابك(٩) ، ونزهوا أنفسهم عن خطابك(١٠) . اذ الاعراض عن الجاهلين ، شرعة رب العالمين على لسان

---

(١) فى " ج " (لتعلم)

(٢) كلمة تعالى ليست فى " ب " ولا فى " ج "

(٣) ألحقت بهامش المخطوط " أ "

(٤) فى " ج " (تستحق)

(٥) كلمة (الذين) سقطت من " ب "

(٦) فى " ب " (لنكبوا)

(٧) فى " أ " و " ج " (مرتكبون)

(٨) فى " ج " (منه)

(٩) فى " ج " (جوابه)

(١٠) فى " ج " (خطابه)

سيد المرسلين (١) . وأيضا فمن لم يعرف شروط النظر ، ولم يسلك مسالك البحث والعبر ، فالكلام معه (ضرب) (٢) في حديد بارد (٣) ، وعمل ليس له جدوى ولا عائد . ولما أعرضوا عنك لجهالتك ، تبجحت بذلك عند عصابتك ، فظننت أن سكوتنا عنك انما هو لرهبة منك ، حتى لقد أبلغنا (٤) عنك نكرا وقلت في كتابك هذا فحشا وهجرا فنحن واياك كما قال القائل (٥) :

(٦)
سكت عن السفيه فظن أني // (عييت عن الجواب وما عييت)

فعظم هذا الأمر علّي حين نمى خبره اليّ ، مع أنه رغب الى في ذلك جماعة من الاخوان ، فصار ذلك عليّ كأنه من فروض الأعيان (٧) ، فاغتنمتها فرصة ، وسررت بها قصة ، لعلمي أن النكاية في العدو بالبرهان واللسان أوقع من نكاية السيف (٣)
والسنان . والرجاء من مالك الدارين (٨) ، الجمع بين الأمرين ، واحراز أجر العملين .

---

(١) كما ورد في قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) الأعراف /١٩٩
(٢) ألحقت بهامش المخطوط " أ "
(٣) وأصل المثل (تضرب في حديد بارد) (أنظر كتاب الأمثال لابن سلام ٢٤٦)
وأصل هذا شطر بيت شعر قاله الكسائي والأصمعي :
منتك نفسك أن تكون خليفة * هيهات تضرب في حديد بارد
(مجمع الأمثال للميداني ١٢٥/١)
(٤) في "ب" (بلغنّا)
(٥) كلمة (القائل) سقطت من " أ " و " ج "
(٦) في "ب" (عييت وما عييت من الجواب) وقائل هذا البيت هو عمرو بن علي
(انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٤٦)
(٧) في "ب" (فرض من الأعيان)
(٨) يقصد الدنيا والآخرة .

على أنى لا أتعرضهم (بقزع) (١) السباب ولا أنزل معهم الى اعتذار وعتاب ،وانما (٢) هو اظهار جهلهم ، وتناقض مذهبهم وقولهم . فاذكر كلام هذا (٣) السائل كما بلغني ، وابين من خطابه وتناقضه ، ما شاء الله أن يفهمني ، فأناقشه في لفظه ، وأظهر سوء نقله وحفظه ، فتارة أسأله ، وأخرى أجاوبه ليعلم أن الناقد بصير والباحث خبير ، وليتبين عيبه وجهله للكبير والصغير ، ثم من بعد الفراغ من تتبع كلامه أعطف بالمناظرة على أقسّته ورهبانه ، فأحكى مذاهبهم كما دونوها في كتبهم ، وعلى ما تلقوها من أساقفتهم ثم أسير بها على محك العرض ، وأبين بعض ما فيها من الفساد والنقض ، وما توفيقى الا بالله وهو حسبى ونعم الوكيل .

وقد استخرت الله تعالى (٤) فى أن أجعل هذا الكتاب غير مقصور على جواب هذا

---

(١) قزع المنطق : أى تعدى له فى القول (القاموس المحيط ٣/ ٧٠)

(٢) فى "ب" (فانما)

(٣) كلمة " هذا " ساقطة من "ب"

(٤) وهو من الأمثال العربية قال يونس بن حبيب : هو استفعلت من الخير أى سألته أن يوفق لى خير الأشياء التى أقصدها (كتاب الأمثال للضبى ١١٥)
وحديث الاستخارة حديث صحيح مشهور رواه البخارى عن جابر رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كالسورة من القرآن ، اذا هم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول : اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاقدره لى وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به ويسمي حاجته ". (صحيح البخارى بشرح الكرمانى ٢٢/ ١٦٩- ١٧٠ - كتاب الدعاء . باب الدعاء عند الاستخارة)

السائل ، بل أضمنه (١) زائدا على ذلك (٢) فصولا (٣) من عقائدهم ، وجملا من أحكامهم ، وأتكلم معهم فيها حسب ما أمكن وأعان الله عليه وتبين . ولذلك اشتمل هـــذا الكتاب على صدر وأربعة أبواب :

الباب الأول : فى الكلام على الأقانيم

الباب الثانى : فى الاتحاد والحلول

الباب الثالث : فى الكلام على النبوات واثبات نبوة نبينا عليه أفضل (٤) الصلاة والسلام .

الباب (٥) الرابع : فى جمل من فروع أحكامهم أبين فيها أنهم ليس لهم فـــى أحكامهم مستند الا محض الهوى والتحكم واللدد (٦) .

وكل باب من هذه الأبواب يتضمن فصولا ، وأنا أسأل الله تعالى (٧) أن يطلق ألسنتنا بالحق والحكمة ، ويحرسها عن الباطل والفتنة ، انه ذو الفضل والنعمة ، والعفو والرحمة .

---

(١) فى " ج " (أضيفه)

(٢) كلمة ذلك ساقطة من " ب "

(٣) فى " ب " فصول

(٤) كلمة أفضل ساقطة من " أ "

(٥) كلمة الباب فى الأبواب الثانى والثالث والرابع ساقطه من " ب " و " ج " .

(٦) اللدد : العداوة والبغضاء .

(٧) كلمة (تعالى) ليست فى " ب " و " ج " .

صـــدر الكتـــاب

نذكر في هذا الصدر كلام هذا السائل في خطبة كتابه والجواب عليهما ان شاء الله تعالى .

فصل في حكاية كلام السائل في خطبة كتابـــه

قال كتاب تثليث الوحدانية في معرفة الله : ثم قال : " الحمد لله بالغ القوى ، التي فطرنا عليها ، وأمرنا بحمده فنحن نحمده ونشكره ونعظمه ، بمثل (١) تعارفنا في الحمد والشكر والتعظيم لملوكنا ، وأهل الرهبة من ذوي السلطان منا فرضا له شاكرين حامدين ، معظمين ، غير واقفين على ذاته ، ولا مدركين لشيء منه ، وانما نقع على أسماء أفعاله في خليقته ، وتدبيره في ربوبيته ". ا . هـ

---

(١) في ب " مثل ".

الجـــواب عـــن ترجمتـــــه

أما قوله تثليث الوحدانية (١)، فكلام متناقض لفظا وفاسد معنى ، بيان ذلك أن قوله تثليث الوحدانية ، كلام مركب من مضاف ومضاف اليه ، ولا يفهم المضـاف ما لم يفهم المضاف اليه . فأقول لفظ الوحدانية مأخوذ من الوحدة ، ومعناها (٢) راجع الى نفي التعدد والكثرة ، فهي اذا من أسماء (٣) السلوب فاذا وصفنا بهـا موجودا ، فقد نفينا عنه التعدد والكثرة ، والتثليث معناه : تعدد وكثرة فـاذا أضاف هذا القائل التثليث للوحدة فكأنه قال تكثير ما لا يتكثر وتكثير ما لا يتكثـر باطل بالضرورة فأول كلمة / تكلم بها هذا السائل متناقضة وباطلة (٤) بالضرورة . (٤)

وأما قوله في معرفة الله ، فقول لم تحط بمعناه ولا فهم مسماه ، والا فما حـدّ المعرفة ؟ وكم أقسامها ؟ وهل يصح أن تكون مكتسبة لنا ؟ وهل يجوز عقـلا أن يكلفنا بها الأنبياء ؟ وان جاز ذلك فما طريق تحصيلها ؟ ثم هوّل بهذا اللفظ وأوهم أنه حصل منها على حظ ، فان كان دليلك يا هذا على معرفة اللـه تعالى ما ضمنته كتابك ، فابك على ما أصابك ، واقرع (٥) أسفا على عقلك نابك . فان الواقف على معناه المتفهم (٦) لفحواه ، يعلم على القطع والقط ، أنك لم تعرف الله تعالى (٧) قط ، لأنك لم تذكر فيه دليلا صحيحا ، نعم ولا قولا فصيحا . وان كان لك دليل آخر على معرفة الله تعالى لم تذكره هنا فهذه ترجمة بلا معنى واسـم يهول بلا مسمى (٧) :

---

(١) في ب " التوحيد "
(٢) في ب سقطت الواو من كلمة (ومعناها)
(٣) ساقطة من " أ "
(٤) في ب " مناقضة باطلة "
(٥) في " أ " و " ج " (وافزع)
(٦) في ب " للتفهم "
(٧) كلمة تعال ليست في " ج "
(٧) وردت في ب كلمة (بيت) وليس لوجودها هنا معنى وهي ساقطة من " أ "

كلامك يا هذا كفارغ حمص خلى من المعنى ولكن يجعجع (١)

ثم نظم هذه الترجمة على ما أبديناه من التناقض ، أن يقال : تكثير ما لا يتكثر فى معرفة الله . وأى رابط لهذا الكلام ؟ وهل هذا (الا) (٢) ضحكة الخاص والعام ؟ وعار لم يصل اليه أحد من عقلاء الآنام . ثم بعد ذلك شرع هذا القائل فى (٣) الخطابة وضعة الكتابة ، فسحب على سحبان (٤) ثوب النسيان (٥) ، وانسى ابان كل ما أبان (٦) ، وصير فصيح وائل أعيان من باقل (٧) فقال : الحمد لله بالغ القوى التى (٨) فطرنا عليها ، فيا للعجب ولضيعة (٩) الدين والأدب !!

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت (الجائع العارى) (١٠)

---

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت وربما يكون من كلام المؤلف

(٢) ألحقت بهامش المخطوط

(٣) فى "ب" (يصير)

(٤) وهو سحبان وائل بن زفر بن اياس من باهلة خطيب مفصح يضرب به المثل فى البيان أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم ، مات سنة أربع وخمسين . (انظر رسالة سرح العيون لابن نباته ١٤٦) .

(٥) وأصل هذا المثل (أخطب من سحبان وائل) وانطق من سحبان وكان من أعظم خطباء باهلة ومن فصحاء العرب وبلغائهم (مجمع الأمثال للميدانى ٢٤٩/١) وجمهرة الأمثال للعسكرى (٢٤٨/١)

(٦) أبان : جبل وقد أورد العسكرى مثلا يقول أرزن من أبان) أى أثقل من جبل أبان . ولم أعثر على كلمة أبان فى الأمثال الا فى هذا الموضع .

(جمهرة الأمثال ٥٠٠/١)

(٧) وأصل هذا المثل (انه لأعيا من باقل) قال أبو عبيد وهو رجل من ربيعة وكان غبيا وقيل عييا ، وقيل هو رجل أكثر من الطعام حتى منعه ذلك من الكلام . (كتاب الأمثال لابن سلام ٣٦٨)

(٨) فى "ب" (الذى)

(٩) فى "ب" (وضيعة)

(١٠) هذا البيت للحطيئة . والمشهور فى البيت (الطاعم الكاسي) بدلا من الجائع العارى . ويبدو أن المؤلف قصد من هذا ذم الرجل الذى يرد عليه .

(انظر ديوان الحطيئة ٢٨٤)

أما قوله الحمد لله فكلام حق ، ومقال صدق عند من عرف معناه ، وفهم فحواه ، وأما عندك فكلام سمعته وما وعيته ، وكيف تعيه أو تطمع في أنك تدريه ، وأنت بمعزل عن اللسان عري عن تحصيل شرائط البرهان . دليل ذلك أن الحمد لله يتوجه عليه أسؤله (١) وأنت لا تهتدي لفهمها فكيف لحلها ؟ منها لفظية ، ومنها معنوية ، فأولها ما حده والى ماذا يرجع ؟ وما الفرق بينه وبين الشكر ؟ وهل هو في هذا الموضع عام أم لا ؟ وهل يصح (أن يطلق) (٢) على غير الله تعالى (٣) ؟ وان أطلق فهل بالحقيقة أم بالمجاز ؟ وعلى أي وجه (٤) يضاف الى الله تعالى ؟ على جهة الملك أو على جهة الاستحقاق ؟ أو غيرها من أنواع الاضافة ؟ ولأي شيء يوضع في أوائل الكتب ولا يكتفي عنه بالبسملة (٥) ؟

وأما قولك بالغ القوى فكلام مختل ، صدر عمن لم يحصل تنزيل مفهومه على فائدة ان المتكلم به (٦) ؛ عمل بالغ (٧) موضع مبلغ ، ثم يذهب بمبلغ الى معنى خالق . والعرب الذين تكلم هذا السائل بكلامهم ، وتعاطى مفهوم (٨) خطابهم . لا يكون بالغ (٩) في معنى خالق ، لتباين اللفظين ، واختلاف المفهومين .

---

(١) في " أ " لا سؤله وكلمة عليه ساقطه من " أ "

(٢) ألحقت بهامش المخطوط

(٣) ليست في " أ "

(٤) في أ " وجهه "

(٥) في " أ " و " ج " (التسمية)

(٦) أي ما ورد من كلام السائل في صدر هذا الكتاب .

(٧) في ب وج " يجعل "

(٨) في ب " على مفهوم "

(٩) في ب " لا يتكلمون ببالغ "

ومعنى الخلق المشهور عندهم ، اختراع ما لم يكن . والابلاغ : هو ايصال كائن الى غاية ما ، فان(١) أنكر هذا المتكلم أن يكون أراد هذا ، فقد شهد على نفسه بالغلط ، واعترف بأن كلامه من أرذل السقط ، ثم أضاف بالغ الى القوى :-

والقوى : جمع قوة وهى القدرة والشدة فان كنت تريد هذا فاى فائدة للفظك ؟ وأى لطيفه لقولك التى فطرنا عليها ؟ وفى الثيران والاباعير والحمير ، ممن هو أشد منك وأقوى ، فقد فضلها عليك ، حيث أبلغها من الشدة أكثر مما أبلغك.

ولقد كان ينبغى لك يا هذا - أن تذكر من نعم الله عليك ، النعمة الخاصة بالانسان ، وهو المعنى الذى به(٢) تميز / عن أصناف الحيوان . (٥)

ثم من عجيب أمر هذا السائل ، وأدل دليل على بلادته وجهله ، أن هذه الخطبة التى صّدر بها كتابه ، على ما هى عليه من تشبيج النظم ، وعدم الفصاحة ، انما نقلها نقلا من رسالة عبد الرحمن بن غصن ختن شبيب(٣) ، التى كان أساقفة النصارى ، كتبوا بها الى الامام الزاهد أبى مروان(٤) بن مسره(٥) ، ونسبوها لعبد الرحمن ، وكانوا قد اجتمعوا على كتابتها بطليطلة أعادها الله ، فلما كتبوها بعثوا بها للقاضى أبى مروان بن مسرة(٦) . فبعد أن بذلوا جدّهم(٧) وأجهدوا جهدّهم ، كتبوا له رسالة مفتتحها هذه الخطبة ، فى بطاقة صغيرة(٨) عدد أسطارها نحوا

---

(١) فى أ " فاذا "

(٢) كلمة به " ساقطة "فى " ب " .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) فى " ب " (ابن مهرة)

(٦) فى " ب " (مهـــرة)

(٧) فى " ب " (جهدهم)

(٨) فى " أ " (منيرة)

من ثلاثين ، لحنوا فيها وصحفوا فى تسعة وعشرين موضعا منها . ومع ذلك فاخّلوا (١) بالكلام ، ولم يتحصل لهم من سؤالهم (٢) مطلب ولا مرام . فأجابهم الامام القاضى (٣) رحمه الله وأحسن فى الجواب ، وأظهر لهم جهلهم وتبلدهم فى ذلك الكتاب .

فلو كان هذا السائل عارفا بمصالحه ، مميزا بين محاسنه ومقابحه ، لاكتفى بافحام أساقفته المتقدمة ، وعثرته الجاهلة المصمّمة ، ولكان ستر ظاهر خطابهم ، وركيك كلامهم . ولكن أراد الله تجديد ما قدم لهم من الفضيحة ، بمقالة صابية صحيحة . ثم ليته اذ نقل الى (٤) كتابة كلامهم لم يفسد المعنى ، ولم يغير اللفظ . بل غيّره تغييرا يدل على عدم الهجاء ، وقلة الحفظ ، فقال " الحمد لله بالغ القوى " ، انما قال أخباره فى كتابهم المتقدم الذكر الذى نقل هو منه (٥) الحمد لله بالغ القوى ، وبين مفهوم كلامه وكلامهم ما بين القرن والقدم ، وما بين فصاحة العرب ورطانة العجم .

وأما قولك وأمرنا بحمده ، فقول لا تعرف حقيقته ، ولا تسلك طريقته ، حتى تعرف ان كان الله تعالى آمرا أم لا ، وان كان آمرا فما حقيقة أمره ؟ والى ماذا يرجع؟ وهل هو قديم أو حادث (٦) ؟

الى أسئلة كثيرة ، لا تعرف أنك مأمور من جهة الله تعالى ، حتى تعرفها ، فأعد للمسائل جوابا ، وللسائل خطابا أما قوله فنحن نحمده ونشكره ونعظمه بمثل تعارفنا فى الحمد والشكر ، فكلام يدور على اللسان ، ولم يستقر (٧) لك شئ منه

---

(١) فى " ب " (تخلص)
(٢) فى " أ " و " ج " (سواهم)
(٣) سقطت من " ب "
(٤) كلمه الى ساقطة من " ب "
(٥) فى ب " هو منه " وبقية النسخ " منه "
(٦) فى ب " أم "
(٧) فى " ب " (يسفر)

بالجنان (١). وكيف يحمد الله من ينتقصه ؟ وكيف يشكره من يكفره ؟ وهل الحمد والنقصان والشكر والكفران الا أمران متناقضان ؟ . بيان ذلك أنكم تجعلون لله ما تكرهون لأنفسكم ، وتنتقصون به أبناء جنسكم ، هأنتم تكرهون لرهبانكم وأقستكم اتخاذ الزوجة والولد ، لئلا يتلطخ برذيلة مجرى البول ودم الحيض ، وتشبيه نسبة الزوجة والولد . ثم أنكم بجهالتكم تزعمون (أن اللاهوت (٢)) تدرع بناسوت المسيح ، وسكن في ظلمة الرحم مدة (٣) ، ثم خرج على مجرى البول ودم الحيض ، وتعلقت (به) (٤) نسبة الولد والزوجة ، وأنتم (٥) تجعلون لله ما تكرهون وتصف ألسنتكم الكذب لا جرم أن لكم النار وانكم مفرطون (٦) !

وكيف يعظمه من يعبد غيره ، ويعظم سواه (٧) ويخالفه في أمره ويرتكب ما نهاه ؟ وهاأنتم قد اتخذتم المسيح الها أو شطر اله ، وعبدتم من دون الله غيره ، وعظمتم سواه ، وخالفتم في ذلك قول المسيح عليه السلام ، وعصيتم أمر خالقه ومرسله (ذى الجلال) (٨) والاكرام ، وأنتم تقرأون في كتابكم (عن اشعيا) (٩) عليه السلام ، أنه قال عن الله مبشرا بالمسيح عليه السلام : -

---

(١) فى " ب" (فى الجنان)

(٢) سقط من " أ "

(٣) فى " ب " (مرة)

(٤) ساقطة من " أ "

(٥) فى "ب" (فأنتم)

(٦) اقتباس من قوله تعالى (ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) النحل / ٦٢

(٧) فى ب " اسؤله "

(٨) سقط من " ج "

(٩) فى ب " عن شعيب "

" هذا غلامي المصطفى وحبيبي الذى ارتضيت به نفسي " (١) وكذلك تقرون فى انجيل مركش (٢) أن المسيح قال للعالم الذى سأله عن أول العهود : " أن السيد الهك اله واحد ، وذكر كلاما فقال له العالم : " قلت / الحق / يامعلم أن الله وحده ولا المغيره" (٣) (٦)

---

(١)انظر الاصحاح الثانى والأربعون من أشعياء /

وقد ورد هكذا نصه : (هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرّت به نفسي) . (أشعياء ٤٢ : ١)

(٢)وقد ورد فى الكتاب المقدس "مرقس " .

(٣) انجيل مرقس الأصحاح الثانى عشر : والنص فى الترجمة الحديثة نسوقه بتمامه للفائدة : " فأجابه يسوع : ان أول كل الوصايا هى اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى . وثانية مثلها هـي تحب قريبك كنفسك . ليس وصية أخرى أعظم من هاتين . فقال له الكاتب جيدا يا معلم . بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه " . (مرقس ١٢ : ٢٩-٣٢)

ونلحظ من هذا النص دعوة عيسى عليه السلام الى الوحدانية ، وهى دعـوة كل رسول جاء من قبله كما ورد على لسان رب العزة :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) الأنبياء / ٢٥

هذه هى دعوة التوحيد التى نادى بها كل رسول بعثه الله تعالى الى قومه، وهذا يضحد قول النصارى عن تأليه المسيح . وقد ورد فى الانـجيل مايفيد أن عيسى عليه السلام رسول من الله وأنه لا اله الا الله كما جاء فى يوحنـا :

(وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسـوع المسيح الذى أرسلته " .

(يوحنا : ١٧ : ٣)

فالله تعالى يقول عن المسيح : هو غلامي (١) ، وأنتم تقولون هو ولدك ، والمسيح يقول لا اله الا الله ، وأنتم تقولون أنت اله آخر فتعالى الله عما يقولون ، وسبحانه عما يصفون ، وسيأتي الكلام على هذا ان شاء الله تعالى (٢) . فها أنتم قد خالفتم أمر الله ، وعظمتم سوى الله . وهذا انجيل متى (٣) يشهد عليكم بخلاف ما اليه صرتم . فان فيه أن المسيح قال لابليس حين رام خديعته " قد صار مكتوبا أن تعبد السيد الهك وتخدمه وحده " (٤) وأنتم تعبدون غير الله وتسجدون لسواه تتحكمون في ذلك باهوائكم وتخالفون قول أنبيائكم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (٥) وتقوّل بالعظائم على الله .

واما قولك (٦) بمثل تعارفنا في العهد (٧) : فان كان وضع تعارف موضع معرفة ، فقد أخل بالمعنى ، وخالف اللغة . ولو كان يشم الرائحة من كلام الفصحاء لوبخ نفسه على المقالة هذه الشنعاء .

---

(١) عند الترجمة رأوا أن كلمة غلام تحتمل معنيين خادم وابن والكلمة العبرية له : " عبد " كثيرا ما تترجم الى اليونانية بكلمة تعنى " خادما " وطفلا على حد سواء وتطور كلمة طفل الى كلمة " ابن " ليس بالأمر العسير .

(راجع المسيحية نشأتها وتطورها / جنيبر (١) ، ١٠٦

(٢) كلمة تعالى ليست في " ب " ولا في " ج "

(٣) في الأصل لوقا والصحيح أنه في انجيل متى .

(٤) والنص كما جاء في متى " قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " (متى ٤ : ١٠)

(٥) سورة القصص / ٥٠

(٦) في " ب " و " ج " (قوله)

(٧) كلمة وضع ساقطة من " ب " .

ولو نزلناه على أنه أراد ما تعارفه فخاطبوه فيما بينهم ، فى معنى حمد الله (٢) لكان كلامه (أيضا)(١) متناقضا وفاسدا وعن الصواب حائدا . فان حمد اللــه عند هم ذم ، وشكرهم له كفر (- كما تقدم - ومن كان حمده لله (٣) ذما (٤) وشكره له كفرا)(٥) ، وكان معرفته مثل شكره ، وحمده ، فقد حصل من العلم على ضده ، وخرج مــن الشكر عن حده .

وأما قولك : والتعظيم لملوكنا ، وأهل الرهبة من ذوى السلطان منا ، فقول يدل على زهدك فى الدنيا ، واقتدائك بورع المسيح عيسى ، وبخشية المعمد يحيى . عظّمت الملوك لملكهم ، طمعا فى نيل سحت ملكهم ، واعرضت عن القسيســـين ونسكهم . ولو هديت السبيل لكان الأنبياء (والحواريون)(٦) أحق وأولى بالثناء والتبجيل ، لكن استهواك الطمع ، واستفزك الجشع ، فآثرت الدنيا على الآخرة ، فصفقتك اذا خاسرة ، وتجارتك بائرة .(٧) وأما قوله : فرضا له شاكرين حامدين

---

(١) ألحقت بهامش المخطوط .

(٢) معنى الحمد لله : هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى ، وبقيـــد الاختيار فارق المدح ، فانه يكون على الجميل وان لم يكن الممدوح مختارا كمدح الرجل على جماله وقوته وشجاعته وقال صاحب الكشاف : والحمد أخص من الشكر موردا وأعم منه متعلقا . فمورد الحمد اللسان فقط ومتعلقـــه النعمة وغيرها . ومورد الشكر اللسان والجنان والأركان ، ومتعلقه النعمة . وقيل ان مورد الحمد كمورد الشكر، لأن كل ثناء باللسان لا يكون من صميـم القلب مع موافقة الجوارح ليس بحمد بل سخرية واستهزاء .

(أنظر فتح القدير/ للشوكانى ١/ ١٩/ ط ٢)

(٣) ساقطة من "ب"

(٤) ساقطة من "ب"

(٥) ألحقت فى الهامش "أ"

(٦) والحواريون : هم أنصار المسيح وخلّص أصحابه ، وأول من آمن به . وقد ورد هذا المعنى عند قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كمـا =

معظمين ، فكلام غير منتظم ، ليس له مفهوم ملتئم (١) ، (ذهب معناه) (٢) لكثرة لحنه (٣) ، يمجه (٤) العاقل بيديهة ذهنه ، أتلفت معناه رطانة العجم (٥) ، فكأنه بقي في نفسى قائله مكتتم (٦) .

وأما قولك : غير واقفين على ذاته ، ولا مدركين لشيء منه : فلعمرى لقد صدقت ، وبما أنت عليه من الجهل بمعبودك نطقت ، فاين هذا من قولك كتاب تثليث الوحدانية في معرفة الله ؟ فقد جعلت هذا الكتاب (٧) بزعمك موصلا الى معرفة الله ، ثم لم ترجع النفس حتى شهدت على نفسك بالجهل بالله فظهر تناقض اعتقادك على لسانك (وفى تقيدك ، وكذلك يفعل الله) (٨) بكل جاهل مهدار (وكاذب كفار) (٩) .

= قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) سورة الصف / ١٤ (فتح القدير/٥/٢٢٣/ط٢)

(٢) بائرة : كاسدة (لسان العرب ٥/١٥٣ - مادة بور)

(١) التئم : اجتمعا واتصلا (لسان العرب ١٢/٥٣١ مادة لأم)

(٢) ما بين القوسين سقط من " ب "

(٣) اللحن : رجل لا لحن ولحان ولحانة : كثير الخطأ . ولحن الرجل يلحن لحنا ، قال له قولا يفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يميله بالتورية عن الواضح المفهوم. (لسان العرب ١٣/٣٧٩- مادة لحن)

(٤) يمجه : يلفظه ويرفضه (لسان العرب ٢/٣٦١ - مادة مجج)

(٥) رطانة العجم : الأعجم : من لا يفصح ولا يبين كلامه . وقيل الأعجم من في في لسانه عجمة . والمقصود برطانة العجم : الكلام الذى لا يفهم من غير العرب (تاج العروس ٨/٣٩٠)

(٦) مكتتم : يقال رجل كتيم أى يخفى ما فى نفسه ويكتمه عن غيره.
(لسان العرب ١٢/٥٠٧ مادة كتم)

(٧) يقصد كتاب تثليث الوحدانية .

(٨) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "ب"

(٩) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ج "

وكيف يعرف الله من لم يقف على معرفة ذاته ، ولا علم شيئا من صفاته ؟ وهل ذاته تعالى الا عبارة عن وجوده ؟ فان الوجود ذات الموجود من غير مزيد على ما يعرف فى موضعه بالبرهان . فمن لم يعرف ذاته تعالى لم يعرف وجوده ، ومن لم يعرف وجوده فاما شاك واما جاهل .

واما قوله : وانما نقع على أسماء أفعاله فى خليقته ، وتدبيره فى ربوبيته ، فكلام لم يورده فصيحا ، ولا فهمه صحيحا . دليل أنه لم يورده فصيحا (١) ، انه أراد بقوله : نقع نعرف ، والا لم يستقم كلامه . فكأنه قال فانما (٢) نعرف أسماء أفعاله . وايـــن نعرف من نقع (؟ وأى جامع بينهما عند من عقل وسمع ؟ فان مفهوم وقع حقيقته : سقط الشيء من أعلى الى أسفل ، وليس لهذا المعنى فى كلامه مدخل .

وأما أنه لم يفهمه صحيحا ، فيرد (٣) عليه أنه لا يجيب اذا سئل عنه . فاصغ يا هذا سمعك واستحسن ملاك وجهك ، فانى أسألك واياهم عن حد الاسم وحقيقته ؟ وهل هو المسمى أو غيره ؟ فان (٤) كان غيره فما حد / الاسم ؟ وما حد المسمى ؟ (٧)
وما حد التسمية (٥) ؟

---

(١) فى ب " صحيحا "

(٢) فى ب " وانما "

(٣) فى ب " فيدل "

(٤) فى ب " وان "

(٥) أنظر هذا الموضوع فى كتاب الارشاد للجوينى ١٤١ - ١٤٢
والواقع أن التسمية ترجع عند أهل الحق الى لفظ المسمى الدال على الاسم ، والاسم لا يرجع الى لفظه بل هو مدلول التسمية . ثم قد يرد الاسم والمراد به التسمية ، ثم ان الاسم يفارق التسمية ويراد به المسمى كما فى قوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى / ١

(انظر الارشاد للجوينى (١٤١ - ١٤٢) .

ثم هل ينقسم الاسم بالاضافة الى المسمى أو لا ينقسم ؟ فان انقسم فعلى كم من قسم ؟ (١)

وانما أوردت عليه هذه الأسئلة كيلا له بصاعه ، وليكون ذلك أبلغ فى دفعه واقطع لنزاعه .

ثم (انه) (٢) أضاف أسماء الى أفعال الله ، ولا يشك عاقل فاهم فى أن أفعال الله تعالى انما يراد بها مخلوقاته ، ومخلوقاته وخليقته واحد فى المعنى . فكأنه قال على ما يقتضيه ظاهر كلامه ، وانما يقع على أسماء مخلوقاته (فى مخلوقاته) (٣) ، فأبدل لفظ مخلوقاته بأفعاله . وهذا كلام قليل (العائدة ، بل عديم الفائدة) (٤) . ثم

---

(١) والاسم : هو كل لفظ مفرد يدل على معنى من غير دلالة مبنية على الزمان الذى يقارن ذلك المعنى من الأزمنة الثلاثة مثل محمد (أنظر التفكير المنطقى للدكتور عبد اللطيف محمد / ٢٣)

وينقسم اللفظ من حيث المفهوم الى : جزئى وكلى ،

أما الجزئى : فهو ما يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه مثل محمد وأحمد .

والكلى : ما لا يمنع نفس تصوره من وقوع الشركة فيه مثل الحيوان والانسان .

والكليات خمسة : ينقسم اللفظ الكلى الى خمسة أقسام :

١ - الجنس : وهو ما صدق على كثيرين مختلفين بالحقائق مثل الحيوان .

٢ - النوع : ما صدق على كثرين متفقين بالحقائق مثل الانسان .

٣ - الفصل : هو جزء الماهية الصادق عليها كالناطق باعتبار ماهيته الانسان .

٤ - الخاصة : هى الكلى الخارج عن الماهية الخاص بها كالضاحك للانسان .

٥ - العرض العام : هو الكلى الخارج عن الماهية الصادق عليها وعلى غيرها كالمتحرك للانسان . (انظر التفكير المنطقى للدكتور عبد اللطيف محمد / ٢٤)

(٢) ساقطة من "أ"

(٣) ساقطة من "ب"

(٤) فى ب " قليل الفائدة عديم العائدة " .

أسماء أفعاله ، انما هي عبارة عن الألفاظ الدالة على أفعاله ، وأفعاله كما قلنا مخلوقاته كلفظ السماء والأرض وغير ذلك . فمن عرف الألفاظ الدالة على هذه المخلوقات ، أي شيء يحصل له بسببها من معرفة الله تعالى ؟ وأى دلالة وأى نسبة بين معرفة اللفظ الذى يدل على السماء فى التخاطب مثلا وبين معرفة الله (تعالى)(١)؟ وهل قوله هذا الا هذيان من القول وارتباك فى ورطة الجهل ؟.

وأما قوله : وتدبيره فى ربوبيته ، فالظاهر من لفظ التدبير السابق منه الى الفهم : انه عبارة عن التفكر النفسي والتقدير الذهني . والبارى سبحانه متعال عن التدبير، الذى هو التفكر والتقدير ، فانه لا يتصور الا فى حق من جهل شيئا ، فأراد أن يستعمل فكره فى تحصيل العلم به . والجهل على الله تعالى محال والتدبير بمعنى الفكر(٢) عليه محال . فان أراد السائل بكلامه غير هذا ، فلابد من بيانه وايضاح برهانه .

وأما الربوبية : فلفظ مشتق من لفظ الرب ، والرب فى مستعمل كلام العرب له معنيان مستعملان : أحدهما : السيد(٣) والثانى : المالك(٤) .

فان أراد به المعنى الأول ، الذى يرجع الى السؤدد والشرف فهو خطأ ، من حيث أن سؤدده واجب له(٥) ، فلا يحتاج فى تحصيله ، الى سبب من تدبير ولا

---

(١) كلمة تعالى ليست فى "ب"

(٢) فى "ب" (التفكر)

(٣) ومنه قوله تعالى : (اذكرنى عند ربك) يوسف٤٢ أى عند سيدك وهو الملك والرب : المصلح والمدبر والجابر والقائم (تفسير القرطبى ١/ ١٣٧)ط٣

(٤) ومنه قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين)الفاتحه/ ١ أى مالكهم ، وكل من ملك شيئا فهو ربه ،فالرب : المالك والرب لا يطلق لغير الله عز وجل يقال رب كل شيء مالكه / القاموس المحيط ١/ ٧٢-٧٣ (تفسيرالقرطبى ١/ ١٣٦ط/ ٣) وقال صاحب الكشاف : والرب المالك . ومنه قول صفوان لأبى سفيان لأن يربنى رجل من قريش أحب اليّ من أن يربنى رجل من هوازن . تقول ربه يربه فهو رب، ولم يطلقوا الرب الا فى الله وحده ، وهو فى غيره على التقيد بالاضافة كقولهم : ==

مقتضى تفكير .

ومقتضى كلامه ومفهومه ، أنه دبر في ربوبيته وأوجدها عن تدبيره لنفسه ، وهذا جهل بواح وكفر صراح .

وان أراد به المعنى الثاني ، الذى يرجع (معناه)(١) الى الملك ، فلا يستقيم أيضا على ظاهر كلامه .

فانه يكون معنى كلامه أنه دبر في ملكه ، وأوجده عن التدبير الذى هو روّية وتفكير . ويتعالى عن ذلك الخالق القدير ، المنزه عن خواطر النفس وهواجس الضمير . ثم لما فرغ هذا السائل من خطبته الغراء البديعة الانشاء ، التى من وقف عليها علم أنه عن المعارف مصروف ، وأنه لا يفهم المعانى ، بل ولا يحسن كتبة الحروف ، شرع فى طريقة الجدال وكيفية الاستدلال ، فكأنه فى نظم معقولاته الطوسي(٢) ، وفى آداب جد له البروى(٣) . ولعمر الله !! لو كان هذا السائل عاقلا ، لستر عواره ،

= رب الدار ورب الناقة ، وقوله تعالى (ارجع الى ربك) يوسف / ٥٠ وقوله (انه ربى أحسن مثواى) يوسف / ٢٣ (راجع تفسير الكشاف ١/ ٨ ط٢)

(٥) ساقطة من " أ "

(١) ساقطة من "ب"

(٢) هو عبد الرزاق بن عبد الله بن على بن اسحق أبو المحاسن شهاب الدين الطوسي : وزير السلطان سنجرشاه السلجوقى ، كان فاضلا تفقه على امام الحرمين الجوينى ، وأفتى وناظر ، وهو ابن أخى نظام الملك توفى سنة ٥١٥ هجرى - بنيسابور . (الاعلام للزركلى ٤/ ١٢٥ - ١٢٦) .

(٣) والبروى : نسبة الى بروية وهو اسم لرجل اشتهر من أولاده جماعة . قال الحاكم : ومنهم محمد بروية جد البرويين (انظر اللباب لابن الأثير ١/ ١١٧) وهو أبو حامد البروى الطوسي الفقيه الشافعى محمد بن محمد تلميذ محمد ابن يحى وصاحب التعليقة المشهورة فى الخلاف . كان اليه المنتهى فى معرفة الكلام والنظر والبلاغة والجدل . بارعا فى معرفة مذهب الأشعرى قدم بغداد ووعظ بالنظامية وقيل انه مات مسموما هناك . (انظر شذرات الذهب لابن العماد ٤/ ٢٢٤) .

ولم يبد عاره . ولكنه جهل فقال ، وحيث وجب أن يسكن جال ، ولقد كان ينبغى لهذا السائل ، أن لا يتكلم فى شئ من علوم الاعتقاد ، حتى يحسن شروط النظر ، ويحكم ما يحتاج اليه من المواد والفكر ، ولما بادر الى الكلام فى ذلك ، من غير تحصيل شئ مما هنالك ، تشبيج (١) عليه كلامه ، وصعب عليه مرامه . فربما كان المعنى الذى يقصده قريبا فيبعده ، أو مجتمعا فيبدده ، وسيتبين ذلك فى كلامه .

ولما كان ذلك رأيت أنى ان تتبعت كلامه ، كما تتبعت خطبته ، خرج الأمر عن الاعتدال ، (وأدى) (٢) ذلك الى الكسل والملال ، وضياع الزمن فى ضروب الهذيان ، وهو غاية الخسران . فرأيت أن أعرض عن آحاد كلماته ، وأناقشه/ فى (٨) معانيها ومفهوماتها . ثم انى ربما لا أتكلم معه حتى أحكى مذهبه ، وأبين له ما أراده ، بكلام حسن وجيز ، ليكون ذلك أبلغ فى الفهم ، وأمكن فى التمييز . والى الله عز وجل أرغب ، وعليه أتوكل ، فى أن يشرح صدورنا ، وييسر (علينا) (٣) أمورنا ، ويستعملنا فيما يقربنا منه ، ويشفّعنا (٤) عنده ، انه ولى ذلك القادر عليه . ثم الصدر والآن نشرع فى الأبواب .

----

(١) تشبج : المشبج : اضطراب الكلام وتفننه . وشيج الكتاب والكلام تشبيجا : أى لم يبينه ، وقيل : لم يأت به على وجهيه . (لسان العرب ٢/ ٢٢٠)

(٢) فى أ (وودا)

(٣) ساقطة من "ب"

(٤) فى ب" وينفعنا ".

الباب الأول

في بيان مذاهبهم في الأقانيم (١) وأبطال قولهم (فيها) (٢) وفيه فصول خمسة :

الفصل الأول :(في بيان مبدأ النصارى في التثليث) في حكاية كلام السائل والجواب عنه :

قال السائل : " الآن وجب (عليّ) (٣) أن أسألك في أمر التثليث ،عن خلق الله لجميع ما خلق ، ان كان خلقهم بقدرة وعلم وارادة ،أم خلقهم بغير هذا ؟ فاذا اضطرتك المسألة الى القول بها ، فانى أسألك ان كان أسماء لذاته أو أسماء لأفعاله ؟ فان قلت هي أسماء لذاته ، فقد نقضت وجعلتها أسماء للذات، ووقعت فيما أنكرت من الجسم ، وان قلت من أسماء أفعاله ، التى منها سمى قادر وعالم مريد ، هو التثليث الذى أمرنا بالقول به ". ا.هـ

---

(١) الأقانيم : جمع أقنوم بمعنى الأصل والمبدأ وهي:الوجود ،والعلم ،والحياة. وتسميته هذه الأمور بالأقانيم أو الأصول يرجع الى أثر الفلسفة الأغريقية في تفلسف المسيحية . (الجانب الالهى من التفكير الاسلامى د .محمد البهى / ١١٣)

وقد عرّف بعضهم الأقنوم فقال :

الأقنوم : جوهر مفرد كامل ومستقل قائم بذاته غير متحد بجوهر آخر بقوم هو به كأقنوم له . (انظر كتاب اللاهوت النظرى / البرد يوط ٢/ ١٤٣)

ان كلمة أقنوم نفسها لا توجد في جميع أسفار العهد القديم أو الجديد ، ولهذا يتبين أن عقيدة الأقانيم ليس لها أى سند أو دليل من الاسفار القديمة أو الجديدة في الكتاب المقدس(انظر النصرانية والاسلام للطهطاوى / ٢٦ نقلا عن سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية للشيخ عبد الله العلمي) .

(٢) ساقطة من " ب " .

(٣) ألحقت بالهامش " أ "

الجـــواب عنـــــه : -

سألت يا هذا المقدام بعد اعجام واستبهام (١)، هل خلق الله تعالى الخلق بقدرته وعلم وارادة أم بغيرها ؟ وهذا السؤال كان ينبغى لك الا تسأل عنه ، حتى تفرغ من معرفة المراتب التى قبله ، وذلك أنك لا تصل الى ما سألت عنه ، حـــتى تعرف معنى الخلق . وهل العالم مخلوق ؟ وان كان مخلوقا فهل يحتاج الـــى خالق أم لا ؟ فاذا (٢) بلغت الى هنا ، وقطعت هذه المفاوز التى لا تقطـــع بالمنا ، ولا يتخلص منها بالهوينا ، ولا يكتفى فى تحصيل العلم بذلك بالتقليد ، بل بالنظر (٣) السديد (٤) ، والبرهان المتيد . حينئذ كان ينبغى أن تسأل عما سألت عنه ، لكنك بجهلك بطريقة النظر قدّمت وأخرت ، وفعلت فعلتك الـتى فعلت (٥) . ولو كنت ممن له فى النظر نصيب ، لضربت فيه بسهم مصيب ، ولا قتديت بمعلمكم الأزعم ، وأسقفكم الأعظم (أغشتين) (٦) . وما هو يقول فى مصحف العالم

---

(١) ليست فى "ب"

(٢) فى "ب" (فان أنت)

(٣) ما بين القوسين المفتوحين من صفحة ١٦٠ - ١٦٦ سقط الكلام من نسخة "ج"

(٤) فى "أ" (السيد)

(٥) اقتبس المؤلف هذا المعنى من قوله تعالى (وفعلت فعلتك التى فعلـــت وأنت من الكافرين) الشعراء / ١٩

(٦) ولد أغسطين فى بلدة تاجستى فى نوميديا فى أفريقيا الشمالية ، وكانـت أمه القديسه منكا مسيحية قضت حياتها فى العناية بولدها ، أما والـده فكان قليل المال ضعيف المبادىء ، أرسل أغسطين فى أول حياته الـــى المدرسة فى مدورا ، ولما بلغ السابعة عشرة أرسل الى قرطاجنة ليكمل دراساته العليا ، وقد افتتن أغسطين بأفلاطون حتى كان يلقبه نصف اله ، ولم يمتنع عن أن يكون أفلاطونيا بعد أن صار مسيحيا ، اشتغل بتدريس النحو فى تاجستي ، والبلاغة فى قرطاجنة ثم سافر الى روما قضى فيها عاما يعـلم =

الكائن فى أول ورقة منه : -

" ينبغي أن يحصل الكلام فى النظريات على منازل ودرجات ، ليكون من اجتمع معنا فى الدرجة الأولى ، تكلمنا معه فى الدرجة الثانية ، ومن اجتمع معنا فى الدرجة الثانية تكلمنا معه فى الثالثة ، ثم نمضي كذلك الى أقصى نهايات الكلام، فانما يكون فساد الكلام ، وتناقضه واشتباهه من قبل النقص فى معرفة هذه الدرج . لأنا متى ناظرنا فى الدرجة الثانية ، من لم يجتمع معنا فى الأولى لم يبلغ الكلام غاية ، ولم يقف على نهاية وعلى منواله نسج حفص بن البر فى أقواله ، ولقد كان لك فيها أسوة لو كنت أهلا للقدوة ، فبينك وبين سؤالك هذا ثلاثة ادراج ، حارت فيها عقول كثير من النظار ، وفنيت لهم فيها أزمان ، ونفذت أعمار . فكلامك يا هذا فاسد هجين ، بشهادة قسيسكم أغشتين (٢) ".

= البلاغة . لقد بدأ اغسطين حياته بعقيدة أمه البسيطة ثم نبذها حين ذهب الى المدرسة ، ثم ظل تسع سنين معتنقا عقيدة الآثنينية المانية لأنه رأى فيها وسيلة لفهم العالم المركب من الخير والشر . ولقد درس وهو فى روما كتب أفلاطون وأفلوطين وتأثرت فلسفته بالافلاطونية الجديدة ، وكانت هذه الفلسفة سبيل أغسطين الى المسيحية . لقد جاءته المسيحية لترضى فيه عاطفته المنفعلة القوية وفى عام ٣٨٧ عمد أغسطين ووقفت أمه بجانبه وهى فرحة مستبشرة . لقد ألف اغسطين ما لا يقل عن ٢٣٠ رسالة . بدأ حياته فيلسوفا ثم قسيسا حتى وصل الى رتبة بطريق فى المسيحية . ولما حاصر الوندال مدينة هيبو كان أغسطين يعمل على تقوية الروح المعنوية للأهالى وقد مات سنة ٤٣٠ للميلاد وهو فى السادسة والسبعين من عمره .

(أنظر ترجمته فى قصة الحضارة للمؤرخ ول ديورانت ١٢ / ١٣٢-٢٥٠)

(١) فى " ج " (يجعل)

(٢) هكذا فى النسخ الثلاث والمقصود به أغسطين .

وأما قولك : فقد اضطرتك المسئلة الى القول بها ، فقول غير صحيح ، الجهل على قائله يلوح . وكيف تضطر المسئلة مع نظر سقيم أخذت مقدماته بالتحكم والتسليم ؟ وانما كان يلزم ذلك لو نزلت في كلامك ، على شرط السبر والتقسيم (١) ، ونهجت منهج النظر القويم . والا فبم تنكر على الدهرى ؟ حيث يقول : لا أسلم أن العالم مخلوق (٢) ؟ وبم تنكر على الفلسفي حيث يقول أسلم أنه مخلوق ولكن لا أسلم أنه يحتاج الى خالق / يخترعه بعد العدم ؟! وبم تنكر على الطبيعى (٣) حيث (٩)
يقول : لا يحتاج عالم الطبائع (في تكوينه) (٤) الى خالق ذى قدرة وعلم وارادة وحياة ؟ ثم لأى شيء تحكمت وقلت أنها ثلاثة ؟ فلعلها أكثر أو أقل ، ولا بد لك من معرفة ابطال مذاهب هؤلاء بالبرهان ، وحينئذ تحصل على مرتبة الاتقان ، وهذا ليس بعشك فاضطجع على نعشك .

---

(١) السبر والتقسيم : وهما من علم الأصول ومعناه أن الباحث على العلة يقسم الصفات التى يتوهم علتيها بأن يقول علة هذا الحكم اما هذه الصفة واما هذه يسبر كل واحدة منها أى يختبره ويلغى بعضها بطريقة فيتعين الباقى للعلية فالسبر : هو أن يختبر الوصف هل يصلح للعلية أم لا والتقسيم : قولنا العلة اما كذا واما كذا ، والتقسيم اذا كان منحصرا بين النفى والاثبات فهو التقسيم الحاصر وأما النوع الثانى فهو التقسيم المنتشر وهو الذى ليس بحاصر / وهو الذى لا يكون دائرا بين النفى والاثبات / (شرح البدخشى ٣/ ٧١)

(٢) الدهرية : طائفة كافرة أنكرت وجود خالق الكون وقالت أن العالم ليس مخلوقا بمعنى أن الله لم يخلقه وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الطائفة بقوله (ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) الجاثية ٢٤

(٣) وهم يعنون أن الطبيعة هى الخالقة فنرد عليهم : اما أن تكون الطبيعة هى ذات الأشياء مثل البحار والأنهار والاشجار والأرض وهذا غير ممكن لأنها حتى تخلق نفسها لا بد أن تكون موجودة أصلا . واذا كانت موجودة فلا داعى لأن توجد نفسها . واما أن تكون الطبيعة ـ صفات الأشياء مثل الرطوبة واليبوسة والخشونه وغير ذلك فأقول اذا عجزت ذوات الأشياء عن خلق نفسها فمن باب أولى أن تعجز صفات الأشياء .

(٤) ساقطة من " أ " و " ج " .

(خلي) الطريق لمن يبني المنار به (١) (واقعد) ببرزه حيث اضطرك القدر ،

وأما قولك : فاني أسألك ان كانت أسماء لذاته أو أسماء لأفعاله ،فان قلت هي أسماء لذاته ، فقد نقضت وجعلتها أسماء للذات ، وقعت فيما أنكرت من الجسم ،فسؤال لا يستحق أن يسمع ، ولا لصاحبه في العقل مطمع . قسمت وسبرت ، وبقيت عليك أقسام وما شعرت . اذ لقائل أن يقول : ليست هذه الأسماء من أسماء الذات ، ولا من أسماء الأفعال ، بل هي قسم آخر وهو أسماء الصفات والتقسيم (فمتى) (٢) لم يكن دائرا بين النفي والاثبات ، فهو معرض للنقوض والآفات . ثم أطرف من العنقاء . (٣) شرع في أول كلامه في المسميات ، ثم أخذ يتكلم في الأسماء ، (ومن) (٤) لم يفرق بين الأسم والمسمى ، فهو جاهل أعمى ، ثم أنظر بله هذا السائل ؟ وعدم حسّه ، فلقد خرج بجهله عن أبناء جنسه ، كيف قال فان قلت هي أسماء لذاته ؟ (فقد نقضت وجعلتها أسماء للذات ؟ وأي فرق بين قوله في المقدم وبين قوله في التالي) ؟ (٥) وهل هذا الا بمثابة من يقول ان قلت ان هذا اليوم

---

(١) هذا البيت لجرير في ديوانه ص ٢١٩ وبدلا من خلي (خلّ) . وبدلا من (واقعد) و (وابرز) فهو اسم أم عمر بن لجا التيمي ورجل برز وبرزي موثوق بفضله ورأيه ، وقد برز برازة وبرز الفرس على الخيل سبقها وقيل كل سابق مبرز وبمرزه فرسه نجاه (انظر لسان العرب ٧/ ١٧٤ مادة برز)
وهو فيي ديوان جرير من نقيضة يهجو فيها الاخطل التغلبي .

(٢) في "ب" (مهما)

(٣) والعنقاء : اسم لا مسمى له وأنه لم ير هذا الطائر أحدا ويضرب به المثل (طارتبهم العنقاء) يقال ذلك في الواحد وفي الجميع ويروى عنقاء المغرب . وقالوا سميت عنقاء لأنه كان في عنقها بياض كالطوق أو لطول عنقها . ويبدو أن الأول أقرب الى الصواب . (كتاب الأمثال لابن سلام / ٣٤٠)

(٤) ساقطة من " أ " و " ج " .

(٥) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "ب" .

نهارا فقد نقضت وجعلته نهارا ؟ فما أعرفك يا هذا بنتيجة الشرطى المتصل (١) وحدوده ؟ وبحد النقيض وشروطه ؟ فلو استرزقت الله عقلا (٢) لكان الأحرى بك من الكلام فى المعتقدات والأولى . ثم أعجب من ذلك كله ، أنك لزمت من قال : ان العلم والقدرة والارادة أسماء للذات ـ القول بالتجسيم ـ ، وهذا نتيجة الجهل الصميم ، والفهم السقيم . وهذا من أين يلزم ؟ أمن نقيض التالى أو عين المقدم ؟ فوالذى خص الأذكياء بالعقول لقد أربيت (٣) فى جهلك على كل جهول ، وأتيت بما ليس بمفهوم ولا معقول .

وأما قولك : (فان (٤)) قلت أنها من أسماء أفعاله ، التى منها سمى قادر ، عالم ، مريد ، هو التثليث الذى أمرنا به ، فيقتضى أن الأقانيم من أسماء الأفعال . وهذا قول لا يقول به المجانين ولا الأطفال ـ فان معنى تسمية الله تعالى بأسماء الأفعال ، انما معناها عند العقلاء أن يخلق الله فعلا يسمى ذلك الفعل باسم فيشتق لله (تعالى) (٥) من ذلك الفعل اسم . مثال ذلك خالق ورازق (يقالان) (٦) على الله تعالى باعتبار خلق الخلق ، ورزق الرزق ـ فان أردت هذا المعنى كان ذلك محالا على الصفات العلى (٧) ، فان صفاته سبحانه وتعالى ليست بمخلوقة على ما يعرف فى موضعه .

---

(١) الشرطى المتصل : هو الذى يحكم فيه بالارتباط بين قضية وقضية أخرى على أساس أن احداهما شرط الثانية ويسمى القسم الأول أو الشرط بالمقدم ويسمى القسم الثانى تاليا أو لازما (انظر المنطق الصورى والرياضى /عبد الرحمن بدوى ١٢٨)

(٢) استرزقت الله عقلا : أى طلبت من الله على سبيل الدعاء أن يرزقك عقلا واسعا .

(٣) أربيت : زدت

(٤) فى " ج " (وان)

(٥) ليست فى " ب "

(٦) فى " ب " (معالان) وفى " ج " (يقولان)

(٧) صفات الله تعالى : هو كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله عليه السلام بدون تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه . وصفاته ليست مخلوقه كما أن كلامه ليس مخلوقا وكل من زعم ذلك فقد كفر .

وأيضا فلو جاز أن يسمى بعلم يخلقه عالما ، وبارادة يخلقها مريدا ، وبقدرة يخلقها قادرا ، جاز أن يسمى بحركة يخلقها متحركا ، وبصوت يخلقها مصوتا ، وذلك (يجر) (١) الى جهالات لا يقول بها عاقل . فان أراد هذا السائل بأسماء الأفعال ، أمرا آخر فهو انما اصطلح مع نفسه ، فكان ينبغي (له) (٢) أن يفسر ما يقول ، اذ لم يتكلم بما اصطلح عليه أرباب العقول .

وأما قولك : فهذا هو التثليث الذى أمرنا به ، (فقول فيه كذب) (٣) ، وعلى الله ورسله افتريت ، فان الرسل عليهم (الصلاة) (٤) والسلام لم تأمر باعتقاد التثليث (٥) لأحد من الأنام ، بل قالت الأنبياء عليهم السلام ما يعرفه الخاص والعام / آمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة (٦) . ولقد حصل للعقلاء بالتواتر ، وعلموا بالوراثة أن الله تعالى قال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) (٧) . (١٠)

ثم قولك هذا : تريد به أنكم (أمرتم) (٨) باعتقاد آلهة ثلاثة ، وانكم قيل لكم اعتقدوا فى الله تعالى أنه آلهة ثلاثة اله واحد (٩) وقولوا به ، وليس الأمر كذلك عند رهبانكم المتقدمين ، وأساقفتكم الماضين .

---

(١) فى "أ" (يجرى)

(٢) ساقطة من "ب"

(٣) فى "ب" و "ج" (فنقول فيه كذبت)

(٤) ليست فى "أ" و "ج"

(٥) بل ان جميع الكتب السماوية التى نزلت من عند الله على الرسل الكرام جاءت لتثبت وحدانية الله تعالى وتنفى الشرك وتعدد الآلهة .

(٦) اقتباس من قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم) النساء / ١٧١ .

(٧) سورة المائدة / ٧٣

(٨) فى "ب" (أمنتم)

(٩) قالوا : والثلاثة أسماء فهى اله واحد ، ورب واحد وخالق واحد . وهى الأب ، والابن ، وروح القدس . فالذات عند هم الأب الذى هو ابتداء الاثنين . والنطق : الابن الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل . والحياة هى الروح القدس . (الجواب الصحيح لابن تيمية ٢ / ١١٤)

هذا أغشتين يقول : بعد أن تكلم فى الأقانيم ، وأثبت أنها صفات على ما يقتضيه كلامه ، وذلك أنه قال : " هذا قولنا فى الأقانيم الثلاثة التى لا يمكن جحدها منه ، ولا وصفه بغيرها " وهذا تصريح منه بأنها صفات . ثم قال بعد ذلك " فهذا قولنا فى التثليث الذى وصفه الانجيل ، وأمرنا بالايمان به " وسيأتى نص كلامه . ولم يقل أمرنا بأن نعتقد أن الله واحد ثلاثة ، (فان الواحد لا يكون ثلاثة)(١) ، والثلاثة لا يكون واحدا ، كما قد تبين فساده(٢) . بل مفهوم قوله أن الانجيل وصف

---

(١) ما بين القوسين سقط من " ب " .

(٢) وقد أجاب ابن تيمية على بطلان كون الثلاثة اله واحد من عدة وجوه منها :

أ - أن أسماء الله كثيرة ومتعددة تزيد على المائة منها ما ورد فى القرآن كما جاء فى سورة الحشر ، أما ما جاء فى الحديث الصحيح " ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة " فعلى أشهر أقوال العلماء : أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسما والا فهى كثيرة واذا كانت أسماء الله كثيرة ، فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل .

ب - قولهم الأب الذى هو ابتداء الاثنين ، والابن : النطق الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل كلام باطل فان صفات الكمال لازمة لذات الرب أولا وآخرا . لم يزل ولا يزال حيا عالما قادرا ، لم يصر حيا بعد أن لم يكن حيا ولا عالما بعد أن لم يكن عالما .

فاذا قالوا : ان الأب الذى هو الذات ، هو ابتداء الحياة والنطق اقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق ، فان ما كان ابتداء لغيره يكون متقدما عليه أو فاعلا له وهذا فى حق الله باطل .

جـ - أن قولهم فى الابن أنه مولود من الله ان أرادوا به أنه صفة لازمة له ، فكذلك الحياة صفة لازمة لله ، فيكون روح القدس أيضا ابنا ثانيا ، وان أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن ، لزم أن يكون عالما بعد أن لم يكن عالما ، وهذا كفر وباطل .

د - أن تسمية حياة الله روح القدس أمر لم ينطق به شىء من كتب الله المنزلة ، فاطلاق روح القدس على حياة الله من تبديلهم وتحريفهم . الجواب الصحيح (٢/١٤١-١١٧)

أن الله تعالى موصوف بهذه الصفات ، وأمرنا بالتصديق بذلك . ولو (أزلتم) (١) عن ألسنتكم أمر التثليث ، واعتقدتم أن الله (تعالى) (٢) واحد موصوف بصفات الكمال ، ونعوت الجلال ، لوفقتم في هذه المسألة للصواب ، ولحصلتم منها على الحق بلا ارتياب . ولكن من حرم التوفيق استدبر الطريق ، ونكل عن التحقيق .

على أن ما ذكرته في أمر التثليث لا يستقيم على رأي المتقدمين من أحباركم .

هذا (صاحب) (٣) كتاب المسائل السبع والخمسين يقول فيها : " لا نقول أن التثليث ممتزج في اقنوم واحد كقول شباليش ، ولا الهية منخزلة أو متبعضة الذات كفرية أريش (٤) ، بل ان أقنوم الأب غير أقنوم الابن ، واقنوم الابن غير الروح " لكن التثليث المقدس ذات واحدة فاذا لم تكن ممتزجة وكان كل أقنوم منها غير الآخر . والأقنوم (معناه) (٥) عندكم : الشيء المستغني بذاته عن أصل جوهره في اقامة خاصة جوهريته (٦) .

فكيف يتسع عقل لأن يقول : ان هذه الثلاثة المتغايرة التي هي على ما ذكر واحد ؟ وهل قائله الا معتوه أو معاند !!

---

(١) في "أ" (انكتم) والصواب ما أثبتناه .
(٢) ليست في "ب" .
(٣) ساقطة في "ب"
(٤) لقد بحثت عن هذين العلمين (شباليش ، وأريش) فلم أجد لهما ترجمة . وقد سألت الاستاذ ابراهيم خليل أحمد عنها فأفادني بأن هذه أسماء لنصارى قدماء يمكن أن يكونوا عاشوا في زمن القرطبي أو قبله وقد اندثروا .
(٥) ساقطة من "ب" .
(٦) انظر هذا التعريف في كتاب اللاهوت النظري / البرديوط الجميل ٢ / ١٤٣

الفصل الثانى (١) (فى بيان قولهم فى الأقانيم الثلاث)

فى حكاية كلامه أيضا قال : " فان قلت لم لا تقولون بسم (الله) (٢) العالم القادر المريد ؟ اذا قلتم باسم الأب والابن والروح القدس (كذا) (٣) ، فيتبين أب ، وابن ، وروح القدس (ثالثا) (٤) . اعلم أن المسيح لما بعث الحواريين الى جميع الأجناس قال لهم : " من آمن منهم فعمدوه على اسم الأب والابن والروح القدس " (٥) .

وانما خاطبنا بمثل تعاملنا فجعل هذه الأسماء كاختلاف قضايا تلك الأفعال ثم واسط ثم آخر ، فأول القضايا خلق الله الجميع بدئا سماها أبا وأضافها الى القدرة ، وأضاف قضية وعظ المسيح للناس الى العلم وسماه ابنا ، لأن العلم لا يوقع عليه حتى يتولد كلاما ، وأضاف قضية فناء (جمع) (٦) الدنيا ، ومكافأة (جميع) (٧) أهلها بأعمالهم الى الارادة وسماها روح القدس ، الذى هو قادر عالم مريد ، اسما للواحد الذى لا يتكثر " ا.هـ

---

(١) ما بين القوسين لم ترد فى النسخ الثلاث وانما هى اضافة منى .

(٢) ساقطة من " ب " و " ج " .

(٣) ساقطة من "ب" وفائدة كذا فى الجملة :

أن الكاف للتشبيه ، وذا للاشارة . فيكون معنى كلامه هكذا يقولون باسم الأب والابن والروح القدس.

(٤) فى أصل النسخ الثلاث (ثالث) والصحيح ثالثا .

(٥) والنص فى الكتاب المقدس " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس " . (متى - الاصحاح ٢٨ ١٩)

ان هذه العبارة التى يحتجون بها للدلالة على الأقانيم الثلاث ، لا تفيد أدنى دلالة على التثليث بمفهوم النصرانية . بل انها تشير الى تكليف التلاميذ بتعليم أبناء الأمم ، معرفة الأب وهو الرب الواحد الأحد الذى لا شريك له لأن معنى الرب هو الله ، ومعرفة الابن أى المسيح بمعناه الذى حدده هو عن نفسه بالرسالة أو التعليم من الله ، وباسم الروح القدس أى معرفة الوحى الذى أنزل على المسيح وعلى من كان قبله من الرسل .(انظر النصرانية والاسلام للطهطاوى ٤٢) وسنتكلم عن هذه العبارة فيما بعد أنه مشكوك فيها .

=

والجواب عن قولـــه :

اعلم يا هذا أنك لم تحسن السؤال ، ولا حصلت منه على صواب مقال ، بل حصل منه (في عنقك غل) وفي رجليك عقال ، قلبت (١) السؤال (٢) ولم تشعر ، وجهلت من حيث ظننت أنك تستبصر . أردت أن تقول في الاعتراض الذى (رجحته) (٣) علــى نفسك لم لا تكتفون باسم القادر العالم المريد ، ولا تقولون باسم الأب والابــن وروح القدس ؟ / فقدمت وأخرت وباللفظ والمعنى أخللت . ثم أخرجت النتيجة قبل ذكر المقدمات فصار لذلك كلامك من أرك الترهات ، فقلت فيها فتبين أب وابن وروح القدس ثالثا . وهذا كلام مختل ناقص مشوب بالفساد غير خالص . (١١)

وانما كان صوابه أن يقول : " فتبين أنه أب وابن ، ثم قلت ثالثا بالنصب بخطك ضبطته مشعرا بأنك أعربته ، بل بالاتفاق كتبته ولم تشعر بأنك قلبته .

=(٥) كما أنه لم يرد في العهد القديم أو الجديد أى اشارة الى أن المسيح أو الروح القدس أقنوم من ثلاثة أقانيم بالمعنى المفهوم في عقيدة النصارى (النصرانية والاسلام / للطهطاوى / ٢٦)

= (٦) سقطت من " أ " و " ج "

= (٧) سقطت من " أ " و " ب " .

(١) سقطت من " ب "

(٢) في " ج " (فقلبت)

(٣) في " ب " و " ج " (وجهته)

وأما قولك : أن المسيح (لما)(١) بعث الحواريين الى جميع الأجناس(٢) ، فكلاما نقلته مدعيا أنك رويته . ونحن يجب علينا أن نتوقف في اخباركم ولا نقطع (بتصديقكم ولا باكذابكم)(٣) بل نقول ما أمرنا به الرسول ، وبلغنا على ألسنة النقلة العدول ، آمنا بالله ورسله ، فان صدقتم لم نكذبكم ،وان كذبتم لم نصدقكم(٤) . ومع تسليم ذلك جدلا فلابد أن نباحثكم فيما نقلتم ونتفقه فيما حكيتم . فنقول :ظاهر قولك هذا يفهم منه ، أن رسالة عيسى كانت عامة لجميع الأجناس(٥) وليس الأمر (على)(٦) ما زعمتم

---

(١) سقطت من " ب "
(٢) يجوز على الرفع والنصب . وذلك لأنه اذا كانت مرفوعة تكون خبر مبتدأ .
وفي حالة النصب تكون اسم لأن المحذوفة .
(٣) في " ب " (بصدقكم ولا بكذبكم)
(٤) والمعنى أنه لا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم . وهذا مأخوذ من نص الحديث الذى رواه البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " وقولوا " آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم) العنكبوت ٤٦
(أنظر صحيح البخارى في كتاب التفسير/ باب قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا رقم الحديث (٤٢١٥) وأحمد في المسند ١٣٦/٤ .
(٥) والصحيح ما ذهب اليه القرطبي من أن رسالة عيسى ليست عامة وانما هي خاصة لبني اسرائيل والدليل على ما أقول : ما جاء في انجيل متى " فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة " . (متى /الاصحاح ١٥/ ٢٤) .
وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :أعطيت خمسا لم يعطها نبي قبلي بعثت الى الأحمر والأسود وانما كان النبي يبعث الى قومه ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأطعمت المغنم ولم يطعمه أحد كان قبلي ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وليس من نبي الا وقد أعطي دعوة فتعجلها واني أخرت دعوتي شفاعة لأمتي وهي بالغة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا " .رواه الطبراني في الأوسط واسناده حسن (مجمع الزوائد للهيثمي ٢٦٩/٨)
(٦)في ب " كما "

وسيأتي الكلام على هذا في باب النبوات ، وكذلك الكلام على المعمودية وما يلزم عليها يأتي في باب الكلام على أحكامهم ان شاء الله (تعالى) (١)

وأما استدلالك على (وجوب اعتقاد) (٢) الأب والابن ، واطلاق القول بذلك ، بما قاله عيسى للحواريين فلا حجته لك فيه اذ ليس بنص قاطع بل هو مما تقولون أنتم عليه متشابه ، فانه يحتمل أن يكون (مرادهم) (٣) به عمدوهم على بركة هذا القول - كما يقول القائل : كل على اسم الله ، وامش على اسم الله ، : - أي على بركة اسم الله . ثم لم يعين الأب والابن من هما ولا المعنى المراد بهما ، فلعله أراد بالأب هنا الملك الذي نفخ في مريم أمه بـ الروح ، اذ نفخه سبب علوق أمه وحملها به .

وأراد بالابن : نفسه اذ خلقه الله (تعالى) (٤) من نفخة الملك ، فالنفخة له بمثابة النطفة في حق غيره . ثم لا يبعد أيضا في التأويل ان صح عن عيسى عليه السلام (٥) ، انه كان يطلق على الله لفظ الأب ، أن يكون مراده به ، أنه (ذو) حفظ له ، (وذو) رحمة وحنان عليه وعلى عباده الصالحين فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم (٦) ، وهم له في القيام بحقوقه وعباداته ، بمنزلة الولد البار (٧) .

---

(١) ليست في "ب" و "ج"

(٢) في "أ" و "ب" (اعتقاد وجوب)

(٣) في "ب" و "ج" (مراده)

(٤) ليست في "ب" و "ج" .

(٥) في "ب" (صلى الله عليه وسلم)

(٦) ورد هذا المعنى في الجواب الصحيح لابن تيمية ٢/٢٤٥ - ٢٤٦ مطبعة المدني .

(٧) ان اعتقاد البنوة الحقيقية في المسيح وثنية ، لأن النبوة الحقيقية لا تتم الا في عالم المخلوقات . فالنبوة ليست الا على سبيل المجاز فالابن أقرب الناس الى أبيه لطاعته اياه وبره به واحترامه . (الديانات والعقائد لأحمد عبد الغفور عطار ٣/١٤٢) يؤيد هذا ما جاء في رسالة يوحنا الرسول الأولى : الاصحاح ٤ : ٧ " وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله " وكذلك ما جاء في الرسالة الأولى - الاصحاح الخامس :

ويحتمل أن يكون تجوّز باطلاق هذا اللفظ على الله تعالى ، لأنه معلمه وهاديه ومرشده ، كما يقال : المعلم أبو المتعلم . ومن هذا قوله تعالى فى كتابنا : (ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل)(١) على أحد تأويلاته . (ومن)(٢) هذين التأويلين يصح حمل ما وقع فى أناجيلهم من هذا اللفظ . بل هذان التأويلان ظاهران ومسوغان فيها ، ويشهد (لذلك)(٣) قول عيسى للحواريين على ما جاء فى سورة الوصية حيث قال لهم : " اذا صليتم فقولوا يا أبانا السماوى تقدس اسمك وقرب ملكك "(٤) ثم قال بعد كلام ووصايا " فاذا كنتم أنتم على شرتكم تعرفون اعطاء الخيرات أولادكم فكيف أبوكم السماوى ؟ "(٥) .

وكذلك وقع فى انجيل يحيى(٦) أن عيسى قال لليهود " أنا عالم أنكم من نسل ابراهيم ، ولكن تريدون قتلى ، لأنكم لا تعلق بكم وصيتى ، فاعلمكم بما رأيت عند الأب وأنتم انما تعلمون ما رأيتم من أبيكم . فأجابوه (وقالوا)(٧) : " انما أبونا ابراهيم ، فقال

= (٧) " وكل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله . وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضا . بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله اذا أحببنا الله" (راجع رسالة يوحنا الأولى /الاصحاح الخامس ١ - ٢) .

(١) سورة الحج / ٧٨

(٢) فى "ب" و "ج" (وعلى)

(٣) فى "أ" (لك)

(٤) والنص كما جاء فى الترجمة الحديثة (فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك) (انجيل متى الاصحاح ٦ / ٩-١٠)

(٥) والنص كما جاء فى انجيل متى " فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه)

(٦) ويقصد به انجيل يوحنا (انجيل متى /الاصحاح السابع - ١١)

(٧) سقطت من "ب" .

لهم ان كنتم بنى ابراهيم فاقفوا أثره ولا تريدوا قتلى ، على أنى رجل ودينى
إليكم الحق الذى سمعت عن الله ولم يفعل ابراهيم
أولاد زنا انما نحن بنو الله . فقال لهم لو كان الله أباكم لحفظتمونى لأننى منه " (١) .
ثم يقول : لأنه عليه السلام وان كان يطلق هذه الاسماء ، فانما كان يطلقها
متمثلا بها . / وهكذا أكثر كلامه الذى يحكون فى انجيلهم - ثم - قد نهى عن (١٢)
اطلاقها فى الانجيل الحواريين . قال فى انجيل لوقا للحواريين " ما تقولون أنتم ؟
فأجابه شمعون بيطرو (٢) ، قال له : أنت المسيح بن الله فنهاهم (٣) " وكذلك كان يقول
" اذا كان يخرج الجنون عن المجانين فكانت تخرج وهى تقول أنت ابن الله
فكان ينتهرهم ويمنعهم من هذا القول " (٤) .

---

(١) والنص كما جاء فى الترجمة الحديثة فى انجيل يوحنا :
" أنا عالم أنكم ذرية ابراهيم . لكنكم تطلبون أن تقتلونى ، لأن كلامى لا موضع له فيكم . أنا أتكلم بما رأيت عند أبى . وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم . أجابوا وقالوا له أبونا هو ابراهيم . قال لهم يسوع لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم . ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله ابراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له اننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد وهو الله . فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى لأنى خرجت من قبل الله وأتيت "
(انجيل يوحنا . الاصحاح الثامن ٣٧ - ٤٢) .

(٢) يقصد بطرس كما فى الترجمة الحديثة .

(٣) والنص فى الترجمة الحديثة جاء فى انجيل لوقا " فقال لهم وأنتم من تقولون انى أنا . فأجاب بطرس وقال مسيح الله . فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد " (انجيل لوقا . الاصحاح التاسع ٢٠ - ٢١)

(٤) والنص كما هو فى انجيل لوقا :
" وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول أنت المسيح ابن الله . فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون " (انجيل لوقا - الاصحاح الرابع ٤١) .

فهذا يدل دلالة بينة ، على أن المسيح كان يطلق لفظ الأب على الله تعالى ، بالمعنى الذى يطلق على ابراهيم عليه السلام أنه أب ، وذلك بمعنى المعلم الشفيق . وكذلك جاء فى كتابنا :

(ملة أبيكم ابراهيم) (١) (وبذلك المعنى يقول اليهودى والنصارى فى ابراهيم) (٢) أب وليس على حقيقته الأبوة ومع ذلك فـ(ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) (٣).

وكذلك فى الانجيل فى غير ما موضع " قال لكم أبوكم وقلت لأبى (٤) " ، ويلزم على سياق هذا الا يخص المسيح باسم الابن ، ولا الله (تعالى) (٥) باسم الأب . وما بالنا نطول الأنفاس مع هؤلاء الجهال الارجاس فانه اذا احتمل هذا (٦) (اللفظ) (٧) هذه التأويلات كان من المتشابهات ، ولا ينبغى أن يصار اليه فى الاحتجاجات ، وخصوصا فى الاعتقادات (٨).

ثم نقول : لا يخلو المستدل بذلك ، - أو ما يقاربه - على المعنى المتقدم ، اما أن يريد به حقيقة الأب والابن أو لا يريد ذلك ، فان أراد الحقيقة كان محالا وباطلا ، فان حقيقة الأب عند العقلاء : -

حيوان ولد من نطفته حيوان هو من نوعه . وبهذه النسبة والصفة تفهم حقيقة الابن . وهذان الوصفان محالان على القدرة والعلم ، فان العلم ليس بحيوان مولود من

---

(١) سورة الحج / ٧٨

(٢) ما بين القوسين المفتوحين سقط من " ج "

(٣) سورة آل عمران / ٦٧

(٤) انجيل متى /الاصحاح السادس ٦ - ٩) (ومتى الاصحاح السابع (١)

(٥) ليست فى " ب "

(٦) ساقطة من " أ " و " ج "

(٧) ألحقت فى هامش المخطوط " أ "

(٨) فى ب " الاعتقاد .

نطفة حيوان ، ولا القدرة حيوان يخرج منها نطفة يتولد منها حيوان ، وهـذا معلوم البطلان بالضرورة .

وان أراد بذلك المجاز فلا يصح له حمله على المجاز ، حتى يجتمع المجـاز والحقيقة فى أمر ما ، فانك اذا قلت زيد أسد انما تجوّزت بلفظ الأسد وأطلقته على زيد لأجل الشجاعة الجامعة بين الأسد وزيد ، ولولا ذلك لما صح المجاز . فاذا لا بد لهذا المتجوز من جامع بين الحقيقة والمجاز . فما الجامع الذى لأجله تجوّز هذا المحتج ؟ فان قال الأمر الجامع أن القدرة أصل العلم ـ وقد قال ذلك فى داخل كتابه ـ منعنا ذلك ولم نسلمه (١) .

وقلنا المفهوم من القدرة والمعقول منها عند العقلاء ـ صفة بها يوجد ما لم يكن موجودا (٢) ، والمعقول من العلم أنه صفة كاشفة نفسها ومعلومها ، يصدر عنهـا الاحكام والاتقان (٣) ، وهما فى حق الله تعالى أزليان عندنا وعندهم . واذا كانا كذلك فلا يتقدم أحدهما على الآخر فى الوجود ، واذا لم يصح ذلك فلا يكون أحدهما أصلا للآخر . فان أراد هذا القائل التقدم فى الذهن فالعلم هـو المتقدم فى الذهن ، لأنه لا يصح فعل اختيارى من غير عالم ، فان العلم شرط الايجاد ، والشرط متقدم فى الذهن على المشروط بالضرورة . وكذلك نقول علم زيد فقدر ولا نقول قدر فعلم . ويتحقق هذا المعنى على القطع عند من عرف الفـرق بين العلم الفعلى والانفعالى (٤) ، ولو عكستم ما ذكرتم فسميتم العلم أبا والقدرة ابنا لكان أحق بذلك وأولى .

---

(١) فى " أ " نسأله .

(٢) انظر تعريف القدرة فى شرح المواقف للجرجانى ٨٤

(٣) مذهب أهل الحق أن البارى تعالى عالم بعلم واحد قائم بذاته قديم أزلـى متعلق بجميع المتعلقات .

(٤) العلم الفعلى : هو المقدم على وجود الأشياء كعلم الله تعالى . وأما العلـم الانفعالى : هو الذى يكون كوجود الأشياء بعد علمها كعلم الانسان ، وبدون تشبيه نضرب هذا المثل مثل ايجاد المهندس للبيت على حسب الصورة الموجودة فى ذهنه يكون علمه متقدما على وجود الشىء وأما علم من يأتى بعد المهندس فهو علم انفعالى .

ثم نقول : لأى شىء صرتم الى أن الجامع بين الحقيقة والمجاز هو الذى ذكرتم ؟ وبم تنكرون على من يزعم أن هنالك وجها آخر لم تطلعوا عليه ؟ ثم تحكمتم بتعيين هذا الوجه الذى (ذكرتم) (١) .

(ثم نقول : أنتم قاطعون بتعيين هذا الوجه الذى أبديتم) (٢) أم غير قاطعين ؟ فان زعموا / أنهم قاطعون فما مستند قطعهم ؟ فلابد من ابدائه ، ولاشك فى (١٣) أنهم لا يجدون أبدا فى هذا المعنى نصا قاطعا . وان زعموا أنهم ليسوا بقاطعين فقد اعترفوا بأنهم شاكون فى اعتقادهم وقد كفونا مؤنة الكلام معهم ، فأنهم أسندوا اعتقاداتهم الى الشك وكفى بذلك زورا (٣) وافكا (٤) .

ثم يلزمهم على تسليم ما ذكروه من الجامع الذى أبدعوه ، أن يكون البارى تعالى (وتنزه وتقدس) (٥) أبا لكل المخلوقات (اذ) (٦) هو أصل كل (المحدثات) (٧) أى موجدها ومخترعها .

وأما قولك : فجعل هذه الأسماء (ثلاثا) (٨) فيفهم منه ، أن هذه الثلاثة الأقانيم التى تقدم ذكرها مجعولة ، وأن الله تعالى هو الذى جعلها . واذا كانت بجعل الله فهى بخلقه (٩) ، وما كان بخلقه فهو محدث . فيلزمك على ظاهر قولك أن هذه الأقانيم محدثة باختراعه (تعالى) (١٠) وأنتم تقولون أنها أزليات قديمة .

---

(١) فى "ب" (أبديتم)

(٢) ما بين القوسين المفتوحين سقط من " ب " .

(٣) زورا : كذبا (القاموس المحيط ٢/ ٤٣)

(٤) افكا : بالكسر والفتح والتحريك والافك : الكذب (القاموس المحيط ٣/ ٢٠٢)

(٥) مابين القوسين المفتوحين سقط من " ب " و " ج "

(٦) فى " ج " (ثم)

(٧) فى " ب " (المخلوقات)

(٨) فى " ج " (ثلاثة)

(٩) وقد ورد معنى جعل بمعنى خلق فى القرآن الكريم كما فى قوله تعالى :
(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) الأنعام/ ١

(١٠) ليست فى " ج "

وأما قولك : التي هي أسماء أفعاله فقد أبطلنا، فيما تقدم (١)، حيث بينا حقيقة أسماء الأفعال، ومن وقف على ذلك تبين بطلانه هنالك .

وأما قولك : مختلفة الأسماء كاختلاف قضايا تلك الأفعال ، ثم واسط ثم أخر ، فكلام لا يروقك منظره ، ولا يفيد فائدة مخبره . يشهد على قائله بالجنون ، ويضحك من عدم فائدته وارتباطه العاقلون .

أراد هذا الجاهل أن يتكلم فخرس ، وكذلك يفعل الله بكل مبطل اذا نكس (٢) . وانما أراد هذا المبطل، ولم تطاوعه العبارة - لما لم يحصّل - أن هذه الأقانيم الثلاثة ، انما سميت أبا وابنا وروح القدس ، باعتبار قضايا ثلاث . وذلك أن القدرة انما سميت أبا ، باعتبار أنها أصل الموجودات اذ بها وجدت . وانما سمى العلم ابنا ، باعتبار أنه اتحدّ بالابن الذى هو المسيح وصدر عنه . وانما سميت الارادة روح القدس، باعتبار مكافأة الخلق فى الدار الآخرة بالنعيم . فان زعمت أنك لم ترد هذا فكلامك غير معقول ، وقولك ليس (بمقبول) (٣) . وهذا الذى (أبديته) (٤) فى هذا الكلام ،لم يقل به أحد فيما علمت من عقلاء النصارى الأنام ، وكفى بقولك عارا مبين مخالفته لأسقفكم أغشتين .

وها هو يقول فى مصحف العالم الكائن : " انما سمى العلم ابنا باضافته الى القدرة ، اذ القدرة أصله وكما صار التعارف الأعجمى أن نسمى القدرة التى هى الأصل والدا ، كذلك صار التعارف فى ذلك اللسان أن يسمى العلم المنسوب اليها ابنا لها " أ. هـ .

---

(١)انظر صفحة (١٧٠) من هذه الرسالة.

(٢) نكس: تقول نكسه قلبه على رأسه ، ونكس كعنى فهو منكوس والناكس المطاطئ رأسه . (القاموس المحيط ٢/ ٢٦٥)

(٣)فى ب " بمنقول "

(٤) سقطت من "ب"

فقوله هذا مخالف لقولك ، ورأيه غير موافق لرأيك ، على أنه غلط في قوله : ان القدرة أصل العلم . ويتبين غلطه عند من وقف على ما قدمته قبيل . لكنه وان كان قد غلط فالأمر عليه أقرب ، والخلاف معه أهون ، لأنه رجّع الخلاف معه الى اطلاق لفظ ، وليس وراء ذلك كبير حظ .

وأما قولك : " أن العلم لا يوقع (١) عليه حتى يتولد كلاما " فكلام حطيط ، ينبىء عن جهل (وتخليط) (٢) . فان العلم لا يتولد كلاما . اذ لو جاز ذلك لانقلبت حقيقة العلم ، ولو جاز انقلاب حقيقة واحدة ، لجاز انقلاب كل حقيقة . فينقلب القديم حادثا ، والحادث قديما ، والجسم عرضا ، والسواد بياضا الى غير ذلك من أنواع انقلاب الحقائق .

ثم قولك : فاسد وباطل بالضرورة ، فانا نعلم (أمورا) (٣) من غير كلام (يوصل) (٤) الى ذلك) (٥) كعلمنا (٦) بوجود أنفسنا (وبالهنا) (٧) ولذاتنا ومحسوساتنا وبدهياتنا . ثم قد صرحت بلفظ التولد وهو باطل (٨) من (أصله) (٩) فان المتولدات ممكنات ، وكل ممكن مقدور بقدرة الله (تعالى) (١٠) . فكل المتولدات مقدورة بقدرة الله تعالى . واذا ثبت أنها حدثت بقدرة الله تعالى فلا يقال أنها متولدات .

---

(١) فى "ب" (لا يرفع)

(٢) فى "ب" (وتخبيط)

(٣) فى "أ" (لوذا)

(٤) فى أصل النسخ الثلاث (يتوصل)

(٥) سقطت من "ب"

(٦) فى "أ" و "ب" (علمنا)

(٧) غير واضحة فى "ج"

(٨) أورد الباقلانى بابا كاملا فى ابطال التولد (انظر كتاب التمهيد ٢٩٦-٢٩٧)

(٩) سقطت من "ب"

(١٠) ليست فى "ج" .

أقول هذا والكلام شجون (١) ، والحلم فنون / على أنى أعرف أنك لا تفهم ما أقول ، (١٤ ظ) وانما أخاطب أهل الفهم والعقول .

وأما قولك : الذى هو قادر عالم مريد اسما للواحد الذى لا يتكثر ، فقول يدل على تخبطك وسوء تأولك . نقضت به ما تقدم من قولك ، حيث جعلت الأقانيم أسماء أفعال بزعمك ، ثم قد صرحت هاهنا (بأنها) (٢) أسماء للواحد الذى لا يتكثر . ولو حكى مثل هذا الكلام عن المستغرقين النوام ، لقيل هذا أضغاث أحلام (٣) .

وبعد هذا فلتعلم أنى تجاوزت عنك فى هذا الفصل ، ولم أواخذك بكل ما فيه من خطل القول (٤) ، خشية طول الكلام ، وتبدد المطلب وبعد المرام . وأول ذلك أنك لحنت وصحفت فى ثمانية مواضع ، تتبين للناشئين (بل للمرضعين من المراضع) (٥)

---

(١) وهذا مأخوذ من المثل القائل :(الحديث ذو شجون) (كتاب الأمثال لابن سلام ٦١)
ومعنى ذو شجون : أى ذو طرق ، والواحد شجن ، والشواجن : أودية كثيرة الشجر . وأصل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف ، ومنه الشجنة وهى الشجرة الملتفة الأغصان . (راجع مجمع الأمثال للميدانى ١/ ١٩٧) .

(٢) ساقطة من "ب" .

(٣) أضغاث أحلام : تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان ، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات . وهذا المعنى ورد عند قوله تعالى (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) سورة يوسف / ٤٤ (أنظر تفسير الكشاف للزمخشرى ٢/ ٣٢٤ طبعة الحلبى الأخيرة)

(٤) خطل القول : الكلام المضطرب الفاسد الكثير (القاموس المحيط ٣/ ٣٧٩)

(٥) فى "ب" و "ج" (بل المراضع) والمراضع : وهو أن يرضع الطفل أمه وفى بطنها ولد ، ويقال لذلك الولد الذى فى بطنها مراضع .
(لسان العرب ٩/ ٤٨٥ مادة رضع)

الفصل الثالث (في بيان تحليل قوله بالتثليث) (١)

في حكاية كلامه أيضا :

ثم قال : فان قلت اذ قلتم بالتثليث لأنها أسماء أفعال الله ، فأسماء أفعاله أكثر من ثلاثة ، فقولوا بها كقولكم بالتثليث ، لأن عزيز وقوى (وغلوب) (٢) وسميع وقاهر وبصير وغفور وراضي (وساخط) (٣) ومعاقب ، وغيرها من أسماء أفعاله ـ فقولوا بها أجمع كقولكم بالتثليث . قلت لك :

هذه التي ذكرناها هي أصول جميع التسمية ، ومنها تنبثق ، وفيها تندغم (٤) .

فعزيز وقوى وغلوب وقاهر وما أشبهها أصلها القدرة ، ومنا (٥) تنبثق ، وفيها تندغم .

وغفور ورحيم وراضي وساخط ومعاقب أصلها الارادة ، ومنها تنبثق وفيها تندغم .

فان قلت : فقديم وحي ليست مبثقة منها ، ولا منبدغمة فيها فقولوا بالتخميس ،

قلت لك : ان قديم وحي أسماء ذات لا أسماء أفعال ، وكل اسم للذات انما يؤدى معنى واحدا لمنفي ضده . فقديم لنفى محدث ، وحي لنفى ميت ، ورب لنفى مربوب ، واله لنفى مألوه . فكل اسم من هذه القدرة والعلم والارادة ، التي هي أسماء أفعال ثلاثة لذات واحد لا يتكثر .

---

(١) لم ترد في النسخ الثلاثة بل هي اضافة مني .

(٢) في "ب" (وغالب)

(٣) سقطت من "ب"

(٤) تندغم : وأصلها دغم تقول دغم الغيث الأرض اذا غشيها وقهرها ، ودغمهم الحر والبرد : غشيهم ومعنى تندغم : تدخل (لسان العرب ٢/ ٢٠٢-٢٠٣ دار الصادر)

(٥) الانبثاق : وهو لفظ أطلق على كيفية ابداع المونادات وعلاقتها بالجوهر الالهي مثال ذلك : قوله (فالله وحدة هو الوحدة الأولى والجوهر الأصلي البسيط الذى تحدث عنه المونادات المخلوقة أو المشتقة أو المتولدة بين لحظة وأخرى من انبثاق الهي متصل لا يحده الا قابلية المخلوق التي هي محدودة بالذات . وهذا القول بالانبثاق مختلف عن القول بخلق الشيء من لا شيء أو القول بفيض الوجود عن الله فيضا ضروريا معقولا ، فكأن هذا الانبثاق اشعاع أتاح =

وكما أنا قد فهمنا أن نفس الانسان ، لا يقوم لها فعل ، الا عن ثلاثة (١) ، ان نقص منها واحد لم يتم له فعل ، وان زاد فيها رابع لم يتفق . كذلك فهمنا عن خالقنا أن تدبيره بنا عن ثلاثة ، وذلك أن الأنسان لا يقوم له فعل دون الثلاثة ، وذلك القدرة والعلم والارادة لا رابع (لها) (٢) .

فان عجزت منها واحدة لم يتم له بالاثنين فعل ، لأنه ان علم وأراد ولم يقدر فقد عجز ، وان قدر وعلم ولم يرد (٣) فلا يتم له شيء الا بالارادة ، وان قدر ولم يعلم لم يتم (له) (٤) فعل بالجهل . فقرب (لنا) (٥) الكتاب معرفة الخالق بخلقه لهم ، بمثل تعارفنا في أنفسنا ، أن القدرة والعلم والارادة خواص قائمة ، وهي المتممة للفعل منا ، وانها لذات واحد ، وكذلك التثليث في الله واحد " . ا . هـ

الجواب عن ما ذكر :-

اعلم يا هذا أنك اعترضت على نفسك ، بما يدل على كلال ذهنك وعدم حدسك ، لأنك أخللت بالسؤال ، وتحكمت في الانفصال . أما أخلالك بالسؤال ، فأول ذلك أنك لحنت في هذا الفصل ، في ثمانية عشر موضعا ، وذلك يتبين عند من تأمل مكتوبك .

وثانية : أنه كان ينبغي لك أن تقدم قبل هذا السؤال ، النظر في حد هذه الأقانيم وحقيقتها ، ثم في الدليل على وجودها ، فان النظر في كون الشيء واحدا أو كثيرا ، انما يصار اليه بعد معرفة حقيقته ومعرفة وجوده .

=(٥) لبعض الممكنات أن توجد وأن تستمر في الوجود وفقا للقوانين الكلية التي سنها الله بمحض ارادته . (انظر المعجم الفلسفي د . جميل صليبا ١/٤٣١)

(١) يقصد العلم والارادة والقدرة (٢) في " ج " : (معها)

(٣) جاء في أصل المخطوط (يريد) والصحيح (يرد) والدليل على ذلك قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) الأنعام ١٢٥

(٤) سقطت من " ب " (٥) سقطت من " ب "

فاذا فرغت من ذلك نظرت فيها ، هل وجودها زائد على الذات - أعنى ذات الفاعل - أم هو عين الذات ؟ (فاذا عرفت نظرت هل وجود كل أقنوم منها هو وجود الآخر أم غيره)(١) فاذا عرفت هذه المطالب كلها ، حينئذ كان يمكنك أن تنظر ، هل هى واحدة أم كثيرة ؟ أو هل ترجع الى شىء ، أو يرجع اليها شىء؟

ولا بد لكل ناظر ينظر فيما نظرت أنت فيه ، أن يعرف / قبله ما ذكرته بالبراهين (١٥)
القاطعة . والا فكيف تتكلم فى فرع لم يثبت عندك أصله ؟ .

ولو كنت فى نظرك من المتفطنين ، لنظرت على الطريقة التى علمها لكم أغشتين ؟ واما تحكمه فى الانفصال فانما يتبين اذا حكيت كلامك وفهمت مرادك (وذلك)(٢) أنك وجهت على نفسك كأن قائلا قال لك ، لم جعلت الأقانيم ثلاثة وأسماء الله تعالى أكثر من ذلك ؟ فانفصلت عن ذلك وقلت : أسماء الله تعالى وان كانت كثيرة (فانما)(٣) ترجع الى هذه الثلاثة .

فقاهر وقوى وغلوب وما أشبهها ، راجع الى القدرة ، وغفور ورحيم وما أشبههـــا راجع الى الارادة . هذا مقتضى كلامك بعد التكرار والاكثار ، وهذا كله منك تحكم بما لم يقم لك عليه دليل ، ولا يشهد له من كلامك نظر ولا تعليل . والا فما الذى يدلك على أن أسماء مختلفة المفهومات والحقائق راجعة الى معنى واحد ؟

وان جاز أن ترد الأسماء المختلفة المفهومات ، الى معنى واحد بالتحكم ، جاز أن يقضى بعكس ذلك ، وهو أن ترد الأسماء المترادفة على معنى واحد الى معان مختلفة ، وذلك مما لا يقوله الغبى الجاهل (بل الكيّس الفاضل)(٤) (ثم)(٥) تقول على جهة السؤال ، وبه يظهر تحكمك فى الانفصال . بم تنكر على من يزعم أن جميع صفات الكمال .

---

(١) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "أ" و "ج"

(٢) سقطت من "ب"

(٣) فى "ب" (فانها)

(٤) ما بين القوسين ساقط من "ب"

(٥) ساقط من "أ"

مثل القدرة والعلم والارادة ، والسمع والبصر والكلام ، والحياة والقدم والبقاء ، وغير ذلك من صفات الكمال . والاستغناء هى أقانيم الموجودات وأصولها ، فان الممكنات انما يتبدل عدمها بوجودها بايجاد موجد متصف بصفات الكمال ، ومنزه عن صفات النقص والافتقار .

(١)
(وان اتصف بصفات النقص والافتقار) كان محتاجا الى مزيل النقص عنه . ومن كان محتاجا كان ممكنا وكل ممكن فلابد أن يستند وجوبه الى سبب واجب الوجوب . فحصل من هذا أن صفات الكمال والاستغناء كلها لا يصح ايجاد موجود محدث
(٢)
الا ممن اتصف بمجموعها ؟ وان من لم يتصف بها فلا يصح منه ايجاد (موجود) فاذا هى أصول الموجودات الممكنة ، فاذا هى أقانيم على قولك ؟ وسيأتى مزيد كلام فى الأقانيم .

ثم نقول : ان قضيت برجوع هذه الأسماء بعضها الى بعض ، مع تباين مفهوماتها واختلاف معانيها ، فلم لا تقضى برجوع الارادة الى العلم ؟ وبرجوع العلم الى التجرد عن المادة كما زعمت الفلاسفة ؟ ولم لا تقضى برجوع القدرة الى الوجود
(٣)
كما (قد) ذهب اليه طوائف من النصارى المتقدمين ؟ .

فقد كان طوائف منهم لا يعدون القدرة أقنوما ، وكانوا يردونها الى الوجود ،
(٤)
وكانوا يردون الارادة للحياة . فالأقانيم عندهم الوجود والعلم والحياة ، وسيأتى حكاية مذهبهم ان شاء الله تعالى .

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ب" (٢) فى ب "موجد"

(٣) ساقطة من "ب"

(٤) هذا هو ما ذهب اليه اليعاقبة والنساطرة .

ولكن اختلفوا هل "العلم" و"الحياة" هما عين "الوجود" أم هما شيئان آخران غيره ؟ ذهب اليعاقبة : الى أن الأقانيم أمور مستقلة وأن كلا من العلم والحياة غير الوجود وبناء على رأيهم فى الأقانيم يصح أن ينسب اليهم القول بالتثليث فى أصل العالم . أما النساطرة : فيرون أن العلم ليس شيئا وراء الوجود وأن الحياة ليست شيئا مستقلا عنه كذلك وبناء على رأيهم هذا نسب اليهم القول بالوحدة فى أصل العالم أو بواحدانية الله . (الجانب الالهى من التفكير الاسلامى د . محمد البهى / ١١٨-١١٩)

وهذا كله يدل على أنكم فى عقائدكم متحكمون ، لا ترجعون فيها الى أصل عليه تعولون !!

وأما سؤالك الثانى : الذى وجهت على نفسك فوارد عليك ولازم لك ، ولم تنفصل عنه على أنك اخللت به.فان الذى يعترض به عليك أكثر من قديم وحيّ ، اذ قد يرد عليك الوجود فانه أصل الأقانيم . والسمع والبصر ، فانه لا يصح رجوعهما بحال الى العلم ، فان العلم لا ينوب عن الادراك .

فان بالضرورة نعلم الفرق بين العلم بالصوت وسماع الصوت ، وبين العلم بالمرئي ورؤية المرئي (١) . مثال ذلك : انا نعلم معلوما على غاية ما يمكن من العلم ، ثم اذا رأيناه حصل لنا بالضرورة مزيد وضوح ، ومزية بينة على العلم به ،.

وكذلك فى المسموع فذلك المزيد / ، وتلك المزية ، اما أن نقول ان الله تبارك (١٦) وتعالى مدرك لها أوليس مدركا (لها) (٢) ، فان لم يدركها فقد فاته بعض المزايا ولم يحصل له ذلك الوضوح . فيكون من يدركها وحصلت له أكمل ممن لم يحصل له ، فيؤدى الى أن يكون المخلوق أكمل من الخالق ، والمصنوع أشرف (وأتم) (٣) من الصانع وذلك محال . وان كان مدركا (لها) (٤) فبذلك الادراك يسمى بصيرا سميعا ، وهو زائد على العلم ،فان العلم لا يغنى عنه كما تقدم .ولسنا نشترط فيها بنية مخصوصة ولا جارحة ، (٥) ولا اتصال أشعة ، بل تنزه الله تعالى عن كل ما يوهم النقص والقصور فى حقه .

---

(١) لأنه لو تساوى العلم بالصوت وسماع الصوت ، والعلم بالمرئى ورؤية المرئى لما كان هناك تفرقة بين ما علم بالبرهان أو الخبر وبين ما حصل بالعين والبصر.

(٢) ساقطة من "أ".

(٣) ساقطة من "ج"

(٤) سقطت من "ب"

(٥) لأنه لا يصح أن يقال لهذه الصفات انها اعضاء أو جوارح أو أدوات ، أو أركان لأن الركن جزء الماهية والله تعالى هو الأحد الصمد لا يتجزأ سبحانه وتعالى ، والأعضاء فيها معنى التفريق والتقطيع وجعل الشيء أعضاء ،كما =

هذا كما أنا لم نشترط في كونه تعالى عالما قلبا ، ولا دماغا ، ولا في كونه قادرا بنية ولا آلة ، بل السمع والبصر ادراكان أعني - صفتين متعلقتين بالمسموعات والمبصرات على ما يعرف في موضعه .

فاذا تبين أنهما لا يرجعان الى العلم ، فعدوهما أقنومين زائدين على ما ذكرتم ، وهذا ما لا محيص عنه ولا جواب عليه .

وأما قولك : وكل اسم للذات انما يؤدى معنى واحدا لنفي ضده ، فكلام من لم يحنكه الاعتبار ، ولا عرف اصطلاح النظار . وذلك أنك أطلقت صفات الذات (١) ، وصفات الأفعال (٢) على ما لم يطلقه عليه النظار ، ولا استعمله فى نظره أحد من علماء الأمصار . ونحن نذكر اصطلاح النظار ، المعتبرين فى صفة النظر والأفكار فى اطلاق هذه الأسماء (ليتبين للواقف على هذا الكتاب ، أنك لم تعرف شيئا من اصطلاحاتهم ، ولا حصلت (٣)) (٤) على شيء من مفهوماتهم .

قالوا انما تطلق الأسماء بحسب المسميات ، والمسميات اما ذات أو أمر زائد على الذات . فالذى يدل من الأسماء على الذات هو الذى يقال عليه اسم ذات ، مثل قولنا انسان وملك ، ومن أسمائه (تبارك) (٥) وتعالى الله (والخالق) (٦) .

= (٥) أن الجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع . وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة وكل هذه المعاني منتفية عن الله تعالى ، ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله تعالى . (شرح العقيدة الطحاوية ١٨٣ - ط١)

(١) صفات الذات : هى الصفات التى لا تنفك عن الذات الآلهية مثل السمع ، البصير ، القدرة ، العلم ، الحياة ، الكلام .

(٢) صفات الأفعال : هى الصفات الواقعة تحت مشيئة الله وارادته مثل : الخلق والرزق والعدل والاحسان والثواب والعقاب والحشر والنشر . (انظر شرح العقيدة الطحاوية ٦٨-٧١) ط١

(٣) فى " ج " (حطت)

(٤) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "ب"

(٥) ليست فى ب ، ج

(٦) فى " أ " و " ج " (الحق)

وأما الذى يدل على أمر زائد على الذات ، فذلك الأمر الزائد (اما أن)(١) يكون نفي شيء عن الذات أو ثبوت شيء للذات ، فالذى يدل على نفي شيء عن الذات هو الذى يقال عليه اسم سلب . مثال ذلك فقير وسالم .

ومن اسمائه (تبارك)(٢) وتعالى القدوس والسلام ، فانها تدل على البراءة مـن العيوب ، وعلى نفيها . وأما الذى يدل على ثبوت شيء للذات - فذلك الثابت - اما أن يقوم بالذات أو لا يقوم بها ، فالذى يقوم بالذات ، هو الذى يقال عليه اسم الصفة ، ومثال ذلك : عالم وقادر وسميع وبصير ، فان هذه صفات زائدة على الذات(٣) .

وأما الزائد على الذات الذى لا يقوم بها ، فهو الذى يقال عليه اسم الفعل ، وقد يقال عليه اسم الاضافة مثل خالق ورازق (وما أشبه ذلك)(٤) .

فحصل من التقسيم أن الأسماء على أربعة أضرب : (أسماء)(٥) ذات ، وأسماء صفات ، وأسماء سلوب وأسماء أفعال ، وقد يقال عليها أسماء اضافات .

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٢) ساقط من "ج"

(٣) فقد ذهب السلف فى مسألة الصفات ، هل هى زائدة على الذات أم لا ؟ الى القول بأن الصفات لفظها مجمل ، وكذلك لفظ الغير فيه اجمال ، فقد يراد به ما ليس هو اياه وقد يراد به ما جاز مفارقته له . ولهذا كان أئمة السنـة لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ، ولا أنه ليس غيره لأن اطلاق الاثبات يشعر بأن ذلك مباين له ، واطلاق النفى قد يشعر بأنه هو هو واذا كان لفظ الغير فيه اجمال فلا يطلق الا مع البيان والتفصيل ، فان أريد به أن هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها - فهذا غير صحيح وان أريد به أن الصفات زائدة على الذات التى يفهم من معناها غير ما يفهـم من معنى الصفة - فهذا حق - ولكن ليس فى الخارج ذات مجردة عن الصفات ، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها ، وانما يفرض الذهن ذاتا وصفة ، ولكن ليس فى الخارج ذات غير موصوفة فان هذا محال . (شرح العقيدة الطحاوية ٧٠ - ط ٢)

(٤) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "ب"

(٥) سقطت من "ب"

فهكذا ينبغي أن تفهم اصطلاح المتقدمين والنظار المعتبرين . فان كنت اصطلحت مع نفسك على غير ما تعارفه النظار ، فلست على شيء مما كان عليه العلماء والأحبار ، فتكلم (باصطلاحك)(١) مع نفسك ولا تخاطب به أحد من أبناء جنسك .

ولا يظن ظان أن هذا السائل ، أراد بأسماء الأفعال الأسماء التي لا يوجد الفعل الا بها ، مثل العلم ، والقدرة ، والارادة ، فانه قد جعل من أسماء الأفعال ، ما لا يوجد به فعل كسميع وبصير وغيرهما مما ذكروا - فيما أحسب - أنه أراد هذا المعنى ، ولم تساعده العبارة فعنى(٢) وعنّي.(٣)

وأما قولك(٤) : حي لنفي ميت ، ورب لنفي مربوب ، واله لنفي مألوه ، فكلام مجنون معتوه . فانه ان جاز أن يكون (حيا)(٥) من أسماء / السلوب والنفي ، فما المانع (١٧) من أن يكون العلم من أسماء السلوب ؟ فانه يمكن أن يقال عالم لنفي جاهل ، ومريد لنفي كاره ، وقادر لنفي عاجز ، وهكذا يجري في جميع الصفات والأسماء التي لها نقائض . وذلك يؤدي الى جهالات وجحد المعقولات .

وأيضا فان كانت الحياة سلبا ، فيستحيل أن تكون شرطا للعلم والقدرة والارادة وغيرها . وكونها شرط لهذه الصفات معلوم بالضرورة ، والنفي (لا يكون)(٦) شرطا ولا مشروطا في مثل ما نحن فيه .

ثم نقول : قولك هذا مخالف لما يقوله أقستكم(٧) ، هذا صاحب كتاب الحروف

---

(١) في " أ " (باصلاحك) والصحيح ما أثبتناه .

(٢) فعنى : عنى عناء وتعنى بمعنى نصب أى تعب .(القاموس المحيط ٤ / ٣٧٠)
وتأتي بمعنى أتعب كما في تاج العروس (وعنا عناء وتعنى نصب أى تعب)
وأعناه وعناه تعنية أي أتعبه . (تاج العروس ١٠ / ٢٥٨ مادة عنى)

(٣) وعنّي : تجشم وقصد (القاموس المحيط ٤ / ٣٧٠)

(٤) في " ج " (قوله) .

(٥) في "ب " (حقا) وما أثبتناه هو الصواب .

(٦) سقط من "ب "

(٧) أقستكم : وهي جمع قسيس وهو لقب يطلقه النصارى على كبار الكهان منهم .

يقول : " البارى تعالى لم يزل حيا بروحه ، وناطقا بكلمته . فمهما قلت : لم يزل حيا ، ولم يزل ناطقا ، أوجبت فى نطقك لحياته ، ونطقه الأزلية " وهذا منه تصريح بأن الحياة ليست ترجع الى نفى الموت .

ثم قال بعد ذلك بكلام " وروحه أعنى حياته أقنوم خاص كامل لم يزل ، وسيأتى الكلام معه فى هذا ان شاء الله (تعالى) (١) .

وأما قولك (٢) :

رب لنفي مربوب (٣) ، فقول مختلط عقله مغلوب . فان الرب معناه : المالك ، فهو من أسماء الاضافة والأفعال . وأما الاله : فهو من الالهية وهى العبادة ، فهو مألوه أى معبود (٤) (الهة عبادة) (٥) ، فهو من أسماء الأفعال والاضافة .

وأما قولك : وكما قد فهمنا أن نفس الانسان ، لا يقوم لها فعل الا عن ثلاثة ، كذلك فهمنا عن خالقنا أن تدبيره بنا عن ثلاثة - فقول يدل على سوء نظرك وقلة تثبتك - وذلك أن مفهوم ما ذكرته فى هذا الفصل ، على تشبيجه وسوء ترتيبه ، هو أنك قلت : أن الانسان لا يتأتى منه فعل ، حتى يكون قادرا عالما مريدا . فان نقصه منها واحدة ، لم يصح ايجاد الفعل منه ، فكذلك خالقنا سبحانه وتعالى هو قادر عالم مريد ، ولو نقصه منها واحد ، لم يصح منه ايجاد فعل كالانسان هذا مفهوم كلامك على كثرته .

---

(١) ليست فى "ب" و "ج"

(٢) فى "ج" (قوله)

(٣) انظر القاموس المحيط ١ / ٧٢ - ٧٣

وقد ذكر الاستاذ المودودى رحمه الله بالاضافة الى هذا المعنى لكلمة الرب عدة معانى أخرى منها : ١ - المربى : الكفيل بقضاء الحاجات والقائم بأمر التربية والتنشئة . ٢ - الكفيل والرقيب والمتكفل بالتعهد واصلاح الحال . ٣ - السيد الرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم والمعترف له بالسيادة والمالك لصلاحية التصرف . وقد وردت هذه المعانى لكلمة الرب فى القرآن الكريم . (المصطلحات الأربعة فى القرآن للمودودى ٣٧)

(٤) انظر معنى الاله فى المصطلحات الأربعة فى القرآن للمودودى ١٣

(٥) ما بين القوسين سقط من " ب " .

وهذا كلام فاسد ، لأنه قياس الغائب على الشاهد ، اذ هو قياس خال عن الجامع.

وايضا فلو كان هنالك جامع ، لكان باطلا فانه قياس جزئي (على جزئي)(١) ، وذلك انما هو صالح للظنيات لا للعلميات . ولو جاز قياس البارى سبحانه على خلقه للزم (الا)(٢) يكون قادرا ، حتى يكون ذا آلة وعصب ويد الجارحة ، فان الواحد منا لا يكون قادرا حتى يكون كذلك .

وكذلك كان يلزم ألا يكون عالما حتى يكون ذا قلب ودماغ الى غير ذلك من المحالات .

ويلزم(٣) على مساق قولك ، أن يكون البارى - تعالى - جسما ، فانك (كما)(٤) لم تر موجدا ولا فاعلا لفصل الا قادرا عالما مريدا ، كذلك لم تر فاعلا ولا موجدا الا جسما . وهذه جهالات لازمة على قولك ، ومنتجة (عن صميم جهلك)(٥) فلا تنتفع بهذا الكلام ، حتى تسبره على محك النظار الاعلام .

ولو تتبعنا (خطابك)(٦) فى هذا الفصل لطال الكلام ، ولكثر عليك التوبيخ والملام ، لكنا نكل الناظر فيه (للوقوف)(٧) على فساد معانيه .

---

(١) ألحقت بهامش المخطوط "أ"

(٢) فى "ب" (أن)

(٣) فى "ب" و "ج" (ويلزمك)

(٤) ساقطة من "ب" .

(٥) فى "ج" (على صميم قولك)

(٦) فى "أ" و "ب" (خطاك)

(٧) سقطت من "ب"

الفصل الرابع : (في بيان مناقشة مسألة تثليث الوحدانية)(١)

في حكاية كلامه أيضا :

قال :" فان سأل سائل من المخالفين فقال : ما الدليل على صدق ما يدعون من تثليث وحدانية الخالق ؟(٢) وكيف يمكن أن يكون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة مع ما ابتدأتم به من القول واثباتكم اياه فردا لم يزل ؟ قلنا لهم :

اما أن تكون الثلاثة واحدا ، والواحد ثلاثة ، فذلك لعمرى ما لا يمكن كونه ولكن(٣) كنا(٤) نقول(٥) ان جوهرا / قديما ، لم يزل موجودا بثلاث خواص ، أزليات جوهريات (١٨١) غير متباينات ولا متفرقات في الجوهر القديم الأزلي ، الذى لا يتبعض ولا يتجزأ (بعينه)(٦) وكماله . فلا هو ثلاثة وجميع الثلاثة خواص هى بمعنى ما هو (واحد)(٧) ، ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلاثة . أعني ليس (هو)(٨) خاصة واحدة ، بل ثلاثة خواص فهذا مذهبنا في تثليث وحدانية الخالق ". أ. هـ .

الجواب عنـــــه

هذا (السؤال)(٩) الذى وجهت على نفسك ، وارد عليك ولازم لك . وأما انفصالك عنه

---

(١) ما بين القوسين لم ترد في النسخ الثلاثة بل هى اضافة مني .

(٢) للتوفيق بين الايمان باله واحد وبين القول في كونه واحدا في ثلاثة استوحى النصارى ما جاء في الانجيل فميزوا في الله بين العقيدة والأقنوم فقالوا : ان في الله طبيعة واحدة ، وفيه ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس ، يملك كل واحد منهم نفس الطبيعة ، فتعدد هكذا الأقانيم ولا يتعدد الله . (الديانات والعقائد ٣ / ١٤٧ نقلا عن كتاب أصول الفلسفة العربية ليوحنا قمير)

(٣) في "ب" و "ج" (ولكنا)

(٤) ساقطة من "ب" .

(٥) جاءت في "أ" (نقولوا) والصواب ما أثبتناه .

(٦) ساقطة من "ب"

(٧) ساقطة من "ب"

(٨) في "ج" (هى)

(٩) في "ج" (السائل)

(١)
(فيخرجك)عن ملة النصرانية ، ولا يبقى عليك منها بقية . وذلك أن مرادك من هذا الجواب ، أنك قلت كلاما معناه : أن كون الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحدا غير جائز عقلا .

(٢)
ولكن معنى التثليث أن الله تعالى جوهر قديم لم يزل موصوفا بثلاث (خواص) أوليات ، فهو واحد بمجموع الأقانيم وثلاثة بتفرق الأقانيم ، وتلك الأقانيم لا تفارق وجوده ولا تباينه . ولا يمكن أن يحمل كلامك الا على هذا ، وان حمل على غيره
(٣)
فهو بعيد وغير (مفيد) .

وهذا الذي ذكرته لا يسلمه لك أكثر النصارى ، بل يتبرؤن عنه ، ولا يرضون بشيء منه ، اذ النصارى قبلك أو أكثرهم متفقون على أن الأقانيم الثلاثة آلهة وأنها اله واحد . فأنت تقول هي خواص ، وهم يقولون آلهة فأي شيء يجمع بين الخاصية والالهية ، وبينهما ما بين السماء والأرض ، والرفع والخفض ؟!

وسيتضح ذلك اذا نقلنا مذاهبهم في ذلك ان شاء الله تعالى .

(٤)
ثم نقول لهم لأي شيء تحكمتم بتسمية خالقكم جوهرا ؟ وفي أي موضع من كتب الأنبياء وجدتم الأمر بذلك ؟ أو على لسان من بلغكم الأمر به ؟ ولا تجدون لاثبات الأمر بذلك سبيلا غير التحكم .

---

(١) في " أ " (فتخرجك)

(٢) ألحقت بهامش المخطوط " أ " (٣) في " ج " (بعيد)

(٤) والواجب أن نثبت ما أثبته الله ورسوله ، وننفي ما نفاه الله ورسوله ، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي ، ولكن تفصيل في الاثبات واجمال في النفي كما في قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى ١١ . وأن نثبت أيضا ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني . واما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا اثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها . فان كان المعنى صحيحا قبل ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة الا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد . (شرح العقيدة الطحاوية (١٨٢ ط ١)

ولو كنتم ممن يستحي من الله لما تحكمتم عليه ، بأن سميتموه بما لم يسم به نفسه (١) ، ولو أن واحدا منكم سمي له ولد بغير أمره ، لأنف من (ذلك) (٢) وعظم عليه ، ولوبخ المسمى لأنه (يتصرف) (٣) فيما لا ينبغي له هذا اذا كان الاسم مما يفهم منه المدح ، فما ظنك لو سمي بلقب يفهم منه النقص والعيب .

ولفظ الجوهر في المتعارف عند (أرباب النظر) (٤) (٥) وغيرهم يطلقونه على المتحيز (٦) ، وهو الجرم الشاغل قدرا من المساحة . ولا بد له من الحركة والسكون ، وهما دليلا تغيره وحدوثه ، (وربما أطلق لفظ الجوهر بعض النظار على الموجود (٧) لا في (موضوع) (٨) وجوده . (لا يجوز ايضا اطلاقه على الله تعالى لأن الموجود (لا في موضوع وجوده) (٩) زائد على ماهيته عند هذا المطلق وذلك هو الممكن لا الواجب) (١٠) .

فان أردت به معنى فلابد من بيانه اذ لم تتكلم بما تكلم به أرباب النظر ، المذللون سبل العبر .

---

(١) لأن أسماء الله توقيفية ، فلا يجوز أن نطلق عليه الا ما أطلقه الله على نفسه أو سماه به الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) سقطت من "ب" .

(٣) في "ج" (تصرف)

(٤) في "أ" (النظار)

(٥) ساقطة من "ب" و "ج"

(٦) انظر هذا المعنى في كتاب الارشاد للجويني ٤٦

(٧) راجع هذا الدليل على استحالة كون الرب تعالى جوهرا في كتاب الارشاد ٤٦-٤٧

(٨) في "ب" (موضع) .

(٩) ما بين القوسين سقط من "ج"

(١٠) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "أ" .

الفصـــل الخامـــس
في بيان اختلافهم في الأقانيـــم

نبين (١) في هذا الفصل مذاهب أوائلهم ، ونتكلم فيها ، ونوضح (فسادها) ان شاء الله (تعالى) (٢) ، ونحكي مذاهبهم بألفاظهم كما وجدتها في كتبهم .

ولم أعول في ذلك على نقل علمائنا عنهم فقط ، بل تتبعت ما أمكنني مـــن كتبهم والله الموفق .

قالوا : " لما أفهمتنا الشواهد العقلية ، أن الخالق لم يزل حيا ولم يزل ناطقا ، قلنا فهل (يحق) (٣) أن يكون هو بحياته ونطقه شخصا واحدا جامعا لأجـــزاء مختلفة ؟ كما يقال في حد الانسان انه حيوان ناطق مائت ، اذا تسمى أجزاء جوهره مع اعراضه المختلفة فيه ، أقنوما واحدا شخصا واحدا ، ولا يسمى كل جزء وكل عرض منها أقنوما انسيا . وذلك أن اسم الاقنوم واجب للشيء المستغني بذاته القائم بشخصه / لا لذى الاضطرار كالأجزاء ، ولا لذى الاشتباك كالأعراض ، فان (١٩)
الأجزاء والاعراض لا تقوم مكتفية بذواتها . كما أن حر النار الذى هو جزء من قوى النار ، لا يقوم بذاته اقنوما منفردا ، دون أصلية النار وضوئها .

وكذلك الأعراض المشتبكة في الجوهر ، كالسواد والبياض وما أشبههما ، لا تقـــوم (أشخاصها) (٤) مكتفية بذواتها دون الجوهر اللازم لها .

فالأقنوم هو المستغني بذاته عن أصل جوهريته ، كالانسان المستغني بخاصيـــة انسانية عن الناس ، والشجرة عن الأشجار ، والدينار عن الدنانير .

فامتناع أجزاء الانسان من القيام (أشخاصا) (٥) لاضطرارها ، وعجزها عن القيـــام بذواتها كروحه العاجزة عن القيام بتحديدها انسانا دون جسمه ونطقه ، وكذلـــك نطقه وجسمه يعجز كل واحد (منها) (٦) عن القيام بتحديده انسانا (دون) (٧) روحه ، وذلك لاضطرار كل جزء منها الى صاحبه في القيام بانسانيته .

(١) في " أ " (مسائلهم)
(٢) ليست في " ب " و " ج "
(٣) في " ب " (يجوز)
(٤) في " ج " (أشخاصا)
(٥) في " ب " (أشخاصها)
(٦) سقطت من " ج "
(٧) ساقطة من " ب " .

فاذا تقرر هذا فحياة الله ونطقه ، لا يخلو من أن يكونا جزأين (من)[1] جوهره ، كما هو من الانسان ، أو غير جوهره ، فان قلنا هما جزءآن من جوهره ، ألزمناه ما يلزم الانسان من الاضطرار والتأليف . لأنا وجدنا أجزاء الانسان لاضطرار بعضها الى بعض ، يقصر عن احتمال أسماء الأقانيم . وهذا يستحيل على الجوهـــر الأزلي ، اذ هو يتعالى عن الأجزاء والتأليف والتركيب والأعراض .

فوجب أن تكون خواصه لغنائه وكمالها تسمى أقانيم (قائمة)[2] بخواصها ،(ومستحقة)[3] أن يوصف منها جوهرية قديمة كقدسه ، لا جزئين مركبين ولا عرضين (مضطربين)[4] لأنه لم يزل حيا وناطقا بكلمته .

ومن زعم أن الحياة من الله والنطق منه محدثان ، وصف الله تعالى فى أزليتـــه بالموت والجهل . وان قلنا (ان)[5] حياته ونطقه غير جوهره أزليان ، فقد أشركنا مع الله فى أزليته غيره (فلذلك)[6] يسمى كل واحد من الروح والكلمة (جوهرية)[7] خاصة . فوجب أن يكون جوهر الخالق تعالى أقنوما خاصا (قائما)[8] كاملا بخاصيته لم يزل . ونطقه الذى هو كلمته أقنوما خاصا كاملا قائما بخاصيته لم يزل .

(وروحه أعني : حياته : أقنوما خاصا كاملا قائما بخاصيته لم يزل)[9] فهذه ثلاثة أقانيم معروفة بمعانيها ، لا متفاصلة ، ولا متركبة (ولا متشابكة)[10] جوهر واحـــد ذات واحد " ا.هـ . (هذا كلام)[11] صاحب كتاب الحروف ، وهو عندهم القسيس المعروف .

---

(١) ساقطة من "ب"

(٢) ساقطة من "ب"

(٣) فى "ب" (ومستحقان)

(٤) فى "أ" (مقطوين) ولعلها مقطوعين

(٥) ليست فى "أ"

(٦) فى "ب" (فكذلك)

(٧) فى "ب" جوهره)

(٨) سقطت من "ب"

(٩) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "ج"

(١٠) فى "ب" (متشابه)

(١١) سقطت من "ب" .

ولقد رام تحسين مذهبهم وتبيين مطلبهم ، ولكن لا يستوى الظل والعود أعوج ، ولا يصلح المذهب وقائله أعوج . وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟ (١) .

وهم مع ذلك فيما ذكرناه من الأقانيم مختلفون وبالحيرة عمهون .

هذا صاحب كتاب المسائل يقول: " هذه الثلاثة الأقانيم متوحدة لأجل الأب ، متساوية لأجل الابن ، منتظمة لأجل الروح .

فنؤمن : أن الأب أب ، لأجل أنه ذو ابن ، والابن ابن (لأجل) (٢) أنه ذو أب . والروح القدس منبثق لأنه من الأب والابن (٣) .

---

(١) هذا المثل يضرب في من يحاول اصلاح ما لا يمكن صلاحه (المثل المقارن بين العربية والانكليزية للدكتور ممدوح حقى / ٦٣) .
وهو شطر بيت شعر وتمامه :
تدس الى العطار ميرة أهلها * وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
وقائل هذا البيت غير معروف . وقد قيل انه لاعرابى تزوج امرأة كان يعتقد أنها شابة ولكنهم دسوا اليه عجوزا ويظهر أنها كانت تأتى الى العطار لتأخذ منه أشياء تلون وجهها ويديها أملا فى أن تظهر بمظهر الشابة الفتية .
(قول على قول / حسن الكرمى / ١/٢٦١ - ٢٦٢) .

(٢) سقطت من " أ " و " ب "

(٣) وهذا رأى الكنيسة الغربية البطرسية ، حيث كان من قرارات هذه الكنيسة الى أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معا .
وكانت الكنيسة اليونانية قد انقسمت على كنيسة روما وصارت كنيستين أحدهما غربية بطرسية والثانية كنيسة شرقية يونانية ارثوذكسية وهذه ترى أن الروح القدس انبثق عن الآب فقط . وسبب هذا الانقسام :
يرجع الى قضية انبثاق الروح القدس . هل انبثق من الأب فقط ؟ كما هو رأى الكنيسة الشرقية ، أو هو من الأب والابن معا ؟ كما هو رأى الكنيسة الغربية . (محاضرات فى النصرانية لأبى زهرة / ١٧٥ - ١٧٦ - نشر دار الفكر العربى سنة ٩٧٧ ام .)

فالأب أصلية الالهية لأنه كما لا يخل قط أن يكون الها ، كذلك لم يخلو قط أن يكون أبا ، الذى الابن منه مولود ، والذى الروح القدس منه ليس مولودا ،لأنه ليس ابنا ولا غير مولود ، لأنه ليس مخلوقا ، لأنه ليس من شىء بل اله منبثق من الأب ، والابن اله .وأقنوم الأب غير أقنوم الابن ، وأقنوم الابن غير أقنوم الروح القدس . لكن / التثليث المقدس ذات واحد الالهية . (٢٠)

وهذا تصريح بأن الأقانيم ألهة ، وأن كل واحد منها غير الآخر" ا.هـ

وقد ذهب شباليش الى (أن) (١) الثلاثة الأقانيم ، ممتزجة فى أقنوم واحد ، وهو عند كثير منهم مكفر أو كالمكفر .

وقد ذهب أرليش الى أن الهية الأقانيم منخزلة ومتبعضة الذات ، وهو عندهم مفتر خارجى . قال صاحب كتاب المسائل : " لسنا نؤمن أن فى التثليث شيئا مخلوقا أو خادما كالذى أنشأه ديونيشيش ، (٢) أو غير معتزل كقول أونوميش ، أو ناقص الامتنان كقول أوتفش ، أو مقدما أو مؤخرا أو صغيرا كقول أريش ، ولا ذا جسد كقول مالطه (وترتليان) (٣) ،ولا مصورا بالجسدية كقول أربد (ونمرشيش) (٤) ، أو محجوبا بعضه عن بعض كقول أوريان) ، ولا مربيا من المخلوقات كقول فرشاط . ولا متفرق الارادة والعوائد كقول مرجيون ، ولا منقلبا من ذات التثليث الى طبيعة المخلوقات كقول افلاطون وترتليان (٥) ، ولا منفردا فى رتبة مشتركا فى أخرى كقول

---

(١) ساقطة من "أ" و"ج"   (٢) فى ب" معتدل"

(٣) فى "ب" "وبريلكيان"   (٤) فى ب" مرشيش"

(٥) وهو مؤرخ وكاتب مسيحى لاتينى ولد فى قارطجنة وهى مدينة أثرية فى شمال أفريقيا ، ويطلق عليه النصارى اسم ترتليانوس ، وقد ولد فى حوالى سنة ١٥٥- ١٦٠ م من والدين وثنيين ، وتلقى علومه فى مدارسها ثم توجه الى روما ودرس الحقوق ثم أصبح محاميا ثم مدافعا عن المسيحية من الدرجة الأولى ثم اندفع الى دراسة الانجيل وعمل فى التعليم والارشاد . وقد أحب ترتليان فى يوم من الأيام الفلسفة وألف فيها كتبا منها كتابا فى النفس ، وقد عده النصارى الكاتب الأول فى الكنيسة اللاتينية بعد أغسطين . (تاريخ الفكر المسيحى .د/ القس حنا - ٥١٤ - ٥١٧) وانظر قصة الحضارة (١١/ ٣٠٨)

أوريان ، ولا ممتزجا كقول شباليش ، بل كله كامل لأنه (كله)(١) واحد ومن واحد ، لا مفرد كزعم شلبانش(٢)" ا . هـ

واذا وقفت على هذه الأقاويل الضعيفة ، والآراء السخيفة ، لم تشك فى تخبطهم فى عقائدهم ، وحيرتهم فى مقاصدهم . قالوا فى الله (تبارك وتعالى)(٣) بآرائهم ، واتبعوا فيها ظاهر اهوائهم ، فهم فى ريبهم يترددون ، ولجهالهم مقلدون ، وبضلالهم مقتدون . ولما رأينا هذه المذاهب الركيكة (التى)(٤) لا تستحق أن تحكى ، بل يضحك من ذهاب (عقول)(٥) أربابها ويبكى ، أعرضت عنها اعراض المطلع على عورة امام من يخاف جوره ، فعزمت على نقل مذهب كبيرهم أغشتين ، فان مذهبه فى الأقانيم ، يقارب فى الصفات مذهب المسلمين . وذلك أنه قال بعد مقدمة كلام يرجع حاصله الى ما نذكره : " لما أقر علماء المجوس بالقوة الماسكة لكل شىء ، وأراد بعضهم أن ينزلوها جوهرا غير حي ، ولا مستغن بنفسه ، وجب علينا أن نحتج عليهم بما يضمهم الى الاقرار بأن تلك القدرة ذات علم وارادة " ا . هـ

قال : وقد رد علينا هذه المقالة برفيرش فقال : " لا نقول انه شىء فيكون قد سميناه بالأشياء التى لا تسلم من عيب ، ولكنا نقول انه (لكل شىء عقيب)(٦) ولا نقول شىء . ثم قال : " ألستم تقرأون ان الذى قدر هو الذى علم ، وأن الذى علم هو الذى أراد ، فهو واحد فى جميع المعانى وانما القدرة والعلم والارادة أسماء ، صارت فيما بين (الخالق)(٧) والمخلوق . وليست لا خالقة ولا مخلوقة ، لأنه لو لم يكن الشىء المقدور لم يسم ذا قدرة ، ولو لم يكن الشىء (المعلوم)(٨) لم يسم ذا علم ،

---

(١) ألحقت بهامش المخطوط " أ "

(٢) الاسماء التى ذكرها مؤلف المخطوط مثل شباليش ، وأرليش ، ودونوفشيش ، ولغوميش واتفش ، ومالطاة ونمرشيش ، وفرشاط و أريان ومرجيون وشلبانش، وما ذكره من أقوال عنهم حول الأقانيم والتثليث . لقد بحثت عنها كثيرا ولم أعثر عليها ع و قد سألت الأستاذ ابراهيم خليل أحمد عنها فأجاب بقوله : هذه أسماء لاتينية لنصارى عاشوا فى زمن القرطبى . وأن ما ذكره القرطبى عنهم هى آراء لهم حول الأقانيم والتثليث .

(٣) ليست فى "ب"

(٤) ساقطة من " أ "

(٥) ألحقت بهامش " أ "

(٦) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ج "

(٧) فى "ب" (الخلق)

(٨) فى " ج " (المعلم) .

وكذلك القول (في الارادة) (١) فهذه أسماء انما هي اعراض وأسماء فيما بينه وبين الخلق مثل قولنا: "ذو رحمة، وذو حكم، وذو عقاب. فلو لم يكن الخلق المرحوم (لم) (٢) يلزمه اسم الرحمة، وكذلك غيرها" ا.هـ.

قال أغشتين في جوابه عن قوله: " نقول انه لكل شيء عقيب (٣)، وما لم يكن له عقيب فليس بشيء، لأن عقيب شيء لا شيء. واذا كان انما ينفي عنه اسم شيء لأن الاشياء كلها (له) (٤)، فمثل ذلك يجب عليه في قوله أنه أو قوله كان، مع أنا لا نعرف شيئا نقول فيه انه الا بعد معرفتنا اياه شيئا، وحسبنا في هذا قولنا شيء ليس كشيء من جميع الأشياء". (٥)

---

(١) في "ج" (بالارادة)

(٢) ساقطة من "ج"

(٣) عقيب: قال الخليل: كل شيء يعقب شيئا فهو عقيبه كقولك خلف يخلف بمنزلة الليل والنهار اذا مضى أحدهما عقب الآخر وهما عقيبان كل واحد منهما عقيب صاحبه. ويقال ان العقيب الذي يعاقب آخر في المركب.
(معجم مقاييس اللغة ٤/٧٧ - ٧٨ طبعة الحلبي الثانية)

(٤) في "ب" (اليه)

(٥) قال الرازي عند قوله تعالى: (كل شيء هالك الا وجهه) القصص ٨٨
"احتج أهل التوحيد بهذه الآية على أن الله تعالى شيء، قالوا لأنه استثنى من قوله (كل شيء) استثناء يخرج ما لولاه لوجد أو لصح دخوله تحت اللفظ فوجب كونه شيئا يؤكده ما ذكرناه في سورة الأنعام وهو قوله (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله) الأنعام ١٩.
أما الذين قالوا أنه ليس بشيء احتجوا بقوله تعالى: (ليس كمثله شيء) والكاف معناه المثل فتقدير الآية ليس مثل مثله شيء، ومثل مثل الله هو الله، فوجب أن لا يكون شيئا. وقد رد الرازي هذا التفسير بأن الكاف صلة زائدة مما يدل على أن الرازي يرجح أن الله تعالى شيء".
(أنظر تفسير الرازي ٢٥/٢٤ ط ٢ دار الكتب العلمية)

قال : " واما قوله : أن القدرة والعلم انما هى اعراض لزمته فيما بينه وبين الخلق ، وأنها مثل الرحمة والحلم فانا نحتج عليه فى // ذلك بأن نقول : لست تنكر (٢١) أنه كان قبل الأشياء ودون الأشياء بلا ابتداء . فهل تقدر أن تجحد أنه كان أبدا قادرا ؟ فاذا أقررت أنه لم يزل قادرا ، فقد أقررت أن القدرة صفة أزلية .

فان قلت : انه لا يجوز أن يسمى (قادرا) (١) قبل أن يكون الشىء المقدور عليه قادرا ، وانما يسمى قادرا بعد كون الشىء المقدور (عليه) (٢) قلنا : أفكان يقدر على أن يقدر أم لا ؟ فلابد لك من أن تقول : كان يقدر ، فيلزمك وصفه بالقدرة على كل حال .

وكذلك قولنا: فى العلم والارادة ، وقولك يرحم (ويغفر) (٣) ويحلم ليس مثل قولنا يقدر ويعلم ويريد ، لأنك لا تقول كان أبدا يرحم ، وكان أبدا يخلق ولابد (من) (٤) أن تقول : كان أبدا يقدر ، وكان أبدا يعلم ، وكان أبدا يريد ". أ. هـ

ثم قال بعد كلامه مع الفلاسفة " : " فنحن ما لم نصفه بالعلم والارادة ، لم نصفه بمدبر ولا حي " .

ثم قال : ان "قلنا" (٥) عرفّناه بوحدانيته ، وعلمناه بذاته ، من غير نظرنا الى فعله ، الدال على قدرته وعلمه وارادته ، - فقد كذبنا - . لأنه لا يقدر أحد أن يقول : أنه وقع على معرفته ، الا بما نظر اليه من خلقه ، وتفكر فيه من حكمه ومعرفته بنفسه . (وكل) (٦) هذا اقرار بالثلاثة الأقانيم التى ذكرنا . لأنا لما وجدنا الخلق الذى لم يقدر أن يكون بنفسه ، وجب الاقرار بالشىء الذى به قدر

---

(١) سقطت من " أ " و " ج "
(٢) فى " أ " و " ج " علينا
(٣) فى "ب" (يعفو)
(٤) ألحقت بهامش "ب"
(٥) ليست فى " أ " وألحق بهامش أ بدلا منها (شاء)
(٦) فى "ب" (وهل)

أن يكون ، وهى القدرة التى سماها علماء المجوس الهيولى (١) .

ثم لما نظرنا الى تدبير الخلق وجب الاقرار بالعلم والارادة ، لأن التدبير لا يكون الا ممن يعلم (ويريد) (٢) فثلاثتها اسم لاله واحد ، ونعت لمدبر فرد ، ولا تجد هى غيره ، ولا يجد هو غيرها .

فهذا قولنا فى التثليث الذى وصفه الأنجيل (٣) ، وأمر بالايمان به ، وسماه باللسان العجمى ، الأب والابن والروح القدس" . ا . هـ

فهذا كلام هذا القس . والنصارى معترفون بأنه أعرفهم بدينهم وأعلمهم بشرعهم ، ويقينهم ينص على أن الأقانيم الثلاثة (أنها) (٤) صفات ونعوت للواحد الفرد . ولا يقال فيها أنها هو . ولا هى غيره ، وهو لعمرى من المسددين فى هذا النظر ، اذ قد سلك مناهج البحث والعبر . ولقد قارب الحنيفية ، وتباعد عن الملة النصرانية .

---

(١) الهيولى : فى لغة الفلاسفة هو بمعنى المحل . ويقولون هى المادة والصورة والمادة عندهم هى الجسم وعلى هذا فالهيولى : المادة المدبرة للصورة وهى أصل الشىء كالفضة فى الدراهم . وكان ارسطاطاليس يسمى صاحب الهيولى ، وذلك أن مذهبه كالدهر أن أصل العالم قديم .(انظر الفتاوى لابن تيمية ٩/ ٢٧٢ - ٢٧٣) ، (رسالة سرح العيون لابن نباته ٤٧)

(٢) فى "ب" (يدبر)

(٣) ليس فى الانجيل كله كلمة واضحة عن الثالوث ، وكلمة الثالوث نفسها لم تعرف فى عهد المسيح ، ولم ترد هذه الكلمة فى الاناجيل الرسمية ، وأول من استعملها ترتليانوس الذى عاش بين سنة ١٦٠ ، ٢٤٥ م وهو من الذين وقفوا أنفسهم للدفاع عن المسيحية كما أن العهد القديم لم يذكر هذه الكلمة ولا ما يفهم منه صراحة أو رمزا . وكتب العهد الجديد خالية من كلمة الثالوث أو أى اشارة اليه . (الديانات والعقائد / أحمد عبد الغفور عطار ٣/ ١٥٠-١٥١)

(٤) سقطت من "أ" و "ج"

الا أننا ننازعه نزاعين ، أحدهما : فى تسمية هذه الصفات الأب والابن (والروح القدس)[١] على ما تقرر ، وهذا نزاع لفظى ليس بكبير ، ولا له حظ خطير .

والنزاع الثانى : فى أنه قصر الأقانيم على هذه الثلاثة ، ولم يعد الحياة فيهما كما فعل غيره منهم . وكذلك الوجود الموصوف بهذه الصفات لم يعده أقنوما . وقد صرح بأنها صفات ، ولا بد للصفات من موصوف بها بالضرورة . وسنعطف عليه بالرد اذا تكلمنا مع غيره ان شاء الله (تعالى)[٢] .

ومع هذا فقد سلك هذا الرجل مسلك أرباب العقول ، وتبرأ من جهالة كل جهول ، واذا كان كذلك ـ فسبيلنا أن نتكلم مع الذى صدّرنا هذا الفصل بذكر كلامه ، فانه كثير الفساد ، مضرب عن الرشاد ، ويتضمن الرد عليه الرد على غيره ، ممن يقول مثل قوله أو ما يقاربه ، مستعنين بالله متوكلين عليه .

الجواب عن ما ذكره

المصدر كلامه : (لتعلم)[٣] أيها الناظر فى كتابنا ، (أننا)[٤] يمكننا أن نناقش هذا القائل ، كما ناقشنا السائل ، فان كلامه كثير الغلط ، ظاهر التكلف والشطط . لكنا تركنا مناقشته اللفظية ، وصرفنا المناقشة للمباحثة المعنوية ، كراهة للاكثار وميلا للايجاز والاختصار .

وأيضا فان نفس الله فى العمر ، وصرف عنا عوائق الدهر[٥] ، فسنرد عليه فى كتاب مفرد ان شاء الله (تعالى)[٦] ، أبين فيه غلطاته ، وأوضح جهالاته/وسقطاته (٢٢)
بحول الله وقوته .

---

(١) ساقطة من " ب " و " ج "

(٢) ليست فى "ب" و " ج "

(٣) فى "ب" (اعلم)

(٤) فى " ج " (أنا)

(٥) عوائق الدهر : مصائب الدهر وكل ما يعيق الانسان عن العمل .

(٦) ليست فى " ج " .

فنقول له : لا يشك عاقل سليم الفطرة ، أن خالق العالم موجود ليس بمعدوم ، وقد اعترفتم بأنه حي عالم . ومن لم يعترف بذلك أقيمت عليه البراهين القاطعة .

فاذا تقرر ذلك قلنا : فمفهوم أنه حي ، هو (عين)(١) مفهوم أنه عالم ، أو غيره . فان كان عينه فقولكم (حي)(٢) ، عالم كقولكم حي ، حي ، أو عالم عالم ، والفرق بينهما (معلوم)(٣) ضرورة ، ولو كان عينه لاختلطت الحقائق ، فثبت أنهما متغايران متعددان .

فاذا ثبت ذلك . فاما أن يرجعا الى الخالق - سبحانه (وتعالى)(٤) - في قولكم أنه حي عالم ، أو لا يرجعان . فان لم يرجعا لم يصح الاخبار عنه بهما ، ولم يكونا وصفين (له)(٥) . فثبت أنهما يرجعان اليه ، واذا ثبت ذلك - فاما أن يكونا من أوصافه تعالى النفسية أعني : الذاتية ، فان كانا من أوصافه النفسية أدى ذلك الى أن تكون ذاته وماهيته متركبة متبعضة ، وذلك محال على ما قررتم فيما تقدم من كلامكم .

وأيضا لو عقل كون العلم والحياة من الأوصاف النفسية في محل (لعقل)(٦) ذلك في كل محل . ويلزم من ذلك كون العلم والحياة من صفات أنفسنا ، وذلك معلوم البطلان بالضرورة .

وأيضا فلو جاز ذلك ، للزم أن يكون العلم والحياة قائمين بأنفسهما ، أعني موصوفين ، لأن جزء القائم بنفسه قائم بنفسه .(وقد ثبت بالأدلة القاطعة أن البارى تعالى قائم بنفسه)(٧) . والمعقول من العلم والحياة أنهما صفتان ، لا موصوفان .

---

(١) في "ب" (غير) والصحيح ما أثبتناه .
(٢) سقطت من "ج" .
(٣) في "ج" (معلوما) .
(٤) ليست في "ب" و "ج" .
(٥) سقطت من "ب"
(٦) وردت في نسخة "ب" كلمة (العقل) وهي زيادة والصواب (لعقل)
(٧) ما بين القوسين المفتوحين سقط من "ب" .

فاذا تقرر ذلك - وثبت - لزم منه أنهما زائدان على النفس. فاذا ثبت ذلك فاما أن يقوما به أولا يقوما به ، فان لم يقوما به لم يتصف بهما ، ولو جاز أن يتصف بما لا يقوم به لجاز ذلك في حقنا ، فكان يلزم عليه أن (يكون)(١) علم زيد يتصف به عمرو . وذلك محال ضرورة .

فدل ذلك على أنهما قائمان به . فاذا قاما به وهما وجودان زائدان على الذات حصل من ذلك كله : أن ذاته واحدة ، لا تركيب فيها ولا تعدد . وأن صفاته الزائدة هي المتعددة . وهذا لا احالة فيه ، بل هو الحق ، الذى لا غبار عليه. ولا بد لكل ناظر من الرجوع ، وان تخبط اليه ، (فهكذا)(٢) ينبغى أن تفهم صفات البارى (تبارك)(٣) وتعالى (وتقدس وتنزه عما يقول الجاحدون ، والكافرون علوا كبيرا)(٤) . وهذه الطريقة البرهانية ، تجرى فى كل صفة يدّعى ثبوتها للبارى تعالى)(٥) !

وبعد الانتهاء الى هذا المحل ينظر ، هل أوصافه أزلية أو ليست بأزلية ؟ والحق أنها أزلية ، ولا يجوز أن يكون شيء منها حادثا . اذ لو كان شيء من صفاته حادثا ، للزم عليه أن يكون محلا للحوادث ، ويلزم على ذلك حدوثه تعالى ، (وهو محال على ما يعرف في موضعه)(٦). (والله تعالى قديم لا ابتداء له جل جلاله)(٧)

فاذا تمهد هذا الأصل قلنا بعده للمتكلم معه،الأقانيم عندكم لا تخلو من أن ترجع (اما)(٨) الى صفاته النفسية ، أو الى صفاته المعنوية - أعنى الزائدة على النفس(٩) ،

---

(١) فى "ب" (يقوم) (٢) فى "ب" (فهذا) والصواب ما أثبتناه
(٣) ليست فى "ب" و "ج" (٤) ما بين القوسين سقط من "ج"
(٥) ما بين القوسين سقط من "ب" . (٦) ما بين القوسين سقط من "ب"
(٧) ما بين القوسين سقط من "أ" و "ج" (٨) ساقطة من "ب" .
(٩) وهذه صفات الله عند المتكلمين تنقسم الى قسمين :
الصفات النفسية : ويعنون بها أن كل صفة اثبات لنفس لازمة ما بقيت النفس غير معللة بعلة قائمة بالموصوف فهى من الصفات النفسية .
والقسم الثانى : الصفات المعنوية : وهى الاحكام الثابتة للموصوف بها ، معللة بعلل قائمة بالموصوف . (كتاب الارشاد للجوينى / ٣٠) .

ولا واسطة بين القسمين. فان رددتموها الى القسم الأول ، لزمكم ما تقدم من المحالات ، حذو النعل بالنعل (١) . وان رددتموها الى القسم الآخر ، فلأى معنى قلتم فى حد الأقنوم ، أنه الشىء المستغنى بذاته عن أصل جوهره ، فى اقامة خاصية جوهريته ؟ (٢) وهل المفهوم من هذا الا أنه صفة نفس ؟ لأن المستغنى بذاته عن أصل جوهره ، هو الذى نعبر نحن عنه بالقائم بنفسه ، ويعبر عنه غيرنا من النظار بالموجود لا فى موضوع .

وأيضا ان كان أراد هذا القائل أن الأقنوم هو الصفة الزائدة (على) (٣) الذات ، فيلزمه أن يجعل الاعراض أقانيم . فانها زائدة على الذات .

ومن عجيب أمره أنه لزم (٤) /من قال أن العلم والحياة غير الجوهر ، الاشراك (بالله) . (٢٢)

وأى اشراك يلزم من قال أن صفات المعانى زائدة على (ذات) (٥) الموصوف بها ؟

وكيف يمكن أن يقول عاقل أن (الصفة) (٦) الزائدة على الجوهر أنها عين الجوهر؟

وهل قائل هذا الا جاهل أو متجاهل ؟!

فحصل من هذا كله : أن الأقانيم لا يصح عندهم ، أن تقال على الصفات النفسية ، ولا على الصفات المعنوية ولا يعقل هنالك أمر آخر متوسط بينهما . فقولهم فى الأقانيم غير معقول ، فكأنه قول مجنون مخبول !

ثم نقول لهذا القائل : لأى شىء لم تجعل القدرة من الأقانيم ، كما ذهب (اليه) (٧) متقدمكم الأقدم ، وأسقفكم الأزعم أغشتين ، فتكون الأقانيم أربعة ؟ .

فان قال : ان القدرة ترجع الى الوجود كما صرح بذلك بعضهم ، فنقول لمن يقول ذلك : ولم ذلك ؟ وهل لا رجّع العلم والحياة الى الوجود ؟ وما الفصل (بينهما) (٨) (لولا) (٩) محض التحكم .

---

(١) ويضرب هذا مثلا فى تشابه الشيئين يقال : جزاه حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة : والقذة هى الريشة التى تركب على السهم .(جمهرة الأمثال ١/ ٣٨١)

(٢) انظر كتاب اللاهوت النظرى ٢/ ٤٣ (٣) فى "أ" (عن)

(٤) فى "أ" (به) (٥) فى "ب" (ذلك)

(٦) فى "ج" (الصفات) (٧) فى "أ" (اليكم)

(٨) ألحقت بهامش "أ" (٩) فى "أ" (الا)

وكذلك القول فى الارادة (سواء) فان قال الارادة (١)، ترجع الى الحياة ، قيل له : ان صح ذلك فليرجع اليها العلم . ، وان جاز شيء من ذلك فلترجع كل واحدة من هذه الصفات الى الأخرى ، ويرجع الكل الى الوجود ، والوجود هو نفس الذات ، فترجع الأقانيم الثلاثة الى واحد ، وهو محال على ما تقدم لكم وعليكم .

ويكون (أيضا) (٢) هذا قولا بامتزاج الثلاثة الأقانيم فى أقنوم واحد ، كقول الخارجى (الجاهل) (٣) شباليش وأنتم لا ترتضون (٤) شيئا من قوله ، ولا مذهبه .

ثم نقول : لأى شيء تحكمتم بأن الأقانيم ثلاثة ؟ وهلا ضفتم اليها القدرة والعلم والسمع والبصر كما تقدم الكلام عليه ؟ أو لعلها اثنان ، وعدم انتصارهم يدل على ضعف (أبصارهم) (٥) ، ولا حجة لهم فى هذه المواطن كلها أكثر من التحكم .

فينبغى اذا أن نتكلم معهم على جهة المناقضة والتهكم . وغايتهم فى ذلك : أن يرجعوا الى الاستقراء والتمثيل ، وهما فى المعتقدات طريقا الخطأ والتضليل .

ثم نقول : هذه الأقانيم الثلاثة ، قد قلتم أن كل واحد منها مستغن بذاته عن أصل جوهره ، واذا كان ذلك (فاما) (٦) أن يكون كل واحد منها الها ، أو جزء اله ويكون مجموعها الها واحدا ، (فان) (٧) كان جزء اله ، لزم عليه : أن يكون الاله متركبا متبعضا ، ويلزمكم على ذلك ابطال التثليث الذى تقولون به ، ويلزمكم على ذلك : الامتزاج الذى ذهب اليه شباليش ، وان كان (٨) كل (واحد) (٩) منهما الها

---

(١) ما بين القوسين المفتوحين سقطمن "أ"

(٢) ألحقت بهامش "أ"

(٣) فى "ج" (الجاهلي) وفى "ب" (الجاحد)

(٤) فى "أ" (تضون) وفى "ب" (ترضون)

(٥) فى "ج" (أنصارهم)

(٦) فى "ب" (فانما)

(٧) فى "ب" (فاذا)

(٨) سقطت من "ب"

(٩) فى "ب" (منكم)

بانفراده ، لزمكم على ذلك أمور كثيرة شنيعة باطلة ،

منها : أن يكون كل واحد من هذه الأقانيم حيا عالما مريدا قادرا موصوفا بصفات الكمال . (١) (اذ الاله هو الموصوف بصفات الكمال) المتعالى عن صفات النقص .

فان التزم ذلك ملتزم : لزم عليه أن تقوم الصفة بالصفة . وان جاز ذلك جاز أن يقوم العلم والقدرة بالارادة . والارادة والقدرة بالعلم . والقدرة والعلم بالحركة . والحركة والقدرة (٢) (والعلم) (٣) باللون ، الى غير ذلك من أنواع (٤) (الجهالات) التى لا (٥) (يبوء بها) عاقل ، ولا يرضى (٦) (بسماعها) فاضل .

وان جاز قيام الصفة بالصفة (٧) (جاز أن يقوم بالصفة صفة) وبتلك الصفة صفة ويتسلسل ، وما تسلسل لم يتحصّل ، ويلزم عليه أن تكون الأقانيم لا نهاية لها . اذ العلم يقوم به حياة ، وتلك الحياة حية بحياة الى غير آخر .

ومنها : أن تكون القدرة قادرة بقدرة ، والعلم عالم بعلم ، والحياة حية بحياة ، الى غير ذلك من الصفات . وهذا غير معقول .

فان العلم والقدرة ، وسائر صفات المعانى انما توجب أحكامها للحال التى تقوم بها لا لأنفسها ، والعلم لا يكون عالما ولا قادرا ، وكذلك القدرة لا تكون عالمة ولا قادرة ، وكذلك سائرها . وانما العالم والقادر / والمريد والحي : هو (٢٤) الذات الذى تقوم به هذه الصفات . وهذا معلوم من غير اسهاب ولا اطناب .

ومنها : أن يكون الاله صفة لموصوف ، فان المفهوم المعقول من هذه الأقانيم ، أنها صفات لا موصوفات ، على ما تقدم الى أمور كثيرة يطول الكلام بذكرها .

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٢) سقطت من "ب"

(٣) فى "ب" (بالكون)

(٤) فى "أ" (المحالات)

(٥) فى "ب" (يبديها) وفى "ج" (يبوء به)

(٦) فى "ج" (بسماعه)

(٧) ما بين القوسين سقط من "ب" .

ثم نرجع الى بقية التقسيم فنقول : وان لم تكن هذه الأقانيم حية ، ولا عالمة ، ولا قادرة فلا تكون الهة .

وقد أطبق النصارى على أنها آلهة ، ويلزمهم ان لم تكن الأقانيم موصوفة بهذه الصفات وصفها باضدادها أو بالانفكاك عنها (فانها)(١) ان لم توصف بحياة وصفت بالانفكاك عنها ، والمنفك عن الحياة ميت ، فيلزم عليه أن يقولوا بآلهة أموات، وكذلك يلزم فى سائر الصفات .

وقد كعّ(٢) المصدر بكلامه عن هذا الالزام ، وصعب عليه المرام ، فتكلم بما لا يعقل . فليته سكت ، ولم (يتقوّل)(٣) ، وبعد الخبط والتأوه ، قال : هذا ما لا يجوز لنا به التفوه . ومن أراد أن يقضى العجب العجاب ، فليقف على ذلك الكتاب .

وتلخيص ما ذكره فى الانفصال أن قال : ان قلنا أن الأب ليس بحي كذبنا ، وان قلنا هو الحياة أبطلناه . فاذا كان ليس حيا وليس بحياة ، وجب أن يكون حيا بلا محالة . وكذلك قال فى العلم والحياة .

ومن أفضى به الى هذا الهذيان بحثه ونزاعه ، (فقد)(٤) تعين تركه وانقطاعه ، وحسبك فى شر سماعه(٥) .

وذلك كله يدل على أنهم ليسوا من العقلاء ، ولا (معدودين)(٦) من جملة الفضلاء ، بل قد انخرطوا فى سلك الحمقاء الجهلة الأغبياء . فهم قد جعلوا الههم هواهم، فأضلهم (الله)(٧) لذلك واراداهم . فهم كما قال الله (العظيم)(٨) فى محكم كتابه الكريم (أرأيت(٩) من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون (عليه)(١٠) وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا)(١١)

---

(١) ساقطة من "أ" و "ج"

(٢) كعّ : كعوعا : جبن وضعف وكععت: كععت (القاموس المحيط ٣/٨٢)

(٣) فى "أ" (يقول)

(٤) سقطت من "ب"

(٥) وأصل المثل (وحسبك من شر سماعه) (كتاب الأمثال لابن سلام ٧٢)

(٦) فى "ج" (معدودون)

(٧) سقطت من "ب" و "ج"

(٨) ليست فى "ب" وورد فيها (تعالى)

(٩) فى "أ" (أفرأيت)

(١٠) فى "ب" (عليهم)

(١١) سورة الفرقان ٤٣ - ٤٤

وما حكاه صاحب كتاب المسائل ، فكلام يدل على أن القوم ليس فيهم مستحي ولا عاقل . كابروا الضرورات ، وجحدوا المعقولات ، فتارة يتناقضون وأخرى يتواقحون ، افتراء على الله واستهانة بحرم الله . وحسبك دليلا على ذلك اختلافهم في (البديهيات) (١) هنالك .

وقد (وكلت) (٢) الناظر فيه ، لظهور تناقضه ، وفساد معانيه . فان غاية الناظر في كلامه : أن يلزمه من المحال والتناقض مثل ما صرح بالتزامه . ومن أنكر الضروريات ، وارتكب المحالات ، فدار المرضى والمجانين ، أولى به وأليق ، من (اشتغاله) (٣) بالمعقولات .

....

(١) في "ب" و"ج" (البديهيات) وما أثبتناه هو الصواب .

(٢) في "ب" (وكلنا)

(٣) في "ب" و"ج" (الاشتغال)

البـاب الثانـــي

فى بيان مذاهبهم فى الاتحاد والحلول وابطال قولهم فيهما

(وفيه) فصـول(١) ستة :

الفصل(٢) الأول

(فى بيان مذاهبهم فى الاتحـــــاد(٣))

فى حكاية كلام هذا السائل . قال السائل : ثم نبدأ بالقول فى الاتحاد فان قلت فاذا (انما) (٤) التثليث عندكم ، أسماء أفعال لخواص قائمة ، والذات واحد لا ينقسم ولا يتبعض ، فلم بعضتموه دون الأب وروح القدس ؟ ولم سميتم المسيح ابنا ؟ ولم سميتموه أبا وروح (القدس) (٥) .

اعلم أنها لما (تعارفنا) (٦) القضايا بالأفعال ، اختلفت أسماءها كما قدمنا ، فأضيفت قضية خلق الخليقة بدئا (الى القدرة) (٧) ، وسميت أبا ، وأضيفت قضية الموعظة الى العلم المتولد كلاما وسمى ابنا ، وانفردت قضية الوعظ بالكلمة دون غيرها ، لأن المسيح انما اتخذ فى الدنيا للموعظة لا لخلق الخليقة لأن الله لو اتخذ جسما ليخلق به الخلق بدئا لسمي الجسم أبا . / وأضيفت الكلمة الى (٢٥) الأب ، ولكنه انما اتخذه لموعظة الخلق . والوعظ مضاف الى العلم المتولد كلاما فسمى ابنا .

فلذلك قال الانجيل " التحمت الكلمة وسكنت فينا " (٨) .

---

(١) سقطت من "ب"

(٢) سقطت من "ب"

(٣) ما بين القوسين لم ترد فى النسخ الثلاثة بل هى اضافة مني .

(٤) سقطت من "أ" و"ج"

(٥) فى "أ" و"ج" (القدوس)

(٦) فى "ب" (تفرقت)

(٧) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٨) والنص فى انجيل يوحنا " والكلمة صار جسدا وحل بيننا " (يوحنا / ١ : ١٤)

فأفرد الكلمة بالالتحام لأنها الواعظة بالأمر والنهى دون القدرة والارادة ، فهذا أخصر شرح الاتحاد" . أ. هـ.

الجواب عن كلامـــه :

يا عجبا من بلادة صاحب هذا السؤال ، كيف لم يحسن ان تشبج عليه المقال ،(١) وكثر عليه اللحن (والاختلال)(٢) . حتى أخل بمفهومه وعدل عن السؤال ، فصار كلامه لذلك كأنه كلام مجنون مخبول ، اذا (هذى)(٣) ولم يتثبت فيما يقول .

وذلك أنه وجه على نفسه في كلامه هذا أسئلة انفصل بزعمه عن واحد منها وتغافل عن سائرها ، جهلا منه بورودها وحيدا عن جوابها .

أحد الأسئلة : أنه أراد أن يقول : قد قلتم أن التثليث قد رددتموه الى ثلاثة خواص لواحد لا يتبعض . فلم بعضتم ما لم يتبعض ؟ .

وثانيها : لم اتحد الابن بالمسيح دون الأب وروح القدس(وهذا (ثمة)(٤) كلامه حيث قال دون الأب وروح القدس)(٥) .

وثالثها : لم سميتم المسيح ابنا .(ورابعها)(٦) لما سميتم الله تعالى أبا .

(وخامسها)(٧): لم سميتم ارادة الله (تعالى)(٨) روح القدس .

على أن ظاهر كلامه يدل على أن السؤالين الأخيرين انما هما راجعان الى المسيح . ألا ترى أنه أعاد الضمير - أعني ضمير سميتموه - عليه لكنه لم يرد هذا . ويدل عليه أنه لم يسم أحد منهم المسيح أبا ولا روح القدس ، وانما سموه ابنا . فتارة يقولون عليه ابن الله .(٩)

---

(١) تشبج عليه المقال : أى لم يبين مراد منه (٢) في " أ " (الاخلال)
(٣) في " أ " (تهذبن) وفي " ج " (تهذى) (٤) في " ج " (تضمنه)
(٥) ما بين القوسين سقط من " ب " وألحق من هامش " أ "
(٦) في " ج " (رابعا) (٧) في " ج " (خامسا)
(٨) ليست في " ب "
(٩) كما في انجيل مرقس " بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله " (مرقس ١ : ١)

وتارة ابن الانسان. (١) وأما روح القدس ، فقد تقدم فى (اصطلاح) (٢) هذا السائل ، أنه أراد به الارادة . ومن اصطلاح غيره أنه أراد به الحياة ، ولم يقل قط أحد منهم أن المسيح اتحدت به ارادة الله وحياته . فلما وجه على نفسه هذه الاسئلة التى لم يشعر بوجه لزومها ، ولم ينفصل عن شىء منها - أخذ - بعد ذلك بزعمه ينفصل بكلام لا يلتئم ولا يتصل ، فأسهب فى التكرار والترداد ، فصار كلامه لذلك أبرد من حديث معاد .

ثم قال فى الجواب ما كان قد فرغ منه ، ولقد كان يستغنى عنه . (وقد) (٣) قدمنا أن الأقانيم الثلاثة انما سميت بالابن والأب وروح القدس لاختلاف القضايا الثلاث . فأضيف الخلق الى القدرة وسمي أبا ، وأضيفت الموعظة الى العلم ، وسمي ابنا ، وهذا كلام مكرر مستغنى عنه فى جواب ما سئل عنه ، (اذ لا تعلق له به ، وانما الكلام الذى يمكن أن يكون جوابا لبعض ما سئل عنه) (٤) هو قوله :

انفردت قضية الوعظ باللحمة دون غيرها ، لأن المسيح انما اتخذ فى الدنيا للموعظة ، وسكنت (فينا) (٥) لا لخلق الخليقة . ولذلك قال الانجيل : "التحمت الكلمة وسكنت فينا". (٦) هذا مقتضى كلامه فى الانفصال بعد تلفيق مبدد (الكلام) (٧)، وتهذيب متبج المقال . ومع هذا فكلام هذا السائل لا (يقبل) (٨) التلفيق من

(١) كما ورد فى انجيل متى : " ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان". (متى /الاصحاح ٢٦ : ٢٤)
مع أن ابن الانسان تعبير أطلقه النبى دانيال على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فاذا رجعت الى الاصحاح الثانى والثامن من سفر دانيال تجد أنه تحدث عن أربعة ممالك تنشأ على الأرض ، وفى نهاية المملكة الرابعة يظهر ملك الهى سماوى على يد نبى ولقب هذه المملكة ب (ملكوت السموات) أو نادى فى بنى اسرائيل باقتراب (ملكوت السموات) . وبعد رفع المسيح الى السماء ادّعى النصارى الذين هم فى الأصل يهود ، تظاهروا بالنصرانية أن (ملكوت السموات) هو ملكوت عيسى ، وليس ملكوت النبى المنتظر من آل اسماعيل ، وأن ابن الانسان ليس هو لقب للرسول صلى الله عليه وسلم ، بل هو لقب للمسيح كما تقدم الآن فى انجيل متى . ولذلك راح النصارى يحشرون بعض هذه العبارات فى الأناجيل =

صانع ، فان الفتق اتسع على الراقع .(١)

وبعد تقرير هذا نقول : قد تقدم جوابك عن أكثر هذا الفصل فيما تقدم ، حيث تكلمنا فى الأقانيم وعلى أسماء الأفعال ، وعلى التثليث ، وعلى القضايا الثلاث بما أغنى عن اعادته . فمن أراد أن يتحقق فساد هذا الكلام فليمد نظرا فيما تقدم.

وانما الكلام معك هنا على قولك انما اتحدت بالمسيح الكلمة التى هى العلم ،لأن المسيح اتخذ للموعظة . كيف يتمكن عاقل من أن يقول هذا الذى ذكرته ، وعيسى عليه السلام قد اتخذه الله (تعالى)(٢) لابراء الأكمه والأبرص ، واحياء الموتى ، وخلق الطير من الطين .(٣)

وهذه الأمور / كلها لا (يمكن أن)(٤) تقع الا بالقدرة والارادة . فقولوا انهما (٢٦)
اتحدا (به)(٥) ، ولا فرق بينهما وبين العلم لولا محض الجهل والتحكم ، لا سيما وقد جاء فى بعض كتبهم أن عيسى عليه السلام قال :

" قدرته قدرتى ومشيئته مشيئتى "(٦) أو قولوا أنه عليه السلام كان يفعل هذه الأمور

= (١) حشرا لتدل على أن ابن الانسان صاحب (ملكوت السموات) هو عيسى عليه السلام . (انظر حاشية اظهار الحق ١/ ٣٥٠) .

= (٢) فى" أ " (اصلاح) = (٣) سقطت الواو من (قد) فى النسخ الثلاث.

= (٤) ما بين القوسين سقط من"ب" = (٥) فى"ب" (فيها) .

= (٦) والنص كما فى انجيل يوحنا " والكلمة صار جسدا وحل بيننا "(يوحنا ١ : ١٤)

= (٧) سقطت من " أ " و " ج" = (٨) فى " أ " (يقل)

(١) وأصل هذا المثل (اتسع الخرق على الراقع) (جمهرة الأمثال ١/ ١٦٠)

(٢) ليست فى "ب"

(٣) والدليل على هذا قوله تعالى : (" اذ قال الله ياعيسي ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى ... الآية) (المائدة ١١٠)

(٤) سقطت من " ب " (٥) ساقطة من "ب " .

(٦) والنص فى لوقا " لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض "(لوقا /الاصحاح ١١ : ٢)

الخارقة للعادة بغير قدرة . فيلزمكم أن يفعلها بغير علم ، ثم يلزمك على مساق كلامك أن يكون كل من اتخذ للموعظة من الأنبياء والعلماء أن تتحد بلحمته الابن .

وأما قولك : " ان) (١) الله لو اتخذ جسما ليخلق به الخلق ، لسمى ذلك الجسم أبا " فهو الزام ما لا يلزم .

فان الله (تعالى) (٢) قد اتخذ (الأرض) (٣) والماء والهواء والنار ليخلق بها المخلوقات، ولا يلزم من ذلك أن يكون أبا ، ولا أن تسمى أبا وهى أجسام .

وأما قولك : فلذلك قال الانجيل " التحمت الكلمة وسكنت فينا " (٤) فلقد خالفت التنزيل وحرفت التأويل ، فهلا عليك سترت على مكرك ، ولم تلبس على نفسك وخصمك . ولأى شىء لم تذكر الكلام من أوله ، وتسوقه على منازله ؟ أتظن أن المسلمين ليسوا بكتبكم عارفين ، ولا لتحريفكم وتلبيسكم منتبهين . تالله (لقد يفهم) (٥) من يعرف منها الحق الذى لا تعرفون ، ويتحقق منها ما أنتم فيه تشكون ، ويعلم منها ما أنتم به جاهلون .

ومن (ذلك أن) (٦) هذا الكلام الذى حكيته عن الانجيل ، وسلكت به مسلك التجهيل هو فى انجيل يحي بن سبذاى المصور (بزعمكم) (٧) بصورة عقاب ، يقول عن عيسي عليه السلام " من يقبله منهم وآمن باسمه أعطاهم سلطانا ليكونوا أولاد الله ، وهم الذين لم يتوالدوا من دم ولا شهوة لحوم ، ولا شهوة رجل ، ولكن توالدوا من الله (فالتحمت الكلمة وسكنت فينا ، ورأينا عظمته كعظمة ولد الله) (٨) الفرد المحشو

---

(١) فى " ج " (لأن)

(٢) ليست فى " ب "

(٣) ألحقت بهامش " أ "

(٤) انظر انجيل يوحنا الاصحاح الأول : ١٤

(٥) فى " ب " و " ج " (لقد فيهم) وما أثبتناه هو الصواب .

(٦) سقطت من " ب "

(٧) غير واضحة فى " أ "

(٨) ما بين القوسين المفتوحين سقط من " ب "

رضوانا وصدقا ".(١)

هذا مساق كلامه (في الانجيل)(٢) ، وهذا الكلام لا يستدل (به)(٣) على ما ذكرت ولا على غيره ، حتى يعلم أن عيسى عليه السلام هو الذى قاله ، وليس هو فى الانجيل مرفوعا الى عيسى ولا مسندا اليه ، ولا مخبرا به عن الله تعالى .

وغايته - ان صح - أن يكون موقوفا على يحى ومن قوله ، وحاشاه عن قول مثله .

ثم لو سلمنا ذلك فليس بمعصوم . فان العصمة انما تثبت للأنبياء أو لمن أخبر الأنبياء عنهم أنهم معصومون . وهذا ليس بنبى ولا بلغ عن الأنبياء بطريق قاطع أنه معصوم . وسيأتى الكلام على هذا فى باب النبوات ان شاء الله (تعالى)(٤) .

وبتقدير أنه معصوم ، فكتابكم قابل للتحريف(٥) (والتغيير)(٦) ، فانه لم تكمل فيه شروط

---

(١) والنص كما جاء فى " انجيل يوحنا " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله " . (انجيل يوحنا الاصحاح ١ : ١٢ - ١٣)

وفى هذا الكلام المتقدم من الكفر ما لو انهدمت الجبال منه لكان غير نكير ، فتأول قولهم أن المؤمنين بالمسيح هم أولاد الله ، فالنصارى اذا كلهم أولاد الله ، فأى منّزلة للمسيح عليهم اذ هو ولد الله وهم أولاد الله . ثم أعجب من هذا أن المؤمنين بالمسيح لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم . ولكن توالدوا من الله على حد زعمهم وهذا من عظيم المجاهرة بالباطل .

(انظر الفصل لابن حزم ٢ / ٦٣)

(٢) سقطت من "ب" (٣) ساقطة من "أ"

(٤) ليست فى " ج "

(٥) ولهذا يقول رحمة الله الهندى : (بعد أن بين أنه لم يثبت بالسند الكامل أن الانجيل المنسوب الى يوحنا من تصنيفه . . . وعلم من هذا الوجه أن المفكرين أنكروا كون هذا الانجيل من تصنيف يوحنا فى القرن الثانى ، وما قدر المعتقدون أن يثبتوه ، فهذا الانكار ليس بمختص بنا ، وستعرف فى جواب المغالطة الأولى أن سلسوس من علماء المشركين الوثنيين كان يصيح فى القرن الثانى : بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات ، بل أزيد من هذا تبديلا . . . وأن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون ، بل =

التواتر . فانه راجع الى أخبار (آحاد)(١) لا تفيد علما على(٢) ما نبينه .

وعلى التقريب ان أناجيلكم انما هى أربعة عن أربعة (٣) ، كل واحد منهم لا يفيد خبره العلم بأنه خبر واحد . ومع ذلك فلو أنهم تواردوا على نقل خبر واحد لكان نقلهم لا يفيد اليقين ، فان الخبر الذى يحصل به العلم واليقين (انما)(٤) هو المتواتر ، وحقيقته الخبر المفيد للعلم بالمخبر عنه ، الذى تحيل العادة على ناقليه الغلط، والتواطؤ على الكذب ، على ما يأتى ان شاء الله (تعالى)(٥) .

وعلى تسليم انه لا يقبل التغيير ولا التحريف (٦) ، فهذا الكلام ليس بنص قاطع بل هو محتمل للتأويل ، وتأويله معضود بسياقة اللفظ .

= (٥) صنفه رجل مجهول الاسم ، ونسب الى الحواريين ، ورفقاء الحواريين ليعتبره الناس" (اظهار الحق ١/ ٩٨ - ٩٩) .

= (٦) ألحقت بهامش "أ"

(١) سقطت من "ب"

(٢) وشرط الكتاب الدينى أن يكون بالتواتر كما يقول الشيخ رحمة الله الهندى : " اعلم ارشدك الله تعالى أنه لا بد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا الكتاب بواسطة النبى الفلاني ، ووصل بعد ذلك الينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، ولاستناد الى شخص ذى الهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى اثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص ، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفى فيه ". أ. هـ (اظهار الحق ١/ ٨٣) .

(٣) وهى المشهورة عندهم (مرقس ، ومتى ، ويوحنا ، ولوقا) .

(٤) ساقطة من "ب"

(٥) ليست فى "أ" و "ج"

(٦) مع أنه ثابت أن انجيلهم بلا سند ، وأنه توجد فى زمان تأليف الأناجيل الأربعة روايات واهية ضعيفة بلا سند يعلم منها أيضا أنه لا سند عندهم لهذه الكتب . هذا ما قاله الشيخ رحمة الله الهندى ويستدل على ذلك بكلام (هورن) الذى يقول : " الحالات التى وصلت الينا فى باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخى الكنيسة أبتر وغير معينة ، ولا توصلنا الى أمر معين ، والمشايخ القدماء الأولون صدّقوا الروايات الواهية وكتبوها ، . . وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب آخر وتعذر تنقيدها بعد انقضاء المدة " (اظهار الحق ١/ ١٠٠) .

وذلك أن مساق هذا الكلام يقتضى أن (كل)[(١)] من آمن بعيسي عليه السلام فانه توالد من الله ، والتحمت الكلمة به وسكنت فيه (ولذلك قال ولكن توالدوا من الله فالتحمت الكلمة وسكنت فينا)[(٢)] .

فان كنت تريد أن تستدل بهذا اللفظ على أن الكلمة اتحدت بالمسيح خاصة فليس لك فيه دليل ، بل يدل ظاهره على أن كل من آمن به التحمت الكلمة (به)[(٣)] وسكنت فيه ، وهذا شيء / لا تقولون به ، ولا يذهب اليه أحد منكم . فهلا عليكم (٢٧) تفهمتم كتابه وتدبّرتم خطابه ، ورددتم آخر الكلام على أوله حتى تعرفوا نصه من (مؤوله)[(٤)] . على أنه لو كان نصا قاطعا لا يحتمل التأويل ، لما كان ينبغى لعاقل أن يقول بمقتضاه . فان الاتحاد محال (قطعا)[(٥)] على ما يأتى ان شاء الله (تعالى)[(٦)] اذا تكلمنا على حقيقة الاتحاد والحلول[(٧)] .

---

(١) ساقطة من "ب"

(٢) ما بين القوسين ألحق بهامش "أ"

(٣) سقطت من "ب" (٤) فى "ب" (متأوله)

(٥) فى "ب" (عقلا) (٦) ليست فى "ج"

(٧) فالاتحاد والحلول اما معين فى شخص واما مطلق :

اما الاتحاد والحلول المعين : كقول النصارى والغالية فى الأئمة من الرافضة ، وفى المشايخ من جهال الصوفية . ولذلك يقول النصارى بالاتحاد والحلول المعين ، اما باتحاد الكلمة بجسد المسيح كاتحاد الماء واللبن وهو قول اليعقوبية . واما بالحلول وهو قول النسطورية ، واما بالاتحاد من وجه دون وجه وهو قول الملكائية .

واما الحلول المطلق : وهو أن الله تعالى بذاته حال فى كل شيء وهذا ما يحكيه أهل السلف عن قدماء الجهمية وهم يكفرونهم بذلك .

واما الاتحاد العام : وهو أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض هى نفس وجود المخلوقات ، ولهذا لا يتصور عندهم أن يكون الله خلق غيره ، ولا أنه رب العالمين ، ولا أنه غنى وما سواه فقير . (انظر فتاوى ابن تيمية ٢/٤٦٦) .

وأما قوله : فأفرد الكلمة بالالتحام لأنها الواعظة بالأمر والنهى فقول لم يقله الانجيل ، ولا دال عليه ظاهر ولا تأويل . وغاية ما فى الانجيل : أن الكلمة التحمت وليس فيه لأنها الواعظة . فمن عرفك أن الكلمة التحمت بهذه العلة بل (لعلها التحمت لعلة أخرى لم تعلمها أنت ولا غيرك أو) (١) لعلها التحمت لا لعلة بل لنفسها ، وانما نزلنا فى هذا المحل على تسليم الالتحام-وان كان باطلا - بالبرهان ليتبين أن هذا المذهب هذيان .

واما قوله : " لأنها الواعظة بالأمر والنهى " (٢) فقول من لا يعرف فرق (ما) بين الأمر والنهى والوعظ ، ولا حصل من الشرع ولا من العقل على حظ . فان الوعظ مخالف للأمر والنهى بحقيقته ومقصوده . اذ قد يعظ الواعظ من غير أمر ولا نهى ، وينهى ويأمر ولا يعظ ، (فهما) (٣) أمران مفترقان غير متلازمين على ما يعرف فى موضعه .

وأما قوله : " فهذا أخصر شرح الاتحاد " فالسين موضع الصاد أليق ، اذ الخسران اليه أقرب وبه ألزق . لأنك أوهمت أنك شرحت وأوضحت واختصرت وأوجزت كذ بل أخللت وطولت وبفائدة ما أتيت . وكيف تصح لك هذه الدعوى وقد قلت كلاما لا فائدة (له) (٤) ولا جدوى ؟!

دليل ذلك أنك اعترضت على نفسك باعتراضات كثيرة . ثم انك حدت عن الجواب ، ولم تأت بفصل خطاب ، بل أتيت بكلام يشهد عليك عند العقلاء بالبلادة ، وقلة التحصيل وعدم الاجادة . وقد كان ينبغى لك أن تبين حقيقة الاتحاد والحلول ، وتبين فرق ما بين مذهب الروم فيه ، (وبين) (٥) ما به تقول . وتبين الفرق بينه وبين الاختلاط والامتزاج ، وبعد ذلك تستدل على صحة وقوعه وعلى اختصاص عيسى عليه السلام به دون غيره من الأنبياء . فلو فعلت ذلك حينئذ ، كان ينبغى أن تدّعى أنك شرحت وأوضحت ، وأما الآن فقد جهلت وافتضحت.

---

(١) ألحقت بهامش " أ "
(٢) سقطت من " أ " و " ب "
(٣) سقطت من "ب"
(٤) فى "ب" (فيه)
(٥) ساقطة من " أ "

الفصل الثاني
(معنى الاتحاد وحقيقته عند صاحب كتاب التثليث) (١)

من حكاية كلامه أيضا :

قال : " فان سأل سائل عن معنى الاتحاد ، قلنا : نقول بذلك تقليدا للانجيل والنبيين ورسول رب العالمين فيما نقلوا من ذلك (واعلمونا به) (٢) عن الله ، وفيما نص لنا عنهم بتصديق الأخبار الذى لا تكاذب فيها .

فان قلت : وكيف يجوز أن يتوحد القديم بالحادث والخالق بالمخلوق ؟ قلنا : على تقليد الكتاب وعلى الجائز في المعقول . وذلك أنا لا نقول أن القديم في الجوهر (٣) صار حديثا ، ولا أن الحديث في الجوهر صار قديما ، ولكنا نقول : صار الحديث الها ، ولا نقول صار الاله حديثا ، كما نقول صارت الفحمة نارا ولا نقول صارت النار فحمة .

فان قلت : فما علة هذا الاتحاد ؟ قيل لك : الارادة . (٤) (وسألك عن هذا) كسائل يسأل فقال : لم خلق الله العالم ؟ فمن الجواب (له) (٥) أن يقال له : أراد ذلك ، فان قلت : أفهذا الاتحاد قديم أو حديث ؟ قيل لك : قديم وحديث . فان قلت فكيف يكون قديما وحديثا ؟ قيل لك : قديم بالقوة حديث بالفعل ، وكل عنده حاضر لأنه تبارك وتعالى لا تأخذه الأزمان ، ولا يعد الأشياء بالأعداد ، وكل عنده / مقيم حاضر " . (٢٨)

---

(١) ما بين القوسين لم ترد في النسخ الثلاث بل هي اضافة مني .
(٢) في " أ " و " ج " (وأعلموناه)
(٣) تعريف الجوهر عند الفلاسفة :
ما اذا وجد وكان وجوده لا في موضوع ، أى لا في محل يستغني عن الحالّ فيه وهذا انما يكون فيما وجوده غير ما هيته .
أما الجوهر عند المتكلمين : كل ما هو قائم بنفسه ، أو كل ما هو متحيز ، أو كل ما قامت به الصفات أو كل ما حمل الأعراض . (فتاوى ابن تيمية ٩ / ١٢٣-١٢٤)
(٤) في " أ " (وسألك هذا) (٥) سقطت من "ب" و "ج"

الجـواب عنـــــه :

هذا كلام تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ، سئل فيه قائله عن حقيقة الاتحاد ومعناه ، فأجاب بالدليل عليه وما يجرى مجراه ، ومن حق الانفصال أن يكون مطابقا للسؤال . فكان يلزمك لما سألنى عن معنى الاتحاد أن تجيب بحده وحقيقته . ثم بعد ذلك تستدل على صحة وجوده ، ان صح ذلك وأمكن الاستدلال هنالك .

أما قولك : " فى جواب من سألك عن الاتحاد وحقيقته " ، نقول بذلك تقليدا للانجيل والنبيين (ورسل)(١) رب العالمين . فكلام غير متين لا يصدر مثله عن عقل رصين .

ولتعلم يا هذا أن الأنبياء عليهم (الصلاة)(٢) والسلام صادقون مصدقون ، والصادق (لا)(٣) يخبر بصحة ما يعلم بالعقول فساده واستحالته . فان الصادق لا يناقض قوله دليل العقل ولا يعارضه ، بل يصدقه ويشهد بصحته .

فلو فرضنا شخصا جاء بأمر معجز فيما يرى وادعى أنه أرسله الله لنا ليخبرنا أن الثلاثة واحد من حيث هى ثلاثة ، وأن الواحد ثلاثة من حيث أنه واحد ،(٤) وفهم ذلك منه بنص لا يقبل التأويل لبادر العقلاء الى تكذيبه ، ولعلموا أنمـــا أظهره على جهة المعجزة انما هى حيلة ومخرقة . لأن المعجزة انما هى دليـل الصدق ولا ينقلب دليل الصدق دليل الكذب .

وكذلك لو قال أن الضدين يجتمعان بعد مراعاة شروط التضاد .

وكذلك لو أخبر أن الله (تعالى)(٥) يقلب جوهرا عرضا ولونا طعما ، الى غير ذلك من أنواع المحالات . ومن هذا القبيل هو ما ادعيتم من الاتحاد ، وسيتبين ان شاء الله (تعالى)(٦) .

---

(١) فى " ج " (رسول) (٢) ليست فى " أ " و " ج "

(٣) فى " أ " (ما)

(٤) والواقع أن هذا الكلام الذى جاء به صاحب كتاب التثليث لم يقله أحد من الأنبياء وعليه أن يثبت أين قال الأنبياء هذا الكلام فدعواه بلا دليل .

(٥) ليست فى " ب " و " ج " (٦) ليست فى " أ " و " ج "

وبعد هذا لو فرضنا نبيا علمنا صدقه على القطع تكلم بشيء من هذا ، فيكون ذلك الكلام لا يدل على ذلك المعنى دلالة قاطعة ، بل دلالة محتملة أو ظاهره. فسبيلنا أن نتأول ان وجدنا وجها للتأويل ، أو نتوقف عن تأويله ان لم نجد له محملا فى التأويل . مع أن العقل يعلم استحالة الظاهر ، ويكل معرفة باطنه الى الله تعالى . فان الشرائع وان لم تأت بما يخالف العقول فقد تأتى بما تقصر العقول عن دركه . (١)

وفرق بين يعلمه العقلاء بين العلم بالاستحالة (وبين) (٢) عدم العلم بالاستحالة ، فان عدم العلم بالاستحالة لا يلزم منه نفى الجواز ولا اثباته ، ولا نفى الوجوب ولا اثباته ، وهذا مما لا خفاء به عند العقلاء .

وأما قولك : وعلى الجائز فى العقول ، فينبغى لنا أن نسألك هنا أسئلة تبين أنك بما ادعيت جهول . فنقول لك : ما حد العقل (٣) (أولا) (٤) وما حد الجائز العقلي

---

(١) الواقع أن العقل شرط فى معرفة العلوم وكمال وصلاح الاعمال ، لكنه ليس مستقلا بذلك ، لكنه غريزة فى النفس ، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التى فى العين ، فان اتصل به نور القرآن كان كنور العين اذا اتصل به نور الشمس. وان انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التى يعجز وحده عن دركها . فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة .
والعقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص ، وان كان فى النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن ادراك تفصيله ، وانما يعلمه مجملا مع أن فحول العلماء : معترفون بأن العقل لا سبيل به الى اليقين فى عامة المطالب الالهية ، ولذلك كان من الواجب تلقى علم ذلك من النبوات . والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه . لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه ، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية - بزعمهم - اعتقدوها حقا وهى باطلة وعارضوا به النبوات وما جاءت به . (فتاوى ابن تيمية ٥/٣٠) ، (الفتاوى ٣/ ٣٣٨-٣٣٩)

(٢) سقطت من "ب"

(٣) وقد عرف بعضهم العقل فقال : "العقل هو عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة ، متى حصلت فى المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام بأداء ما كلف" (تصور العقل عند القاضى عبد الجبار ١٣-٣٢)

(٤) سقطت من "ب"

وما حقيقته وكم أقسامه ؟ وما حد الواجب العقلي وكم أقسامه ؟ وما حد المحال العقلي وكم أقسامه ؟ (١)

فاذا فرغت من جواب هذه المسائل سئلناك ، هل أحكام العقل تنحصر في هذه الثلاثة أم تزيد عليها أم تنقص عنها ؟ ولعمرى ما ينبغى أن (نتكلم) (٢) مع من لا يعرفها . واعلم على القطع والبيان (٣) أنك لا تعرفها ، ولا قرأت على من يفهمها . والا : فالجواب ان لم تجب ، والا فيظهر أنك من دينك على شك وارتياب.

ثم نقول كيف يتجاسر عاقل أن يقول : ان علم الله تعالى (٤) الذى هو صفته ولازم له وقديم أزلي حل فى جسد انسان حادث بعد أن لم يكن حالّا فيه ؟! ومع أنه حلّ فيه فهو لم يفارق الله تعالى .

ولولا أن الله تعالى سلبكم عقولكم ، وابتلاكم بظلمة التقليد ، الذى أفضى بكم الى مكابرة العقول وانكار البداءة ، لما وجد مثل هذا المذهب مستقرا / فى قلب (٢٩) مجنون فأجرى فى قلب عاقل . ولكن لله تعالى (سرا) (٥) فى أبعاد بعض العباد (ومن يضلل الله فما له من هاد) (٦) .

---

(١) والمعلوم يقسم الى ثلاثة أقسام : ممكن لذاته ، وواجب لذاته ، ومستحيل لذاته .
فالمستحيل : يعرفونه بما عدمه لذاته من حيث هى .
والواجب : فهو ما كان وجوده لذاته من حيث هى .
والممكن : ما لا وجود له ولا عدم من ذاته ، وانما يوجد لموجد ويعدم لعدم سبب وجوده . (رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٣٥-٥٨)

(٢) سقطت من "ب" (٣) فى "ج" (البتات) .

(٤) وقد ذكر ابن حزم أن الناس اختلفوا فى علم الله تعالى . فقال جمهور المعتزلة : اطلاق العلم لله عز وجل انما هو مجاز لا حقيقة وانما معناه أنه تعالى لا يجهل وقالت سائر الناس ان لله تعالى علما حقيقة لا مجازا . ثم اختلفوا فقال جهم بن صفوان وغيره ان علم الله تعالى هو غير الله تعالى وهو محدث مخلوق.
وقال الطوائف من أهل السنة ان علم الله تعالى غير مخلوق لم يزل وليس هو الله ولا هو غير الله . وقال الأشعرى فى أحد قوليه : لا يقال هو الله ولا هو غير الله ، وقال فى قول آخر : وقد وافقه عليه الباقلانى : ان علم الله تعالى هو =

وأما قولك : " انا لا نقول أن القديم فى الجوهر صار حادثا ولا الحادث فى الجوهر صار قديما ، ولكنا نقول صار الحادث الها . "

فهذا القول منك يدل على انك تقول بحلول الحادث فى الجوهر واتحاده به ولم يقل هذا قط أحد من المخلوقات ، وهذا أشنع وأقبح وأمحل ، من اتحاد القديم بالحادث وحلوله فيه .

وهذا الذى ذكرت أنه يلزمك يدل عليه قولك . ولا أن الحادث فى الجوهر صار قديما ، فنفيت عن الحادث القدم (وأثبت)(١) عليه الحلول فى الجوهر ، وهذا بيّن بنفسه من كلامك .

ثم هذا الذى قررت منه يلزمك ، وذلك أنا نقول هذا القديم الحال ، لا يخلو أن يكون حالاً فى ناسوت المسيح قبل خلق المسيح أو لم يكن ، فان كان حالاً فيه قبل خلقه ، كان محالا وباطلا بالضرورة ، فانه قبل خلقه معدوم والموجود لا يحل فى المعدوم . وان كان حلوله فى ناسوته بعد خلقه ، فقبل خلقه لم يكن حالاً ، فقد حدث له حلول ، وقد صار حالاً بعد أن لم يكن حالاً .

ويلزم على هذا أن تقوم الحوادث (بالقديم)(٢) وهو محال .(٣) فانه يؤدى الى حدوثه على ما يعرفه أرباب النظر .

= (٤) غير الله وخلاف الله وأنه مع ذلك غير مخلوق لم يزل .
وقال أبو الهذيل وأصحابه : علم الله لم يزل وهو الله . وذهبت طائفة من أهل السنة : الى أن علم الله لم يزل وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى ولا نقول هو الله . (انظر الفصل ٢/١٢٦ - ١٢٧)

= (٥) فى "أ" و"ج" (سر)

= (٦) سورة الرعد (٣٣) والزمر (٢٣)

(١) فى "أ" و"ج" (وأبقيت)

(٢) فى "ب" (بالقدم)

(٣) انظر شرح المواقف للجرجانى ٥٣- ٥٨

وأما قولك : صار الحادث الها(١) فكلام تشمئز منه النفوس ويشهد لقائله بالويل والعكوس ، وكيف لا يستحى (العاقل)(٢) من مثل هذا الكلام ؟ الذى (والله)(٣) هو عار على (الأنام)(٤) ؟ وكيف يتصور أن تحمل الالهية لمحدث مخلوق يحزن تارة ويفرح أخرى ، ويجوع تارة ويشبع أخرى ، ويبول ويتغوط ويظفر به اعداؤه ، ويحدبونه بالضرب والاهانة ، والشوك والصلب والقتل - بزعمكم - وهو مع ذلك يقول (اعبدوا الله ربى وربكم)(٥) ويقول لكم

" اذا صليتم فقولوا يا آبانا السماوى تقدس اسمك وقرب ملكك "(٦) ويقول : " ان الله وحده ولا اله الا هو "(٧) ويقول لابليس : " انما أمرت أن تعبد السيد الهك وحده "(٨) ويقول حين قرب رفعه واعلمه الله به (سيلقى ابن الانسان ما كتب له "(٩) ، يعنى نفسه . ثم تقدم وسجد على الأرض ، ودعا أن يزاح عنه ما هو فيه . وقال :" يا أبتاه " انك قادر على جميع الأشياء فرج عنى هذه الكاس "(١٠)

---

(١) فى " ج " (قوله)
(٢) فى " ج " (العقل)
(٣) سقطت من " ب "
(٤) فى " ب " (الأيام)
(٥) المائدة ١١٧
(٦) والنص كما فى لوقا " متى صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك " . (انجيل لوقا - الاصحاح الحادى عشر : ٢)
(٧) كما فى انجيل مرقس " اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد . . . فقال له الكاتب جيدا يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه " (مرقس١٢ : ٢٩-٣٢)
(٨) والنص كما فى انجيل متى " حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان . لأنه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد " . (انجيل متى - الاصحاح الرابع : ١٠)
(٩) والنص كما جاء فى انجيل متى " ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه " (انجيل متى /الاصحاح ٢٦ : ٢٤)
(١٠) سقط هذا النص من " ب "
والنص كما فى متى " وكان يصلى قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت " (متى /الاصحاح ٢٦ : ٣٩) .

وقال (فى انجيل لوقا)(١) : " يا أبتاه ان كانت هذه الكاس لا تقدر تجاوزنى حتى أشربها فلتكن ارادتك "(٢) .

ومن اطلع على أناجيلكم علم (على)(٣) القطع أن عيسى عليه السلام برئ مما تدعونـه به ، وتنسوبه اليه ، وستلقونه بين يدى الله فى الوقت الذى يقول الله (تبـارك وتعالى)(٤) له (يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهيين من دون الله)(٥) ، فيتبرأ من ذلك القول (فيقول)(٦) : (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما فى نفسك انك أنـت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد)(٧).
وقد جاءنا (على لسان)(٨) من دلت المعجزة (على صدقه)(٩) " أن الله تعالى اذا حشر الخلائق فى صعيد واحد - يعنى يوم القيامة - فيقال للنصارى ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، ثم يقال لهم ألا تردون / فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها (٣٠)
بعضا "(١٠).

---

(١) سقط من "ب"

(٢) والنص فى الترجمة الحديثة : " يا أبتاه ان شئت أن تجيز عنى هـذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك " (لوقا الاصحاح ٢٢ : ٤٢) فيا للعجب من اله هذه صفته وهى يحتاج الاله الى اله يدعوه ، لكى يصرف عنه كأس المنية ؟ فان قالوا : لنا انما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتية قلنا لهم : أنتم تقولون فى كل هذا فصل المسيح وقال المسيح ، والمسيح عندكم طبيعتان ناسوتية ولا هوتية ، وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة ، وكلكم يقول : أن اللاهوت اتحد بالناسوت . (الفصل لابن حزم ٢ / ٦١)

(٣) فى "ب" بياض

(٤) ليست فى "ب" و "جـ"

(٥) سورة المائدة ١١٦

(٦) فى "ب" (ويقول)

(٧) المائدة ١١٦ - ١١٧

(٨) سقطت من "ب"

(٩) فى "أ" (بصدقه)

(١٠) رواه مسلم فى كتاب الايمان رقم ١٨٣

فالله الله أدرك بقية نفسك قبل حلول رمسك ، واستعمل سديد عقلك ، ولا تعول على تقليد فاسد نقلك ، واتبع الدين القويم دين الأب ابراهيم (فما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) (١) .

فالله يعلم أنى أنظر اليك ، والى كافة خلق الله بعين الرحمة ، واسئله هداية من ضل من هذه الأمة ، وأتأسف على الاباطيل التى (ينتحلون) (٢) ، فان (لله) (٣) وانا اليه راجعون . وسيأتى ان شاء الله (تعالى) (٤) فى النبوات ،(كلام) (٥) على حقائق الملل ، وتبين (الهداة) (٦) والضالين من ذوى النحل ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

وأما قولك : " كما تقول صارت الفحمة نارا ولا تقول صارت النار فحمة " فتمثيل ليس بمستقيم ولا جار على منهج قويم ، (وذلك أن الفحمة مهما صارت نارا ، فقد حدثت النارية وانعدمت الفحمية) (٧) . وليس هذا (مساويا) (٨) لقولك صار الحادث الها . فان الشيء الذى صار (به) (٩) الحادث الها عندكم هو قديم ، فكيف تشبهه بالنارية الطارئة وهى حادثة ؟! وان ساويت بينهما لزمك أن يكون الحال فى الناسوت حادثا ، أو النارية قديمة فترتفع الفحمية وهو محال بالضرورة .

وأما قولك : " فان قلت : فما علة هذا الاتحاد قيل لك الارادة ؟" فهذا قول فاسد ، فان الارادة انما يصح تعلقها بالجائزات ولا يصح تعلقها بالمحالات ، والاتحاد محال فلا تتعلق به الارادة على ما نقرره ان شاء الله اذا نقلنا مذاهب أقستكم فى هذا المعنى وتكلما معهم عليها .

---

(١) سورة آل عمران / ٦٧

(٢) فى " ج " (تنتحلون)

(٣) ساقطة من " ج "

(٤) ليست فى " ج "

(٥) ألحقت بهامش " أ "

(٦) فى " ج " الهداية وما أثبتناه هو الصواب

(٧) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٨) فى " أ " و " ب " (مساو)

(٩) ساقطه من "ب" و " ج "

وأما قولك : " فى جواب من سألك عن الاتحاد هل هو حادث (أو قديم)[1] ؟ حيث قلت : أنه قديم وحادث ؟! (فقول)[2] لم (يقل)[3] به مؤمن ولا ناكث فان الجمع بين القدم والحدوث مما يعلم فساده بضرورة العقل[4] ، فان معنى القديم الذى لا أول لوجوده ، والحادث : هو الذى لوجوده أول ، والجمع بين نفس الأولية واثبات الأولية محال .

وأما قولك : " قديم بالقوة حادث بالفعل " فكلام ليس له أصل ، اذ لا يعقل العقلاء فى القدم قوة ولا فعلا . فان القدم من أسماء السلوب ، والقوة والفعل[5] انما يتواردان عند القائلين بهما على الصفات الوجوديات ، وعلى عدمها مع امكان وجودها .

ثم انا نسألك عن حد القوة وحقيقتها ؟ وما الفرق بينها وبين الامكان ؟ وهل هى موجودة ؟ وعن حد الفعل وما حقيقته ؟ . فانك تكلمت بما سمعته وما حصلته (ولا)[6] وعيته .

---

(١) فى "ج" (أم قديم) (٢) فى "ب" (وقلت)

(٣) فى "ج" (يقبل)

(٤) أجمع أصحاب التثليث كلهم على أن القديم لا يجوز أن يتحد بالمحدث الا أن الأقنوم الذى هو الكلمة اتحدت دون سائر الأقانيم .

(الملل على حاشية الفصل ٢/ ٦٧)

(٥) والقوة : هى القهر المادى والخارجى ، أو الضرورة التى لا تستطيع مقاومتها ومنه قولهم : استولى على الشىء بالقوة . والقوة : مبدأ الفعل سواء كان بشعور وارادة أولا وهى اما مادية كقوة الانفجار واما معنوية كقوة العقل .

(المعجم الفلسفى /د . جميل صليبا ٢/ ٢٠٢)

والقوة مقابلة للفعل ومعناها كما يقول ابن رشد : (الاستعداد الذى فى الشىء والامكان الذى فيه لأن يوجد بالفعل) .

والامكان صفة الشىء الحادث ، أو المتهىء للحدوث . وتمييز الوجود بالقوة عن الوجود بالفعل مبدأ أرسطى وهو القول : أن الشىء الذى وجوده فى حيز الامكان موجود بالقوة ، والشىء الذى خرج من حيز الامكان الى حيز الفعل موجود بالفعل . (المعجم الفلسفى/ جميل صليبا ٢/ ٢٠٢- ٢٠٣) نقلا عن النجاة لابن سينا)

(٦) فى "ب" (وما)

وأما قولك : وكل عنده حاضر مقيم ، فكلام حق ومقال صدق ، ان كنت أردت بحاضر أنه معلوم . وقد أخطأت بادخالك مقيم في هذا المعنى ، فان المقيم انما هو مأخوذ من اقام بالموضع ، اذا ثبت فيه . فان أردت هذا المعنى لزمك أن تكون المعدومات الممكنة موجودة عنده في حال عدمها . وذلك محال .

وان أردت غيره فكان ينبغي لك أن تبين مرادك ، فانك لم تتكلم به على مقتضى كلام القوم الذين تعاطيت التكلم بلسانهم .

ثم قولك : " لأنه تعالى لا تأخذه الأزمان " ذكرته موهما أنك تستدل به على (أنه)(١) تعالى عالم بجميع الأمور محيط بالكل ، ولا يدل ذلك على ما أردته . والا فكونه قابلا للزمان أو غير قابل للزمان ، ما (المناسبة)(٢) بينه وبين كونه عالما بجميع المعلومات أو ببعضها ؟ ولا بد أن تسأل عن الزمان ما هو ؟ وهل هو موجود أو معدوم ؟ فان كان موجودا فهل هو جوهر أو عرض ؟ وان كان جوهرا /أو عرضا (٢١أ)
فهل هو في زمان أو ليس في زمان ؟ فان لم يكن في زمان فلتستغن الموجودات كلها عن زمان ، ويلزم عليه اثبات موجودات ليس بزمانية غير البارى تعالى (وتقدس)(٣) وذلك محال على ما يتقرر .

وان كان في زمان فهل ذلك الزمان في زمان ؟ ويتسلسل . فلابد لك من علم هذه المسائل ان أردت أن تلحق بالصنف العاقل . ومن أراد أن (يعلم)(٤) فليرحل على الراس والقدم(٥) .

وأما قولك : " ولا يعد الأشياء بالأعداد ، فيفهم منه أن المعلومات لا تتعدد عنده ، واذا لم تتعدد المعلومات عنده لا تتميز جزئياتها . واذا كان ذلك فانما يعلم الأمور على وجه كلي وهو ما يقوله الفلاسفة .

---

(١) في "ب" (الله) والصواب (أنه) حتى يستقيم النص مع المعنى .
(٢) في "ب" (المشابهة)
(٣) سقطت من "ب" و "ج" (٤) في "ب" (يتعلم)
(٥) لم أعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .

وأهل الشرائع كلهم مطبقون على أن الله (تعالى)[1] يعلم جزئيات الأمور وان دقّت[2] على التفصيل و (من)[3] لم يقل هذا يحكم عليه فى كل ملة بالتكفير والتضليل .

فأنت يا هذا فى أكثر كلامك بين أمرين : اما أن تنكر الضروريات أو تكفر بالشرعيات فنسأل الله (تعالى)[4] أن[5] ينور بصائرنا ويسدّد أحوالنا وأمورنا وأن لا يجعل وبالا علينا أعمالنا وأقوالنا انه سميع الدعاء قريب مجيب .

. . . .

---

(١) ليست فى " أ " و " ج "

(٢) انظر هذه المسألة فى كتاب فصل المقال لابن رشد ٣٩ - ٤٠

(٣) ألحقت بهامش " أ " .

(٤) ليست فى " ب " .

(٥) ساقطة من " ج " .

الفصـــل الثالـــث

(في بيان الواسطة بين الله وبين موسى عند تكليمـــه)(١)

(من)(٢) حكاية كلام السائل :

قال : ثم نقول لمن ناظرنى من باقية المسلمين ان كتابكم يقول ان موسى سمع الله وكلمه تكليما ، فكيف كان ذلك وأنتم قد أعجزتم جميع الحاسات عن ادراكه فـــى الدنيا والآخرة ؟(٣) لأنه لا مفطور ولا مشبه بشىء مما يتصور فى الأوهام ؟

فان قلتم : أنه كلمه بذاته ، فقد أوجبتم له جارحة النطق ، ووقعتم فيما أنكرتـــم من الجسم . وان قلتم : ان الله خلق له كلاما فقد أثبتم كلاما مخلوقا قائما يخلقه جوهرا فى نفسه اذ لم يكن عرضا (فى الله)(٤) قال لموسى (أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى)(٥) وأثبتم أن الكلام واسطة بين الله وبين موسى ،(وأن موسى)(٦) أقر لهـــا بالربوبية لقوله (رب أرنى أنظر اليك)(٧) .

وقول الصدا الذى هو المتكلم له (لا اله الا أنا فاعبدنى) .فان قلت ان الصـــدا لم يقل له أنا الله ولكنه فى مسامع موسى (أنا الله : قلت لك : ان الصدا هـــو القائل فى مسامع موسى)(٨) وهو المحرك له . وعليه زد واياه جواب .

---

(١) ما بين القوسين لم يرد فى النسخ الثلاثة بل هو اضافة مني .

(٢) فى "ب" (في)

(٣) وهذا غير صحيح حيث أن الذى يقول به المسلمون أن الله تعالى لا يرى فى الدنيا لعجز حاسة البصر عن ادراكه ، أما فى الآخرة فان الله تعالى يخلق للمؤمنين قوة فى البصر لرؤيته فتكون هذه الزيادة التى وعد الله المؤمنين بها بعد دخولهم الجنة . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لربهم بالكتاب والسنة يـــوم القيامة .

(٤) سقطت من "ب" (٥) سورة طه ١٤

(٦) سقط من "ج" (٧) سورة الاعراف ١٤٣

(٨) ما بين القوسين سقط من "ج"

والدليل (على)[1] أنه كان فى غفلة (فما)[2] كان يريد الله من ارساله الى فرعون حتى خلق له نارا أبصرها ففزع اليها . فلما آتاها (أحجب)[3] الله له فيها صداء قال له : " أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني " الا أن تقولوا أن موسى (قد)[4] كان يعرف ما كان يريد الله من ارساله الى فرعون دون النار والكلام . فيكون خبر النار والكلام لا معنى لهما ، وخبرهما لم يفد شيئا .

وهذا من القول (شنيع)[5] الكذب ، واذا لم يكن بد من أن موسى لم يدرك المرسل له الا بواسطة اتخذ له يسمى باسمه ، فالواسطة هو العامل في موســى ، وعنه تحمّل الرسالة حتى يأتى فرعون بمصر ويقول ان الله تراءى لى بطور سينـــاء ويمشنى اليك لترسل معى بنى اسرائيل ولا تعذبهم[6] . فحدد الموضع الذى أتيل منه من عند الله ، وكان الله بمصر وفى كل مكان ، ولا كان يعجز موسى عن معرفة الأمر والنهى الا بكلام معدود من جسم مفطور . وخلق الله نارا أبصرها (فنزع)[7] اليها ثم (أحجب)[8] له فيها صدا سمعه منها ، قام عنده مقام خالق فسماه الها .

الجواب عنه : أما قولك : ثم نقول لمن ناظرنى من (باقية)[9] المسلمين ، فلتعلم يا هذا أنك غلطت فى نفسك ، وغفلت عن حسك ، / حيث ظننت أنك ممن يستحسن (٣٢) (مناظرة)[10] أحد من المسلمين ، للذى أمروا به من الاعراض عن الجاهلين[11] .

---

(١) سقطت من "ب"   (٢) فى "ب" (عما)

(٣) فى "ب" (أجج)   (٤) ساقطة من "ب"

(٥) فى "أ" و "ج" (تشنيع)

(٦) اشارة الى قوله تعالى (فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) طه / ٤٧ .

(٧) فى "ج" (يفزع)   (٨) فى "ب" (أجج)

(٩) سقطت من "ب"   (١٠) فى "ج" (مناظرته)

(١١) كما قال تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين) . الاعراف / ١٩٩ .

وكيف وأنت لا يمكنك النطق بكلام فصيح ، ولا تقدر على نظر صحيح . وأنى لك بمناظرتهم ولم تسلك شيئا من طريقتهم ؟ وكيف يمكنك النظر معهم وأنت لم تعرف طريقه ؟ ولا التزمت شروطه ؟

فوحق دين الاسلام (الذي هو دين ابراهيم عليه السلام)(١) ، لقد وددت أن تكون من عقلاء الانام لتعرف قدر ما يلقى (من الاسئلة)(٢) عليك ، وما يكتب به من الحكم اليك . فلعل مقلب القلوب يستنقذك من عبادة (اله)(٣) مصلوب(٤) ، ويبدلك بها اخلاص العبادة لعلام الغيوب . ولولا رجاء ذلك لما كان ينبغي لي أن أعطى الحكمة غير أهلها ، كما لا ينبغي أن أمنعها من هو من أهلها .

وأما قولك : ان كتابكم يقول " ان موسى سمع الله ، وكلمه تكليما "(٥) ، فكيف يسوغ لك أن تحتج بما أنت منكر لأصله ، ولا تعترف بأنه كلام الله وأنت منكر لتصديق من جاء به ؟ فلا يحل لك أن تحتج لنفسك ولا لغيرك ، بما تعتقد أنه كذب .

وأما نحن فيمكننا أن نحتج عليكم وعلى اليهود بالتوراة والانجيل ، لأنا نعتقد أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى . وهما (هدى)(٦) قبل أن يغيرا ويبدلا(٧) وينسخا بغيرهما .

وأما اليوم بعد أن ثبت عندنا ما ذكرته ، فلا نحتج بشيء منهما على جهة انتزاع الأحكام . فان الله (تعالى)(٨) قد أخرجنا بالنور من الظلام ، وهدانا لما اختلفتم فيه من الحق بنبينا محمد عليه (الصلاة)(٩) والسلام . وسنبين ان شاء الله ما يدل على صدقه من المعجزات وواضح الدلالات .

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ب" (٢) ألحقت بهامش "أ"

(٣) سقطت من "ب" (٤) يقصد ما يدّعونه من ألوهية المسيح وأن اليهود صلبته .

(٥) اشارة الى قوله تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني..(الآية) الاعراف / ١٤٣ .

(٦) سقطت من "ب"

(٧) وقد أشار القرآن الكريم الى تلاعب أهل الكتاب بالكتب السماوية وتحريفهم لهما .

(٨) ليست في "ب" (٩) ليست في "أ" و "ج"

ثم نقول : ان الله (تعالى) (١) كلم موسى بكلامه الذى هو صفته ، وسمعه موسى بالادراك الذى خلقه الله له ، وقولك : كيف ظلم وحيف (٢) ؟ ان سؤالك بكيف فى هذا المحل دليل على انك جاهل بمطلبها . فينبغى لك أن تعلم أن صنيع المطالب كثيرة ، وهى مع كثرتها لا يتوجه شىء منها على الله تعالى (ولا) (٣) على صفاته .

وذلك أن من صنيع المطالب ، ما ، وأى ، ولم ، وهل ، وكيف ، ومتى ، واين وغيرها مما فى معناها . ولا يتوجه على الله تعالى شىء منها لاستحالة معانيها على الله تعالى . فلا يسئل عنه بما ولا بأى ؟ ، اذ لا جنس له ، ولا فصل ، ولا بلم ؟ اذ لا علة له ولا أصل . ولا بمتى ؟ اذ هو مقدر الزمان . ولا بأين ؟ اذ هو خالق المكان ، ولا بهل ؟ اذ لا نشك فى وجوده وهو خالقنا . ولا بكيف ؟ اذ لا يناسب وجوده ولا صفاته شيئا من أحوالنا وأوصافنا .

وجوده (اثباته) (٤) واثباته ذاته ، وعلة كل شىء صنعه ، ولا علة لصنعه ، (لا يتوجه لمخلوق عليه حق) (٥) ، ولا يعجزه خلق (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٦) .

ثم نقول : ومما يبين لك أنه لا يصح السؤال بكيف هنا ؟ لأن المطلب بكيف انما هو سؤال عن حال موجود يناسب حال السائل بكيف ؟ فاذا قلت كيف زيد ؟ انما معناه على أى حال هو من الأحوال التى تناسب أحوالنا ؟ أفى حال صحة ؟ أو فى حال مرض ؟ ، أو فى حال علم ؟، أو فى حال جهل ، ؟ الى غير ذلك من (أحواله) (٧) المناسبة لأحوالنا .

---

(١) ليست فى "ب"

(٢) الحيف : الجور والظلم . (النهاية لابن الأثير ١/٤٦٩)

(٣) سقطت من "أ"

(٤) فى "أ" و "ج" (اثباتها)

(٥) العبارة فى "ج" هكذا : (لا يتوجه عليه لمخلوق حق)

(٦) سورة الشورى / ١١

(٧) فى "ب" (الأحوال)

فاذا قلت : كيف سمع موسى كلام الله ؟ فكأنك قلت على أى حالة سمع موسى كلام الله من الأحوال التى نكون (١) (نحن) عليها حين يسمع بعضنا من بعض ؟ ونحن والعقلاء الذين يعرفون ما يجب لله وما يجوز ، وما يستحيل فى حقه ، يعلمون بالبراهين القاطعة أنه يستحيل أن يسمع موسى كلام الله على شىء من الأحوال التى يسمع عليها بعضنا من بعض . على ما نبينه ان شاء الله .

فعلى هذا اذا سألنا / سائل كما سألت أنت ، قلنا له : السؤال عن الله تعالى (٣٢) وصفاته بكيف ظلم وحيف . فان الظلم:وضع الشىء (٢) (فى) غير موضعه (٣) .

وقد سألت بكيف فى موضع لا مدخل لها فيه ، فتأدب مع الله قبل حلول عقاب الله ، فان من لم يستعمل مع الله الأدب ، فقد استحق التعب وحرم الرتب .

ولا تستنكر هذا الكلام فتلحق (٤) بالبهائم والهوام . فانه لو سألك عنين لم يذق (قط) لذة الجماع ، وقال لك:كيف أدركت أنت لذة الجماع ؟ لكان الجواب يصعب عليك ، ولم يمكنك تفهيمه ، اذ لم يذق لذة الجماع .

وكذلك كل من لم يسمع كلام الله كما سمعه موسى عليه السلام فهوكالعنّين . بالاضافة الى ادراك الكلام القديم ، اذ لم يسمعه ، ولا اتصف بالادراك الذى اتصف به موسى عليه السلام . وكما لا يقال كيف يسمع الله كلام الخلق ؟ كذلك (٥) (لا يقال) كيف يسمع كلامه أحد من الخلق ؟ وكما لا يقال كيف يرى الله الخلق ؟ كذلك لا يقال كيف يراه الخلق ؟ (٦) فان الكيفية محال على الله تعالى ، وعلى صفاته من جميع الوجوه (٧) .

---

(١) سقطت من "ب" (٢) سقطت من "أ" و "ج"

(٣) هذا تفسير لمعنى الظلم (كشف الخفاء للعجلونى / ٢/ ٦٦ رقم (١٦٩٢))

(٤) فى "ب" (طعم) (٥) ألحقت بهامش "أ"

(٦) ان صفات الله لا تشبه صفات المخلوقين ولهذا من وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر لأن صفات الله ليست كصفات المخلوقين .(شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٣ ط ٤ المكتب الاسلامى)

(٧) وقد نهينا عن التفكر فى ذات الله حيث روى أبو نعيم عن ابن عباس قال : (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله) (كشف الخفاء ١/ ٣٧١ رقم ١٠٠٥)

فعلى هذا الأصل الذى قررناه ، نقول الكلام الذى سمعه موسى (عليه السلام)(١) هو كلام الله القديم ، القائم بذات الله(٢) ، الذى ليس بحرف ولا صوت. فان قلتم كيف يسمع ما ليس بحرف ولا صوت ؟ قلنا : الجواب عنه قد تقدم ، اذ لا يصح السؤال عنه بكيف ، لاستحالة شرط السؤال بها .

ثم نقول : سلمنا جدلا أنه يصح السوءال ، ثم يكون الجواب عنه أن نقول : يسمع ما ليس بصوت ولا حرف ، كما يعلم موجود ليس بجوهر ولا عرض ، وكما يرى الله الخلق وليس بذى حدقة ولا عين ، وكما يسمع أصواتهم وليس بذى صماخ ولا أذن ، وكما يعلم وليس بذى قلب ولا دماغ ، وكما يراه المؤمنون فى الدار الآخرة(٣) كرامة لهم ، وليس بذى جسم ولا لون .

فكما تصح هذه الأمور كلها وان كانت مستبعدة ، بالاضافة الى أوهامنا فى حق الله تعالى ، فكذلك يصح أن يسمع موسى ما ليس بحرف ولا صوت .

ثم نقول : الذى لا يبقى معه حسيكة(٤) فى النفس ، ولا استبعاد فى الوهم ، أن الله تعالى خلق لموسى ادراكا لكلامه القديم وصل به الى تحصيل مفهوم كلام الله/ (٣٤)
(تعالى)(٥) ومراده منه . فسمى ذلك الادراك سماعا وعبر عنه بسمع . كما أنا نجوّز أن يكرّم الله من شاء من (أصفياء)(٦) خلقه ، بأن يطلعهم على ما فى نفوس (بعض)(٧) الناس من غير تعبير عنه بصوت ولا حرف ، وذلك كما فى بعض كتبكم " أن عيسى عليه السلام أعلم بعض الحواريين بما فى نفسه(٨) ، ولو عبر عن ذلك بأن يقال سمع عيسى كلام ذلك الرجل لكان صدقا وحقا ، وهذا كله جائز عقلا لا استحالة فيه .

---

(١) ليست فى "ب" و "ج"

(٢) وهو قول الاشاعرة فى كلام الله (شرح العقيدة الطحاوية ١٨٠ ط ٤ المكتب الاسلامى

(٣) والرؤية حق لأهل الجنة بغير احاطة ولا كيفية كما نطق القرآن الكريم فى قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يونس ٢٦
فالحسنى : الجنة والزيادة : هى النظر الى وجه الله تعالى كما فسرها الرسول عليه السلام والصحابة من بعده .(شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٣-٢١٠ ط ٤ المكتب الاسلامى)

(٤) الحسيكة : الحسك الحقد والعداوة ، والحسيكة : الصغار من كل شئ . (القاموس المحيط ٣ / ٣٠٨)

(٥) ليست فى "ب" و "ج"

(٦) سقطت من "ب"

فان قيل : كيف ينبغى لك ان تقول ان الله (تعالى)(١) متكلم بكلام ليس بصوت ولا حرف ، وقد جاء فى التوراة " أن الله تكلم (بصوت)(٢) لآدم وحواء ؟ " وذلك أنهما لما طفقا يلفقان ورق التين ليسترا بها (عورتهما)(٣) فسمعا صوت الله الرب يتمشى فى الفردوس " الى أن قال : " فدعا الرب آدم وقال أين أنت يا آدم ، فقال آدم سمعت صوتك فى الفردوس ، فرأيت أنى عار فاستترت واستخفيت "(٤). وهذا يدل على أن لله تعالى صوتا ، وهو خلاف ما ذكرت . فيلزمك على هذا تكذيب التوراة ، أو تقول بمقتضاها فترجع عما قلته آنفا .

= (٧) ألحقت بهامش " أ "

= (٨) كما حصل عند ما تآمر يهوذا الاسخريوطى مع الذين أرادوا القبض على المسيح بأن يعطيهم علامة القبلة ليمسكوه ، فكشف يسوع المسيح عما فى نفس يهوذا ، وأظهر هذه القبلة الغاشة قائلا ليهوذا : " فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان " .(انجيل لوقا الاصحاح ٢٢ : ٤٨) .

(١) ليست فى " ج " (٢) فى " ب " (بالصوت)

(٣) سقطت من " ب " .

(٤) والنص " فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر . وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك فى الجنة ، فخشيت لأنى عريان ، فاختبأت " . (تكوين ٣/ عدد ٦)

هذه هى عقيدة اليهود !! بشأن الذات الالهية . والحق أنها عبارة عن لوثات وثنية لا يجادل فيها اثنان ولا ينتطح فيها عنزان . انهم يقولون ان الله تعالى نادى آدم وهو فى الجنة فقال له : أين أنت يا آدم ؟ فأين هذا من العقيدة الصافية النقية التى أشار اليها القرآن الكريم فى قوله تعالى : (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم) . (سورة المجادلة / ٧)

(فنقول) (١) : ما أمرنا به نبينا عليه السلام عندما تحدثونا بشيء ، آمنا بالله وكتبه ورسله ، وبعد ذلك نقول في التوراة (بمثل) (٢) ما (قلناه) (٣) في الانجيل أو قريبا منه نجدد به عهدا وفيه نظرا (٤) .

ثم ان سلمنا صحتها فليس في هذا الذي ذكرته ، ما يدل على أن الله تعالى متكلم بحرف وصوت ، وانما الظاهر منه أن آدم سمع حس مشي الله في الفردوس ، ألا ترى قوله " فسمعا صوت الرب يتمشى في الفردوس " هذا هو الظاهر من هذا اللفظ وأنتم لا تقولون به ولا نحن ، وان كانت اليهود أو أكثرها قد قالت بمقتضى ظاهره فجسمت (٥) ، وأنتم ان قلتم بظاهره يلزمكم ما لزمهم .

فاذا هذا اللفظ مئول عندكم وعندنا ، أعني (أنه) (٦) من المتشابهات (٧) التي يعلمها الراسخون في العلم ، فلما لم يستقم حمله على ظاهره ، (تأولتموه) (٨) أنتم ، وصرفتموه عن ظاهره ، وقلتم ان هذا (انما) (٩) يراد به كلام الله تعالى ،

---

(١) في "ب" و "ج" (فأقول)

(٢) ألحقت بهامش " أ "

(٣) في "ب" (نقول)

(٤) وقد علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم كما تقدم في الحديث .

(٥) وقد أثبت اليهود أن لله صوتا كما يذكرون في التوراة ".اذ تحب الرب الهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك " .(سفر التثنية / ٣٠ عدد ٢٠) لكنهم يقولون ان الله لا يكلم وجها لوجه بل من وراء حجاب كما في التوراة : " وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت " (خروج الاصحاح ٢٠ : ١٨ - ١٩)

(٦) ساقطة من " أ "

(٧) لقد اشتمل القرآن الكريم على آيات محكمات وأخر متشابهات والتمسك بالمتشابه غير جائز لأن المتشابه هو أن يكون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز . (تفسير الرازي ٧/١٧٩ ط ١)

(٨) في "ب" (فأولتموه) (٩) ساقطة من "ب"

الذى هو حرف وصوت عندكم ، وهو فعل من أفعال الله تعالى عندكم ، والى نحو من هذا صار أغشتين .

واذا تأولتم أنتم هذا اللفظ وأخرجتموه عن ظاهره ، فنحن نخرجه عن ظاهره بتأويل آخر ، أحسن من تأويلكم ، لا يلزم عليه شيء من المحالات التى تلزمكم ، وسنبينها ان شاء الله ، ولنا فى ذلك تأويلان :

أحدهما : أن الله تعالى خلق صوتا فى بعض طرق الفردوس يشبه صوت الماشي، وهو الذى (يسمى)(١) بلسان العرب الهمس(٢) والخشخشة(٣). فلما سمع آدم ذلك الصوت تنبه لمخاطبة الله تعالى ولحضوره معه ، ثم أضاف الصوت الى الله تعالى ، لأنه هو الذى تنبه -آدم- عنده لمحاضرة الله . وكأنه كان فى غفلة لشدة حزنه وعظيم ما حل به . وهذا كما يعترى الواحد منا اذا كان ملهوفا بأمر هائل ، فانه يشتغل بنفسه بل ويغفل عن حسه . ثم قد يتنبه عند سماع صوت شيء (آخر)(٤) أو حس انسان ، فيرجع عند ذلك لنفسه ويتنبه لمن معه .

وعلى هذا التأويل يكون فى يتمشى ضمير يعود على الصوت ، فكأنه قال: يتمشى الصوت فى الفردوس . لا على الله ، اذ يستحيل على الله تعالى ظاهر المشي ومفهومه السابق منه ، وهذا تأويل (حسن)(٥) سائغ عند المنصف(٦).

والتأويل الثانى : أن الصوت يراد به الكلام القائم بذاته وان كان ليس بصوت ، فيجوز أن يسميه صوتا / لأنه يمكن أن يدل عليه بالصوت . كما نقول أن موسى عليه (٣٥) السلام سمع كلام الله القائم بذاته ، بمعنى أدركه وفهمه بادراك خص به موسى ، ثم عبر موسى (عنه)(٧) لنا(٨) بصوت مقطع ، اذ ليس فى قوتنا ادراك ما ليس بصوت

---

(١) سقطت من "ب"

(٢) الهمس : الصوت الخفي أو أخفى ما يكون من صوت القدم (القاموس المحيط ٢/٢٦٩)

(٣) الخشخشة : صوت السلاح وكل شيء يابس اذا حك بعضه ببعض (القاموس المحيط ٢/٢٨٣)

(٤) سقطت من "أ" و "ج"

(٥) سقطت من "أ"

(٦) ان ما فى التوراة لا يلزمنا بشيء وعلى الذين يؤمنون بالتوراة أن يبينوا ما جاء فيها لأنه علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم .

(٧) فى "ب" (به)

(٨) ساقطة من "أ" و "ب"

(ولا حرف) (١) وتقريب من ذلك نقول نحن في القرآن .

وهذا النوع من التأويل نوع جائز جار في الكلام (٢) . فانه تسمية الشيء بما يدل عليه

كما نقول سمعت علم فلان ، وانما سمعت كلامه الذي دل على علمه ، والكلام ليس

هو العلم . (٣)

وعلى هذا التأويل يكون في الفردوس معلقا بسمعا لا بيتمشي ، ويكون معنى

يتمشي يبلغ ، والبلوغ : عبارة عن الادراك الذي به أدرك كلام الله تعالى ،

يعني سمعه . وكذلك قوله سمعت صوتك في الفردوس ، أي وأنا في الفردوس .

(ولو) (٤) كنت تعرف لسان القوم الذين ترجمت التوراة والانجيل بلغتهم لذكرت

لك من هذا أمثلة كثيرة ، (وفي القليل للبصير غنية عن الكثير) (٥) .

---

(١) سقطت من " أ " و " ج "

(٢) ولفظ التأويل يراد به ثلاث معان :

الأول : معنى التأويل عند كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل تغير بذلك ، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلا عند هؤلاء ، وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك ، وأن للنصوص تأويلا يخالف مدلولها لا يعلمه الا الله .

الثاني : أن التأويل هو تفسير الكلام ، سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه ، وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين ، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم .

الثالث : أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام اليها ، وان وافقت ظاهره . فتأويل ما أخبر الله به في الجنة - من الأكل والشرب - هو الحقائق الموجودة أنفسها ، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى في سورة يوسف (يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا) يوسف ١٠٠ .

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه الا الله . (مجموع الفتاوى لابن تيميه ٥/ ٣٥-٣٦)

(٣) اشار الى هذا المعنى الجويني في الارشاد / ١٠٨

(٤) في " ج " (وان)

(٥) في "ب" هكذا : (وفي القليل غنية للبصير عن الكثير) ولم أعثر على هذا المثل .

فهكذا ينبغى لك ولكل عاقل أن يفهم تأويل الصوت الذى وقع فى التوراة .
ولعمرى لا يبعد أن يتأول تأويلات أخر ، (جارية)(١) على السنن القويم والمنهج المستقيم ، وفيما ذكرناه مقنع للعاقل ، (فقد يفهمك)(٢) الله ما ذكرته .
ولا تعتقد فى الله (تعالى)(٣) أنه تكلم بصوت محدث ، فان ذلك محال ونحن نبين استحالته مستعينين بالله ومتوكلين عليه فنقول :
من المقرر الثابت عند المتشرعين كلهم أن الله (تعالى)(٤) متكلم ، ومن لم يعول فى ذلك على ما أخبرت به الرسل (صلى الله عليهم)(٥) ولا وافق على الشرائع أقيمت عليه القواطع (الذى)(٦) لا يردها الا معاند وليس هذا موضع ذكرها ، فاذا تقرر ذلك ، فنقول :
اما أن يكون متكلما بصوت أو بغير صوت ، فان كان متكلما بصوت ، فذلك الصوت : اما أن يكون قائما به أو قائما بغيره ، أو لا قائما به ولا قائما بغيره . محال أن يكون قائما به ، فان الصوت لا يكون مفيدا حتى يتقطع بالحروف ، وتلك التقطيعات لا بد أن تكون حادثة ، فيلزم عليه : أن يكون محلا للحوادث ، (واذا كان محلا للحوادث)(٧) لم يخل عنها (واذا لم يخل عنها)(٨) كان حادثا مثلها على ما تحقق فى موضعه ، وذلك كله محال على الله تعالى(٩) .

---

(١) فى " أ " (جاريات)　　　(٢) فى " ج " (فقد بر فهمك)
(٣) ليست فى "ب "　　　(٤) ليست فى "ب "
(٥) ليست فى " أ " و " ج "　　　(٦) فى " ب " (التى)
(٧) مابين القوسين سقط من " ج "　　　(٨) ألحقت بهامش " أ "
(٩) من صفات الله تعالى مخالفته للحوادث ، فالرب تعالى لا يشبه شيئا من الحوادث ، ولا يشبهه شىء منها . وقد أورد الجوينى فصلا كاملا يبين فيه أن من صفات الله مخالفته للحوادث . (انظر كتاب الارشاد للجوينى ٣٤ - ٣٥)

(وان)[1] قام بغيره ، فذلك الغير يكون المتكلم به وسواء كان (ذلك)[2] المحل جمادا أو حيوانا[3] . ان قلنا : انه يجوز قيامه بجسم جماد ، وان جاز أن يقوم الصوت بمحل ، ويكون الباري (تبارك)[4] وتعالى متكلما به ، جاز أن تقوم صفة بمحل ، وتوجب حكمها لمحل آخر ، فيلزم على ذلك أن تقوم حركة بجسم يكون جسم آخر متحركا (بها)[5] . ويقوم بمحل لون ويكون محل آخر متصفا به ، وذلك كله محال بالضرورة .

ويلزم عليه أن يكون الباري تعالى متكلما بما يقوم بنا من كلامنا الى غير ذلك من المحالات . وباطل أن يقال لا يقوم به ولا بغيره ، لأنه يكون قائما بنفسه ، ويخرج عن كونه صفة زائدة على النفس واذا بطلت هذه الثلاثة (الأقسام)[6] ،استحال أن يكون صوتا ، واذا استحال أن يكون صوتا وجب أن يكون ليس بحرف ولا صوت ، وهو ما قدمنا ذكره .

ومن أراد مزيدا على هذا (فليرجع)[7] ويرشد للحق بعد أن يبحث ويسئل .
واذا ثبتت هذه القاعدة الوثيقة العظيمة الأنيقة ، (التى)[8] لا يعرف قدرها ولا عظم خطرها الا من نور الله بنور اليقين بصيرته ، واصلح بجزيل التوفيق سريرته ـ بطل ما أصّلتموه ، ولم يلزم شيء مما التزمتموه ، ولا تم/ لكم شيء مما أردتموه . (٣٦)
فان جملة ما تريد (أن)[9] تقوله في هذا الفصل ، أن الله تعالى متكلم بصوت،

---

(١) في "ب" (واذا)

(٢) سقطت من "ب"

(٣) وردت في "أ" (حيوان) وما أثبتناه هو الصواب .

(٤) ليست في " ب" و "ج " .

(٥) في "ج " (به)

(٦) في "ب" (أقسام)

(٧) في "ب" و "ج " (فليرحل)

(٨) في "أ" (الذى)

(٩) سقطت من " ب" .

وأن موسى سمع ذلك الصوت وهو يقول (أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى)(١) وذلك الصوت غير الله ، ومع ذلك فخاطبه موسى بقوله (رب أرنى أنظر اليك)(٢) وقد اعترف له موسى بالربوبية . فكذلك المسيح فى قوله أنا الله ، صادق ، اذ قد اتخذه واسطة بينه وبين خلقه ، كما اتخذ جسم النار ، والكلام واسطة بينه وبين موسى . فينبغى (لنا)(٣) أن نعترف بربوبيته كما اعترف موسى بربوبية الصوت .

وهذا الهذيان كله الذى ذكرته ، وليتك (ما انتحلته)(٤) ، الذى والله لا شرع يعضده ، ولا عقل يقبله ويؤيده ، مبنى على (أن)(٥) الله تعالى متكلم بصوت ، وقد أبطلناه فبطل كل ذلك .

ومع ذلك فلنتكلم على اجزاء كلامك بعد أن بينا جملة مقصودك ومرامك ، حتى يتبين أنكم لستم على شىء(٦) مما ينتحله العقلاء ، بل يتبرأ منه الفضلاء .

فنقول : أما قولك : وان قلتم أن الله خلق له كلاما فقد أثبتم كلاما مخلوقا قائما يخلقه جوهرا فى نفسه . فنقول بعد أن أبطلنا الصوت الذى ترومون البناء عليه ، نسلمه لكم جدلا ، ونبين بعد ذلك : أنه لا يلزم شىء مما ذكرته (اذ لا يلزم من تقدير صوت)(٧) الله تعالى عن ذلك ، مخلوق أن يكون الصوت قائما بنفسه جوهرا(٨) ، فان الصوت انما حقيقته : أنه صفة لموصوف وعرض فى محل ، والعرض(٩) لا ينقلب جوهرا . فان قلت هو فيلزمك أن يكون عرضا ، قال لك المجيب : وما الذى يلزم منه ان كان عرضا ؟ .

---

(١) سورة طه / ١٤
(٢) سورة الاعراف / ١٤٣
(٣) ساقطة من " ج "
(٤) فى " ج " (ما انحلته)
(٥) ألحقت بهامش " أ "
(٦) كما قال تعالى (يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل) (سورة :المائدة / ٦٨)
(٧) جاءت العبارة فى " أ " هكذا : (اذ لا يلزم من نقل صوت لله)
(٨) الجوهر : هو المتحيز ، وكل ذى حجم متحيز (الارشاد للجوينى ١٧)
(٩) العرض : هو المعنى القائم بالجواهر كالألوان والطعوم والروائح والحياة والموت والعلوم والارادات . (أنظر الارشاد للجوينى ١٧)

فيلزمك على هذا الانفصال أن يكون موسى رسول الصدا لا رسول الله ، وعليه يدل كلامك وعنه تحصّل الرسالة لا عن الله .

واذا كان (كذلك)(١) فقد (كذبتم)(٢) موسى عليه السلام على ما يلزمكم ، حيث قال لفرعون : أنا رسول الله (فانه)(٣) كان بزعمك رسول الصدا / (فاذا كان الصدا)(٤) (٣٧)
يقول أنا الله ، ويعترف له موسى بالربوبية ، ويأمر لموسى بتبليغ رسالته ، فقولوا ان الصدا اله ، وأضيفوه الى الهتكم المتقدمة فيكون عددهم خمسة ، وذلك أن الأقانيم الثلاثة عندكم آلهة ، وعيسى اله رابع ،(٥) والصدا اله خامس ، ومنكم طائفة تدّعى أن مريم اله ،(٦) فتكون الآلهة عند هذه الطائفة ستة .

واذا انتهى عقل انسان لأن يقول هذه المخازى بلسانه ، ولا يشعر بها ، سقطت مكالمته ، ووجبت مجانبته ، ولا معنى لتطويل الكلام مع من يرتكب ذلك الهذيان (فقد تم للشيطان فيهم أمله ، وأنجح معهم سعيه وعطه)(٧) . ومع هذا ف (انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون)(٨) .

وينبغى أن يتعدى أكثر كلام هذا السائل ، بما هو ظاهر الفساد ، ولعلنا نصل الى ما هو المهم والمراد . من نقل مذاهب المتقدمين - أعنى المطارن والقسيسين - اذ كلامهم يمكن أن يعقل - أعنى يفهم - ويتحصل ، ولا بد مع ذلك من نقل كلام هذا السائل ليعلم الناظر فيه ،أنه ليس تحته طائل ، وأن المتكلم به ليس بعاقل .

---

(١) فى "ب" (ذلك) (٢) فى "ج" (كذبت)

(٣) ساقطة من "ج" (٤) سقطت من "ب"

(٥) وهذا لا يلزم النصارى لأن الابن - عيسى عليه السلام - عندهم أحد الأقانيم الثلاثة .

(٦) وهى البربرانية التى تزعم أن مريم اله .

(٧) والعبارة فى "ب" هكذا: (فلقد تم للشيطان فيهم عمله وانجح معهم سعيه وأمله) .

(٨) سورة الأنعام / ٣٦

الفصل الرابع
(١)
(فى بيان أن الواسطة بين الله وبين موسى هو الصدا)

من حكاية كلامه قال :

(٢)
(فاذا) لم يكن بد من الصدا فقد قال : أنا الله . فاسألك ان كنت تصدق الصدا أم تكذب ؟ فاذا لم يكن بد من تصديقه في قوله بالربوبية اذ قال (أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) قلنا لكم : وكذلك صدّق المسيح فى قوله أنا الله ، (٣)
(وانا لنرى) صدّقه الحواريون ومن أتبعه من غيرهم فى قوله بالربوبية ، كتصديق موسى الكلام - والايمان له برسالته الى أهل مصر . وقد أوجبتم أن جسم المسيح وكلامه لما خاطب بالربوبية مثل جسم النار . والكلام اذا : خاطب موسي بالربوبية .
فان قلت : ان موسى لم يعبد النار والكلام كما تعبد النصارى المسيح ، قيل لك : ان الكلام قال له : اعبدني وسجد له موسى ، وقال (تبت اليك وأنا أول (٤)
المؤمنين).

(٥)
فان (قال) المسلم : عند الاضطرار أن النار والصدا واسطة ولكنها خلاف المسيح وكلامه ، لأن النار ليس من طبعها الكلام ، وأما المسيح فانه كانا انسانا معروفا بالكلام فلا آية فيه .

قلنا لك جو اذ قد أوجبتم أن الخليقة لا تدرك الخالق الا بجسم مخلوق ، يتخذه ويجعله واسطا بينه وبين من خاطب من الأنبياء ، ويصير الواسطة لهم الها ، فقد (٦)
(جامعتموه) على الاقرار بواسطة مخلوق بالربوبية للمسيح ، ووقعتم فيما أنكرتم ، (٧)
وليس ينفعكم طجاؤكم الى القول بأن النار (آية) والمسيح ليس آية .

---

(١) ما بين القوسين لم يرد فى نسخ المخطوط بل هو اضافة مني

(٢) فى "ب" (فان)

(٣) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٤) سورة الاعراف ١٤٣

(٥) فى "ب" (قلت)

(٦) فى "ب" (جاء معتمدا) وفى "ج" (جامعتموا)

(٧) سقطت من "أ" و "ج"

وانما أوجبتم علينا الشرك فى قولنا بواسطة ، فاذا العقل والحق لا يعيب الواسطة فكلا الواسطين بين الله والخلق .

(واذا)[١] ذهبتم الى أن النار صادقة لا يتخوف عليها الكذب ، وأن المسيح يتخوف منه الكذب ، فان موسى قد أوجز فى النار والكلام ، وانما قطع الشك باليقين بآية العصا واليد (الذى)[٢] أدخل فى جيبه[٣] . وكذلك قطع المؤمنون - بربوبية المسيح - شكهم باقرار الموتى عند احيائه لهم بربوبيته .

وان ذهبتم الى (أن)[٤] خلق النار فى ذاتها أشرف ، فان كل مخلوق فى الدنيا هو منافع لولد آدم مسخرة لهم ، وكفى بقولكم فى (قرآنكم)[٥] أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وأن أبليس مسخوط عليه فى الأبد ، لابائه (عن)[٦] السجود، له ، وقوله (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته / من طين)[٧] . (٣٨)

فان قلتم : كذبتم على المسيح ، لأنه لم يدّع مما قلتم شيئا قلنا : انما أنكرتم علينا القول بما وجدنا فى كتابنا نحن لا نعدل بمثل هذا فى الأبد ، فاضطررناكم من كتابكم الى القول بمثله .

فلما ثبت قلتم كذبتم على المسيح ، فلما تكذبونا - (وكتابنا)[٨] - على القول بمثل قولكم فى واسطة موسى وعبادته لها ؟

---

(١) فى "ب" و"ج" (وان) (٢) فى "ب" (التى)

(٣) كما فى قوله تعالى (وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمى ولي فيها مآرب أخرى قال القها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى) (طه / ١٧ - ٢٢)

(٤) سقطت من "أ" و"ج"

(٥) فى "ج" (قولكم)

(٦) ساقطة من "أ" و"ج"

(٧) سورة الاعراف / ١٢

(٨) سقطت من "ب"

وأنتم لما أوجبتم أن الأمة تحاسب بعملها يوم القيامة ، ان محاسبها يخاطبهـــا (يوم القيامة) (١) ويكافئها بأعمالها . ثم يقول قرآنكم (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٢) بما تنكرون أن (يكون) (٣) المسيح الذى كان واسطا للوعظ ، أن يكون هذا المقبل مع الملائكة كما قدمه فى الانجيل حيث قال :

" (يحقق) (٤) ابن الانسان - (يعنى) (٥) العجاب المتخذ من نسل آدم - فى مجلس عظمته ، ويقدم جميع الأمم بين يديه ، ويميزهم كما يميز الراعى الغنم من المعـــز ، فيجعل المؤمنين عن يمينه والمجرمين عن شماله ثم يعاتبهم ، ويأمر كل طائفة بمثل ما قدموا فى دنياهم " (٦) .

واذا أوجبتم أن الله لا مفطور ولا مدرك بحاسة فقد أوجب أن المحاسب المسموع مدرك بالحواس مع اقراركم أن ربكم قال :

" ترون ربكم ولا تضامون فى رؤيته (كالقمر) (٧) ليلة البدر " (٨) .

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ج"

(٢) سورة الفجر ٢٢

(٣) سقطت من "ب"

(٤) فى "ب" (يفعل)

(٥) فى "ب" و"ج" (أعنى)

(٦) والنص كما فى متى " ومتى جاء ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء . فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يامباركى أبى رثوا الملكـــوت المعد لكم منذ تأسيس العالم " . (متى الاصحاح ٢٥ : ٣١ - ٣٤)

(٧) فى "أ" و"ج" (القمر)

(٨) يشير الى ما رواه البخارى عن أبى هريرة " أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تضارون فـى القمر ليلة البدر ؟) قالوا لا يا رسول الله . قال (فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟) قالوا لا يا رسول الله . قال (فانكم ترونه كذلك ..الحديث (صحيح البخارى رقم ٧٠٠٠ - كتاب التوحيد باب قول الله (وجوه يومئذ ناضرة.)

أو لم تنكرون أن يكون المسيح الذى كان واسطا للوعظ ، أن يكون هو المقبل مع الملائكة كما قال عنه قرآنكم (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمور)(١)

الجـــواب عـمـا ذكـــر

اعلم يا هذا المتكلف فى يقينه ، المتعسف فى تأويل دينه(٢) ، أنك (قلت)(٣) فى هذا الفصل من الباطل والكفر ما لا حجة له ولا أصل . خالفت فيه دين النصارى المتقدمين ، ولم تعرج على مذاهب القسيسين ، بل رغبت عن ملة أئمتك المطّارين(٤) ، فوجب على أهل ملتك أن يعدوك فى الخارجين ، ومن الجهال المبتدعين . وذلك أنك زعمت أن الذى قال لموسى (أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى) انما كان الصدا ، ولم يكن الله تعالى ، وزعمت أن موسى اعترف للصدا بالربوبية ، وأنه هو الذى كلم موسى واياه جاوب ، وعنه تحمّل الرسالة حتى أتى فرعون ، وأن ذلك الصدا (قام)(٥) عند موسى مقام خالق فسماه الها ، وزعمت أن موسى سجد لذلك الصدا ، وأنه هو الذى سأل موسى رؤيته . وكذلك زعمت أن موسى قال للصدا (تبت اليك وأنا أول المؤمنين)(٦) ، فاذا كان هذا كله للصدا فلا حاجة لموسى ، ولا لأحد الى الله (تعالى)(٧) ، فانه لم يقل لا اله الا أنا ، وانما قالها الصدا ، والصدا صادق بزعمك .

---

(١) سورة البقرة ٢١٠ .

(٢) أما استشهاده بالآيتين الكريمتين (وجاء ربك والملك صفا صفا) وبقوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ..الآية) للاستدلال على كلامه من أن المسيح الذى كان واسطة للوعظ أن يكون هو المقبل مع الملائكة ، فهو استدلال فى غير موضعه ، حيث أن المسيح بشر ومجيئه واتيانه غير اتيان الله . فما أشارت اليه الآيتين من المجيء والاتيان انما هو بلا تأويل ، حيث أن هذه الأفعال الواردة فى القرآن فيما يتعلق بذات الله نثبتها كما وردت بدون تحريف ولا تأويل . (بتصرف عن الفصل لابن حزم ١ / ٦١)

(٣) فى " أ " (بهتت)

(٤) المطارين : جمع مطران والمطران لقب لكبير من كهان النصارى .

(٥) فى " ج " (قال)

(٦) سورة الاعراف ١٤٣

(٧) ليست فى " ب "

فقد بطلت الهية الله تعالى وثبتت الهية الصدا ، واذا كان كذلك فلم لا تعبدون هذا الصدا الذى عبده موسى (وسجد له)(١) وتاب له ، بعد أن اعترف بربوبيته ، وما بال حبقوق النبى لم يعبد هذا الصدا كما عبده موسى ولم يذكره ولم يعترف بربوبيته ؟ وكذلك ما بال حزقيل لم يعبد هذا الصدا كما عبده موسى ولم يذكره ولم يعترف بربوبيته ؟ وكذلك اشعياء ويحيى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والحواريون ، ما بالهم (لم)(٢) يعبدوا ما عبد موسى وسجد له واعترف بربوبيته ، وانه لا رب سواه؟ فهؤلاء الأنبياء والأولياء اما أن يكونوا علموا أنه لا اله الا الصدا - كما قال الصدا بزعمك - أو جهلوا ذلك ، فان كانوا علموا فلأى شىء لم يعترفوا بذلك وسكتوا عنه ؟ اذ لم يصح قط عن واحد منهم أنه قال / لا اله لكم الا الصدا (فيلزمكم)(٣) أن (٢٩) يكون سكوتهم عن ذلك ، اما عن جحد أو (عن)(٤) تلبيس ، فان كانوا علموا الحق فجحدوه فذلك كفر منهم ، وهم صلى الله عليهم (أجمعين)(٥) مبرأون عن ذلك ومنزهون . ولو كان ذلك لاستحال أن يظهر عليهم من الآيات شىء مما ظهر . وان كان سكوتهم عن تلبيس ، فان جاز عليهم التلبيس فى مثل هذا جاز عليهم التلبيس فى كل ما أخبروا به من الشرائع ، اذ (كل)(٦) الشرائع والأحكام تحتقره بالاضافة الى معرفة الربوبية . وان كانوا جهلوا ذلك ، فكيف علمت أنت يا أحمق ما جهله الأنبياء والأولياء ؟ .

فان كانوا (قد)(٧) تكلموا بذلك (وقالوا به)(٨) ، ففى أى سفر من أسفار التوراة هو أن : موسى أخبر ، أن (الله)(٩) لا اله له ولا لكم الا الصدا ، وأن الصد أرسله الى فرعون وأنه اله ؟ فان كان ما تدعيه حقا (فأئت بالتوراة فاتلها ان كنت من الصادقين)(١٠)

---

(١) ألحقت بهامش "أ" (٢) فى "ب" (ما)

(٣) فى "ب" (فيلزمك) (٤) سقطت من "أ" و "ب"

(٥) ألحقت بهامش "أ" وهى ساقطة من "ب" (٦) ساقطة من "ب"

(٧) ساقطة من "أ" و "ب" (٨) ألحقت بهامش "أ"

(٩) سقطت من "ب" . (١٠) اقتباس من قوله تعالى : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) آل عمران ٩٣

وفى أى كتاب من كتب الأنبياء جاء مثل ذلك ؟ أفى كتاب حبقوق ؟ أو فى كتاب حزقيل ؟ أو فى كتاب اشعياء ؟ أو فى كتاب دانيال ؟ أو فى انجيل لوقا ؟ (١) (أو فى انجيل متى) (٢) أو فى انجيل مرقس ؟ (٣) أو فى انجيل يحيى ؟ (٤) أو فى مصحف الاعلان . ؟

---

(١) وكاتبه هو لوقا وقد قيل : انه كان طبيبا من أصل يهودي . ويتفق المؤرخون على أن لغة التدوين لهذا الانجيل هى اللغة اليونانية ، أما تاريخ تدوينه فهى نقطة خلاف حاد بين المؤرخين ، فقد ذهب القس ابراهيم سعيد الى القول : بأن انجيل لوقا كتب لليونان ، وان انجيل متى كتب لليهود ، وأن انجيل مرقس كتب للرومان أما انجيل يوحنا فكتب للكنيسة العامة .

(أضواء على المسيحية متولى شلبى / ٤٤ - ٤٦)

(٢) وكاتبه هو متى أحد التلاميذ الاثنى عشر ، ويقول الكاتبون المسيحوين ان لغته : اما بالعبرية أو السريانية ، كما انهم يتفقون على أن أقدم نسخة لهذا الانجيل كانت باللغة اليونانية وقد ضاعت وقد اختلف فى تاريخ تدوينه .

(المرجع السابق ٣٩ - ٤١)

(وما بين القوسين ألحقت بهامش " أ " .

(٣) يقولون : ان كاتبه يوحنا ، ويلقب بمرقس ولم يكن تلميذا مع الحواريين وينتسب الى أصل يهودى ويتفق المؤرخون على أن لغة التدوين لهذا الانجيل هو اليونانية ، وقد اختلف فى تاريخ تدوينه فذهب البعض الى أنه ألف سنة ٥٦ م وما بعدها وأغلب الظن أنه دون عام ٦٠ م (المرجع السابق ٤٢ -٤٣)

(٤) وهو انجيل يوحنا الحوارى ابن الصياد ، وقد انكر علماء المسيحية فى القرن الثانى نسب هذا الانجيل اليه (يوحنا) الذى كان يحبه المسيح . وقد ورد فى دائرة المعارف الانجليزية ان انجيل يوحنا لا يشك أنه كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين وهما يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب انه هو الحوارى الذى يحبه المسيح . اذن المؤرخون المسيحيون أنفسهم لا يدرون من هو يوحنا ؟ كاتب الانجيل الرابع . وقد اختلف النصارى فى تاريخ تدوينه ، وهو أمر طبيعى ما دامت شخصية كاتبه مجهولة .

(أضواء على المسيحية ٤٦ - ٤٩)

وفى أى كتاب من رسائل الحواريين وجد مثل ذلك ؟ أو هل وقع شىء منه هنالك ، فى هذه الكتب التى ترجعون اليها وتعولون عليها ؟ واذا لم يوجد فيها شىء مما ذكرت ، علم من حالك أنك على الله ورسله كذبت وافتريت (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين)(١) .

بل قد تواردت الرسل على الأخبار بالقواطع التى لا تجهل (بأن)(٢) الله اله واحد ، وانه ليس له فى الهيته (شبيه ولا مضادد)(٣) . واذا تبين بهذا أنك كفرت ، وان الله ربك سببت ، وعلى رسله كذبت ، وانك من جميع الملل خرجت ، تعين على اليهود والنصارى أن (يتشاوروا)(٤) فى أمرك ويأتمروا فى حرقك أو نحرك .

(ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق)(٥) .

ثم نقول(٦) : هذا الصدا الذى وصفت ، وهو اله عندك كما زعمت ، أو الله (تعالى) رب العالمين وخالق السموات والأرضين أم اله غيره ؟ فان كان هو الله (تعالى)(٧) فلم سميته الصدا ؟ ولم جعلته واسطا بين نفسه (وبين)(٨) خلقه ؟ وهل هذا الا (محال)(٩) .

فانه لا يتصور فى العقل واسط الا بين اثنين ، ويكون الواسط ثالثا .

ثم يلزمك على هذا أن تجعل ذات البارى - الرب تعالى - صوتا حادثا . فان ذلك الصدا عندكم حادث ، وهذا كله محال بضرورة العقل .

وان قلت : انه غيره ، فيلزم أن (يكون)(١٠) ذلك الصدا هو المتكلم عن نفسه والمخبر بحقيقته . فاذا سمعه موسى يقول : أنا الله لا اله الا أنا ، فاما أن يخبر عن نفسه أو عن رب العالمين ، فان أخبر عن نفسه فهو كاذب ، فان الرب تعالى إله آخر ،

---

(١) سورة الزمر ٦٠
(٢) فى "ب" (أن)
(٣) فى "ب" (شريك ولا معاند)
(٤) فى النسخ الثلاث (يشتوروا)
(٥) سورة الرعد ٣٤
(٦) ليست فى "ب"
(٧) ليست فى "ب"
(٨) سقطت من "ب" و "ج"
(٩) فى "ب" (محالات)
(١٠) سقطت من "ب" .

وان أخبر عن الرب ، فلأى شيء قلت أنه اله ؟ وأن موسى اعترف له بالربوبية وسجد له ؟ بل الاله الحق رب العالمين .

والصدا ليس باله ولا رب ، فقولك : اعترف موسى بربوبيته وعبده ، باطل بالضرورة .

ثم نقول : هب أن ذلك الصدا هو المتكلم عن الله . وأنه اله ، فهل يقدر الله تعالى على أن يتكلم ويخبر عن اراداته بغير ذلك الصدا ؟

فان قلتم : لا فذلك تعجيز لله تعالى ، وهو القادر على كل شيء ، ويلزم عليه أيضا : أن يكون محتاجا لذلك الصدا المحدث ، وكل من كان محتاجا فهو ناقص معيب ، وليس بغني/ . (٤٠)

والله (تعالى)(١) هو الغني عن كل الموجودات ، وليس شيء من الموجودات عنه غني . وان كان قادرا على أن يسمع كلامه بغير واسطة ، فلعل موسى سمعه بغير واسطة ، واذا جاز أن تسقط الواسطة انهدم كلما رمت بناءه على أنا (قد)(٢) كنا هدمناه أولا في أوهى لحظة بأيسر نفخة .

وانما أردنا أن نبين لك ، ولكل من وقف على كلامك بعض ما يلزمك وأنت لم تشعر بشيء من ذلك .

ولولا خشية التطويل(٣) لأوردت عليك من النقوض واللوازم ما يتعجب منه كل (خير) نبيل .

ثم نقول : هب أنا نسلم جدلا أن الله تعالى تكلم مع موسى بواسطة الصدا ، فلم قلت : أن عيسى مثل الصدا ؟ أعني أنه واسطة ، كما أن ذلك الصدا واسطة ، وما الذي دلك على (ذلك)(٤) ؟ ولأى شيء سويت بينهما ؟ والفرق بينهما ظاهر؟ . وذلك أن الصدا الذي زعمت أن موسى سمعه ، انما سمعه موسى بعد أن احتجب له بالنار - كما زعمت - والنار جماد ، واذا قام بالجماد صوت يفهم منه (انا الله لا اله الا أنا فيمكن أن يحقل هنا غالط مثلك ، أن المتكلم بذلك الصوت هو غير الجماد

---

(١) ليست في "ب" (٢) سقطت من "ب"

(٣) سقطت من "ب" وفي "ج" (حر) (٤) ألحقت بهامش "أ"

لاستحالة الالهية (على) (١) الجماد ، واما حيوان يمكن أن يتوهم فيه أنه اله كما توهمتم أنتم فى ذلك فلا يصح ذلك فيه . لأنه اذا قال لا اله الا أنا فمن نفسه يخبر ، واليه يرجع حكم خبره بخلاف الجماد . فكيف قست أحد الواسطين على الآخر وليس فى معناه ؟

ولو أردنا تطويل الكلام لذكرنا فروقا أخر تمنع مقايسة النار بالبشر .

وأما قولك : ان عيسى عليه السلام قال أنا الله ، وأن الحواريين صدقوه فى ذلك فكذب صراح ، وافك بواح ، فانه لم يرو عنه عليه السلام ذلك القول بوجه صحيح ، ولا بنص صريح ، بل الذى صح منه ونقل بالتواتر عنه ، انه كان يقول : اعبدوا الله الذى لا اله الا هو ، وأناجيلكم تشهد بذلك عليكم (٢) .

ثم نقول : لو ثبت أن عيسى قال ذلك اللفظ بعينه (٣) ، لكان يسوغ حمله على معنى قويم فى العقول ، غير مخالف للمنقول . وهو أن عيسى عليه السلام كان صبيا

---

(١) فى " أ " (عن)

(٢) وقد ورد فى الانجيل أن عيسى عليه السلام كان يعرّف الناس أن الله تعالى واحد حقيقى وأن عيسى عليه السلام رسوله كما فى انجيل يوحنا :

" وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرّفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته " (يوحنا الاصحاح ١٧ : ٣)

فالذى قاله أن الحياة الأبدية ، عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد وأن عيسى رسول وليس اله) (اظهار الحق ٢/ ٣٤٣)

وفى انجيل مرقص " فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا اسمع يااسرائيل الرب الهنا رب واحد " (مرقس الاصحاح ١٢ : ٢٩)

فهذا النص يبين أن الله واحد على لسان المسيح عليه السلام .

وفى انجيل متى : " واذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله " . (متى الاصحاح ١٩ : ١٦ - ١٧)

فلو كان عيسى الها لما كان لقوله معنى ، ولكان عليه أن يبين أنه لا صالح الا الأب وأنا وروح القدس . (اظهار الحق ٢/ ٣٤٥)

(٣) والثابت أن عيسى عليه السلام لم يقل هذا ولا يمكن افتراضه كما لا يمكن الاستدلال بما قاله الحلاج لأن عيسى رسول وأقواله كلها سنة .

لله تعالى ، مشتهرا فى محبته ، ومن عادة المشغوف بشيء المشتهر به ، أن يستحضر ذلك الشيء المشتهر فيه فى قلبه ، ويجعله نصب عينيه ، حتى لا يلاحظ شيئا سواه . بل ربما (ينتهى)(١) ذلك به الى أن يذهل عن نفسه ويغيب عن حسه .

ففى مثل تلك الحالة يظن المشتهر أن الشيء الذى شغف به هو هو ، حتى يقول : أنا من أهوى ومن أهوى أنا(٢) ، وكذلك قال الآخر(٣) :

فكل شيء رآه ظنـه قدحـا(٤) // وكل شخص رآه ظنـه الساقي

وكذلك (قال)(٥) عيسى عليه السلام . لما انكشف له من سلطان الحقيقة أمر ما غاب عن نفسه ، وفنى عن حسه ، لما شاهد من جمال الربوبية والحضرة الالهية فذهل عن كل ما سوى الله ، فقال (أنا الله)(٦) وهذه أمور عجيبة وأذواق غريبة لا يدركها الا من اختاره (الله)(٧) من خلقه ، واصطفاه لحضرته ، " فليس بعشك فادرج "(٨).

وأما قولك لنا : قد أوجبتم أن الخليقة لا تدرك الخالق الا بجسم مخلوق تتخذه ، وتجعله واسطا بينه وبين من خاطب من الأنبياء ، فقول باطل علينا ، فاسد لدينا . فأنا قد أحلنا تلك الواسطة فيما تقدم بوجوه متعددة ، وقد حكمنا بتكفير من اثبت واساط على نحو ما زعمت ، ولا أعلم أن أحدا من المسلمين قال شيئا من ذلك ، بل ولا من أهلل الملل غيرك .

---

(١) فى " ب " (يبقى) والصواب ما أثبتناه . (٢) هذا الكلام ينسب للحلاج .

(٣) قائل هذا البيت هو أبو نواس وقد ورد فى ديوانه هكذا :

فكل كف رآها ظنها قدحا // وكل شخص رآه ظنه الساقـي

(ديوان أبى نواس للحسن بن هانى ٢٠٤)

(٤) فى نسخ المخطوط (الساق) (٥) ساقطة من " أ " و " ج "

(٦) ان هذا الموقف شطحة من شطحات الصوفية . والواقع أنه من المستحيل على رسول كعيسى عليه السلام أن يقول مثل هذا القول وهو من أنبياء الله ، لأن مثل هذا القول يعتبر دعوة لتأليه نفسه . (٧) ألحقت بهامش " أ "

(٨) واصل المثل (ليس هذا بعشك فادرجى) أى ليس هذا من الأمر الذى لك فيه حق فدعه . (انظر كتاب الأمثال لابن سلام ٢٨٦)

ثم نقول : هذا الواسط الذى زعمت لا يخلو أن / يدرك الله تعالى - أعنى يعرفه (٤١)
ويسمع كلامه - أو لا يدرك ، فان قلتم لا يدرك فقد شهدتم على أنفسكم ، أن الواسطة ليس باله ، اذ الاله لابد أن يكون دراكا . ويلزمكم على ذلك أن يكون عيسى لا يعرف الله تعالى ولا يسمع كلامه وهو محال .

وان قلتم : أنه يدرك الله تعالى ، فهل يدركه بواسطة أو بغير واسطة ، فان أدركه بواسطة أخرى فالكلام فى تلك الواسطة كالكلام فى الأولى ، ويلزم التسلسل .
وان أدركه بغير واسطة فيجوز لنا (نحن)[1] أن ندركه بغير واسطة ، وفى هذا ابطال ما ذكرت ، من اثبات الواسطة الذى ذكرت، أن المسلم قد اضطر اليه .
وأما قولك : انما أوجبتم (علينا)[2] الشرك فى قولنا بواسط ، فاذا الحق والعقل لا يعيب (الواسطة)[3] فلتعلم أنا لم نوجب عليك الشرك من حيث الواسط فقط ، بل من حيث أثبت واسطا الها .

وذلك أنك زعمت أن الصدا قال لموسى مخبرا عن نفسه أنا الله لا اله الا أنا فأعبدنى ، واعترف له موسى بالربوبية ، وتحمّل عنه الرسالة ، وعبده وسجد له ، فهذا اثبات (اله) غير الله . وكذلك قلتم : فى المسيح[4] ، أنه قال أنا (الله)[5] واعترفت الحواريون له بالربوبية ، فهذان الهان ، ثم ان الأقانيم ثلاثة آلهة ، فصارت الهتكم خمسة . فياليت شعرى هذه الآلهة الخمسة ، هل اشتركوا فى ايجاد الموجودات ، واختراع الكائنات أو انفرد بها أحدهم ؟ فان كان قد انفرد بهما أحدهم فهو الاله الحق الواحد الفرد . وان كانوا قد اشتركوا وتعاونوا على خلق المخلوقات (وسائر المخلوقات)[6] ، فلا معنى للشرك الا هذا . ويلزم على تقدير اجتماعهم وتوافقهم على الخلق ، أن يكون كل واحد منهم مضطرا الى مساعدة الآخر ، وكل مضطر ناقص ، والناقص ليس باله.[7]

---

(١) سقطت من " ب "
(٢) فى " أ " و " ج " (عليه)
(٣) فى " ج " (الواسط)
(٤) فى " ج " (له)
(٥) فى " ج " (اله)
(٦) سقطت من " أ " و " ج "
(٧) استعمل القرطبى فى رده هنا على صاحب كتاب التثليث دليل المتكلمين على الوحدانية .

وان قدّرنا اختلافهم فى الخلق بحيث يريد أحدهم أن يخلق ، ويريد الآخر أن لا يخلق فيؤدى ذلك الى أن لا يخلق أحدهم شيئا (فلا)(١) يوجد الخلق وقد وجد الخلق ، فدل ذلك على (أن)(٢) (الاله واحد)(٣) لا شريك له ولا اله غيره . (وهو الله تعالى)(٤).

ثم نقول : عبّاد الأصنام والأوثان أشبه حالا منكم ، لأنهم فى عباداتهم انما كانوا يعبدون أصنامهم ليقربوهم الى الله زلفى(٥) ، وأنتم انما تعبدون هذه الآلهة لأنها أرباب من دون الله فتتقربون منها . وهذه جهالات بينة ، وضلالات ظاهرة عميت عنها بصائركم ، فانطوت عليها قلوبكم .

وأعجب من ذلك كله ، قولك الحق والعقل لا يعيب الواسط ، أما من قال هذا : فقد خرج عن غريزة العقل ، فتاه فى مفازة الجهل . فان العقل (الصريح)(٦) يشهد بضرورة ابطال الواسطة ، وما الحق فهذه كتب الأنبياء بين أيدينا وأيديكم ، ففى أى كتاب منها أن الالهة خمسة ؟(٧) بل تدل كلها على أن (الاله واحد)(٨) ، ولا ولد له ولا والد (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا)(٩)

---

(١) فى "ب" (ولا)　　　(٢) ألحقت بهامش "ب"

(٣) فى "ب" (الها واحدا)　　　(٤) سقطت من "أ" و "ج"

(٥) كما أخبر الله تعالى عنهم فى القرآن الكريم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) الزمر / ٣)

(٦) فى "ج" (الصحيح)

(٧) هذا القرآن الكريم يشهد بأن الله واحد كما فى قوله تعالى : (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) التوبة / ٣١.

وقد قدمنا قبل قليل أن الانجيل كلها تشهد بأن الاله واحد .

(٨) فى "ب" (الها واحدا)

(٩) سورة مريم ٩٢ - ٩٣

وستقدم فتعلم وأنت قد اضطربت في هذا الفصل ، ولم يثبت لك فيه فرع ولا أصل ، والتكثير مع من لا يعقل عمل من لا يحصّل .

وأما قولك : " وأنتم لما أوجبتم أن الأمة تحاسب بعملها يوم القيامة ، ان محاسبها يخاطبها ويكافئها بأعمالها " ، فقد كان ينبغي لك الا تحتج بشيء لم يثبت عندك أصله ولا تصدق بنقله . ثم لا حجة لك (١) (في شيء) مما ذكرته ، وذلك أن محاسبة الله تعالى للعباد في الدار الآخرة مما يجب الايمان بها ، ومما قد تواردت الشرائع (٢) (عليها) اما بالتصريح أو بالايماء والتلويح / وذلك يكون ولا بد، (٤٢)

ولأجل مجازات العباد بأعمالهم في الدار الآخرة ، خلق الله الخلق ، وبسط الرزق وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب (٣) (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)

ومحاسبة الله الخلق تكون على وجوه ، جائزة في العقل ، واردة في النقل ، لا يحتاج (٤) (فيها) الى شيء مما تخيّلته منها :

ان العبد يوقف في (٥) (موضع) الفصل والقضاء ، فيعطى كتابا أحصيت فيه أعماله ويقال له : (٦) (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)

فاذا وقف (٧) (عليه) ، علم أن المكتوب (٨) (فيه) هو اعماله ، فان كان سعيدا قال (هاؤم اقرأوا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفها دانية (٩))

(١١) (فعند ذلك يقال لهم) : (كلوا واشربوا (١٠) (هنيئا) بما أسلفتم في الأيام الخالية (١٢)) .

---

(١) سقطت من "ب"

(٢) سقطت من "أ" و "ج"

(٣) سورة المؤمنون ١١٥

(٤) سقطت من "ب"

(٥) في "ب" (محل)

(٦) سورة الاسراء ١٤

(٧) ألحقتها من "ب" وهي في "أ" و "ج" (عليها)

(٨) في "أ" و "ج" (فيها)

(٩) سورة الحاقة / ١٩ - ٢٣

(١٠) ما بين القوسين سقط من "ج"

(١١) سقطت من " ج "

(١٢) سورة الحاقة / ٢٤

وان كان شقيا فيقول (يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابية ، يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عنى عاليه ، هلك عنى سلطانية)(١). فعند ذلك يقال للملائكة : (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه)(٢) .

فهذا وجه من وجوه المحاسبة ، لا يحتاج معه الى اثبات واسطة . ويمكن أن يكون هنالك وجوه ممكنة فى المحاسبة ، ليس هذا موضع ذكرها ، ولا أنت أهل لفهمها ، لا تحتاج شئ منها الى ما رمت من الواسطة . فكأنى والله بك ، ان مت على ما أنت عليه ، يؤخذ بناصيتك (وقدميك)(٣) ، وتحيط بك ملائكة ربك ، (ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون)(٤) فتنادى فتقول : يا عيسى ؟ يا سيدى ؟ يا الهى ؟ يا ولد الله ؟ فيقول لك : كذبت (ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد) ، ولست باله ، ولم أقل لك كذلك ، ولا أبلغتك ذلك . وانما أبلغتك أن الله لا اله الا هو وحده لا شريك له(٥) .

فكيف ترى خجلتك بين يديه ؟ وحيرتك اذا طلبت فى نفسك جوابا ترده عليه . فذلك المقام لا ينفعك (فيه ملك مقرب ، ولا نبى مرسل الا ما قدمت يداك من حسن ايمان وصالح عمل ، وسعادة قضت لك بها سابقة الأزل ، فان الملائكة والنبيين لا يشفعون ، الا لمن ارتضى رب العالمين)(٦)(٧)

---

(١) سورة الحاقة ٢٥ - ٢٩ (٢) سورة الحاقة ٣٠ - ٣٢

(٣) فى "ب" (وقدمك) (٤) سورة التحريم ٦

(٥) والدليل على ذلك قوله تعالى : " واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس أتخذونى وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسي ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد) (سورة المائدة ١١٦ - ١١٧)

(٦) ألحقت بهامش " أ "

(٧) لقوله تعالى : (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) (طه ١٠٩)

فالله الله !! انظر فى خلاص نفسك ، لتجتنى ثمار غرسك .

وأما قولك : (١) يقول قرآنكم (وجاء ربك والملك صفا صفا) (٢) فلست لها ، فما شأنك وإياها ؟ أنت لا تعرف لسان من خوطب بها ، ولا تعرف مضمنها ، فكيف يمكنك الاستدلال بها والتطواف حولها وأنت عرى عن الشرط الذى به يعرف معناها ، ويفهم فحواها ؟

وليس مفهومها عند من خوطب بها من العرب الفصحاء البلغاء على شىء مما ذكرت ، ولا يقرب مما توهمت بل معناها : عندهم لا تخالفه العقول ، ولا يخرج عن أسلوب لسان العرب المنقول ، وانما أكره أن أشافهك به ، لأنك فاقد شرطه ، فان كنت ممن ينور الله بصيرته ، ويحسّن سريرته ، شرعت فى أن تتعلم ، ويجب علينا أن نفهمك - حتى - ان شاء الله تفهم .

وأما قولك : فى الانجيل ، " يقعد ابن الانسان فى مجلس عظمته ، ويقدم جميع الأمم بين يديه ، ويميزهم كما يميز الراعى الغنم " (٣) . فنقول : أمنا بالله (وملائكته) وكتبه ورسله ، ومع ذلك فنعلم على القطع والثبات ، أن كل أمة تدعى يوم القيامة بامامها ، وتنادى بمعبودها وأنبيائها " فيتبع كل من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع كل من كان يعبد الطواغيت الطواغيت " (٤) واذا كان كذلك ، فلابد لعيسى أن يجمع له (كل من (٥) (لزمه) (٦) اتباع شرعه (٧) ، فحينئذ يميزهم كما يميز الراعى الغنم ، فمن آمن به / واتبعه على النحو الذى رسم له فهو من الفائزين . (٤٣)

---

(١) فى " ج " (قوله) (٢) سورة الفجر / ٢٢

(٣) سقطت من " ب " و " ج "

(٤) هذا مقتبس من حديث طويل رواه ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكتفى بذكر الشاهد من الحديث (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها . . . الحديث) رواه البخارى ٣ رقم الحديث (٧٠٠٠) كتاب التوحيد باب قول الله وجوه يومئذ ناضرة . . .) (٥) سقطت من " ب "

(٦) فى " ب " هكذا (كل من اتبع شرعه) . (٧) متى الاصحاح ٢٥ : ٣٢

ومن اعتقد فيه أنه اله أو ابن اله ، فالنار (مأواه)(١) بعد أن يتبرأ(٢) عيسى من دعواه .

وأما قولك : واذا أوجبتم أن الله لا مفطور ولا مدرك (بحاسة)(٣) فقد وجب أن المحاسب المسموع مدرك بالحواس ، فهذا لا يلزم منه شيء مما ذكرت . فانا اذا قلنا أن الله (تعالى)(٤) ليس مدركا بالحواس فانما نريد (به)(٥) ، أن الله ليس مدركا بالحواس كما تدرك الأجسام والألوان ، فيكون محاطا به ، فيكون ذا حدود وأقطار وذلك محال .

واذا قلنا أن الله (تعالى)(٦) مرئي في الدار الآخرة ، انما نريد به أن الله تعالى يخلق لنا ادراكا آخر ، لا يناسب حاله (حالة)(٧) ادراك الاجسام ولا الألوان ، فان الادراكات مختلفة باختلاف متعلقاتها ، وذلك ادراك خاص له حكم نفسه ، لم تذق منه ذوقا في هذه الدار ، فانه انما يكرم الله به (أوليائه وأصفيائه)(٨) يوم القيامة ، واذا أنعم الله (تعالى)(٩) على وليه بذلك الادراك المعبر عنه بالرؤية ، خلق (الله)(١٠) له من اللذة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فان أنكرت أن يرى ما ليس بجسم ولا لون ، فلتنكر أن يعلم موجودا ليس بجسم ولا عرض . وان زعمت أن الرؤية غير جائزة عقلا فقد جهّلت موسى ، حيث سأل الله ما يستحيل عليه ، فكيف جهل موسى من وصف الله ما علمه جاهل (مثلك)(١١)

---

(١) في "ب" (مثواه)

(٢) في "ب" (تبرأ) والصحيح ما أثبتناه لأن الأولى اخبار عن الماضي والثانية عن المستقبل .

(٣) في "ب" (الحواس)

(٤) ليست في "ب"

(٥) سقطت من "ب"

(٦) ألحقت بهامش "أ"

(٧) في "ب" (حال)

(٨) في "ج" (أصفيائه وأوليائه)

(٩) ليست في "ب" و "ج"

(١٠) سقطت من "أ" و "ب"

(١١) في "أ" (شاك)

وأما استشهادك بحديث نبينا (عليه السلام)[1] على رؤية ذى الجلال والاكرام ، فأنت ممنوع منه لاعراضك عنه ، وهو من (عمدتنا)[2] على اثبات رؤية الله (تعالى)[3] فى الدار الآخرة ، لكوننا عالمين بحقه ودليل صدقه . ثم انك نقلت ذلك الحديث فاجحفت ، وبالمعنى أخللت . وانما صوابه " أنكم ترون ربكم ولا (تضامون)[4] فى رؤيته الا كما تضامون فى رؤية القمر ليلة البدر "[5] وهذا لا حجة لك فيه ، فانا نقول :

ان الله (تعالى)[6] هو المرئى ، لا غيره بالأبصار ، فى الدار الآخرة على ماتقدم . وأنتم تقولون : أن المرئى الواسطة ، وهذا الحديث يعرف معانيه أهله ، وهم الذين يصدقون برسالته من هو قوله ، فلا تطمع فى معرفته ، فانك لست أهلا لدرايته .

وأما قولك : لم تنكرون أن يكون المسيح هو المقبل مع الملائكة ؟ كما قال عنه قرآنكم ؟ (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام (والملائكة)[7])[8] فكيف لا تنكر[9] ذلك ؟ ولم يدل على وقوعه دليل عقل ولا صحيح نقل ؟!

وليس معنى الاتيان فى هذه الآية الا كالمجىء فى الآية المتقدمة ، وكلاهما ليس المراد به المجىء الذى هو نقل الاقدام ، بل المجىء والاتيان لهما معان أخر يعرفها العرب المؤمنون . وهذه الآية فيها محذوف تفسره آية أخرى[10] (تقديره : (هل ينظرون الا أن يأتيهم أمر الله[11] ، كما قال تعالى فى آية أخرى)[12] (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك)[13]

---

(١) فى "ب" (صلى الله عليه وسلم) (٢) فى "أ" و "ج" (عمدنا)

(٣) ليست فى "ب" و "ج" (٤) فى "أ" (تضاهون)

(٥) رواه مسلم فى كتاب الايمان رقم الحديث (١٨٣) باب معرفة طريق الرؤيـة . والنسائى فى المقدمة ١٧٧/١ - باب فيما أنكرت الجهمية . وأبو داود رقم الحديث (٤٧٣٠) كتاب السنة باب فى الجهمية .

(٦) ليست فى "ب" (٧) سقطت من "ب"

(٨) سورة البقرة ٢١٠ (٩) فى "ب" (تنكرون)

(١٠) سقطت من "ب" (١١) وهنا تظهر أشعرية القرطبى فى التأويل .

(١٢) ما بين القوسين سقط من "ب" (١٣) سورة النحل ٣٣ .

فقد ذكر في هذه الآية ما حذف هنالك ، وهذا على المعروف في لسان العرب ، من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه . وكذلك الكلام (على)(١) الآية الأولى ، وهذا لا خفاء به عند البصير بلسان العرب ، فانها تستعمل الحذف والاضمار ، والمجاز والاختصار .

ثم مالك ولكتابنا ، " ولأى شيء تنشد ضالتنا ، دعها معها حذاؤها وسقاؤها ، ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها "(٢) / (٤٤)

ألق السلاح فلست من أكفائنا ✱ واقعد مكانك (بالخضيض)(٣) الأسفل .(٤)

ثم نقول : من عجيب أمر هذا السائل أنه لا يصلح أن ينسب لمقلد ولا ناقل ، وذلك أن هذا المذهب الذى أبدى من اتخاذ الله واسطة صوت الصدا ، انما حمله عليه تقليده لكتاب اغشتين .

وذلك أنه أشار في مصحف العالم الكائن الى نحو ما ذكره هذا السائل . ولعله وقف عليه ولم يفهمه صحيحا ، ولا أورده فصيحا ، بل زاد عليه كلاما فاحشا قبيحا (وأنا ان شاء الله (تعالى)(٥) اذكر)(٦) كلام أغشتين في الفصل الذى بعد هذا ، وأبين فيه أنه ليس كما فهمه هذا السائل ، ثم أعطف (على)(٧) أغشتين بتبيين فساد مذهبه ، وأوضح أنه غير مصيب في مطلبه ، (وأحقق)(٨) فيه أن أغشتين مخالف لغيره من القسيسين .

---

(١) في "ب" (في)

(٢) والصحيح أن أصل هذا حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، رواه البخارى " سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ضالة الابل فغضب واحمرت وجنتاه وقال : " مالك ولها معها الحذاء والسقاء تشرب الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها ".
(رواه البخارى في كتاب الطلاق رقم الحديث (٤٩٨٦) باب حكم المفقود في أهله وماله) .

(٣) في "ب" (في الحضيض)

(٤) لم أعثر على قائل هذا البيت في الدواوين الشعرية ولا في كتب اللغة .

(٥) ليست في "ب" و "ج" (٦) في "ب" (وان شاء الله أنا أذكر)

(٧) ساقطة من "ج" (٨) في "ب" (وأعين)

الفصل الخامس

في حكاية كلام المتقدمين (في الاتحاد وبيان اختلافهم فيه)(١)

لتعلم أيها الناظر في هذا الباب أن النصارى ، قد كثر اختلافهم ، وعظم خبطهم وارتباكهم ، فلا يستقرون فيه على قدم ، ولا يمشون منه على طريق أمم . فقليل منهم من نفى الاتحاد والحلول ، ولم يقل بشيء من ذلك ، وهم طائفة متقدمة يعرفون (بالأروسية)(٢) .

(ولا)(٣) يكاد مذهبهم يخالف مذهب المسلمين ، الا في انكارهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وجمهورهم على القول به واثباته . ثم المثبتون له منهم من قال لا يقال فيه كيف ؟ ولا يسأل عنه بحرف . ومنهم من يشرع في بيان كيفيته (وتفسير)(٤) ماهيته . فصارت اليعقوبية(٥) والنسطورية الى أن الكلمة خالطت جسد المسيح ، ومازجته كما

---

(١) ما بين القوسين سقط من "أ"

(٢) ألحقت بهامش "أ" والأروسية : هي فرقة من فرق النصارى ، تقول عن عيسى عليه السلام انه عبد ، وهو نبي لله تعالى فقط وأنه آدمي خلقه الله تعالى في بطن مريم عليها السلام من غير ذكر . (الفصل لابن حزم ٢/٥-١٢) . وهذا الكلام عين ما يقول به المسلمون .

(٣) في "ب" (وما)   (٤) ألحقت بهامش "أ" .

(٥) واليعقوبية من كبار فرق النصارى وهم أصحاب يعقوب الذين قالوا بالأقانيم الثلاثة الا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده وعنهم أخبرنا القرآن الكريم في قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) المائدة ١٧ . وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد أقنوم واحد الا أنه من جوهرين ، ولهذا قالوا ان مريم ولدت الها تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وكذلك قالوا في القتل وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين . وقالوا : لو وقع على احدهما لبطل الاتحاد . (انظر الملل على هامش الفصل ٢/٦٦ - ٦٨)

يمازج الخمر اللبن . والى نحو هذا ذهبت الروم (١) ، وزادوا (٢) عليهم فقالوا : اختلطت الكلمة بالمسيح فصارت شيئا واحدا . (٣)

ولقد حكى من كلام (اليعقوبية) (٤) ما يدل على تواقحهم وجرأتهم على الله تعالى . وذلك أنهم قالوا : " ان الله نزل فدخل فى بطن مريم فاتخذ من لحمها جسدا ، فصار الله مع الجسد نفسا واحدة (٥)

وربما أطلق بعضهم القول : بأن الله (٦) اتخذ (ذلك) (٧) اللحم والدم فزاده فى نفسه ، فصار ذلك اللحم الله "!!

وأما النسطورية (٨) فقالوا : " ليست تلك النفس هى الله وانما هى بعضه " (٩) ، وهذا هو البهتان الذى يعلم بطلانه بالضرورة كل انسان . وصار (معظم) (١٠) اليعاقبة الى أن الكلمة انقلبت لحما ودما (١١) ، وصارت طائفة من النصارى (ولعلهم والله أعلم

---

(١) انظر الملل على هامش الفصل ٢/٦٢

(٢) فى " أ " وردت (ورادوا)

(٣) انظر هذا فى الملل على هامش الفصل ٢/٦٢

(٤) فى " أ " و" ج " (الملكية) والصحيح اليعقوبية

(٥) انظر معنى هذا فى الملل على هامش الفصل ٢/٦٣

(٦) فى "ب" (بأن الله تعالى)

(٧) ساقطة من " ج "

(٨) والنسطورية : هم اصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون وتصرف فى الاناجيل بحكم رأيه ، واضافته اليهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة . قال ان الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات . وأما قولهم فى القتل والصلب فيخالف قول الملكائية واليعقوبية . حيث قالوا : ان القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته لأن الاله لا تحله الآلام . (الملل على هامش الفصل ٢/٦٤-٦٥) .

(٩) انظر هذا فى كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ٢١٨

(١٠) ألحقت بهامش " أ "

(١١) انظر الملل على هامش الفصل ٢/٦٦

الذين يقال لهم الملكية) [1] الى أن الكلمة حلت جسد المسيح كما يحل العرض محله[2] .

وصار أخلاط من النصارى ، الى أن المراد بالاتحاد : ظهور اللاهوت على الناسوت[3]. وربما عبروا عن ذلك بالقيض. ثم اختلفوا فى تمثيل ذلك على ثلاثة أوجه : -

منهم : من قال مثاله ما ينطبع فى الأجسام الصقلية من الأشياء التى تقابلها[4] .

ومنهم من قال مثاله الطابع المنقوش اذا اتصل بالشمع ،أو ما يضاهيه فيظهر نقش الطابع عليه ، وان لم يحله شئ من الطابع[5] .

ومنهم من قال معنى ظهور اللاهوت على المسيح ، كمعنى استواء الاله على العرش عند الاسلاميين[6] . مع مصيرهم الى استحالة المماسة والمحاذاة ، وربما يعبرون عن الاتحاد بالتدرع[7] . كأنهم أخذوا ذلك من لفظ الدرع ، يشيرون الى أن اللاهوت اتخذ ناسوت المسيح درعا .

هذه مذاهب المشتهرين من طوائفهم ./ (٤٥)

وأما اختلاف آحادهم ، (فلا)[8] يكاد ينضبط ولا يرتبط . ومن أراد الوقوف على شئ من ذلك فليطالع كتاب المسائل لهم ، ففيه يرى تحيرهم وخبطهم !!

ونفرد بعد هذا ان شاء الله (تعالى)[9] بابا نذكر فيه كلام أغشتين ، فان مذهبه فى الاتحاد مخالف لمذهب من تقدم ذكره من الفرق والقسيسين .

---

(١) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ج "

(٢) انظر الفصل لابن حزم ٢ / ٦٢

(٣) وهذا القول لجماعة من اليعقوبية حيث قالوا : " ظهور اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة بل صار هو هو ، كما يقال ظهر الملك بصورة الانسان أو ظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكما أخبر التنزيل عن جبريل (فتمثل لها بشرا سويا) مريم / ١٧ (انظر الملل على هامش الفصل ٢ / ٦٦)

(٤) وهذا مذهب اليعقوبية / انظر الملل على هامش الفصل ٢ / ٦٧

(٥) وهذا مذهب النسطورية / انظر الملل والنحل على هامش الفصل ٢ / ٦٠-٦٤)

(٦) وقد أشار الى هذا القول ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح ٢ / ٣١١

(٧) وهذا مذهب اليعقوبية (انظر الملل على هامش الفصل ٢ / ٦٧)

(٨) فى " أ " و " ج " (فمما)

(٩) ليست فى " أ " و " ج "

الجواب عن كلامهم :

أما من حكى عنه نفى الاتحاد ، فقد قال بالحق وأتى بالمراد . وأما من أثبته وقال : ان الاتحاد لا يسأل عنه ولا يكيف . فنقول (له)(١) : معنى الاتحاد لا يخلو أن تعرفه أولا تعرفه ، فان لم يعرفه فقد اعترف بجهله ، وناقض متقدم قوله . فانه اعترف بالاتحاد ، وادعى ثبوته للمسيح وحده . ثم لما طولب بتبيينه قال : لا أعرفه . وهذا تناقض وقول باطل (بالضرورة)(٢) .

وأما من قال أعرفه ، الا أنى يقصر عن ادراك حقيقته عقلى ، ولا أقدر على العبارة عنه ، وهذا كما قلتم (أنتم)(٣) فى جوابكم ، عن كيفية سماع موسى كلام الله (تعالى)(٤) حيث قلتم : انه لا (يسأل)(٥) عنه بكيف ، (فانه)(٦) ظلم وحيف .

فنقول : أما قولك أعرفه الا أنه يقصر عقلى عن ادراك حقيقته فتناقض أيضا . لأن كل معروف فلا بد أن يرتسم فى العقل ، ويحصل فيه على الوجه الذى يكون معروفا فيه (فاما)(٧) على الجملة ، واما على التفصيل .

وما لم يرتسم فى العقل لا جملة ولا تفصيلا ، فليس بمعلوم . وانت اذا ادعيت أنك عالم بالاتحاد ، فلابد أن تكون عالما به اما على الجملة أو على التفصيل . وكيف ما كان فلابد لك من أن تعبر عن معلومك على أى وجه كان(٨) ، والا فانت جاهل بالاتحاد ، ومن جهله كافر عندكم .

واما تشبيهك هذا بكيفية سماع موسى فليس بصحيح ، لأنا مهما قيل لنا كيف سمع موسى كلام الله ؟ انما نسأل عن (أمر)(٩) لم نعلمه علم ذوق وعن تفصيل ، ما لم نعلمه تفصيلا بل علمناه على الجملة .

---

(١) سقطت من "أ"

(٢) سقطت من "أ" و"ج"

(٣) سقطت من "ب"

(٤) ليست فى "ب" و"ج"

(٥) سقطت من "ب"

(٦) فى "ب" (قاله) والصواب ما أثبتناه

(٧) فى "ب" (فانه)

(٨) لأن القاعدة ـ كما يقول العلماء ـ أن الحكم على الشىء فرع تصوره.

(٩) فى "ب" (شىء)

ولذلك أجبنا بقولنا (١) : أن الله تعالى خلق له " ادراكا سمع به كلام الله (تعالى) (٢) ، الذى هو وصفه ، الذى ليس بحرف ولا صوت . ففهمنا الادراك على الجملة ولم نفهمه على التفصيل ، وأنت لم تعرف الاتحاد جملة ولا تفصيلا ، بل جهلت وادعيت أنك علمت (هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (٣) .

وأما من قال : أن الكلمة خالطت جسم المسيح ومازجته ممازجة الخمر اللبن ، فكلام فاسد قائله للعقل/ فاقد . وذلك : أن المفهوم من المخالطة والممازجة ، لا يتصور الا فى الجواهر (المتحيزات) (٤) وذلك أن المخالطة ، انما يعبر (بها) (٥) عن تجاور الجواهر واجتماعها ، بحيث يكون كل واحد من الجواهر المتمازجة يحفظ حيزه ويشغله ويمنع منه غيره . ولذلك اذا أفرغت اناء ماء على اناء لبن مثلا وتمازجا ، كثر اللبن وصار لا يسعه بعد الممازجة ما كان (يسعه قبل الممازجة) (٦) .

والعلم ليس بجوهر ، فاستحال عليه الاختلاط والامتزاج بالضرورة .

فان أرادوا بالامتزاج والاختلاط أمرا آخر ، فلابد من بيانه وافادة تصوره ، ولا يتكلم على الشىء ردا وقبولا الا بعد كونه معقولا .

ولو سلمنا الممازجة بدلا للزم عليها أنواع من المحالات ، منها : قيام الصفة بنفسها وانتقالها ، وبقاء جوهر الله تعالى عريّا عنها - على قولهم - ، والعرى عن العلم جاهل ، والجهل على الله محال .

ويلزم على ذلك : ألا يكون العلم أزليا بل حادثا مخلوقا ، لأن حاله تغيرت. وذلك بعد أن لم يكن مختلطا ممتزجا (صار ممتزجا مختلطا) (٧) ، وهذان أمران (٨) حادثان ، ولا يخلوعن / (٩) أحدهما ، وما لا يخلوعن الحوادث حادث على ما (٤٦) يعرف فى موضعه . وهذه أمور باطلة ، فالمفضى اليها باطل وهو الاختلاط .

---

(١) ومما يقرب هذا الى الاذهان الوحى، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ، ينزل عليه الوحى فيرى ولا يرون ويسمع ولا يسمعون .

(٢) ليست فى "ب"

(٣) وهى اقتباس من قوله تعالى : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) البقرة ١١١

(٤) فى "أ" (المتحدات) (٥) فى "ج" (عنها)

وأما من قال : بالحلول فليس له محصول ولا معقول . لأن حقيقة الحلول : انما هي أن يحصل جسم أو متحيز في شيء أو على شيء ، فيسمى الحاصل حالًّا (والمحصول فيه) (١) يسمى محلا ، وتسمى النسبة بينهما حلولا ، وهو الذي يسميه النحوي مصدرا ، هذا هو المفهوم من حقيقة الحلول .

وقد يتوسع فيه فيقال : حل العرض في محله ، ومعناه : صار (المحل) (٢) متصفا به ، وصار العرض قائما (به) (٣) وموجودا فيه . فان أردتم حقيقة الحلول كان محالا ، فان العلم ليس بجسم ولا جوهر على ما مر .

وان أردتم الثاني فهو محال أيضا ، لأنه يلزم عليه : مفارقة العلم الجوهر ، وبقاؤه جاهلا ، ويقوم عرض واحد بمحلين في زمان واحد .

ويلزم عليه (أيضا) (٤) : انتقال الصفة من محل الى محل ، وحدوثها الى أنواع من المحالات ، لا يبوء بها عاقل ، (ومنتحلها) (٥) أحمق جاهل .

وقد صرحوا بأنهم أرادوا بالحلول ، حلول الجوهر في العرض ، وقد صرحنا نحن بما يلزمهم من المحالات على ذلك وبيناه والحمد لله .

ثم نقول لهم بعد ذلك : في قولهم بالاختلاط ، وبأنهما صارا شيئا واحدا - لا يخلو (عن اختلاط) (٦) - اما أن يبقى العلم موجودا بحاله ، والجوهر موجودا بحاله أو ينعدم أحدهما ، أو ينعدما معا ، - محال أن يبقيا موجودين بحاليهما مع فرض الاختلاط ، وكونهما شيئا واحدا - فان الواحد لا يعود اثنين الا باضافة

= (٦) هذه العبارة سقطت من " أ " = (٧) في " أ " و " ج " (مختلطا)

= (٨) الحادث : هو الموجود بعد العدم (شرح المواقف للجرجاني ٥٣)

= (٩) وهذه المسألة اتفق عليها الفلاسفة والمتكلمون. (المرجع السابق / ٦٠)

(١) في " ب " (والحاصل فيه) (٢) في " ب " (العرض) والصواب ما أثبتناه

(٣) في " ب " (فيه)

(٤) ساقطة من " أ " و " ج "

(٥) في " ب " (ومتحملها) وما أثبت هو الصواب

(٦) وردت العبارة في " أ " و " ج " (أن حين اختلطا)

غيره اليه ، واذا أضيف غيره اليه ارتفعت (الوحدة)[١] بالضرورة على ما تقدم فى التثليث . وكذلك الاثنان لا يعودان واحدا ، الا اذا انعدم أحدهما فترتفع الاثنينية بالضرورة . ومحال أن ينعدما فانه يؤدى الى عدم القديم ، والى عدم ما هو موجود فى حالة وجوده ، فلم يبق الا أن ينعدم أحدهما دون الآخر وذلك محال . فان الموجود لا يخالط المعدوم ولا يمازجه ، بل يبقى الواحد واحدا . واذا بطلت هذه الأقسام المنحصرة بطل الامتزاج والاختلاط ، (ويصيرا)[٢] الاثنين واحدا على ما قالوه .

وأما من قال : ان الكلمة انقلبت لحما ودما ، (فلقد ارتكب)[٣] حماقة ، والتزم (عما)[٤] يلزمه عليه جواز عكس مذهبه . وهو أن ينقلب اللحم والدم علما ، والقديم حادثا ، والحادث قديما الا غير ذلك من المحالات ، التى لا تصدر عمن شم أطرفا من المعقولات . ولولا الحمق والتقليدات لما وجد مثل هذا التواقح فى كلام أحد من المخلوقات .

وأما من قال : " أن الاتحاد هو ظهور وفيض ، ومثّله بانطباع الصورة فى المرآة " . فهذا المثال انما كان يصح لو كان العلم صورة محسوسة بالبصر ، ويكون جسد المسيح صقيلا تنطبع فيه صور المقابلات (له)[٥] ، وكل ذلك معدوم فى مسألتنا بالضرورة . فتخيّله فاسد وباطل بالضرورة .

فكما لا تتمثل ذات الحياة ولا ذوات (الارادات)[٦] فى المرآة ، كذلك لا تتمثل الكلمة فى جسد المسيح . ثم ان جاز انطباع علم الله فى جسد بشرى[٧] ، فلينطبع فى كل ما يشبهه فى الجسديّة[٨] ؟ وسيأتى لهذا مزيد بيان ، وفيما تقدم ماتبين فساده واستحالته .

---

(١) فى " أ " و " ب " (الواحدة) (٢) فى " أ " و " ب " (ومصير)
(٣) فى " ب " (فلقد ركب) (٤) فى " أ " (عمن)
(٥) سقطت من " أ " (٦) فى " أ " و " ج " (الادراكات)
(٧) فى " أ " (البشرى) (٨) فى " ب " (الجسد)

وأما التمثيل بنقش الخاتم (في الشمع فيلزم عليه أمران أحدهما : أن الناتيء من النقش في الخاتم يعود منعفرا في الشمع)(١) ، والمنعفر في الخاتم يعود ناتئـا في الشمع)(٢) وذلك لا يتصور الا في الأجسام ، وان جاز في غير الاجسام فيلزم أن / (٤٧) يكون كل واحد منهما - أعني اللاهوت والناسوت - يؤثر في الآخر ويحل فيه ، فيكون الناسوت حل في اللاهوت ، وذلك محال عند كل فريق .

والأمر الثاني : أن النقش في الخاتم يوضع مقلوب الكلمات ، ثم تنطبع مستقيمة (في الشمع ، ولو وضعت في الخاتم مستقيمة)(٣) لانطبعت في الشمع منعكسة .

فيلزم على مساق هذا المثال ، أن تنطبع الكلمة في الناسوت اما بالاستقامة (أو بالانعكاس)(٤) . فان انطبعت فيه بالاستقامة فاقنوم الكلمة في الجوهر بالانعكاس ، وان انطبعت فيه بالانعكاس فلم تبق الكلمة في الناسوت على حقيقتها في اللاهوت ، بل هي منعكسة ، فلا تبقى حقيقة العلم على ما كانت ، بل هي ليس بعلم .

وهذا كله مما يلزم على آرائهم الفاسدة ، وتحكماتهم الباردة .

وأما من لبّس منهم ، بأن مثّل قولهم في الاتحاد ، بقولنا في استوائه تعالى على العرش ، فذلك مما لا يقال (عليه)(٥) عندنا اتحاد ولا حلول (٦) ولا فيض ولا انطباع . لأنا نريد بقولنا : هو على العرش مستو ، واستوى على العرش - أن العرش تحت قبضته ، ومسخر بقدرته .

---

(١) ما بين القوسين سقط من " أ "

(٢) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ب "

(٣) ما بين القوسين سقط من " ج "

(٤) هكذا وردت مصححة في هامش " ب " وفي النسخ الثلاث (او بالعكس)

(٥) في " ب " (عنه)

(٦) لأنه بعد استواء الله تعالى على العرش فالله هو الله والعرش هو العرش ، بخلاف الكلمة لما حلت بالناسوت عندهم صار الجديد شيئا آخر .

والاستواء عليه انما هو بمعنى الاستيلاء(١) على ما تعرفه العرب من كلامها فانها تقول :

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق(٢)

فان أرادوا هذا المعنى فهو حق وصحيح ، لكنه لا يصح في حق عيسى وحده ،
فان الله تعالى مستول على عيسى وعلى غيره .

---

(١) وهذا التفسير مخالف لمذهب السلف حيث أن الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه كما قال الامام مالك وقد رد ابن القيم معنى الاستواء بالاستيلاء من وجوه كثيرة منها :

أ - أن لفظ الاستواء ورد في القرآن في مواضع كثيرة دون أن يقيد في موضع بلفظ الاستيلاء ليحمل بقية المواضع على هذا المعنى .

ب - أنه سبق في القرآن كلمة استوى على العرش (ثم) التي حقيقتها الترتيب والمهلة ، ولو كان معناه معنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه لم يتأخر ذلك الى ما بعد خلق السموات والأرض فان العرش كان موجودا قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام كما ثبت في الحديث الصحيح .

جـ - ان الاستيلاء والاستواء لفظان متغيران ومعنيان مختلفان فحمل أحدهما على الآخر ان ادعى أنه بطريق الوضع فكذب ظاهر ، فان العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البته . وان كان بطريق الاستعمال في لغتهم فكذب أيضا الا ما ذكره المؤلف هنا - وهو ذلك البيت المصنوع المختلق الذى قاله نصارى والنصارى أهل تحريف .

د - أنه لو صح هذا البيت وصح أنه : غير معروف ، لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم وهو على حقيقة الاستواء ، فان بشرا هذا كان أخا عبد الملك ابن مروان وكان أميرا على العراق فاستوى على سريرها كما هو عادة الملوك ونوابهم أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة . (مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ١٢٨ - ١٣٧ - نشر مكتبة الرياض الحديثة)

(٢) انظر لسان العرب بدون نسبة مادة سوا / ١٤/١٤ ٤١٤
والمشهور أن هذا البيت للأخطل الكبير وهو نصراني .

وأما من أطلق منهم لفظ التدرع ، فيستحيل على الحقيقة والتوسع . وذلك أن هذا اللفظ يشعر بأن اللاهوت اتخذ الناسوت درعا أو كالدرع . وهذا كلــه مستحيل على الاله تبارك وتعالى وعلى علمه . وكل ما تقدم من المحالات على هذا المذهب يلزم .

وعلى الجملة فهؤلاء القوم أغبياء جاهلون ، وعن التوفيق معزولون ، فهم عــن المعقولات معرضون . (وبها)(١) مستهزؤن ، ولا يستحيون من خالقهم ، ولا يتأدبون مع مالكهم ورازقهم ، فسبحان الله عما يقول الجاهلون ، (وتعالى)(٢) عما ينسبه اليهم المبطلون . بل هو الله الواحد (الأحد الفرد)(٣) الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .(٤)

ولولا ضرورة الحال ، ورجاء قمع أهل الضلال لما استجزت حكاية مثل هذا المقال (فأنا)(٥) أستغفر الله ذا العظمة والجلال ، انه ذو العفو والافضال .

ولا بد مع ما تقدم أن نطالبهم أجمعين ، بصحة الدليل الذى حملهم على ذلك القول الغث الهجين ، حتى تتبين تحكماتهم ، ويظهر لكل أحد ترهاتهم .

فأقول : لجميعهم ما الذى حملكم على القول بالاتحاد ، والتورط فى الضــلال والالحاد ؟ فلتعلم أنهم قد اختلفت مسالكهم فى ذلك ، فمنهم من قال : انما قلنا بذلك تقليدا للانجيل ، وحذرا من المخالفة والتبديل ، كما قال هذا السائل :

ومنهم : من قال : انما قلنا بالاتحاد ، لأن عيسى ظهرت على يديه أفعال لا تنبغى الا لاله : من احياء الموتى ، وابراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير من الطين .

---

(١) فى "ب" (وهم)

(٢) ليست فى "ب"

(٣) ألحقت بهامش " أ "

(٤) اقتباس من سورة الاخلاص .

(٥) فى " ج " (وأنا)

وهذه أفعال لا يقدر عليها الا اله ، وهو قد قدر عليها فهو اذا اله ". (١)

ومنهم : من قال انما صرنا الى ذلك ، لكون عيسى لم يخلق من الماء الدافق الكائن عن أبوة ، ولا خرج عن شهوة آدمية ، بل خلق الله ناسوته من غير أب ، ليكون واسطا بينه وبين خلقه وليتخذه لكلمته .

---

(١) انهم يستدلون بهذه العجائب التى ظهرت على يد المسيح كدليل على ألوهيته . ومن النصوص التى يستدلون بها على اعتبار هذه العجائب من الأدلة على ألوهيته :

ما ورد فى انجيل يوحنا " ان كنت لست أعمل اعمال أبى فلا تؤمنوا بى ولكن ان كنت أعمل فان لم تؤمنوا بى فآمنوا بالاعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الأب فيّ وأنا فيه " (يوحنا الاصحاح ١٠ : ٣٧ - ٣٨)

ويستدلون بنص آخر : " ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فيّ الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى لكن الأب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال ... الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها " . (يوحنا ١٤ : ١٠ - ١٢)

ويقولون : ان هذه العجائب التى عملها المسيح والتى تفوق قوى الطبيعة لا يستطيع عملها الا الذى خلق الكون وهى ليست ناتجة عن علل طبيعية ولا عن حيل شيطانية . (اللاهوت النظرى ٣/١٢)

ويرد عليهم من وجهين :

الأول : أن المسيح عليه السلام ظهرت على يديه معجزات كما ظهر لسائر المرسلين ، بل ان معجزات بعضهم أعظم من معجزاته ، ومع هذا فلم تكن المعجزات دليلا على اتحاد اللاهوت بالنبى الذى ظهرت على يديه فعلم أن الاستدلال بالمعجزات على يديه - على ألوهيته - فى غاية الفساد .

(الجواب الصحيح ٢/٢٨٦)

الثانى : أن عيسى عليه السلام كان عندما يعمل هذه الأعمال يبين أن الهدف من هذه المعجزات هو توليد الايمان فى نفوس الآخرين ليؤمنوا برسالته كما جاء فى انجيل يوحنا " وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى " (يوحنا ١١ : ٤١-٤٢)

وفى انجيل يوحنا " فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به " (يوحنا ١١ : ٤٥)

وربما قال بعضهم : ألستم تقرأون في كتابكم : (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه)(١) وهذا عين ما أنكرتم علينا من/الاتحاد. (٤٨)
فان عيسى رسول الله وكلمته (ألقاها الى مريم وروح منه)(٢) فناسوته رسول الله، ولا هوته كلمة الله ، على ما أخبر به كتابكم(٣) .

فنقول : لمن قال بذلك تقليدا للانجيل ،جوابك قد تبين فيما تقدم ان (قد)(٤) تقدم أن فهم الاتحاد منه بالمسيح باطل ، وأن الصائر الى الاتحاد بعد الوقوف على ما تقدم معاند جاهل .

وأما من استدل منهم على ذلك : بما ظهر على يدى المسيح من خوارق العادات فنقول له : لأى شيء قلت أنها تدل على الهيته ؟ ولم تقل أنها تدل على ما كان يستدل هو بها من رسالته(٥) ؟ .

فقد حكى في الانجيل " أن عيسى لما دعا الله (أن يحيى)(٦) له اليعازر ، ومعه جماعة من الخلق ، فقال : رب اعلم أنك تعطينى كل شيء ، ولكن أقول من أجل الجماعة الواقفة ليؤمنوا به ، وليصدقوا أنك أرسلتنى(٧) " .

---

(١) سورة النساء ١٧١

(٢) ما بين القوسين سقط من "أ" و "ب"

(٣) اشارة الى قوله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) النساء : ١٧١

(٤) ألحقت بهامش "أ"

(٥) أنظر هذا الرد في كتاب أبى عبيدة / بين الاسلام والمسيحية ١٦٧

(٦) في "ب" و "ج" (ليحيى)

(٧) والنص" وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لى ولكن لأجل الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى "
هذا
(يوحنا الاصحاح ١١ : ٤١ - ٤٣)

فهو قد استدل باحياء الموتى على رسالته ، وأنتم تستدلون بذلك على الهيته ؟ (فيلزمكم)(١) من هذا الاستدلال العدول عن شرع عيسى المنقول ، ومصادمة المعقول .

ثم نقول لهم كيف ينبغى لكم أن تقولوا (أن)(٢) هذه الأفعال العجيبة تدل على أنه لاهوت ؟ وأنتم (تقرون)(٣) فى كتبكم ، أن عيسى (كان)(٤) اذا أراد (أن يفعل)(٥) شيئا مما ذكر ، تضرع الى الله ، ورغب اليه بخضوع وتذلل حتى يقضي الله حاجته(٦) .

وهذا موجود فى كتبكم كثير منها ، وكفى دليلا على نفى ما تنسبونه اليه قوله :- حين صلبه بزعمكم - " الهى الهى لم أسلمتنى "(٧) ؟ وقوله : قبل ذلك " يا أبتاه ؟ ان كانت هذه الكأس لا تقدر ، تجاوزنى حتى أشربها ، فلتكن ارادتك "(٨) ، وهذا كله فى سجوده .

وفى هذا الموطن قال : " يا أبتاه ان كان ممكنا فلتذهب عنى هذه الكأس "(٩) .

---

(١) فى "أ" (فيلزم)

(٢) لم ترد فى النسخ الثلاث

(٣) فى "ج" (تعزون)

(٤) ساقطة من "ب"

(٥) سقطت من "ب"

(٦) كما يذكرون فى متى " حينئذ أحضر اليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه حتى أن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر فبهت كل الجموع . . . أما الفريسون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين الا ببعلزبول رئيس الشياطين . . . (فقال يسوع) وان كنت أنا ببعلزبول اخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون لذلك هم يكونون قضاتكم ولكن ان كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله " (متى ١٢ : ٢٢ - ٢٨)

(٧) والنص فى متى " الهى الهى . لماذا تركتنى " (انجيل متى ٢٧ : ٤٦)

(٨) كما فى انجيل متى ٢٦ : ٤٢) وانجيل مرقس / ١٤ : ٣٦

(٩) والنص كما فى متى " وكان يصلى قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس " متى ٢٦ : ٣٩)

وفي انجيل يحيى (أنه)(١) قال : في هذا المقام " سيلقى بن الانسان ما كتب له "(٢)

ثم قال بعد ذلك " يا أبتاه انك قادر على جميع الأشياء فرج عني هذه الكاس "(٣)

فهذا كله يدل دلالة لا شك فيها ، أنه كان يفعل ما يفعل باذن الله ، اذا أراده الله وأقدره عليه وانه انما كان يتفق له ذلك ، بعد أن يتضرع ويرغب لله تعالى.

وربما كان يسأل أمورا لا يعطيها الله له ، لما سبق في علم الله أنها لا يكون منها ما تقدم . حيث سأل الله أن يدفع عنه (أمر)(٤) الصلب والقتل ، فلم يجب لذلك على زعمكم .(٥)

ومنها أن اليهود كانت تطالبه بمثل بعض معجزات موسى بن عمران ، فلا يجيبهم بشيء(٦) وسيأتي لهذا (مزيد بيان)(٧) (في باب النبوات وأعجب من ذلك كله أن في انجيل يحيى)(٨) أن عيسى قال لليهود " لست أفعل من ذاتي شيئا ، لكنني أحكم بما أسمع ، لأني لست انفذ ارادتي بل ارادة (الله)(٩) الذي

---

(١) سقطت من "ب"

(٢) والنص " ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه " (مرقس ١٤ : ٢١)

(٣) والنص " وقال : يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس "
مرقس الاصحاح ١٤ : ٣٦)

(٤) الحقت بهامش " أ "

(٥) كما ورد في انجيل متى " صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي لما شبقتني أي الهي الهي لماذا تركتني . . . وأما الباقون فقالوا أترك لنرى هل يأتي ايليا يخلصه . فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح " (متى ٢٧ : ٤٦-٥٠) هذا ما ذكره الانجيل أن عيسى استغاث بالله عز وجل حتى ينجده ويخلصه من أعدائه الذين قبضوا عليه ليصلبوه ولكن الله لم يستجب له مما يدل على أن عيسى عبد وليس اله .

(٦) كما ورد في انجيل متى / الاصحاح ١٦ : ١ - ٤)

(٧) سقطت من " أ " و " ب "

(٨) ما بين القوسين سقط من " أ "

(٩) ساقطة من "ب" و " ج "

بعثنى " الى ما فى كتبكم من هذا الذى قد عميتم عنه ، ولم تسمعوا حرفا منه .(١)
فتارة ينبههكم على وجه الاستدلال ، وأخرى (يصرح)(٢) بالمقال ، وتارة يسأل فيعطى ويجاب ، وأخرى يسئل فلا يرد عليه جواب ، وحينا يتبرأ من مشيئة وأخرى يعترف بمنزلته وعبوديته .

ثم هؤلاء القوم - مع ذلك - يقولون هو الهنا ومحيينا وخالقنا . فهؤلاء بكم كالأنعام وصم كالأصنام (فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)(٣)

ثم نقول : ان كان احياء (الموتى)(٤) يدل على الالهية ، فلأى شىء لا تقولون ان اليسع والياس كانا الهين ؟ وأنه حلّ بناسوتهما اللاهوت ؟ ، وشأنهما فى احياء الموتى(٥) ، لا يقدر أحد على دفعه (ولا يخفى)(٦) ولم لا تعتقدون (الهيه)(٧)

---

(١) والنص " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا كما أسمع أدين ودينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى أرسلنى " (يوحنا ٥ : ٣٠)

(٢) فى "ب" (بصريح) (٣) سورة النساء ٧٨

(٤) فى "أ" (الأموات)

(٥) فقد ورد فى سفر الملوك الاول عن الياس أنه أحيا ميتا بعد موته " . . .
وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة . فقالت لايليا مالي ولك يا رجل الله . هل جئت اليّ لتذكير اثمى واماتة ابنى . فقال لها اعطينى ابنك ، وأخذه من حضنها وصعد به الى العلية التى كان مقيما بها وأضجعه على سريره وصرخ الى الرب وقال أيها الرب الهى أأيضا الى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت باماتتك ابنها فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ الى الرب وقال يا رب الهى لترجع نفس هذا الولد الى جوفه . فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش " (سفر الملوك الأول ١٧ : ١٧ - ٢٢)
أما ما ورد بحق اليسع وأنه أحيا صبيا بعد موته : " . . . ودخل أليشع البيت واذا بالصبى ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسيهما . . . ثم صعد واضطجع فوق الصبى ووضع فمه على فمه وعينيه على عينيه . . . فسخن جسد الولد ثم عاد وتمشى فى البيت "(سفر الملوك الثانى ٤ : ٣٢ - ٣٥)

(٦) سقطت من "ب" (٧) سقطت من "ب"

النبى حزقيال ؟ " اذ فر قومه وهم ألوف حذر (الوباء) (١) فاماتهم الله ، ثم جاءهم نبيهم فقال لهم : لتحيوا باذن الله فحيوا ، ورجعوا الى قومهم ، سحنة الموت على وجوههم حتى ماتوا بآجالهم " (٢).

وهذا معروف عندهم ولا مدفع فيه وان / وان أنكرتم وجود شيء من ذلك ، نزلنا (٤٩) معكم الى ما فى الكتب (القديمة من قصص الأنبياء) (٣) ، (وكتبهم) (٤) وهذا لازم لهؤلاء القوم ، لا ينفك عنه واحد منهم أبدا .

ثم من عجيب أمر هؤلاء القوم أنهم يزعمون : " أن عيسى عليه السلام أيد نفسرا من الحواريين ، باحياء الموتى ، وجعلهم أرسالا الى الأجناس ، فأحيوا الموتى بزعمهم " (٥). فما الذى أوجب أن يكون المسيح فى حال الالهية قد أيد بذلك بشرا وجعله رسولا الى الأجناس كما زعموا ؟ !

وما الذى منع أن يكون الله عز وجل يؤيد بذلك بشرا (ويجعله رسولا) (٦) الى الناس؟ فان كان المسيح من أجل أنه أحيا ميتا هو الله ، فكل من أحيا ميتا من الحواريين وغيرهم هو الله (٧).

---

(١) فى "ب" (الموت)

(٢) والنص كما فى سفر حزقيال " فقال لى يا ابن آدم أتحيا هذه العظام : فقلت يا سيد الرب أنت تعلم . فقال لى تنبأ على هذه العظام وقل لها : أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام . هأنذا أدخل فيكم روحا فتحيون . وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحما وأبسط عليكم جلدا واجعل فيكم روحا فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب .
فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت واذا رعش فتقاربت العظام كل عظم الى عظمه ونظرت واذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح . فقال لى تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلّم ياروح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا
فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدا جدا " . (سفر حزقيال / الاصحاح ٣٧ : ٣ - ١٠) وأشار القرآن الى هذا فى قوله تعالى (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) البقرة ٢٤٣ =

ثم كل خارق للعادة يجعلونه دليلا على الالهية ، فانهم يعارضون بمثل ذلك فى حق غيره من الأنبياء عليهم السلام . ويدعى (١) (الالهية) ، فلا يجدون فصلا بينهم وبين من يعارضهم .

وأما من (٢) (استدل) على ذلك بأنه خلق من غير أب ، فيلزمه أن يعترف بآدم بالالهية ، فانه لم يخلق من نطفة أب ، (٣) (بل) انما خلق من تربة أرض ، ثم نفخ فيه من روحه ، كما فعل بعيسى عليه السلام ، خلقه من نفخة الملك ، فعلقت (٤) (بلحمة) مريم فنشأ منها وفيها . فتربة بمنزلة لحمة ، ونفخة بمثابة نفخة (٥) ، وهذا (٦) (مما) لا مخلص منه ولا خروج عنه . (٧) (ثم أكرمه الله) (٨) تعالى بأنواع من الكرامات لم يكرم بها غيره منها ، - أنه أسجد له ملائكته (٩) (واعلمه بما لم يعلمهم) -

---

= (٣) فى "ب" (المتقدمة) من بعض الأنبياء وكتبهم)
= (٤) سقطت من " أ " ، " ب "
= (٥) والنص كما فى متى " هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا . الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السموات . أشفوا مرضى طهروا برصا . أقيموا موتى " . (متى ١٠ : ٥ - ٨)
= (٦) ألحقت بهامش " أ "
= (٧) أنظر هذا الرد فى كتاب أبى عبيدة بين الاسلام والمسيحية ١٦٧ .

(١) فى " ج " (الهية) (٢) فى "ب" (يستدل)

(٣) سقطت من "ب" (٤) سقطت من "ب"

(٥) قال تعالى فى حق آدم (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) ص/ ٧٢
وقال فى حق عيسى عليه السلام (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) التحريم ١٢
(٦) فى " أ " و " ج " (ما)
(٧) قارن هذا بما ذكره الخزرجى فى كتابه بين الاسلام والمسيحية ١٥٧ - ١٥٨
(٨) ما بين القوسين سقط من " ج "
(٩) والعبارة فى "ب" وردت (وأعلمهم بما يعلمهم) وما أثبتناه هو الصواب

حتى جعله رسولا اليهم ، وكفى بهذا شرفا . الى ما هنالك من خصائصه (ومن)(١) فضائله . بل لو أمكن لأحد أن يقول : ان بشرا يتصور (من حيث أنه هو)(٢) أن يكون الها لكونه من غير أب لكان آدم أولى بذلك ، من حيث أنه لم تشتمل عليه أوضار الرحم ، فقد شارك المسيح فى كونه من غير أب ، وزاد عليه أنه من غير أم(٣).

لم يتكون فى ظلمة الرحم ، ولم يتلطخ بدم الطمث ، ولا خرج من مجرى البول .

هذا مع الاعتراف بأن ذلك كذلك ، ولم يختلف فى ذلك أحد - أعنى فى أن آدم (مكون)(٤) مخلوق من غير أبوين - وقد خالفتكم اليهود - لعنهم الله - فى كون المسيح من غير أب ، وأطلقت القول على مريم البتول المبرأة عند الله مما قالوا(٥) بما قد علمتم - فلعنهم الله وغضب عليهم - فلقد كذبوا وانما أسمعتكم هذا لتعلموا أنا نعرف ما قالت اليهود - لعنهم الله - فى عيسى وأمه عليهما السلام .

وانا ننزههما عما قال فيهما المبغضون لهما(٦) والمحبون الغالون فيهما(٧) ، فما أجمل بكم لو شاء الله توفيقكم - أن لو قلتم فيهما الحق الذى ينبغى لهما !! ، أن الله جعل عيسى وأمه آية للناس ، عبدا ورسولا وصديقة مباركة(٨).

---

(١) سقطت من "ب" (٢) ما بين القوسين سقط من "أ" و "ب"

(٣) أليس من الواضح عند ذوى العقول ، أنه لما لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابنا لله تعالى ، ولما لم يبعد خلق آدم من التراب ، لم يبعد أيضا خلق عيسى عليه السلام من الدم الذى كان يجتمع فى رحم أمه عليهما السلام . ولكن التقليد وعدم النظر والتأمل فى الأمور وخاصة فيما يتعلق بالمذهب : هو الذى يوقعهم فى الضلال والخطأ .
(بين الاسلام والمسيحية ١٥٨ - ١٥٩)

(٤) سقطت من "ب"

(٥) وقد زعم اليهود - لعنهم الله - أن عيسى ابن زنا فبرأه الله هو وأمه مما قالوا قال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) النساء / ١٧١

(٦) قالوا : أنه ابن زنا وهم اليهود

(٧) قالوا : أنه اله وابن اله وقد رد الله عليهم بقوله (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) المائدة / ٧٢ =

ثم نقول للمستدل بما تقدم يلزمك على استدلالك ، أن تكون حواء أم البشر الها ، فانها لم تخلق من أبوين ولا من نطفة ، وانما خلقها الله من ضلع من أضلاع آدم (١) ، لم تتكون فى ظلمات الرحم ولا نشأت بين الأقذار والأوضار . وخلقها من ضلع آدم كخلقه من تراب ولا فرق ، (وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول (له) (٢) كن فيكون (٣) .

وأما استدلالهم بما فى كتابنا من قوله تعالى ٪ (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه (٤)) فلا حجة لهم فى ذلك لوجوه :

أحدها : أنهم لا يصدقون بكتابنا ، ولا يستدلون به على (شيء) (٥) .

والثانى : أنهم ان استدلوا على غرضهم بشطر هذه الآية ، فان صدرها يرد عليهم استدلالهم ، وكذلك الآيات التى بعدها قال / الله تعالى فى كتابه العزيز : (٥٠)
(الذى (٦)) (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٧))

مخاطبا لهم وردا عليهم : (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فأمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا ، لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر

= (٧) ورد عليهم بقولهم انه ابن الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا) مريم / ٨٨ - ٩١ .

= (٨) كما فى قوله تعالى (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات . .) المائدة ٧٥

(١) كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " استوصوا بالنساء فان المرأة خلقت من ضلع وان أعوج شيء فى الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء " (صحيح البخارى رقم الحديث (٣١٥٣) كتاب الأنبياء باب قوله (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) . (٢) ساقطة من " أ "

(٣) كما فى قوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) آل عمران / ٥٩

=

فسيحشرهم اليه جميعا ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) (١) .

الزام (لهم) (٢) : نقول لهم حين صار أقنوم العلم لعيسى كيف ما صار ، هل بقي الرب تعالى كما كان قبل ذلك أو اختلفت حاله ؟ فان كان - بقي - كما كان قبل فلم يصر لعيسي منه شيء . وأيضا فلو صار اليه بعض أقانيمه لبقي ناقص الأقانيم ، (وتبطل) (٣) الهيته . فان حقيقته عند هم واحد ثلاثة أقانيم . واما ان اختلفت حاله فيلزم عليه أن يتغير من العلم الى الجهل ، ومن القدم للحدوث . وهذا كله على الله (تعالى) (٤) محال (٥) ، ومرتكبه في بحبوحة الضلال . في بيان بعض الالزامات التي تلزم النصارى

الزام آخر : نقول لهم حين صار أقنوم العلم لعيسى ، فهل بقي الباري تعالى عالما بذلك الأقنوم ؟ (أم بغيره) (٦) أو غير عالم ؟ . باطل أن يقال غير عالم ، لاستحالة الجهل عليه . وباطل أن يقال بقي عالما بذلك الأقنوم . اذ لو كان ذلك للزم منه الا يصير الى عيسي ، ويلزم منه أيضا : أن يكون علم واحد (يقوم) (٧) بمحلين ، ولو صح ذلك لصح أن يكون الواحد منا موصوفا بنصف علم وذلك محال .

فان العلم الواحد لا يتبعض ولا ينقسم ، اذ العلم (الواحد) (٨) انما يحل في محل واحد ، بمعلوم واحد ، في زمان واحد ، فيما يقبل الزمان والتعدد .

وباطل أيضا أن يقال : انه يكون عالما بعلم آخر ، فانه يؤدى الى حدث الأقانيم ، بل الى حدثه وذلك كله محال .

=(٤) سورة النساء / ١٧١ =(٥) ألحقت بهامش "أ"

=(٦) سقطت من "أ" و "ب" =(٧) سورة فصلت / ٤٢

(١) سورة النساء / ١٧١ - ١٧٣ (٢) في "ب" و "ج" (بعضهم)

(٣) في "ب" (فتبطل) (٤) ليست في "ب" و "ج"

(٥) في "ج" (حال) (٦) ما بين القوسين سقط من "ب" و وفي "ج" (أو بغيره)

(٧) سقطت من "ب"

(٨) في "أ" (للواحد)

<u>الزام آخر</u> : يظهر تناقضهم : وذلك أنه قد تقدم من مذهبهم أنهم قالوا فى الأقانيم : انها غير متباينة ولا (مفترقة)[١] . ثم انهم (قد)[٢] قالوا هنا : ان أقنوم الابن اتحد بناسوت المسيح ، دون أقنوم الأب وروح القدس .

فمفهوم هذا أن الابن اتحد بناسوته وبقي الجوهر ،وروح القدس لم يتحد به ، هذا تصريح بالمباينة والمفارقة . فان بعض هذه الثلاثة وجب له أمر دون صاحبه . فلو لم يباينها ولم (يكن)[٣] غيرهما (لما)[٤] وجب له من الحكم ما لم يجب لهما ، ولا تناقض أظهر من هذا . وقد كنا أظهرنا اضطرابهم فى هذا . فى باب الأقانيم .

ثم نقول : تحقيقا لالزام الجميع ، هذه الاقانيم اما أن تكون مباينة للجوهر مفارقة أو لا تكون كذلك ، فان كانت مباينة لزم أن تكون زائدة عليه (وان[٥] كانت زائدة عليه لزم أن يكون الاله متركبا من أمور - كما مر - وقد أبيتم ذلك (وهو[٦]) محال)[٧] . ويلزمكم أيضا : اغرابها عن كونها أقانيم ، ويلزمكم : رفع التوحيد الى محالات كثيرة عندكم . وان كانت غير مباينة لم يصح اتحاد بعضها دون بعض ، بل لو اتحد بعضها لاتحد جميعها ، فيلزم على هذا : اتحاد العلم والقدرة والارادة والوجود ، وهذا بين لا خفاء به .

<u>الزام آخر</u> (وطلبة)[٨] / نقول لهم : لأى شىء قلتم أن الذى اتحد بناسوت (٥١)
المسيح انما هو الابن فقط ؟ ولأى شىء لم تقولوا انه اتحد به الأب وروح القدس؟ ولو قلتم ذلك ، لكان أجرى على ما أصّلتم من (أن)[٩] الأقانيم لا متباينة ولا مفترقه .

فان قالوا : انما قلنا باتحاد الابن ، لأن عيسى انما أرسله الله ليعلم النـــاس شريعتهم ، ويخبرهم بالمغيبات عنهم ويعظهم ، وذلك كله انما يصح بالعلم .

---

(١) فى " أ " (متفرقة)

(٢) سقطت من " ب "

(٣) ألحقت بهامش " أ "

(٤) فى " ب " (ما)

(٥) فى " ج " (واذا)

(٦) فى " ج " (وهذا)

(٧) ما بين القوسين سقط من " ب "

(٨) سقطت من " ب "

(٩) سقطت من " ب " .

فنقول : لهم هذا الذى ذكرتم مسلم لكم جدلا ، لكن لم قلتم أنه انما اتخذه الله لهذا فقط ؟ بل اتخذه لهذا ولأمور أخر ، منها : ليعبده ، ومنها : ليبرئ مرضى كانوا قد أعيوا الأطباء ، وأراد الله (تعالى)(١) شفاءهم على (يديه)(٢) ، ومنها أنه أراد احياء موتى على يديه .

(فحصل)(٣) من هذا أمران : أحدهما : أن هذه معجزات تدل على صدقه .

والثاني : أن من أبرأه أفاق من مرضه ، وجذامه وجنونه ، وبرصه ، فانتفع بذلك .

وكذلك (حصل)(٤) للميت الذى حيي ، وزائدا على ذلك : أن الميت آمن به ، فادخله الله الجنة بايمانه برسوله .

وهذه الأمور كلها لا يمكن انكار أن يكون كل واحد منها مقصودا لله تعالى .

واذا أمكن أن يكون كل واحد (من)(٥) هذه (الأمور)(٦) مقصودا ، فلم اقتصرتم على مقصود واحد مع امكان هذه المقاصد ؟

واذا تقرر ذلك : حصل منه أن الله تعالى اتخذه ، لما لا يصح الا بالعلم والقدرة والارادة والحياة ؟ فقولوا أن هذه الأقانيم اتحدت به ، وهذا لازم لا محيص عنه ، ولا جواب عليه .

ثم يلزم على هذا : أن يكون كل نبي أرسله الله تعالى يتحد به العلم . فان هذا الذى استدللتم به فى حق عيسى موجود فى حق غيره من الرسل ، اذ كل واحد منهم انما ارسل معرّفا بشرع الله ، ومبلّغا رسالة الله ، ومخبرا بوعد الله ووعيده . فيلزم على هذا أن يتحد العلم بكل رسول .

---

(١) ليست فى "ب" و "ج"

(٢) فى "ب" (يده)

(٣) فى "ج" (فيحصل)

(٤) فى "أ" و "ج" (يحصل)

(٥) فى "ب" (منها)

(٦) سقطت من "ب" .

الزام آخر : قد تقرر أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير . فينفخ فيه فيكون طائرا (١) (باذن الله) (٢) فاذا قلنا هذا ، فاما أن يكون عيسى هو الذى يفعل ذلك أو غيره ، فان كان غيره فليس ذلك الا الله تعالى .

وغاية عيسى أن يكون عبدا يرغب لله تعالى فى قضاء حاجته ، ثم ان الله تعالى يفعل ما يشاء عند تحديه بالنبوة تصديقا له فى دعواه . وعيسى ينظر الى ذلك ، ويتعجب عند ذلك من فضل الله ولطيف صنعه .

وهكذا كان حال موسى عندما أيده الله بالعصا ، فقال له ألقها (فألقاها فاذا هى حية تسعى) (٣) ، فلما رآها على حال لم يعرفه منها ، هاله ذلك ، وولى مدبرا خائفا ، وذلك لما شاهد من قدرة الله (تعالى) (٤) فلما فزع (منها) (٥) قال : الله تعالى له (خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) (٦)

واذا قلنا أن عيسى هو (الذى) (٧) يفعل ذلك ، فاما أن يفعله بقدرة وعلم وارادة ، أو لا يحتاج الى شىء من ذلك . باطل أن يقال انه لا يحتاج الى شىء من ذلك . لأن الفعل الاختيارى لابد له من هذه الأمور بالضرورة (٨) ، على ما يعرف فى موضعه .

---

(١) انظر معجزات عيسى عليه السلام فى احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين . كما فى (مرقس ٧ : ٣٢ - ٣٧) (مرقس ٨ : ٢٢-٢٥) (ومرقس ٩ : ٢٥ - ٢٨) .

وكذلك فى انجيل لوقا الاصحاح السابع ١٢- ١٦) (يوحنا ٩ : ٦ - ٨) وقد أخبر القرآن الكريم عن هذه المعجزات فى قوله تعالى (ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله . . . الآية) آل عمران / ٤٩) (٢) سقطت من " أ " و " ج "

(٣) سورة طه / ٢٠ (٤) ليست فى "ب" و " ج "

(٥) سقطت من " أ " و " ج " (٦) سورة طه / ٢١

(٧) فى "ب" (الله)

(٨) لأن الفعل الاختيارى لا يتم الا من مريد قادر ، لأن الارادة هى التى ترجح =

فلم يبق الا أن يفعل ذلك بقدرة وعلم وارادة ، وهذه الصفات (هى)[1] شروط الفعل . ولا بد أن تكون منسوبة له ، ويكون هو موصوفا بها ، (أو لا (تكون)[2] منسوبة اليه ، ولا يكون هو موصوفا بها)[3] ، فان لم يكن هو موصوفا بها ولا تنسب اليه ، فلا ينسب الفعل اليه ، وقد نسبتم الفعل اليه ، فدل ذلك على أنه موصوف بها وتنسب اليه كلها .

واذا ثبت ذلك / فليس من يسلب عنه القدرة والارادة ، ويقول هما صفتان لله (تعالى)[4] ، وليستا بصفتين لعيسى . فاسوأ حالا ممن يسلب عنه العلم ، ويقول هو علم الله تعالى وليس (له)[5] علم عيسى ، مع أنه صفة عيسى . (٥٢)

فيلزم عن هذا البحث : أن هذا الفعل المنسوب الى عيسى ، موجود عن علم وقدرة وارادة . وأن هذه الثلاثة (انما)[6] تنسب لواحد ، فاما لله واما لعيسى . (ولا يجوز عقلا أن ينسب بعضها لله وبعضها لعيسى)[7] فان هذه الثلاثة مشروط بعضها ببعض ، فالمحل أو الجوهر ، الذى يجب لأحد - هذه - يجب للباقى . وهذا ما لا خفاء به عند العاقل الموفق .

<u>الزام آخر</u> : قد تقرر عند هؤلاء القوم ، أن علم الله اتحد بعيسى ، ولا خلاف بين جمهورهم فى هذا المعنى ، وان اختلفت عباراتهم عنه . فعيسى عالم والله تعالى عالم بعلم واحد . فقد اتحد أقنوم العلم وتعدد المحل . فاذا ثبت ذلك لزم (عليه)[8] أن يكون عيسى عالما بكل معلومات الله (تعالى)[9] . ويكون الله تعالى عالما بكل معلومات عيسى ، فانهما عالمان بعلم واحد ، فاذا علم الله نفسه -

---

= (٨) أحد طرفى الممكن ، والقادر هو من اذا شاء فعل واذا شاء لم يفعل . وعلى ذلك تكون النتيجة أن الفعل الاختيارى لا يتم الا من مريد مختار .

(١) فى "ب" (هنا) (٢) ألحقت بهامش "أ"

(٣) ما بين القوسين سقط من "ب" و "ج" (٤) ليست فى "ب" و "ج"

(٥) سقطت من "أ" و "ج" (٦) فى "ج" (اما)

(٧) ما بين القوسين ألحق بهامش "أ" (٨) سقطت من "ب"

(٩) ليست فى "ب" و "ج"

ـ خالق المخلوقات ـ ينبغى لعيسى أن يعلم نفسه خالق المخلوقات كذلك . لأن علمهما واحد . وكذلك اذا علم الله نفسه قديما باقيا موصوفا بصفات الكمال ، ينبغى لعيسى أن يعلم نفسه كذلك . واذا علم (عيسى)(١) نفسه متغوطا وبائلا ومصفوعا ، ومتوجا بالشوك ، ومصلوبا فى خشبة ، ومسمرة يداه ورجلاه فيها ، فينبغى لله تعالى أن يعلم نفسه كذلك ـ تعالى الله عن (ذلك)(٢) علوا كبيرا ـ وهذا (كله)(٣) لازم على هذا المذهب السخيف الفاسد الضعيف .

<u>الزام آخر</u> : اتفق النصارى القائلون بالاتحاد ، على أن عيسى لاهوت وناسوت . فيما هو لاهوت يحيى الموتى ، ويبرئ (الأكمه والأبرص)(٤) والمرضى وغير ذلك . وبما هو ناسوت يجوع ويعطش ويبول ويتغوط ويفرح ويألم ويحزن ويلتذ . ثم انهم يعبدون ناسوته ويجعلونه الها ، فهم بين أمرين :

اما (أن يقولوا)(٥) أن جسده المتغوط البائل اله أو هو شطر اله !! فان قالوا : أن جسده اله ، فكفى شناعة وهجانة . اله بائل متغوط مصلوب .

وان قالوا : أنه اله بما حل فيه من الاله ، فكان ينبغى لهم أن يقولوا أنه نصف اله ، ولا يعبدون جسمه ولا يسجدون لجسده .

(وان)(٦) قالوا يا الهنا المسيح ؟ قالوا مكان يا الهنا ، يا نصف الهنا ؟ أو يا ثلث الهنا ؟ فانه اتحد به أحد الأقانيم الثلاثة ، والواحد من الثلاثة ثلث ، وهذا كله جهالات وتواقحات منهم .

<u>الزام آخر</u> : وذلك أنهم اتفقوا على أن (المسيح)(٧) صلب وقتل بالنحر ، ورفع فوق الخشبة بعد أن أهين وصفع ، ووضع على (رأسه)(٨) الشوك ، وسمرت يداه ورجلاه فى الخشبة .(٩)

---

(١) سقطت من " ب " — (٢) ألحقت بهامش " أ "

(٣) فى " ب " (كلام) — (٤) سقطت من " أ " و " ج "

(٥) سقطت من " ب " — (٦) فى " أ " و " ج " (واذا)

(٧) فى " ج " (عيسى) — (٨) سقطت من " ب "

(٩) كما يزعمون فى انجيل (يوحنا ١٩ : ١ - ٣٠) (لوقا ٢٣ : ٣٣ - ٤٦) (مرقس ١٥ : ١٧ - ٣٧) (متى ٢٧ : ٢٧ - ٣٨))

وقد جاء كل هذا فى انجيلهم (كما) (١) زعموا . فنقول لهم : الوقت الذى أهين (فيه) (٢) وصفع ، ورفع على الخشبة ، وسمرت يداه (ونحر) (٣) ، هل كان متحدا به اللاهوت أو زال عنه ؟ ، فان كان متحدا به اللاهوت فى تلك المواطن ، فلقد أدرك لاهوته من المذلة والاهانة والنحر والموت ما أدرك ناسوته ، لاسيما وقد التزمتم فيما تقدم أن أقنوم العلم حي . فيلزمكم على هذا أن تعبدوا الها ذليلا مهانا ، ينحر ويموت وكفى بهذا خزيا وفضيحة . (٤)

وان قلتم انه فارقه ، فاذا جاز أن يفارقه فى (موطن ، جاز أن يفارقه فى) (٥) كل موطن وهذا مما يأبونه . ويلزم عليه ان فارقه (فى كل موطن) (٦) ، أن يكون جاهلا ، وألا يكون الها . فتعبدون ما ليس باله .

وقد خرجنا مع / هؤلاء الجهال بخالقهم ، المستهزئين بأديانهم الى حد الاكثار، (٥٣) وفارقنا شرط الاختصار .

وانما أطنبنا فى هذا الفصل ، وان كان لا متمسك لصاحبه ، ولا أصل ، لكونهم متفقين عليه (ومحتجين) (٧) به ، ومتحومين نحوه .

ولا يظن الظان أن هذا المذهب الذى ارتكبه هؤلاء القوم فى الأقانيم والاتحاد أنه يحتاج فى ابطاله الى نظر واجتهاد ، بل العقول (بأوائلها) (٨) تشهد بفساده، كما أن الحس يدرك بياض الجسم من سواده .

---

(١) ساقطة من "أ" و "ج" (٢) ساقطة من "أ" و "ج"

(٣) سقطت من "ب"

(٤) ونقول لهم أيضا الذى عذب وصلب الى آخره الجزء الالهى منه أم الجزء البشرى فان قالوا : اللاهوت فالاعتراضات الواردة صحيحة وأيضا نقل كان الله بلا علم وقت أن صلب الجزء الالهى فى المسيح ؟ وان قالوا ان الذى صلب الجزء البشرى منه فنقول لهم : بذلك يكون قد ضاع ما قلتموه وهو أن الله أرسل ابنه لفداء البشرية من خطيئة آدم عليه السلام .

(٥) مابين القوسين سقط من "ج" (٦) ما بين القوسين سقط من "أ" و "ج"

(٧) فى "ب" (متبجحين) (٨) فى "ب" (بآدابها)

وهؤلاء معاندون ، وللضروريات جاحدون ، ومن كان حاله كذلك انما يتكلم معه بضرب الأمثلة بأبين المدارك ، وتعديد الالزامات ، وتكثير المسالك ليتبين الافحام ، ويلقى يد الاستسلام .

وقد قدمنا العذر عن ذلك كله فى أول الكتاب ، والى الله أرغب فى الهداية (للصواب)(١) وحسن المنقلب اليه والمآب .

. . . .

---

(١) فى " ب " (والصواب)

الفصـــل الســـادس

في حكاية مذهب أغشتين اذ هو زعيم القسيسـين

نذكر ان شاء الله (تعالى)(١) في هذا الفصل ،(٢) كلام هذا المذكور الواقع له في مصحف العالم الكائن ، ونحكي ألفاظه من غير زيادة ولا نقصان . الا أني اختصر من كلامه ما لا تدعو ضرورة سياق الكلام اليه من غير اخلال بلفظه ، ولا (تقصير)(٣) في معناه ، وربما قدمت وأخرت . وانما خصصته بالكلام معه في فصل مفرد لغرضين :

أحدهما : أن هذا السائل على مذهبه عول ،(٤) واياه (قلد)(٥) ، ومن كتابه نقل ، الا أنه مع ذلك أخل بمفهوم كلامه ، وخالفه في سياقه ونظامه .

فربما ترك مذهبه بسوء نظره ، وهو يظن أنه يمشي على أثره وسيتبين ذلك .

والثاني : أن النصارى معولون على معرفته ، ومقلدون له في قومته وقعدته ، على أنه أعرفهم بمسالك النظر ، وأجرأهم على مناهج العبر ، لكنه تعوذ بالله من عين عوراء وفطنة تبراء(٦) .

قال أغشتين : " قد أجمعت الملل الثلاث على أن الله (تعالى)(٧) قد كلم موسى تكليما ، واجتمعت على أن موسى سمع صوتا يقول له : أنا ربك ، فاخبرونا أتؤمنون بأن الصوت الذي سمعه موسى هو ذات الرب ، وأن الرب في ذاته مسموع ؟(٨) أم تقولون : أن الرب أسمع موسى صوتا على ما شاء من رفع وخفض وغلظة ورقـة ؟ وانه ابتدأ الصوت متى شاء ، وقطعه متى شاء ، وانهى الى موسى من ارادته ما شاء ؟ .

فان قالوا : ان الصوت نفسه هو الرب ، وان الرب مدرك بالسمع ، فقد خرجوا عن مذهبهم في نفي التشبيه(٩) .

---

(١) ليست في " ب "
(٢) في " ج " العبارة هكذا . (نذكر في هذا الفصل ان شاء الله)
(٣) في " ب " (ولا نقص)
(٤) سقطت من " ب "
(٥) في " ب " (قدر)
(٦) تبراء : المتبور : الهالك (القاموس المحيط ١ / ٣٩٣)
(٧) سقطت من " ب " و " ج "
(٨) ان الصوت الذي سمعه موسى ليس هو ذات الله ، وليس أن الرب في ذاته مسموع . ان هذا القول يفضي الى التجسد ولا يمكن أن يقول به المسلمون .
(٩) هذا استنتاج باطل من أغشتين والمسلمون لا يأخذون به على الاطلاق .

وان قالوا : ان الصوت من فعل الله ، وأن الله خلق الصوت على ما وافقه ، وأظهر فيه من اراداته ما شاء ، وأن الصوت قد كان له مبتدأ ومنتهى ، وأن الله الخالق له لا مبتدأ له ولا منتهى . قيل لهم : فقد ثبت أن الصوت الذى سمعه (موسى)(١) كان مخلوقا ، فكيف جاز لموسى (أن يقول)(٢) سمعت الله ؟ .

وان قالوا : مقام الصوت من الله مقام صوت الانسان من الانسان ، وأنا نسمع صوت انسان . فنقول: سمعنا فلانا ، وكذلك وجب على موسى لما سمع صوت (الله)(٣) ، أن يقول : سمعت الله " .

قيل لهم : فقد أقررتم أن الصوت من فعل الله ، كما أن صوت الانسان من فعل الانسان(٤) .

ولستم تقدرون أن تقولوا : اذا سمعتم صوت رجل سمعنا ذاته المريد ، لذلك الصوت الذى ابتدأه ، وخاطب به . ولكنكم تقولون سمعنا صوت فلان ، وسمعنا فلانا اذا / سمعتم فعله . (٥٤)

وكذلك من سمع صوت الله ، وجب أن يقول سمعنا الله ،لأن الله خلق الصوت وجعله حجابا لاراداته التى أظهرها فيه . فقد ثبت أن الناس لا يسمعون الرب الا بصوت مخلوق ، على ما يشبهه تعارفهم ، يكون حجابا (فيما بينه وبينهم)(٥) .

---

(١) سقطت من " أ " و " ب " (٢) سقطت من " أ "

(٣) ساقطة من " ج "

(٤) ان الله تعالى لا يشبهه شىء . فلا نقول عن الله تعالى كيف يتكلم ؟ لأن الكيفية غير ممكنة فى تحديد كلام الله ، ولا نقول أنه يتكلم مثل الانسان لأنه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) الشورى / ١١
فالله تعالى يتكلم متى شاء وكيف ما شاء ولا يزال متكلما .
وكذلك ورد فى التوراة ما يشير الى أن الله تعالى لا يشبهه شىء كما فى اشعياء " اذكروا هذا وكونوا رجالا رددوه فى قلوبكم أيها العصاة أذكروا الأوليات منذ القديم لأنى أنا الله وليس آخر الاله وليس مثلى " (اشعياء ٤٦ : ٨-٩)

(٥) فى " ج " (فيما بينهم وبينه)

والواجب عليهم أن يخاطبوا الصوت باسم الذى الصوت له ، كما أن الصوت انما خاطبهم عن الله .(١) ومثل ذلك يلزمهم فى كل ما يشبه التحديد مما وقع فى كتب الملل الثلاثة ، من التشبيه بالعالم .

ووصف نفسه بالعين والوجه والفم ، ولا يمكن جحده (٢) (لها) ، فقد رضى أن ينسب الى نفسه مثل كلامهم ، وأن يخاطبهم فى مثل لغتهم . فقد ثبت أنه اتخذ التشبيه حجابا بينه وبين خلقه " .

ثم قال : بعد ذلك كلاما معناه " كما جاز أن يتخذ صوتا ويجعله حجابا لارادته حتى أظهرها فيه ، كذلك يجوز أن يكون قادرا على اتخاذ أن صورة شاء ، وأن يظهر لعباده فى أى حلية وافقته .(٣)

وتلك الصورة ملك له يبدلها كيف شاء ، لانا ان قلنا أنه لا يقدر أن يسمع عباده صوتا ، ولا أن يظهر لهم بصورة ،(٤) فقد أزلنا عنه القدرة على كل شىء .(٥)

---

(١) وقد تبين لى من خلال مراجعة التوراة أنها دائمة تربط بين الكلام وبين الظواهر الكونية فنجد مثلا فى سفر الخروج ما نصه : " وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن ..وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت فقال موسى للشعب لا تخافوا لأن الله انما جاء لكى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا . " (خروج ٢٠ : ١٨ - ٢١) وانظر (خروج ٢٤ : ٧ - ١٨) .
والذى يبدو لى من هذا النص أنهم يرون أن الله لا يستطيع أن يتكلم معه أحد مواجهة .

(٢) ساقطة من " أ " و " ج "

(٣) وهو يريد أن يقرر ما قاله النصارى من أن الله حل فى جسد المسيح عليه السلام : "والكلمة صار جسدا وحل بيننا " (يوحنا ١ : ١٤)

(٤) وقد ورد فى التوراة ما يشير الى أن الله تعالى لا يرى عيانا كما ورد فى سفر الخروج . " فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هأنذا فقال لا تقترب الى ههنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة . . . . فغطى موسى وجهه لأنه =

ثم قال : بعد ذلك " فعلمنا أن الحجاب مخلوق ، وعلمنا أن الله خالق كل شيء ، ووجب علينا انزاله من الاكرام بحيث أنزله الله المحتجب به ، لأنا متى لم ننزل كل شيء على ما أنزله عليه فقد عصينا ، لأنا لا نجد بدا من أن نكرم الملائكة مالا نكرم الشياطين ، ونكرم الصالحين ، مالا نكرم الفجار . وهكذا فلابد أن يكون شيء أعز من شيء ، وشيء أقرب الى الله من شيء ، حتى يكاد شيء فى العز أن يتصل بخالقه ، ويكون أعز الأشياء . ويكاد شيء أيضا أن يكون فى الهوان ، بحيث لا يكون شيء تحته . والواجب على العارف بالله أن ينزل كل شيء بحيث أنزله الله ، ويسميه بما سماه الله .

فان أقر بأن الله خاطب بصوت مسموع ، أو ظهر فى صورة مرئية ، فقد أقر بأن الله خص ذلك الصوت ، وتلك الصورة بما لم يخص به شيئا من المخلوقات ، وأن الواجب على من سمع ذلك الصوت أن يقول : سمعت صوت الله ، ومن رأى تلك الصورة أن يقول : رأيت صورة الله . (١)

= (٤) خاف أن ينظر الى الله " (خروج ٣ : ٤ - ٦) والنص يبين أيضا أن الله لا يظهر بصورة فلم يرى فى العليقه الا النار تتوقد والعليقة لم تكن تحترق . (خروج ٣ : ٣)

وهذا ما قرره القرآن الكريم فى قوله تعالى : (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما آتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين) (القصص/ ٢٩ - ٣٠)

وقال أيضا (وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما آتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) طه / ٩ - ١٢

= (٥) وهذا استنتاج باطل من أغشتين . لأنه لا علاقة بين هذا الأمر وبين القدرة .

(١) ونحن نقول له بيّن امكانية رؤية الله تعالى ؟

والواقع لو رجع الى التوراة يجد أنها تنص على عدم امكانية رؤية الله تعالى كما فى سفر الخروج " فقال أرنى مجدك فقال أجيز كل جودتى قدامك وأنادى باسم =

ولهذا وجب على موسى اذ سمع صوت القائل : أنا ربك ، أن يجاوبه (باسم الرب) ويقول : ها أنا يارب ، (ووجب على آدم اذ قال : يا آدم ؟ أن يستجيب فيقول : هأنذا يارب) ، وكذلك في مخاطبته لجميع الأنبياء . لأن الصوت لم يقل أنا صوت الله ، وأنا أخاطب عن الله ، وانما الله خاطب به فقال : أنا الله ، فالواجب أن يخاطب بمثل ما خاطب به .

ومثل ذلك : يجب في الصورة ، ومن ظهر له الله في صورته - كما ظهر لاشعيا ولدانيال - فقد وجب عليه أن يسجد للصورة ، وأن يخاطبها باسم الله ، لأن علمه

= ((١) الرب قدامك وأترأف على من أترأف وأرحم من أرحم ، وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الانسان لا يراني ويعيش . . . اني أضعك في نقرة من الصخرة واسترك بيدى حتى اجتاز ثم ارفع يدى فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى ". (خروج ٣٣ : ١٨ - ٢٢) .

فهذه التوراة تبين عدم امكانية رؤية الله تعالى . ونحن نذكر هذا لا لنستدل به كحجة أو دليل لنا ، فنحن آمنا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا . ولكن نذكره حجة عليهم هم . ويقابل هذا ما جاء في القرآن الكريم من طلب موسى رؤية الله تعالى : (قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) الاعراف / ١٤٣ .

(١) سقطت من "ب" (٢) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٣) يشير الى ما جاء في اشعياء " في سنة وفاة عزيّا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله يملأ الهيكل السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس ربّ الجنود مجده ملء كل الأرض فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا فقلت ويل لي اني هلكت لأني انسان نجس الشفتين . . . لان عيني قد رأتا الملك ربّ الجنود فطار اليّ واحد من السرافيم وبيده جمرة . . . ومس بها فمي وقال ان هذه قد مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيئتك " (اشعياء ٦ : ١ - ٧) =

بأن الله خص تلك الصورة بالاتحاد لها والاحتجاب بها (١) ضام له الى عبادته فيها ، لأنه قد رضي أن يرى فيها ويعبد بها .

وقد علمنا أن الله خلق الصوت الذى أسمعه لموسى ، كما علمنا أن الله خلق جميع الأصوات ، ولكن وجب علينا الاقرار بذلك الصوت بالربوبية ما لم يجب لغيره ، لعلمنا أن الله ولى المخاطبة بذلك .

وكذلك يجب فى الصورة أن يخصها من الاكرام بما خصها الله به . ومن قال : أنه لا يجب أن يخاطب الصورة باسم الله ، ولا أن يجاوب الصوت باسم الله فقد قال : أنه لا يجوز أن يتخذ الله صورة ، ولا أن يصمع صوتا . واذا وجب اكرام الحجاب باكرام المحتجب به ، فلم يبق علينا من الكلام شيء الا فى الحجاب الذى اتخذ منا

= (٣) ان هذه الرؤيا كانت منامية وليست حقيقية كما ورد فى دانيال :
" ظهرت لي أنا دانيال رؤيا بعد التى ظهرت لى فى الابتداء فرأيت فسى الرؤيا ، وكان فى رؤياى وأنا فى شوشان القصر الذى فى ولاية عيلام ورأيت فى الرؤيا وأنا عند نهر أولاى فرفعت عينى ورأيت واذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان. . . . " (سفر دانيال ٨ : ١ - ٢٧)

(١) والواقع أن قوله هذا يناقض ما ورد فى اشعياء :
" حقا أنت اله محتجب يا اله اسرائيل المخلّص قد خزوا وخجلوا كلهم مضوا بالخجل جميعا الصانعون التماثيل . . . اجتمعوا وهلموا تقدموا معا أيها الناجون من الأمم لا يعلم الحاملون خشب صنمهم والمصلون الى اله لا يخلّص . . . من أعلم بهذه منذ القديم أخبر بها منذ زمان أليس أنا الرب ولا اله غيرى اله بار ومخلّص ليس سواى ، التفتوا اليّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر " (اشعياء ٤٥ : ١٥ - ٢٢)
وكذلك يحتج عليه ما ورد فى اشعياء " وبقية قد صنعها الها صنما لنفســـه يخرّ له ويسجد ويصلى اليه ويقول نجنى لانك أنت الهى . لا يعرفون ولا يفهمون لأنه قد طمست عيونهم عن الابصار وقلوبهم عن التعقل " (اشعياء ٤٤ : ١٧-١٨)

وهو المسيح (١) ، والاستشهاد بالتوراة / والانجيل فى أمره : الا أنا نقدم القول (٥٥)
فى ذلك بالقياس ، لئلا نستشهد بالكتاب الا فيما كان داخلا تحت الامكان .

ثم قال هذا : " وان لم يوجبه القياس ايجاب الاضطرار ، فانه يجوزه تجويز الامكان ، لأن القياس الذى فضل (به) (٢) الانسان على جميع خلقه ، وخاطبهم بمثل لغتهم ، وتشبه بهم فى مخاطبتهم ، وخلق كل شىء لهم ومن أجلهم ، وأوجب لهم البقاء معه فى رضوانه وألا يكون دونهم أبدا ، وأنه ظهر لهم بحجاب مخلوق ، فتشبه لهم بنعت محدود فغير ممتنع فيه ، (ولا يبعد) (٣) أن يكون حجابه فيما بينه وبينهم منهم ومما يشبههم ، ونزوله الى مخاطبتهم فى مثل لغتهم هو نزوله الى الظهور لهم فى مثل صورتهم ، (٤) لأن اتخاذ الصورة مثل اتخاذ الصوت " .

---

(١) وهو يريد أن يقول أن الله قد تجسد فى المسيح كما فى يوحنا " والكلمة صار جسدا وحل بيننا " . (يوحنا ١ : ١٤) ويقول بولس :
وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد " .
(رسالة بولس الأولى الى تيموثاوس ٣ : ١٦)
ان النصارى يقولون : ان الله تجسد ببشر وهو عيسى من أجل صلبه تكفيرا عن خطيئة آدم التى انتقلت خطيئته الى جميع البشر ويرد عليهم من وجهين :
الأول : أن شريعة التوراة تقول : وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من اثم الأب أما الابن فقد فعل حقا وعدلا حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحياة يحيا النفس التى تخطىء هى تموت الابن لا يحمل من اثم الأب والأب لا يحمل من اثم الابن " (حزقيال ١٨ : ١٩ - ٢٠)
ومعنى هذا لا يؤاخذ الأبناء بفعل الآباء ، كما أن الآباء لا يؤاخذون بما يفعله الأبناء .
الثاني : ثم ان الله تعالى أيضا يرفض الفداء بالذبائح البشرية . أنظر قصة ابراهيم فى ذبح ابنه كما وردت فى التوراة (تكوين ٢٢ : ٩ - ١٤) وكما وردت فى القرآن الكريم " وفديناه بذبح عظيم) مع ملاحظة أن اليهود يقولون أن الذبيح اسحق ، والصحيح أن الذبيح هو اسماعيل الذى فداه الله بذبح عظيم ثم فى سفر التثنية " لا يوجد فيك من يجيز ابنه او ابنته فى النار " (تثنية ١٨ : ١٠) =

ثم قال : شواهده الواضحة كثيرة ، من ذلك : قول ارمياء النبي حيث يقول مناجيا لله " يا رجاء اسرائيل ، ويا مخلصه من الغم ؟ لم ستكون في المستقبل كالغريب في الأرض ،أو كالمسافر يعدل الى المبيت ؟ لم ستكون في المستقبل كرجل صالح لا يقوى (أن)(١) يخلّص (٢)

وقول اشعياء النبي حيث يقول : " ان العذراء ستحمل وتلد ولدا ويدعى ولدها عجيبا مدبرا ، الها قويا ، والدا مقبل الدهر العالم يكثر ملكه ، ولا يكون لسلطانه انقطاعا ولا آخر " .(٣)

= (٢) سقطت من "ب" = (٣) في "ج" (بعيد)

= (٤) وهذا أمر يتنافى مع تعاليم الكتاب المقدس . لقد جاءت الوصية صريحة ضمن الوصايا العشر قائلة : " لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الربّ الهك اله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء "

(خروج ٢٠ : ٤ - ٥)

وفي سفر لاويين : " لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا في أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له لأني أنا الرب الهكم "

(لاويين ٢٦ : ١)

وفي اشعياء " بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه " (اشعياء ٤٦ : ٥)

هذه بعض من نصوص التوراة ترد مقالة أغشتين بان الله تعالى لا يمكن أن يتمثل بشيء ولا يمكن أن يشابهه شيء ولا يجوز اتخاذ الصور للتقديس والعبادة .

(١) ساقطة من "أ" و"ج"

(٢) والنص " يا رجاء اسرائيل مخلصه في زمان الضيق لماذا تكون كغريب في الأرض وكمسافر يميل ليبيت لماذا تكون كانسان قد تحير كجبار لا يستطيع أن يخلص" . (ارمياء / الاصحاح ١٤ : ٨ - ٩)

(٣) والنص" لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية" .

(اشعياء الاصحاح التاسع : ٦ - ٧)

وقوله أيضا " من ذا يقبل خبرنا ؟ أمن ذا ظهر له ذراع الرب " ثم وصف أنه ظهر ضعيفا محتقرا ، وأنه يهدى بنفسه الى القتل طوعا . ووصف خبر المسيح ظاهرا كما كان ". (١)

وقول يعقوب لبنيه حيث يقول :

" لا ينقضى الملك من سبط يهوذا ، ولا يزال منهم أمير ، حتى يأتى الذى هو مرسل ، وهو يكون رجاء الأجناس ، وكذلك لم ينقطع الملك عنهم حتى أتى المسيح " (٢) ا.هـ . هذا ملخص كلامه وزبدته ، فى عدّة أبواب من كتابه المتقدم الذكر ، من غير أن أخرج عن لفظه ، الا ألفاظا يسيرة يتصل بها الكلام ولا يغير المعنى .

(٣)
وها نحن (بعون الله) نجاوبه مجاوزة على طريق البحث والمناظرة :

أما قوله : اجتمعت الثلاث ملل على أن موسى سمع صوتا يقول : أنا ربك ، فهذا قول كذب ينبىء عن غفلة أو جهل ، وذلك أن الذى اتفقت الملل عليه ، انما هو أن الله كلم موسى (٤) ، وان الله تعالى متكلم .

---

(١) والنص " من صدّق خبرنا ، ولمن استعلنت ذراع الرب نبت قدامه كفرخ : وكعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر اليه ولا منظر فنشتهيه . محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به . لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا ... أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه " (اشعياء / الاصحاح ٥٣ : ١ - ٧)

(٢) والنص " لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب " (تكوين - الاصحاح : ٤٩ : ١٠)

(٣) سقطت من "ب"

(٤) فقد جاء فى القرآن الكريم ما يشير الى ذلك (وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) طه / ٩ - ١٢ وفى التوراة أيضا : " فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هأنذا ..." (خروج ٣ : ٤ -٥)

وأما أنه متكلم بصوت ، أو سمع موسى صوتا من الله ، فهذا شيء اختلفت فيه الملل ، وتباينت فيه النحل ، وأكثر أهل الملة الحنيفية يأبى ذلك ، ويخطّئ من صار الى ذلك - أعني من صار الى أن يكون البارئ تعالى متكلما بصوت (١) - وأن موسى عليه السلام لم يكلمه الله بصوت ، وانما كلمه بكلامه الذى هو وصفه الذى ليس بصوت ولا حرف على ما تقرر بيانه فيما تقدم .

فهذا الرجل الحاكى هذا القول : اما أن يكون علم اختلاف الملل فيما ذكر فيه اجماعا أو لم يعلم ، فان كان علم فقد كذب ، واذا عرف من أحد من الناس الكذب ، فينبغى أن لا يلتفت اليه ولا يعول عليه .

فينبغى لكم أن لا تعوّلوا على شيء من نقله لامكان أن يكون كذب فيه ، كما كذب فى هذا ، وان كان ذلك القول منه عن جهل فهذا (كثير) (٢) فى حقه من جهتين :
أحدهما : أنه أقدم على الاخبار عما لم (يعلم ولم) (٣) يتحقق من غير بصيرة ، وليس هذا فعل العلماء ، ولا الاكياس الفضلاء ، وكفى بالمرء كذبا (واثما) (٤) أن يحدث بما لم يعلم صحته (٥).

والجهة الثانية : أنه جهل أمرا معلوما على القطع ، صار اليه وعمل على مقتضاه (أمم) (٦) لا يحصون كثرة منذ (مضيّ/ السنين) (٧) ، ولا يجهل من تعاطى نصرة (٥٦)
المذاهب ، والكلام مع أربابها أن يجهل مثل هذا ، واذا جهل هذا فهو بما هو أخفى من هذا أجهل .

---

(١) والذى عليه أهل السنة : أن الله تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديما . (شرح العقيدة الطحاوية ١٨٠ ط٤ نشر المكتب الاسلامى)

(٢) فى "ج" (كبير) (٣) سقط من "أ" و "ج"

(٤) ألحقت بهامش "ب" وسقطت من "أ"

(٥) اقتباس من قوله عليه السلام " كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ما سمع " (رواه الحاكم فى المستدرك ١ / ١١٢ كتاب العلم)

(٦) فى "ب" (أنهم) (٧) فى "ب" (مشى العير)

فهو بين أمرين : اما أن يكذب متعمدا فلا تثقون بقوله ، أو يجهل أمرا جليا يدرك بأدنى بحث وأيسر أمر .

فلا ينبغى لكم أن تقلدوه (فى عمله ونظره)(١) ، وانما ذكرت هذا لتعلموا أن عمدة النصارى على هذا الرجل فى مذاهبهم ، (بقوله)(٢) ، وبه يحتجون ، وله يقلدون ، وعليه يعولون ، فهو وهم كرجل أعمى ادّعى أنه بصير ، فاستقاده عمي فقادهم فسقط فى حفرة ، فسقطوا لسقوطه .

" وأشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبى وامام ضلالة "(٣) .

وانما كان كذلك لأن عليه وزرها ووزر من عمل بها ، فطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه .

وأما قوله : " فان قالوا ان الصوت نفسه هو الرب ، وأن الرب مدرك بالسمع فقد خرجوا عن مذهبهم ، فى نفى التشبيه .

فهذا نصّ من كلام هذا الرجل : ان الصدا ليس بالرب ، وقد قال السائل الذى جاوبناه قبل هذا(٤) : انه أقرّ له بالربوبية ، وظاهر (قوله) مناقض لقول امامه .

ثم نقول لهما : قد اتفقتما على أن الصوت مخلوق ، وأن الله تعالى ليس بمخلوق .

فهذا الصوت المخلوق ، اما أن يكون ربا غير الله ، أو ليس برب ، فان كان ربا غير الله فيلزمكم أن تعبدوه بعبادة خاصة غير عبادة الله . بل هو أولى بالعبادة من ناسوت المسيح ، اذ يتغوط ويبول ويصلب على قولكم ، الى غير ذلك مما عددناه .

---

(١) فى "ج" (فى نظره وعمله) (٢) فى "ب" (فقوله)

(٣) ونص الحديث كما رواه الامام أحمد عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتله نبى أو قتل نبيا وامام ضلالة وممثل من الممثلين) .

اسناد الحديث صحيح وفى الزوائد : معناه من وجه آخر بلفظ (أو امام جائر) وذكر أن بعضه فى الصحيح وقال : رواه الطبرانى وفيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات . (مسند أحمد رقم الحديث ٣٨٦٨)

(٤) فى "ب" (هذا)

وذلك الصوت لا يليق به شيء من ذلك ، وذلك كله جهل . وقد ألزمناهم على ذلك مناقضات لا محيص عنها فيما تقدم . وان كان هذا الصدا ليس برب ، فيلزمكم على قولكم بأن يكون موسى خاطب بالربوبية من ليس برب ، وذلك لا يليق به .

وهذا على قوله : أن المخاطب هو الصدا لازم ضرورة .

ثم ما أعجب أمر هؤلاء القوم ، ينفون تشبيه (١) الله (تعالى) (٢) بخلقه ، ويجعلون نفيه قاعدة يرجعون اليها بزعمهم ، ثم يلتزمون من التشبيه في حق الله تعالى ما لم يقل به من المشبهة أحد (٣) .

وذلك أنهم قالوا : أن الله تعالى متكلم بصوت هو من قبيل (أصواتنا) (٤) ، وهو مخلوق مقطع بالحروف (٥) ، وهو مع ذلك يخاطب بالربوبية ، وهذا هو التشبيه الذي فروا منه .

---

(١) معنى التشبيه : يطلق ويراد به اعتقاد المشابهة . فيقال لمعتقده مشبّه كما يقال لمعتقد الوحدانية موحد . وقد يطلق التشبيه والمراد به : الاخبار عن تشابه المتشابهين . وقد يطلق والمراد به : اثبات فعل على مثال فعل . فيقال : للذي رام فعلا يشبه فعلا ، قصد تشبيه فعله بفعل غيره ، وقصد تشبيه فعله اللاحق بفعله السابق . (الشامل في أصول الدين للجويني ٢٩٠) والمراد به هنا هو تشبيه الله تعالى بمخلوقاته .

(٢) ليست في "ب" .

(٣) راجع مثلا الشامل في اصول الدين ٢٨٨ - ٢٨٩

(٤) في "ب" (الصدا)

(٥) وقد ذهب المعتزلة ايضا الى القول بأن الكلام أصوات متقطعة وحروف منتظمة ضربا من الانتظام . (انظر الارشاد ١١٠ - ١١١)

وقالوا : ان كلام الله حقيقة مخلوق (راجع شرح قصيدة ابن القيم ١ / ٢٦٧) وقد ذهب أئمة أهل الحديث ومنهم الامام أحمد والبخاري الى أن القرآن كلام الله غير مخلوق والسلف والائمة متفقون على هذا . (شرح قصيدة ابن القيم ١ / ٢٦٨) .

وزيادة عليه : لقد أوغل فى التشبيه كبرهم أغشتين ، وان كان عن أصل التشبيه من المعرضين . وذلك أنه جوّز عقله - بزعمه - أن يتخذ البارى (تعالى)(١) صورة يحلها ، ويظهر فيها ويسجد لها .

ومن رأى تلك الصورة ، يقول : رأيت صورة الله ، فانه قد رأى الله ، ولا تشبيه أعظم من هذا بل المشّبهة أحسن حالا منه ، وذلك أنهم - أعنى المشبهة - بنوا أمرهم على ظواهر الشرائع . فأثبتوا ما أثبتت الشرائع ، وما قالت الأنبياء ، وما جاء فى كتب الله مصدّقين لها ، غير منحرفين عن ظواهرها .

ثم عزلوا عقولهم فلم ينظروا بها ، فبقوا على جمود التقليد ، وثبتوا على صميم الاعتقاد والتوحيد . ومع ذلك فهم يعظّمون الله ، ويقرون بأنه لا اله الا الله .

ومما صرح فيه : بالتزام التشبيه ، قوله : صوت الله من فعل الله ، كما أن صوت الانسان من فعل الانسان ، ولا معنى للتشبيه الذى نفى الا هذا ، فهذا تناقض ظاهر . فانه تارة نفى التشبيه ، وتارة أثبته .

ثم قوله : يصرح بأن حقيقة المتكلم من فعل الكلام(٢) - وهو خطأ - بل حقيقة المتكلم من قام به الكلام . والدليل على ذلك : أن حقيقة المتكلم / تفهم بكمالها (٥٧)
مع فرض الغفلة والذهول عن كونه فاعلا للكلام . ولو كانت حقيقة المتكلم من فعل الكلام لما فهمت حقيقة المتكلم ، حتى يفهم كونه فاعلا للكلام ، على ما يعرف فى موضعه(٣) .

ولو كانت حقيقة المتكلم من فعل الكلام ، لكان البارى تعالى متكلما بالكلام الذى يقوم بنا ، فانه فاعل كلامنا وخالقه(٤) ، على ما يعرف فى موضعه وذلك محال .

---

(١) ليست فى "أ" و "ب"

(٢) وهذا أيضا ما ذهب اليه المعتزله كما ذكر الجوينى فى الارشاد ١٠٩

(٣) يراجع هذا الموضوع فى كتاب الارشاد للجوينى ١٠٩ - ١١٠

(٤) قارن الارشاد للجوينى ١١١

ولتعلم أيها الناظر فى هذا الكتاب ، أن كل ما ذكره هذا القس فى هذا الفصل ، انما هو مبنى على أنه تعالى متكلم بحرف وصوت ، وقد أبطلنا ذلك فيما تقدم .

حيث قلنا : أن كلام البارى (تبارك)(١) وتعالى (ليس بصوت ولا حرف)(٢) ، وانما هو وصف له قائم به ، (٣) ليس بحرف ولا صوت كما نبهنا عليه ، واذا بطل ذلك بطل كل ما انتحلته فى هذا الفصل من الهذيان .

وانما كلامنا معه بعد ذلك على طريقة المناظرة الجارية بيننا ، وذلك أن أرباب النظر ربما يسلمون ما هو معلوم الفساد ، ليتبين تناقض الخصم وتحكمه (بالعناد)(٤) . وكذلك نفعل (نحن)(٥) بهذا الرجل (بحول)(٦) الله .

فنقول له : لأى شىء قلت أن الله اتخذ الصوت حجابا لاظهار ارادته ؟ (وأتيت)(٧) بلفظ الحجاب ؟ ولو قلت أن الله جعل الصوت دليلا على ما أراد ، لارتفع التلبيس ، ولزال (الابهام)(٨) الذى أوهمت ، فانك أوهمت بلفظ الحجاب ، أن الارادة احتجبت به ، واتحدت معه ، حتى ظهرت بواسطة ، فجمجمت بلفظ الحجاب والظهور ، وأوهمت وأنت ما حصلت على فائدة ولا وجدت .

ومما يبين أن هذا الذى ذكره ، انما هو جمجمة(٩) لفظية ليس وراءها معنى ، أنا نبدل لفظ الحجاب بالدليل ، ولا نبقى مما توهمه شىء ، فانا يمكننا أن نقول :

---

(١) ليست فى "ب" و "ج" (٢) فى "ج" (ليس بحرف ولا صوت)

(٣) ويبدو أن القرطبى قد تأثر بعلماء الكلام فى مسألة كلام الله تعالى . وهذا المعنى الذى ذكره هو ما يميل اليه الرازى وغيره . (شرح العقيدة الطحاوية ١٢٣ ط ١)

(٤) فى "أ" و "ج" (للعباد)

(٥) سقطت من "ب"

(٦) فى "ب" (بعون) والمعنى أيضا صحيح

(٧) فى "أ" و "ج" (لبّست)

(٨) فى "ج" (الأوهام) وما أثبتناه هو الصواب .

(٩) الجمجمة : صوت الرحى (القاموس المحيط ٣/١٤) .

أن الصوت الذى خلقه الله تعالى ، وجعله دليلا على ارادته على قوله ، انما هو بمثابة أن لو خلق خطوطا فى حجر يستدل بها المستدل على ارادته اذا قرأها .

فلا يمكن لعاقل أن يقول : ان الارادة انحجبت بخطوط ذلك الحجر ، ولا اتحدت به ، فان الارادة لا تقوم بجماد ، وهذا بيّن بنفسه .

وكذلك لو كتبنا لفظ النار فى ورقة ، لما تخيل عاقل - بل غافل - أن ذات النار حلت فى الورقة . اذ لو حلت النار فى الورقة لاحترقت ، وكذلك الصوت المقطّع حروفا ، انما هو دليل على ما فى النفس ، من غير أن يحل ما فى النفس فى الصوت ، ولا أن يتحد به ، واذا فهم هذا ارتفع كل ما توهمه هذا المخدوع بالضرورة .

ثم نقول له : نسلم جدلا ما ذكرته من لفظ الحجاب والظهور ، لكن لم قلت انه اذا صح أن تظهر ارادته بحجاب الصوت ، جاز أن تظهر ذاته بحجاب الصورة ؟ وما الدليل على ذلك ؟ وأى جامع بينهما ؟

فان قال : الدليل على ذلك ، أن الله (تعالى)(١) قادر على ذلك ، كما هو قادر على حجاب صوته ، فانه ان لم يكن قادرا على اظهار ذاته بصورة ، فيكون عاجزا ، والعجز عليه محال . فهذا هو الدليل ، وأما الجامع فان الصوت مظهر للارادة ، والصورة مظهرة للذات .

فيقال له : اما استدلالك بأن الله قادر على كل شىء فاستدلال فاسد ، فان الأشياء التى يقدر البارى تعالى عليها ، انما هى الممكنات لا المستحيلات . وهذا الذى ذكرت من ظهور الله فى صورة مستحيل ، فلا يكون مقدورا . فان المستحيل لا يوصف البارى تعالى بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه ، لاستحالة شرط تعلق القدرة .(٢)
وهذا انما يعرفه من يعرف حقيقة / الواجب(٣) (٥٨)

---

(١) ليست فى "ب"

(٢) نلحظ أن القرطبى يستعمل هنا دليل المتكلمين

(٣) الواجب : أى يجب على كل مكلف شرعا أن يعرف ما يجب لله تعالى وهو ما لا يتصور فى العقل عدمه ، كوجوده تعالى ووجوب قدمه ، وقدم الواجب لشرفه اذ به يتصف البارى تعالى ، لأن بمعرفته يعرف قسيماه .. (لوامع الانوار البهية ١ / ٥٨)

والممكن (١) والمستحيل (٢) .

ثم انا نقلب عليهم دليلهم ، ونقول : هل يقدر الله تعالى أن يظهر نفسه من غير صورة أم لا ؟ فان قالوا يقدر ، قلنا لهم : فلا يحتاج الى الصورة التى فرضتم.

وان قالوا لا يقدر ، قلنا لهم : فيلزمه العجز ، (وبالذى ينفصلون (٣)) عن هذا به (بعينه (٤)) ، ننفصل نحن عما ألزمونا ، وقد بينا فيما تقدم ، أن اتخاذ البارى سبحانه (وتعالى (٥)) صورة ليظهر فيها مستحيل .

حيث أبطلنا الحلول والاتحاد وما في معناه ، ونزيد الآن هنا نكتة وهى أنا نقول : هذه الصورة التى يظهر فيها لابد أن تكون متحيزة محدودة ، والظاهر فيها - اما أن يكون داخلا فيها أو خارجا عنها ، أولا خارجا ولا داخلا ، فان كان داخلا فيها (كان (٦)) محدودا ، محاطا به وهذا التشبيه ، فانه يلزم منه أن يكون جسما وهو باطل على الله تعالى ومحال .

وان كان خارجا عنها لزم تحديده أيضا . لأنه لا يكون خارج محدود متحيزا الا محدود متحيز (٧) .

---

(١) الممكن : هو ماعبر عنه بعض العلماء بالجائز : وهو ما يصح فى نظر العقل وجوده وعدمه على السواء . كارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع .

(٢) المستحيل : هو ما لا يتصور فى العقل وجوده كالشريك لله تعالى ، وهو المقابل للواجب . ومثل ذلك يقال فى حق رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فيعرف الواجب فى حقهم من الصدق والأمانة وتبليغ ما أمروا به أن يبلغوه ، والمستحيل فى حقهم من الكذب والخيانة الخ والجائز فى حقهم من الأكل والشرب والنوم والنكاح والأمراض الغير مزرية .
(لوامع الأنوار البهية ١ / ٥٨)

(٣) فى "ب" (فالذى تنفصلون)

(٤) سقطت من "ب" (٥) ليست فى "ب"

(٦) فى "ج" (فان) وما أثبت هو الصواب .

(٧) المتحيز : هو الجرم ، ولا معنى له سواه . قال : انما هو الذى له حظ من المساحة . وقال : هو الذى لا يوجد بحيث وجوده جوهر .
(الشامل فى أصول الدين / ١٥٦)

فيلزم أن يكون بجهة من الصورة . واذا كان بجهة كان جسما وهذا تشبيه . وايضا : فاذا كان بجهة من الصورة التى ظهر فيها كان مفارقا لها ، واذا كان مفارقا لها لم يظهر فيها ، وان ظهر (١) (فيها) فانما يظهر بنفسه لا بالصورة .

واذا كان لا داخلا فيها ولا خارجا عنها ، استحال عليه أن يظهر بها أو فيها ، لأن ما ليس بمتحيز ولا داخل ولا خارج ، لا يظهر فى جسم متحيز ، لأنه من حيث كان ليس بداخل فيها: فقد فارقها ، واذا فارقها لم يكن فيها ، (٢) (واذا) لم يكن فيها (٣) (لم يظهر فيها) . ولو جاز أن يظهر فى كل ما ليس بداخل فيه ، ولا بخارج عنه لجاز أن يظهر فى كل موجود ، واذا جاز ذلك فلعله قد اتخذ الأنبياء كلهم حجابا يظهر فيهم ، وهذا مما يأبونه ، وهو محال عندهم .

وأيضا : فان الله تعالى عندهم لا يرى بانفراده من غير صورة ولا يظهر دونها ، فكذلك يلزمهم : أن يبقى على حالة لا يظهر (٤) (وان) وجد صورة ، اذ ليس بداخل فيها ولا بخارج عنها ، فان الصورة لا تكسبه أمرا أوجب له ظهورا لم يكن له .

وهذا بيّن الاستحالة ، اذ يلزم على ذلك : تغّيره عند العاقل المنصف .

نكتة أخرى : وهى أنا نقول : هل يجوز أن يرى البارى تعالى ، ويظهر من غير صورة أم لا يجوز ؟ فان جاز ذلك ، فلم حتمتم اتخاذ الصورة عليه وقلتم: انه لا يظهر ولا يرى الا بصورة ؟ وان قلتم : لا يرى ولا يظهر الا باتخاذ صورة ، فاذا وقع بصر الناظر ، فاما أن يقع على تلك الصورة ، أو على الله (٥) (تعالى) أو عليهما .

فان قلتم وقع البصر على الصورة ، لا عليه ، فالمرئى الظاهر (٦) (اذا) هى الصورة المخلوقة لا الخالق . وان وقع البصر على الخالق وحده لا على الصورة ، فينبغى الا ترى الصورة ، فان الصورة ليست هى الخالق تعالى . والرائى لم ير الا الصورة وحدها

---

(١) ساقطة من " أ " و " ج " (٢) ساقطة من " ج "
(٣) ما بين القوسين سقط من " ج " (٤) فى " أ " (واذا)
(٥) ليست فى " أ " و " ب " (٦) ألحقت بهامش " أ "

فاذا لم ير الخالق - وان وقع البصر عليهما - لزم عليه أن يرى الرائى شيئين ، ويظهر له أمران : وهو انما رأى شيئا واحدا بالضرورة وهو الصورة (فلا معنى)(١) لقول من يقول : انه ظهر في الصورة أو بالصورة .

وأيضا : فلو وقع بصر من رأى عيسى عليه السلام على ناسوته ولا هوته ، لم يحتاجوا أن يستدلوا على الهيته باحياء الموتى وغير ذلك .

ولما كان يحتاج هو(٢) أن يدل على لاهوت نفسه بشيء من المعجزات وخوارق العادات، اذ كان يدرك منه / بالحس والعيان ذلك . والمعلوم بالعيان لا يطلب تحصيل (٥٩) علمه بالدليل والبرهان .

فحصل من هذا : أن الصورة المقدرة لا يظهر فيها البارى تعالى ، وان ظهرت هى ، فان الرائى انما يراها وحدها وهى الظاهرة له . وأما البارى سبحانه وتعالى/ فهو بعد ايجاد هذه الصورة ، على ما كان عليه قبل ايجادها ، لم يتبدل حاله - أعنى أنه (ان)(٣) كان قبل ايجاده هذه الصورة قابلا لأن يظهر ، فهو بعدها قابل لأن يظهر . وان كان ممتنعا عليه أن يظهر قبلها ، امتنع عليه ذلك بعدها ، لاستحالة التغير عليه ، فانه لو تغير لكان محدثا .

واما ما ادعاه من الجامع ، فلا نسلم أن الصوت مظهر للارادة ، الا بمعنى أنه يدل عليها ، لا بمعنى الاحتجاب والظهور ، كما زعم . واذا لم نسلم هذا فى الصوت ، فلا يصح له قياس الصورة على الصوت .

(ولو سلمنا قياس الصورة على الصوت)(٤) من حيث الجامع ، فبأى دليل يحمل أحدهما على الآخر ؟

---

(١) سقطت من "أ" و"ج" (٢) ان عيسى عليه السلام لم يكن يحتج بما يظهر على يديه من معجزات على ألوهيته ، وانما كان يستدل بها على رسالته، كما كان يستدل بها من أجل توليد الايمان فى نفوس الآخرين كما جاء فى لوقا ، "فقال أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه الى أمه فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبى عظيم" (لوقا ٧ : ١٤ : ١٦) وفى انجيل يوحنا : "فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به" (يوحنا ١١ : ٤٥) (٣) سقطت من "ب"
(٤) ما بين القوسين سقط من "ب".

فان وجود الجامع لا يدل على أن حكم أحدهما حكم الآخر ، اذ لا يبعد في (المتماثلات)(١) ، في بعض الصفات اختلافها في بعض الأحكام على ما يعرفه أهله.

ولو سلمنا وجود دليل الالحاق ، لكان قياس جزئي على جزئي ، وذلك غير مقبول في العقليات ، على ما يعرف في موضعه ، وعلى ما يقال مع أهله .

فظهر من كلام هذا الرجل - عند العقلاء - أنه غير (متمسك)(٢) بدليل عقلي ، وسنبين أنه لم يستدل على صحة مذهبه بدليل نقلي .

فاذا بطل له المعقول والمنقول ، ثبت أنه بالتحكم والهوى يقول ، وذلك دأب كل غبي جهول .

وأما قوله : " فالواجب عليهم أن يخاطبوا الصوت ، باسم الذي الصوت له ، وكذلك الصورة يجب أن تخاطب باسم الذي هي له ." فنقول له : قولك واجب عليهم ، هذا الوجوب الذي ادعيته (عليهم)(٣) ، أهو عقلي أو شرعي ؟

فان قال : هو عقلي وشرعي ، فلابد من اقامة الدليل على ذلك . فان قال : الدليل على ذلك (النقل والعقل)(٤) ، أما النقل فهو أن العاقل ، اذا أقر بأن الله خاطب موسى بصوت مسموع ، أو ظهر في صورة مرئية فقد (أقر)(٥) بأن الله خص ذلك الصوت (وتلك)(٦) الصورة ، بما لم يخص به شيئا من المخلوقات ، (اذ (تجلى)(٧) هو فيها .

واذا ثبت ذلك : فالعقل يشهد بأن (تلك)(٨) الصورة (وذلك)(٩) الصوت شريف . (والشريف)(١٠) لابد أن (يعرف)(١١) لشرفه ، وينزل منزلته ، ولا أشرف من الله تعالى .

---

(١) في "أ" (المماثلات)
(٢) في "ب" (مستمسك)
(٣) سقطت من "ب" و "ج"
(٤) في "ج" (العقل والنقل)
(٥) في "ج" (قر)
(٦) في "أ" و "ج" (ذلك)
(٧) في "ب" (يحل)
(٨) سقطت من "ب"
(٩) في "أ" و "ج" (تلك)
(١٠) في "أ" (الصوت) وما أثبتناه هو الصواب
(١١) في "ج" (يعترف)

وما ظهر فيه الله (تعالى)(١) فينبغى أن يعظم بأقصى رتب التعظيم ، ويعبد بأجلّ العبادات .

فخرج من هذا : أنه يجب عقلا أن تعظم الصورة (لتعظيم)(٢) الحالّ فيها ، فيخاطب باسم الرب ، ويعترف لها بالربوبية (والألوهية)(٣) .

وأما الشرع : فهذا الذى دل عليه العقل ، جاءت به الشرائع . ألا ترى أن موسى خاطب الصوت باسم الربوبية ، وكذلك من رأى الصورة ، انما يرى صورة الله ، والله تعالى معظم بالشرع والعقل .

فتلك الصورة ينبغى أن تكون معظّمة بالشرع والعقل ، ألا ترى أن الشرائع قد أمرتنا بتعظيم الملائكة(٤) ، واهانة الشياطين(٥) ، وليس يخفى أن العرش(٦) أعظم من السماء(٧) ، وأن المشرق أعظم من المغرب (وان الصالحين أعظم من الطالحين)(٨)

وهذا كله يشهد له العقل والنقل ، كما سبق هذا انهاء تقرير حجته ، واليهما أشار فى كلامه ، ولا مزيد فى التقرير عليها .

---

(١) ليست فى "ب" (٢) فى "ب" (بتعظيم)

(٣) فى "ج" (الالهية)

(٤) قال تعالى (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) النساء / ١٣٦ . وقد مدح الله الملائكة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (بل عباد مكرمون) الأنبياء / ٢٦ وقال أيضا (كراما كاتبين) الانفطار ١١ وقال (يشهده المقربون) المطففين / ٢١ .

(٥) قال تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) فاطر / ٦

(٦) العرش : هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات (شرح العقيدة الطحاوية / ٣١١ ط ٤ - نشر المكتب الاسلامى)

(٧) انظر شرح العقيدة الطحاوية / ٣١٠ ط ٤ . فقد سرد فيها المؤلف الادلة على عظمة العرش عند الله تعالى .

(٨) العبارة التى بين القوسين جاءت فى "ب" (وأن المصلحين أعظم من الصالحين) وقد بين الله عز وجل أن الصالحين أعظم من الطالحين فى قوله تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) القلم / ٣٥

فنقول : قولك العقل دل عليه ، باطل . فان العقل لا (يدل)(١) على التزام / (٦٠) العبادات ، فان معنى العبادات التى تفعل بحكم اللزوم - أنها ان لم تفعل ، والا فيعاقب الله التارك ، وذلك لا يتوصل العقل اليه . اذ العبادات لا تتعين عنده الا بتعيين معين ، الذى هو الشارع ، الذى ينص على ما يرضيه من العبادات، وعلى ما لا يرضيه .

وأما العقل فلا يستقل بشىء من ذلك ، (فلعل)(٢) العبادة التى يعنيها العقل ويلتزمها ، لعل الله لا يرضى بها . اذ يفعل الله ما يريد ، ولعل ما يظنه العقل عبادة هى معصية ، فان هذا الله (تعالى)(٣) يفعل ما يشاء .

فكما يجعل من (شاء)(٤)(٥) نبيا ووليا ، ويجعل من يشاء فاسقا وخبيثا . (٦) ويصده بأسباب ذلك . ولا حجر عليه فى ذلك . ولا حكم كذلك يجعل ما يشاء من الأعمال طاعة ، وما يشاء معصية ، ولا حجر عليه فى ذلك . وان لم تقل بذلك لزمك أن تجعل الله تعالى محكوما عليه مغلوبا . وذلك كله على الله تعالى محال .

واما ما ادعيت من النقل (عن)(٧) الأنبياء ، فذلك شىء لا يصح (عنهم)(٨) . أنهم عظموا الصوت والصورة ، بما عظموا به الله حتى عبدوهما - كما تزعمون أنتم - .

وقولكم : أن موسى خاطب الصوت بالربوبية ، زعم وقاح ، وافك صراح . وانما المخاطب بالربوبية المتكلم بالصوت - بزعمكم - الذى قال عن نفسه بالصوت أنا الله ، والذى (يعقله)(٩) العقلاء الذين لا يلعبون بأديانهم ، ولا يجترؤون على ربهم والههم ، أن الصوت موجود يتكلم به ، ولا يتكلم هو عن نفسه .

---

(١) اللام ساقطة من "أ" (٢) فى "ب" (ولعل)

(٣) ليست فى "ب" (٤) فى "ب" (يشاء)

(٥) كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) الأنعام / ١٢٤

(٦) كما قال تعالى (قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب) الرعد / ٢٧

وقال أيضا (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) الاعراف ١٧٨

(٧) فى "أ" (من) وفى "ج" (على)

(٨) فى "ب" (عندهم)

(٩) فى "ب" (يعقلها)

فاذا سمع العاقل قائلا قال بصوت مقطع ، مشيت الى بيت المقدس (١) ، فرأيته مثلا ، لا يشك عاقل فى أن المخبر عن نفسه ، انما هو الذى قام به الصوت لا الصوت . فانه لو كان الصوت هو الذى أخبر بذلك عن نفسه لما صدق عليه ذلك ، ولما صح منه الخبر ، لأنه (لا) (٢) يتأتى منه المشي ، ولا الرؤية .

وكذلك لو قال انسان (مخبرا) (٣) عن نفسه (بقوله) (٤) : أكلت الخبز ، وهذا بيّن بالضرورة .

واذا تقرر هذا ، فالصوت الذى سلمناه جدلا ، الذى تكلم الله به - على زعمهم - لم يقل عن نفسه شيئا ما (ذكروه) (٥) ، انما الله هو الذى (قاله) (٦) مخبرا عن نفسه . واما ما قاله موسى فانما قاله لله تعالى (وله) (٧) اعترف بالربوبية ، واليه تاب ، وله سجد ، واياه عبد ، لا للصوت . وهذا (معلوم) (٨) على القطع والضرورة ، والمخالف فى ذلك جاهل متسامح ، أو معاند متواقح .

وقد كان تقدم من قول السائل الغبى الجاهل ، أن موسى اعترف للصدا بالربوبية ، وأنه الذى قال عن نفسه : أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى ، وأنه هو الذى سجد (له) (٩) موسى ، وعن ذلك الصدا تحمّل موسى الرسالة ، وأنه هو الذى كلم موسى واياه جاوب ، وأنه قام عند موسى مقام خالق فسماه الها .

وربما يظن ذلك الجاهل ، أن هذا الذى قاله اغشتين هو الذى قاله هو . وهيهات ان بينهما ما بين الثرى والثريا (١٠) .

---

(١) ويقصد به مدينة القدس التى احتلها اليهود سنة ١٩٦٧ . والتى تقع فى فلسطين ، والتى يوجد فيها المسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

(٢) فى "ب" (ما)

(٣) فى "ج" (مخبر)

(٤) ألحقت بهامش "أ"

(٥) فى "ب" (ذكروا)

(٦) فى "أ" و "ب" (قال)

(٧) فى "أ" و "ج" (فله)

(٨) وردت فى "أ" (مكررة)

(٩) فى "ج" (اليه)

(١٠) وهو من الأمثال الشعبية فى قلب الجزيرة العربية واصله (اين الثرى من الثريا) يضرب مثلا للبعد الشاسع الذى يفصل بين شيئين. (الأمثال الشعبية ١/٤٢٦)

وغاية كلام اغشتين - وان كان فيه من (المخطئين)(١) - أن يقول : " قد علمنا أن الله (تعالى)(٢) خلق الصوت ، الذى أسمعه لموسى ، كما علمنا أن الله خلق جميع الأصوات ، ولكن وجب علينا الاقرار بذلك الصوت بالربوبية ، ما لم يجب لغيره ، لعلمنا أن الله ولى المخاطبة به "

هذا (نص)(٣) ما فى كتابه على هذا المعنى . ولا يفهم منه شئ مما انتحله ذلك السائل وقد وكلت الناظر العاقل المنصف للوقوف على كلامهما ، وتفهم (معانيهما)(٤) . فانى قد (نصصّت)(٥) على كلامهما فى هذا الكتاب ، وحكيته كى يزول / الارتياب(٦). (٦١)

ويعلم الناظر المنصف ، أن السائل ليس على شئ من الصواب. وانما نبهت هذا التنبيه حذرا من المغالطة والتمويه .

فانى أخاف ان وبخ أحد أقسّة النصارى هذا السائل ، على هذا المذهب الذى اخترعه ، والمحال الذى ابتدعه ، أن يحتج لنفسه ، بأن ينسبه الى أغشتين ، ويكون فى نسبته من الكاذبين .

فمن أراد الانصاف ، فليطرح عن نفسه التعصب والاعتساف ، ويقف على كلامهما متدبرا ، وفيه متفكرا . ولقد كنت أتمنى أن يكون أولئك الأقسّة بين يدّى ، حتى يسمعوا منى ، وينظروا الىّ ، فليس كل ما فى النفس (تبرزه)(٧) المكاتبة ، ثم ليس الخبر كالمشافهة(٨) .

وأما قوله : " واذا وجب اكرام الحجاب باكرام المحتجب ، لم يبق علينا الا النظر فى الحجاب الذى اتخذه منا وهو المسيح " . فنقول : المفهوم من لفظ الحجاب ، انما هو الساتر للشئ ، المانع له(٩) .

---

(١) فى "ب" (المخبطين)
(٢) ليست فى "ب" و "ج"
(٣) فى "ب" (أخصر)
(٤) فى "ب" (معانيه) وما أثبتناه هو الصواب
(٥) فى "ج" (نظمت)
(٦) الارتياب : الشك
(٧) فى "ب" (تبديه)
(٨) وأصل هذا المثل (ليس الخبر كالعيان) انظر كتاب الأمثال لابن سلام / ٢٠٣
(٩) انظر لسان العرب / ١/ ٢٨٩ مادة حجب

فانك تقول : احتجب عنى فلان ، اذا استتر عنك ، وامتنع من لقائك ، والخروج اليك . ولا يصح هنا على مفهوم كلام هذا الرجل ، أن يكون الحجاب هو الساتر، بل هو الكاشف المظهر على قوله (١) ، وذلك أن ارادة الله وذاته ، قبل اتخاذ الصوت والصورة ، لم يكن شيء منها ظاهرا ، فلما اتخذها ظهرت ارادته (وذاته) (٢) . هذا مفهوم مساق كلامه فتدبره .

وهذا يدلك (على) (٣) قلة التحصيل ، (وقصد) (٤) التخليط والتجهيل . واذا كان الناظر من قلة التحفظ ، بحيث يعبر عن المظهر بالساتر ، فعلمه جهل ، ونظره قاصر .

واما قوله فى الشواهد : على اتخاذ (الله) (٥) المسيح حجابا فتهويل . ليس وراءه تحصيل . وذلك أنه قال : ان لم يوجبه القياس ايجاب اضطرار ، فانه يجوّزه تجويز الامكان .

ثم انه تكلم فأكثر ، وذكر القياس الفاسد الذى به كفر ، ثم رجّع حاصل كلامه الى ان قال : لأن اتخاذه الصورة كاتخاذه الصوت ، وهذا كله قد بينا فساده فيما تقدم .

وأما ما ذكره من شواهد الأنبياء (عليهم السلام) (٦) على ما ادعاه من الهذيان والهذر والبهتان على المتعالى (جل) (٧) عن النقصان . فليس له فى شيء من ذلك شاهد ، وحاشا أنبياء الله وكتبه من مذهبه الفاسد .

وغاية تلك الشواهد : أن تدل على رسالة عيسى عليه السلام ، وليست دلالتها قاطعة على (شيء من) (٨) ذلك .

---

(١) لأن قصده من الاحتجاب ، أن الله تعالى تجسد فى عيسى عليه السلام وحل فيه لكى يظهر صورته حتى اذا رأى الناس عيسى رأوا صورة الله - تعالى الله عما يقولون - والاحتجاب فى اللغة : الساتر للشيء والمانع له فيكون بذلك تناقض بين القولين .

(٢) سقطت من "ب"

(٣) ساقطة من "ب"

(٤) فى "ب" (وقصر) وما أثبتناه هو الصواب

(٥) سقطت من "ب"

(٦) ليست فى "ب"

(٧) ليست فى "أ" و "ج"

(٨) سقطت من "ب"

(١)
(فتدبرها بفهمك) ، وخذها بقياس عقلك ، وسيأتى ذكر ذلك وأشباهه فى باب النبوات بعد هذا ان شاء الله (٢)(تعالى) وقد (أتينا على ما أردنا ذكره فى هذا الباب (٣)) .

والحمد لله على أنا أغفلنا كثيرا من ألفاظ أغشتين يمكن البحث فيها . تركنا ذلك لئلا يطول الكتاب ، ويخرج عن الضبط هذا (الباب (٤)) .

على أن هذا من كلامه هو اللب (واللباب (٥)) .

هذا مع أن الأمل ان وافق القدر أن أرد على القس (٦)أغشتين كلامه ، وأبطل من ذلك الكتاب (٧)قصده ومرامه ، (وحسبنا الله) ونعم الوكيل (٨)(ولا حول ولا قوة الا بالله).

كمل الباب (الثانى (٩)) وبكماله كمل الجزء الأول ، والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله (١٠)وسلم يتلوه (الجزء الثانى (١١)من الكتاب)

---

(١) مابين القوسين سقط من " ج "

(٢) ليست فى " ج "

(٣) فى "ب" (وقد اتينا على ما أراد فكرنا ذكره من هذا الكتاب)

(٤) فى "ب" (الكتاب)

(٥) فى "ب" (اللباب)

(٦) ساقطمن "ب"

(٧) سقطت من "أ" و "ج"

(٨) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٩) فى "أ" و "ج" (الأول) وسقط من "ب" (كمل الباب الثانى)

(١٠) فى "ب" مع زيادة (وصحبه)

(١١) فى "أ" و "ج" (الثانى)

(١)
(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

الباب الثالث

في النبوات وذكر كلامهم فيها .

هذا الباب ينقسم قسمين ، أحدهما : نحكي فيه كلام السائل ونذكر الجواب عليه .

والثاني : نتكلم فيه على النبوات ، وعلى اثبات نبوة نبينا محمد عليه (الصلاة والسلام) (٢)

(٦٢) القسم الأول وفيه فصول : /

الفصل الأول : (٣) (في بيان احتجاج أهل الملل الثلاث) (٤)

في حكاية كلامه قال : " ابتدأ احتجاج الثلاث ملل بعون الله : اعلم أن أهل الملل أجمعين (متكافئين) (٥) في ادعاء الايمان ، (حاكمين) (٦) على كل قوم لأنفسهم بالايمان ، ولغيرهم بالكفر .

وقد غلبت عليهم في ذلك (الغواية) (٧) وتأديب الصبا ، ووصية الآباء والأدباء حتى صار ذلك طبعًا فيهم لازما لهم ، فكلهم قد سهل (عليهم) (٨) انتقاص غيرهم ، وطاب عندهم دينهم بالتهنئة في دنياهم عن (معاد) (٩) آخرتهم ، وصاروا في تدبير دنياهم ومعاشهم على خلاف ذلك .

---

(١) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ج " .

(٢) في " ب " (صلى الله عليه وسلم) وسقط من " ج " (الصلاة)

(٣) سقطت من " ب "

(٤) ما بين القوسين لم ترد في نسخ المخطوط بل هي اضافة مني .

(٥) في " ب " (متكافئون)

(٦) في " ب " (حاكمون) .

(٧) في " ب " (العداوة)

(٨) سقطت من " ب "

(٩) في " أ " و " ج " (ميعاد)

لأنك تجد أهل كل ملة يزعمون ، أن غيرهم من الملل ألحف (على كل طلب)[(١)] معايشهم ، وألطف في استجلاب أرزاقهم . وأحسب أن العلة في ذلك : رغبتهم في التكاثر من الدنيا ، هي التي تدخلهم الى التحاسد والمغايرة .

فيعجز كل قوم (أنفسهم)[(٢)] في طلب (مفاشهم)[(٣)] ، وأن الآخرة عند هم مهملة لبعدها عن حواسهم . فلذلك يزعمون - أهل كل ملة - أنهم أحق خيرا من غيرهم .

فلذلك (قلّ)[(٤)] تناصفهم فيها وان طال عصرهم . لأن كل قوم قد قلّدوا سلفهم ، وطاب عندهم خبرهم ، في مدح دينهم ، وذم غيرهم . فاسقط الرجل منهم كل حاسة ، وامات (خواطره)[(٥)] ، وأذهب فهمه يقطع كشفه . عن مصالح ما يستقبله من خبره ، واستعماله اياه بما هو مدبر عنه من دنياه .

ولتجدن الرجل (من)[(٦)] كل ملة ، يروم شراء خرقة يرقع بها ثوبه ، أو (شراك)[(٧)] لنعله[(٨)] ، فتراه يستجير ويستشير خوف السقطة والغلط .

ثم اذا صار الى كشف دينه ومعاده اكتفى فيه بتقليد سلفه ، ثم لا يبالي كيف من خالف ملته ، وانتقض كل خارج عن دينه . فكل يقتحم المناظرة وان لم يحسنها ويراها (فريضة)[(٩)] ، وهو لا يفهمها ، ولم يتخذ شيئا من العلوم (والصناعات)[(١٠)]

---

(١) في "ب" (في طلب)

(٢) في "ب" (لنفسهم)

(٣) في "ب" (معايشهم)

(٤) وردت في "أ" (قد) وما أثبتناه هو الصواب .

(٥) في "ب" (خاطره)

(٦) في "ب" (في)

(٧) في النسخ الثلاث (شركة) وما أثبتناه هو الصواب لأن الشراك هو سير النعل . (اللسان مادة شرك)

(٨) لم أعثر على هذا المثل في كتب الأمثال .

(٩) في "ب" (فرصة)

(١٠) في "ب" (الطاعات) وما اثبتناه هو الصواب .

الا الفضول (١) (معترف) فيها للفضائل لا الجدال والمناظرة . و أن الجميع يدّعون أمرا لا يقدرون على التناصف فيه ، لبعد غايته . لأنهم يختلفون فى البارى الذى لا يدركونه بالحواس ، فيختلفون فى معرفته ، وانما (٢) (يتعارف) الناس (٣) فيما يدرك بالحواس ، ويتصور فى الأوهام (٤) (فينتفع) العقل السليم فى اجابة الحق اذا أدركه وانكشف له .

فلذلك يجادل كل قوم عن دينهم ، ويفضلون أنفسهم على غيرهم ، ويدلك على ذلك : أنك تجد الصقلبيّ العبد (٥) الحبشي ، يقع مرقوقا بيد رجل من أحد الثلاث ملل فيرده الى ملته ، ويورد عليه أخبار سلفه ، فيتقبله منه ، كتقبل الأطفال المغذيين فيه ، وعلته فى ذلك : أنه يجد صدره خاليا من الاخبار المدّونه فى الكتاب ، فيتعلق بما أورد عليه من أخبار من علمه . ويتمكن ذلك (٦) (فى) صدره ، حتى يصير واحدا من أهل الملة فى ادعاء الفضل لها ، وانتقاص أهل غيرها ، والطعن عليهم .

ولو أن مجوسيا دخل بلدنا طارئا أو تاجرا ، فكسّرت عليه مجوسيته ، ووحش لوحدته على البقاء عليها ، عازما على رفضها ، ثم طلب الخروج الى أفضل الثلاث الملل (٧) (المفسدة) عليه مجوسيته ، لتحير وعمي أيتها (٨) (آية) أفضل .

(٩) (فيخرج) اليها اذا وجد كل قوم يدّعون لأنفسهم الايمان ، ولغيرهم الكفر ، ثم تجدهم متكافئين فى ادعاء الآيات ، لأن أهل كل دين يزعمون (١٠) (أن) بيّنة دينهم على آيات قامت ، وبراهين ظهرت .

ولم تجد عند أحدهم آية من تلك الآيات (١١) (التى) زعموا أنها (١٢) (لهم) اضطرت عقل المجوسي (١٣) (الى) الدخول فى / أديانهم . (٦٣)

---

(١) فى "ب" (يتعرف)
(٢) فى "ب" يتعارفون)
(٣) ساقطة من "ب"
(٤) فى "أ" و "ج" (فينفع)
(٥) فى "ب" (والعبد)
(٦) فى "ب" (من)
(٧) فى "ب" (المسدّه)
(٨) سقطت من "ب" والحقت بهامش أ
(٩) فى "ج" (فخرج)
(١٠) ساقطة من "ب"
(١١) فى "ب" (الذى)
(١٢) الحقت من "ب" وسقطت من أ و ج
(١٣) فى "ب" (فى)

ولكن الذى كان يضمه اليه ، حسن نظره ، أن يتوقف حتى يسمع حجتهم ، ويستعمل عقله فى دعواهم ، ليفهم باحتجاجهم (من نبذ الحق)(١) . فكان يجد فى دعواهم أن النصرانى والمسلم مقران (لليهودى)(٢) بأن دينه (أول)(٣) ، وأنبياؤه حـــق .

ثم يقول النصرانى : ان كتابى جاء من بعد ، فنسخ طاعة دين اليهودى .

ثم يقول المسلم: وكذلك جاء كتابى بعد فنسخ طاعة دين النصرانى كما نسخ دين اليهودى.(٤) فاذا كشف المجوسي عما (ادعاه النصرانى أنكره)(٥) وقال : لم يأتى بعد كتابى من الله كتاب .

ثم اذا سأل النصرانى عما ادعاه المسلم أنكر أيضا وقال : (لم يأتى (بعد) كتابى(٦) من الله كتاب)(٧) فوجب على النصراني أن يأتى بالبينة على اليهودى من الكتب التى أقر له بها . فان لم يكن فيها مسيحا منتظرا فلا حجة له عليه ، ولا (تعلق)(٨) له اليه . وان كان فيها مسيحا منتظرا يرجى صلاح الحال (معه)(٩) من سببه ، ووافقت علاماته ، علامات الذى قد جاء وظهر - فاذا كان - فقد اختار النصرانى الرسالة الأولـــى والثانية لنفسه ، وخرج اليهودى عن رضا المعبود بجحده الرسالة الثانية ، ودفعه (لسنته)(١٠) فيما أعقب به فى عناده من الرسالة الثانية .

---

(١) فى "ب" (من يبدى الحق به) (٢) فى "ب" (لليهود) وما أثبتناه هو الصواب

(٣) سقطت من "ب"

(٤) والواقع أن القرآن الكريم هو الناسخ لكل الشرائع السماوية وهو آخر دين نزل من عند الله وأنه الذى سيسأل الله العباد عنه يوم القيامة . قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) المائدة ٣ وقال أيضا (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة مـــن الخاسرين) آل عمران ٨٥

(٥) فى "أ" و "ج" (ادعياه أنكرهما) (٦) ألحقت بهامش "أ"

(٧) ما بين القوسين ورد فى ج هكذا (لم يأتى كتاب من الله بعد كتابى)

(٨) فى "ج" (معلق)

(٩) سقطت من "أ" و "ج"

(١٠) فى "أ" (بسنته)

ثم يحمل المسلم البينة على النصراني من الكتب التي أقر له بها وجامعه عليها . فان لم يكن فيها محمد منتظرا ، فلا حجة له عليه ، ولا (مطعن)(١) له اليه . وان كان فيها محمد منتظرا ، ثم وافقت علاماته علامات الكتب ، فقد أصاب المسلم ، ولزم النصراني الخروج عن رضا معبوده ". ا . هـ .

الجواب عن كلامه : يا هذا أسهبت(٢) وأطنبت ، (وبحبة خردل ما أتيت)(٣) ، كثر كلامك فكثر غلطك ، وقلت فائدته ، - وظهر (فضولك)(٤) ، وسقطك ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كانت النار أولى به .

أعجبت لجهلك بلحنه ، ولم تتفطن لتثبيجه (ولحنه)(٥) . فلقد استسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم(٦) .

فأول خطابك قولك في ترجمتك هذا الفصل " احتجاج الثلاث ملل " ، ثم ضمنته ذكر ملة المجوس ، فكان ينبغي (لك)(٧) أن تقول : احتجاج الأربع ملل ، فان المجوس (أمة)(٨) تدعي أنها أرسل اليها رسول ، وأنزل عليه كتاب .

ثم ان مذهبهم في التثنية - وان كان باطلا - فهو أقل شناعة ، وأبعد عن جحد الضرورة ، (وأدخل)(٩) في مسلك النظر . وان كان فاسدا من مذهبكم ، فانهم يقولون : " ان الموجودات خير وشر ، ولا بد لكل واحد من موجد . فموجد الخير خير ،

---

(١) في "ب" (متعلق) وفي "ج" (معلق)

(٢) أسهبت : أي أمعنت في سير الكلام وأكثرت منه . (انظر النهاية ٢/ ٤٢٨)

(٣) في "ب" (وبفائدة ما أتيت) (٤) في "ج" (قصورك)

(٥) في "ب" (ووهنه) .

(٦) وأصل المثل : فلك مت في غير مكدم ، واستسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم وهذا من رسالة سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته .
والكدم : العض ، والمكدم : موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيئا لا يتمكن منه .
والورم : الانتفاخ ، والسمن ضد الهزال . وأما قوله " ونفخت في غير ضرم " فهذا مأخوذ من قول عمرو بن معدي يكرب حيث قال :

ولو نار نفخت بها أضاءت * ولكن أنت تنفخ في رماد

(رسالة سرح العيون ٣٣٢ - ٣٣٣)

(٧) سقطت من "ج"

(٨) ألحقت بهامش "أ"

(٩) في "ب" (وأكد)

والخير لا يفعل الشر لئلا يكون شريرا ، وموجد الشر شرير لا يفعل الخير ، اذ لو فعل الخير لما فعل الشر" (١) قالوا فلابد من الهين اثنين (يفعل أحدهما الشر والآخر الخير) (٢) .

وهذا كلام يشبه النظر العقلى . وبعد بحث شديد يتبين فساده ، فلهم شبهة فى التمسك بمذهبهم . ولو أورد المجوسي شبهة عليكم ، لصعب عليكم ابطالها ، لكونه يلزمكم من مذهبكم الزامات لا تنفصلون عنها . وأنا الآن أذكر طرفا من ذلك ، حتى يتبين عجزكم وجهلكم هنالك .

واما (مذهبهم) (٣) فى الأقانيم ، فغير مقبول ولا معقول - كما تقدم - وكفى بسه فسادا قولكم ، آلهة ثلاثة اله واحد ، وكذلك مذهبكم فى الاتحاد والحلول على ما مر (٤) .

ومن العجب أنكم تعتقدون مذهب المجوس ولا تشعرون ، بأنكم تنسبون الشرور والاضلال الى غير الله (تعالى) (٥) . وتعيبون علينا اذا نحن فوضنا كل الأمور الى الله تعالى ، وقلنا كل موجود فى العالم / فانما هو موجود بايجاد موجد واحد (٦٤)
وهو الله تعالى .

وهذا والله هو التوحيد الحق ، الذى ارتضاه الله لخلقه ، وكلف به انبياءه (ورسله) (٦) وأنزل به كتبه ، فعين مذهبكم فى هذه المسئلة ، هو مذهب المجوس . فانكسم تنسبون الشرور كلها الى الشيطان وهو عدو الله ، وهو لا يصدر عنه الا الشسر ، وليس الشر من ايجاد الرحمن عندكم ، فانه لا يوجد الا الخير (٧) .

---

(١) انظر مذهب المجوس فى الملل على حاشية الفصل ٢ / ٧٣

(٢) فى " ج " (يفعل أحدهما الخير والآخر الشر) .

(٣) فى " ج " (مذهبكم)

(٤) انظر الباب الثانى (من هذه الرسالة)

(٥) ليست فى " ب "

(٦) سقطت من " ب "

(٧) وقول النصارى أن الله لا يفعل الا الخير ، وأما الشر فهو من الشيطان لا من الله هو عين مذهب الثنوية القائلين بأن الخير من النور والشر من الظلمة . فيلزم =

فعلى مذهبكم هناك خالقان أحدهما : خالق الخير وهو الله ، والآخر خالق الشر وهو الشيطان ، وهذا عين المجوسية (١) ، فصرحوا بها ولا تنكروها ، وأجمعوا بينها وبين النصرانية وتقلدوها .

ثم زعمت على مقتضى ترجمتك ، أنك تذكر حجاج الملل الثلاث ، ولم تف بشيء من ذلك ، ولا ذكرت في كلامك هذا حجة للمسلمين عليكم ، ولا لليهود ، بل ذكرت حجة النصارى الداحضة ، وسكت عن حجة خصومهم (المسلمين) (٢) الظاهرة وهذا أثر التقليد والجمود عليه ، حملك (على) (٣) الاعراض عن حجة خصمك ، لعلك لا تسمع ما يؤدي الى تبكيتك (٤) وقطعك .

ولقد كان ينبغي لك لو كنت من النظار العارفين بأديانهم ، أن تذكر حجج خصومك أجمعين ، فتبحث عنها واحدا بعد واحد ، حتى يتبين لك فيها الصحيح من الفاسد ولكن مع هذا يقبل عذرك (٥) ، ونعلم جهلك ، فانك (واحد) من عوام (المسيحيين) (٦) ، الذين تشبهوا بالقسيسين ، وفي مثلك ينشد :

فسد الزمان فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسؤدد (٧)

=(٧) أن يكون مراد الله أقل وقوعا من مراد الشيطان ، وأن ارادة الشيطان أنفذ من ارادة الله تعالى . ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهذا ما شهدت به التوراة والانجيل والقرآن (المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل ١٣٤)

فمن التوراة " ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر أياتي وعجائبي في أرض مصر" خروج ٧ : ٣)

وفي موضع آخر " ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل" (خروج ١٠ : ٢٠)

وفي الانجيل " لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني " (يوحنا ٦ : ٣٨)

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على ذلك :

(كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو)المدثر ٣١

(١) حيث أثبت المجوس من الثانوية أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر والصلاح والفساد . يسمون أحدهما النور ، والثاني :الظلمة .الا أن المجوس الأصلية زعموا : ان الأصلين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين ، بل النور أزلي والظلمة محدثة . (الملل على هامش الفصل ٢ / ٧٣)

(٢) سقطت من "ب" (٣) في "ج" (عن)

(٤) التبكيت : التقريع والتوبيخ .

=

ولكن لا عليك ، فانما هو جنا يديك ، فاني لأرجو أن يقف على هذا الكتاب جماعة (المطّارين)(١) ويعلموا بما فيه ، أنك مخالف لمذاهبهم أجمعين ، فيخرجوك من بين القسيسين ، ويلحقوك بالرياسين .

ثم قلت : اعلم أن أهل الملل (أجمعين)(٢) ، متكافئين في ادعاء الايمان ، حاكمين على كل قوم لأنفسهم بالايمان ، ولغيرهم بالكفر .

فنقول : أما التكافؤ في الدعوى فنعم ، لكن الفصل يقع بينهما من جهة البينات ، ووقوف العقلاء على حكاية المذاهب والديانات . فان من الأديان ما يدرك فساده بغير نظر ولا برهان . بل بالفطرة التي خص الله بها الانسان ، وذلك دين النصارى الضلال الحيارى .

(رأي أحد ملوك الهند في (٣) المسيحية)

" ولقد حكى أن بعض حكماء الهند ، وكان من الملوك الذين يحكمون بالسياسة المدنية ، الذين لم (يقلدوا)(٤) أتباع ملة دينية ، أنه ذكرت (له)(٥) الملل الثلاث ، فقال : أما النصارى فان كان مناصبوهم من أهل الملل ، يجاهدونهم بحكم شرعي ، فلقد أرى ذلك بحكم عقلي(٦) ، وان كنا لا نرى بحكم عقولنا قتالا ، ولكن استثنى هؤلاء القوم - يريد النصارى - من جميع العوالم ، فانهم قصدوا مضادة (العقل)(٧) وناصبوه العداوة ، وتحلوا ببث الاستحالات .

= (٥) في "أ" (واحدا) والصواب ما أثبتناه لأنها خبر ان

= (٦) في "ج" (بياض)

= (٧) قائله سفيان بن عيينه وصواب بيت الشعر :

خلت الديار فسدت غير مسودّ ومن الشقاء تفرّدي بالسؤدد

(كتاب الحيوان للجاحظ ٣/ ٨٠)

(١) تقدم الاشارة الى معنى المطّارين(٢) سقطت من "ب"

(٣) أخذت هذا العنوان من كتاب أبي عبيده/بين الاسلام والمسيحية ١٥٠

(٤) في "ج" (يتقلدوا) والصواب ما أثبتناه (٥) سقطت من "ب"

(٦) أي أن العقل لا يحكم بالقتال الا مع هؤلاء / بين الاسلام والمسيحية ١٥٠

(٧) في "ب" (العالم) .

مع أنهم حادوا عن المسلك الذى انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، وقد كان لهم فيه كفاية ، ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية الصالحة ، والعقلية الواضحة ، واعتقدوا كل شىء مستحيل ممكنا ، فلم يعزب عنهم شىء (١) ، وبنوا من ذلك شرعا لا يؤدى البتة ، الى صلاح نوع من أنواع العالم ، الا أنه يصير العاقل ، اذا تشرع به أخرق (٢) ، والمرشد سفيها . والمحسن مسيئا ، لأن من كان فى أصل عقيدته ، التى جرى نشؤه عليها الاساءة الى الخالق ، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى ، فأخلق به أن يستسهل الاساءة الى مخلوق .

وكذلك ما بلغنا عنهم فى خلقهم من / الجهل ، وضعف العقل ، والطمع والبخل ، (٦٥)
ومهانة النفس ، وخساسة الهمة ، والغدر وقلة الحياء الا قليلا منهم . فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم الا لعموم أضرارهم ، (التى) (٣) لا تحصى وجوهه ، وكما يجب قتل الحيوان المؤذى بطبعه (٤) ، فكيف وثم من الموجبات ما تقدم ؟ .

فهذا ما بدا لهذا الحكيم فى أول نظرة (من) (٥) مذهبكم على أول وهلة ، وليس بمخاصمكم ولا مناوئكم ، ولا بمتهم باتباع الهوى فيكم . لكن قد تبين الصبح لذى عينيين (٦) ، بحيث لا يشك فيه أحد من الثقلين (٧) . وسترى ذلك واضحا ، ان كنت ذا بصر وبصيرة ان شاء الله (تعالى) (٨) .

---

(١) يعزب : يبعد (القاموس المحيط ١/ ١٠٧) (٢) الأخرق : الأحمق أو من لا يحسن الصنعه .
(المرجع السابق ٣/ ٢٣٤)
(٣) فى "أ" و "ج" (الذى)

(٤) وقد أمر الرسول عليه السلام بقتل الحيات وغيرها من الحيوان المؤذى كما روى البخارى عن ابى لبابه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا تقتلوا الجنان الا كل أبتر ذى طفتين فانه يسقط الولد ويذهب البصر فاقتلوه)

(صحيح البخارى رقم الحديث / ٣١٣٤/ ٣١٣٥ كتاب بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال). وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خمس فواسق يقتلن فى الحرم الفأرة والعقرب والحدباء والغراب والكلب العقور) رواه البخارى رقم الحديث (٣١٣٦) كتاب بدء الخلق - باب خمس من الدواب فواسق يقتلن فى الحرم.) (٥) ساقطة من "ج"

(٦) ورد هذا المثل فى كتاب الامثال لابن سلام /٥٩
(٧) قارن هذا بما فى كتاب بين الاسلام والمسيحية ١٥٠ - ١٥٢
(٨) ليست فى "ج"

ثم قلت : قد غلبت عليهم في ذلك الغواية ، وتأديب الصبا ووصية الآباء والأدباء ، حتى صار ذلك طبعا فيهم . هذا الذى ذكرته لعمرى ، حكم الرعاع الغثر (١) ، والغثاء الغبر (٢) ،

وأما من أمده الله بنور توفيقه ، وبين له سواء طريقه ، فقد تبين له الرشد من الغى (٣) ، والميت من الحي . فقد أخطأت فى اطلاقك هذا الحكم على جميع الملل ، ولم تشعر بما لزمك من الفساد والزلل ، كلا !! بل الذى ذكرته وصف أهل ملتك ، وحلّية عصبتك ، اذ هم أهل تقليد ، ونظرهم غير سديد .

ثم قلت : فكلهم قد سهل عليهم انتقاص غيرهم ، وطاب عندهم دينهم بالتهنئة فى دنياهم ، عن معاد آخرتهم ، (وعدلت) (٤) فى هذا الحكم عن العدل ، فحاق عليك اللوم والعزل . بل فى الملل من لا ينتقص أحدا الا اذا ذمه الشرع . واذا (رأى) (٥) ذا فضيلة ، أو محقا أحبه (وشكره) (٦) بالطبع والطوع ، يهجر فى طلب الحق جميع لذاته ، ويزهد فى جميع مستلكاته . يبتغى بذلك رضا سيده ومرضاته ، يضرب فى طلب الحق الأرض ضربا (٧) ، فيقطعها شرقا ، ويقطعها غربا :

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن وان لقيت معدّيا فعدنان . (٨)

---

(١) الرعاع الغثر : الجهال وقيل للأحمق الجاهل أغثر (النهاية ٣/ ٣٤٣)

(٢) الغثاء الغبر : هو الكدر اللون كالأغبر والأربد (النهاية ٣/ ٣٤٢) .

(٣) اقتباس من قوله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) البقرة ٢٥٦

(٤) فى " ج " (عدلت)

(٥) سقطت من " ج "

(٦) ألحقت بهامش " أ "

(٧) ضربا : أى أسرع وخرج وذهب يطلب الحق فى الأرض .

(القاموس المحيط ١/ ٩٩)

(٨) قائل هذا البيت هو عمران بن حطان .

(انظر حاشية كتاب فصل المقال لابن رشد / ٤٨)

فارق الأهل والوطن ، ولازم (القفر)(١) والعطن(٢) ، فاذا أظفر بالبغية(٣) لبا(٤) وفطن .

أما الدنيا فلا يلتفت اليها ، واما الآخرة فهو مقبل بكليته عليها ، فهو فى كل حال ينشد ، وأحواله تشهد :

وابغضت فيك النخل ، والنخل يانع ... وأعجبنى من حبك السدر والضأل
وأهوى (للقياك)(٥) السماوة والفضا ... ولو أن صنفيه وشاة وعدال(٦) .

فأنت لم تحكم بالسوية ، ولا عدلت فى القضية ، حيث حكمت باعراض كل العقلاء عن الأديان ، وبالتكاثر من الدنيا على كل البريّة . كلا !! لو كان ذلك ، لما بقي منا أحد الا هالك . فراجع نفسك عن هذا الاطلاق ، وتب للواحد الخلاق ، واحتم على أهل طلتك بتلك الخصال والأخلاق . فان رب العالمين يبقى (علينا)(٧) بركة الفضلاء والصالحين .

ثم قلت : وأحسب أن العلة فى ذلك : رغبتهم فى التكاثر من الدنيا ، (هى)(٨) التى تدخلهم الى التحاسد (والمغايرة)(٩) فيعجز كل قوم أنفسهم فى طلب معاشهم ، وأن الآخرة عندهم مهملة .

يا هذا ؟ لقد كثر غلطك ، حتى يعجز الناظر فيه عن احصائه ، وعظم سقطك حتى لا أقدر على استقصائه :

تفرقت الظباء على خراش ... فما يدرى خراش ما يصيد(١٠) .

---

(١) فى " أ " و " ج " (الفقر)

(٢) العطن : وطن الابل ومبركها حول الحوض ، ومربض الغنم حول الماء .

(٣) البغية : المراد (القاموس المحيط ٤/ ٢٥٠)

(٤) لبا : أى تذكر وعقل . (٥) فى " أ " و " ج " (لجواك)

(٦) لم أعثر على قائل هذين البيتين فى الدواوين الشعرية ولا فى كتب اللغة .

(٧) ألحقت بهامش " أ " (٨) سقطت من " ب "

(٩) فى " ج " (المتغايرة)

(١٠) انظر هذا البيت فى كتاب الأغاني للأصفهاني بدون نسبة ١٢/ ٢٢٧ .
والواقع أن هذا البيت تمثل فى بيتين قالها أبو خراش وهما :

=

فتارة يتشبج عليك الكلام ، وأخرى تبدل المدح بالملام !! فربما تريد تمدّح فتذم ، وتظن أنك تحل ربطا وأنت تزم . وانت فى هذا الكلام قد لحنت (فيه) (١) فى عدة مواضع / وأردت أن تقول شيئا فعبّرت عنه بعبارة ، يفهم منها بحكم وضعها (٦٦) خلاف ما أردت أن تقول ، وذلك بيّن عند من تأمله من أهل العقول .

وبالجملة ، فأنت فى هذا الفصل أردت أن تتفصح وتعرب ، فاذا بك تبهم ولا تعرب، على أن كلامك فى هذا الفصل ، قليل الجدوى ، واهي الأصل . فينبغى أن نتعدى أكثر كلامك ، وننزه عقولنا عن الأخذ فى كثير من هذيانك . فان الأخذ فى الخرافات، والاشتغال بالترهات (٢) ، مخل بالعقول والمروءات .

ثم قلت : بعد ذلك كلام ، حكيت فعل السفلة الطغام (٣) ، المعدودين فى رعاع (العوام) (٤) ، لأن كل قوم قلدوا سلفهم ، وطاب عندهم (غيرهم) (٥) فى مدح دينهم وذم غيرهم .

يا هذا ؟ جهّلت كل الانام ، اذ زعمت أن التقليد دأب كل الأقوام ، ولو أنصفت فى القضية (وعدلت) (٦) بالسّوية ، لقلت أن الناس قسمان : قسم ايمانهم برهاني ، وقسم اعتقادهم تقليدى ، هكذا ظهر من أمر أهل الأديان . وأما من لم يتدين بدين ، فينبغى ألا يعد فى (الموحدين) (٧) .

وبعد هذا : ينبغى أن تعلم ، أن أمور الاعتقاد والايمان ، لم يقنع فيها قط أحد من الفضلاء بالتقليد من غير برهان .

= (١٠) ألا من مبلغ عنى خراشا ... وقد يأتيك بالنبأ البعيد

فانك وابتغاء البر بعدى ... كمخضوب اللبان ولا يصيد

(انظر كتاب شرح أشعار الهذليين ٣/٢ ١٢٤٢

(١) سقطت من " ب "

(٢) الترهات : وهى فى الأصل الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم .

والمعنى هنا كناية عن الأباطيل (النهاية لابن الأثير ١/١٨٩)

(٣) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم (لسان العرب ١٢ / ٣٦٨ - مادة طغم)

(٤) فى " أ " (الأعوام) (٥) فى " أ " (كخيرهم)

(٦) فى " ج " (وعزلت) وما أثبتناه (٧) فى " ب " (الموجودين) هو الصواب .

ولأجل هذا حرم الله علينا ، الركون الى التقليد ، وذم من عول في اعتقاده ، على اتباع الآباء والجدود ، فقال تعالى حكاية عن المقلد ، (وذاما له) (١) ، وموبخا له على جهله (بل قالوا انا وجدنا أباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها ، انا وجدنا أباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) (٢) .

فهذا ذم من الله للتقليد وأهله ، وقد أمر بالنظر الصحيح ، وحض على فعلـــه فقال تعالى : (قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (٣) وقال (تعالى) (٤) (فلينظر الانسان مم خلق) (٥) وقال (تعالى) (٦) (أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) (٧) وقال تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (٨) ومثل هـذا كثير ، وكفى شرفا لهذا الدين ، ودليلا على صحته عند (العقلاء) (٩) العاقلين : انه حرم التقليد ، الذي يجر الى الالباس والتجهيل والتفنيد . واستنهض العقول للنظر ، وأوضح لها مسالك العبر ، وأوجب عليها النظر الصحيح المفضي الى العلم . ومن لم يفعل ذلك من العقلاء ، فقد تعرّض للعقاب ، (١٠) والزم ذلك كله ، ليتبين عن

---

(١) في "ب" (وذم أمثاله)
(٢) سورة الزخرف ٢٢ - ٢٤
(٣) سورة يونس ١٠١
(٤) سقطت من "ج"
(٥) سورة الطارق ٥
(٦) ليست في "ب" و "ج"
(٧) سورة الروم ٨
(٨) سورة الحج ٤٦
(٩) في "ب" (الفضلاء)
(١٠) ان أول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي لتحصيل الايمان . والنظر عنده هو وسيلة الايمان الصحيح . حتى بلغ هذا الاصل بالمسلمين أن قـال قائلون من أهل السنة ، ان الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ، ثم لم يصل اليه ومات طالبا غير واقف عند الظن فهو ناج .
(أنظر الاسلام والنصرانية / محمد عبده ٥١)

بصيرة الرشد من الغي ، ويعلم من هو على الحق ممن تحكم في دينه بظلمات التقليد والرأي (١).

وبعد هذا فاني لا (أشك) (٢)، في أنك لا تعرف حقيقة التقليد (٣)، ولا أقسامه ولا أحكامه ، ولا في أي محل يجوز ، ولا في أي محل يحرم ، ولا من الذي يقلد ولا من المقلد (٤).

---

(١) ان حقيقة التقليد عند النصارى يراد به : ما اتصل الى العصور المتأخرة بطريق الاستعمال او النقل باللسان مما لا ذكر له في الكتب المقدسة القانونية ولا عبرة بكونه قد جمع فيما بعد في كتب منظمة .
والتقليد عندهم يقسم الى تقليد اعتقادى وتهذيبى ، فالاعتقادى : ما اتخذ عن المسيح أو الرسل بحسب كونهم منادين بالتعليم الانجيلي وموضوعه اما عقيدة من عقائد الايمان أو مادة من مواد الآداب . وأما التهذيبي : فهو ما أخذ عن الرسل بحسب كونهم رعاة للكنيسة . غير أن البروتستانت ينكرون وجود التقليد الاعتقادى الالهي بسبب أن الكتاب المقدس يتضمن كل عقائد الايمان والآداب ، لكن التعليم الكاثوليكي يقول بوجود تقليد اعتقادى لأنه يوجد تقليدات اعتقادية غير موجودة في الكتاب المقدس وهي متميزة وأن الطريقة التي اختارها المسيح لتوصيل الوحي الى الأجيال المتأخرة ليست هي الكتاب المقدس ، بل هي تعليم الكنيسة المتواصل على مر الأجيال .
(كتاب اللاهوت النظرى ١/١٦٥ - ١٦٦)
انه التقليد الأعمى للكنيسة وللقائمين عليها واذا ما حاولت أن تدعوهم الى الايمان الحقيقي الذى لا يتعارض مع العقل ومع العلم قالوا يكفى ما تأمرنا به الكنيسة والآباء وصدق الله فيهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه أباءنا أولو كان أباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) المائدة ١٠٤ (٢) في " ب " (أسألك)

(٣) التقليد في اصطلاح العلماء : هو العمل بقول الغير من غير حجة . فيخرج العمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمل بالاجماع ورجوع العامي الى المفتي ، ورجوع القاضي الى شهادة العدول فانها قد قامت الحجة في ذلك وعرفه ابن الهمام فقال : التقليد : هو العمل بقول من ليس قوله احدى الحجج بلا حجة . (انظر ارشاد الفحول للشوكاني ٢٦٥

(٤) يراجع تفصيل هذا الموضوع في كتاب ارشاد الفحول ص ٢٦٥ - ٢٧٠)

فان ادعيت أنك تعرف شيئا مما هنالك ، فعجل بالجواب (على)(١) ذلك . ثم قلت : بعد ترديد وتطويل ، من غير افادة علم . ولا شفاء غليل ، فكل يقتحم المناظرة ، وان لم يحسنها ويراها فريضة عليه وهو لا يفهمها ، ولم يتخذ شيئا من العلوم والصناعات الا الفضول .

اعلم : ياهذا ؟ أن الله (تعالى)(٢) أنطقك (ليشرح)(٣) حالك ، فانك عبّرت عن سوء مناظرتك / ونظرك ، بركيك مقالك ، فجهلت حتى توهمت أنك من أهل (٦٧)
النظر ، وأوهمت عند الرعاع أنك من أهل المناظرة والفطر ، كلا ! فلقد ارتقيت مرتقا صعبا(٤) ، وسلكت مسلكا وعرا ، وادعيت دعوى عريضة ، لتخدع بها قلبا ضعيفا ، ونفسا مريضة . ولا بد من سؤالك حتى يتبين (حقك)(٥) من محالك .

فأقول لك : ما حد النظر(٦) وحقيقته ؟ وما أصوله وكم أقسامه ؟ وما أحكامه(٧) وما حقيقة المناظرة ؟ وما شروطها ؟ وكم هي ؟ وما الشيء الذى يطلب بالمناظرة(٨) ؟ وما حقيقة الدليل وكم أقسامه ؟ وكم شروطه ؟ وما وجه الدليل وما المدلول ؟ وكم أقسامه ؟

---

(١) فى "ب" (عن) (٢) ليست فى "ب" و "ج"

(٣) فى "ج" (بشرح)

(٤) وهذا اقتباس من القول المأثور عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عندما جثم على صدر أبى جهل ليقطع رأسه فى غزوة بدر قال كما روى ابن اسحاق فى السيرة " لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعي الغنم "

(٥) سقطت من "ج" (السيرة النبوية لابن هشام ١-٢/٦٣٦ ط٢)

(٦) النظر فى اصطلاح الموحدين : هو الفكر الذى يطلب به من قام به علما أو غلبته ظن . وهو ينقسم الى قسمين : النظر الصحيح : وهو كل ما يؤدى الى العثور على الوجه الذى منه يدل الدليل . واما النظر الفاسد فهو ما عداه . ثم قد يفسد النظر بحيده عن سنن الدليل أصلا ، وقد يفسد مع استناده للسداد أولا لطروء قاطع (كتاب الارشاد للجوينى / ٣)

(٧) يراجع هذا الموضوع فى كتاب الارشاد للجوينى / ٣-١١) وانظر تصور العقل عند القاضى عبد الجبار / ٦٦- ٦٨)

(٨) يراجع هذا الموضوع فى كتاب تصور العقل عند القاضى عبد الجبار/ ٦٩- ٧١)

فان كنت تدعى المناظرة ،فاجبنا عن هذه الأسئلة محاورة ، ثم قلت :وان الجميع يدعون أمرا لا يقدرون على التناصف فيه ، لبعد غايته . لتعلم يا هذا أن (حكمك)(١) على الجميع ، بأنهم لا يقدرون على التناصف حكم خطأ ، فان العاقل المشتغل بما يعنيه ، انما يطلب الحق ليصل اليه ، ويتعرف الباطل (ليتجنبه)(٢) . ومن كانت هذه حاله أنصف وتناصف ، وانما يمتنع التناصف على من غلب عليه التقليد ، وبعد على ما ورثه من الآباء والجدود ، وهو يصمم على أنه على الحق ، فيمنعه ذلك التصميم من البحث والنظر .

ثم (ان تنبه)(٣) لنوع نظر كان كما قال :

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت ... ولا(٤) تلين اذا قومتها الخشب(٥)

فهذا الذى يتعذر عليه التناصف ، وتبعد عليه الغاية المطلوبة . واما من نور الله قلبه وأجزل من المعقولات حظه ، فالتناصف مرغوب اذ الحق مطلوبه ، وفى مثل هذا ينشد :

بعيد على الكسلان أو ذى ملالة ... واما على المشتاق فهو قريب .(٦)

فان قلت : ما ذكرته أنت قليل ، وما ذكرته أنا كثير قلت لك :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها ان الكرام قليل(٧)

---

(١) فى "ب" (تحكمك) وما أثبتناه هو الصواب .

(٢) فى "ج" (ليجتنبه) (٣) فى "ب" (انه نبه) وما أثبتناه هو الصواب

(٤) فى "أ" و"ج" (ولن)

(٥) قائل هذا البيت هو البحترى (أنظر حماسة البحترى /٢٣٥)

وهو منسوب ايضا الى عبد القدوس (مجمع الحكم والأمثال / أحمد قبش/ ٢٥)

(٦) لم أعثر على قائل هذا البيت

(٧) هذان البيتان للسموءل - انظر ديوان السموءل ص ٩٠

وقد أخطأ ناسخ نسخة "ب" فى نقلهما فذكرهما كما يلى :

وما ضرنا انا قليل وجارنا ... فقلت لها ان الكرام قليل

تعيرنا انا قليل عديدنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

ثم ان وجد في (١) (جميع) الخلق واحد بهذه الصفة فقولك فاسد . فانك حكمت على الجميع بحكم قبيح شنيع ، واطلقت القول ولم تخف فيه الزلل ولا الغول .

ثم قلت: " فيختلفون في معرفة البارئ تعالى ، لأنه لا يدركونه بالحواس(وانما يتعارفون ما يدركونه بالحواس") (٢) .

اعلم أن هذا الذى ذكرت لا يصح أن يقال على كل العقلاء ، وانما يصح ذلك على الجهلة الأغبياء .

بل نقول : ان الأغبياء أهل الجهالات يختلفون في الضروريات ، وقد بينا عليكم مواضع كثيرة من اعتقادكم ،خالفتم فيها الضروريات ، وناكرتم المعقولات .

وأما أهل العقول السليمة والفطر المستقيمة ، فلم يختلف منهم اثنان ، في معرفة وجود الله تعالى . وانما (تخالفوا) (٣) في أى وجود وجوده؟ وهذا يعرف في موضعه ، (فلست) (٤) من أهله .

واما تمثيلك بالعبد الحبشي ، فتمثيل ليس وراءه تحصيل ، وذلك أن العبد الحبشي اذا كان عاقلا سليم الفطرة ، فينفى - ما يسمع - كلاما لا يقبله عقله ، يرده (٥) .

واما اذا كان ناقص الفطرة ، مختل العقل ، فيقبل كل محال ، ولا يثبت على حال / (٦٨ ب)

ثم قلت : " ولو أن مجوسيا دخل بلدنا ، فكسّرت عليه مجوسيته ، ثم طلب الخروج الى أفضل الملل " (٦) . أنت توهم بهذا القول ، البراءة عن المجوسية والدعاء الى

---

(١) ألحقت بهامش " أ " (٢) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٣) في "ب" (يتخالفون) (٤) في "ب" (ولست)

(٥) هكذا في النسخ الثلاث . وهو يقصد أن ما لا يقبله عقله يرده .

(٦) لقد ألزم المؤلف هذا النصراني وجعله من المجوس . ولكنه يبقى نصرانيا ، وان كان قد وافق المجوسي في مسألة معينة فيبقى من أهل الكتاب أما المجوسي فليس له أى كتاب سماوى فيبقى النصراني أقرب الى المؤمنين كما أخبر القرآن عنهم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)الآية المائدة. ٨٢

الملة النصرانية ، عساك يظن بك (١) أنك تفحم الخصوم ، أو أنك حصلت من دينك على أمر معلوم .

كلا !! بل لو ناظرك مجوسي لأفحمك ، ولو وزن دينه بدينك في معيار العقل لرجحك ، وقد تبين ذلك فيما تقدم .

ثم قلت : " فكان (يجد)(٢) المجوسي في دعواهم (٣) ، أن النصراني والمسلم مقران لليهودي ، بأنه دينه أول ، وانبياؤه حق .

ثم يقول النصراني : ان كتابي جاء من بعد ، فنسخ طاعة (دين)(٤) اليهود ، ثم يقول المسلم : وكذلك جاء كتابي فنسخ دين النصارى " .

يا هذا البليد ؟ أخطأت على المسلم ، حيث ظننت أن المسلم ، يسلم لليهودي دينه الذي بيده الآن ، ويعترف بأنه أول ، وليس الأمر كذلك ، بل الذي يقول به المسلم : ان الدين جاء به موسى عليه السلام هو حق ، وأنه الأول بالزمان ، بالاضافة الينا واليكم ، وأما اليهود - اليوم - فليسوا على دين عندنا وعندكم ، فعندنا من جهتين ، وعندكم من جهة واحدة .

أحد الجهتين عندنا ، أنهم كفروا بمحمد (نبينا)(٥) صلى الله عليه وسلم . وقد كان الله تعالى أخذ عليهم العهد بالايمان به (٦) ، وبلغهم ذلك على لسان موسى عليه السلام ، وغيره من (أنبيائهم)(٧) عليهم السلام ، على ما ننقله ان شاء الله تعالى .

---

(١) ساقطة من " ب " (٢) سقطت من " ب "

(٣) العبارة في " ب " هكذا : (فكان المجوسي يقول في دعواه)

(٤) سقطت من " ب " (٥) سقطت من " ب "

(٦) والدليل على ذلك قوله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) سورة آل عمران / ٨١

(٧) في " ب " (الأنبياء)

وكذلك نقول في المسيح عليه السلام ، أنهم كفروا به بعد أن أنكروه ، وهذه هي الجهة الأخرى . فهاتان (جهتان)(١) ، وأنتم انما تكفرونهم من جهة واحدة وهي كفرهم بالمسيح .

فقد اتفقنا نحن واياكم على أن اليهود في هذا الوقت ليسوا على دين ، وليسوا بمنتسبين الى شيء من دين موسى عليه السلام(٢) . واذا كان الأمر كذلك ، فكيف جازفت في لفظك ، وقلت على المسلمين والنصارى ما لا يرضون به . ولا يعولون عليه ؟ وهل اطلاقك هذا الا نتيجة جهلك ؟ ومما يدل على نقص عقلك .

ثم انك ادعيت أن النصارى يقولون : أن كتابهم نسخ شرع اليهود . وكيف يصح لك يا جاهل بدينه ، أن تقول هذا ؟ وعيسى (عليه السلام)(٣) يقول في الانجيل الذي بايديكم ، " لم آت لانقض شريعة من قبلي انما جئت لأتممها "(٤) .

فاما أنت هو الكاذب ، أو كتابك هو المحرف الباطل . وسنبين - ان شاء الله (تعالى)(٥) - ما أحدث في الانجيل والتوراة من المناقضة والتحريف ، ما يدل على أنها ليست هي التي أنزل الله .

ومن عجيب أمرك ، وأدل دليل على جهلك ، أنك تدّعي أن كتابك نسخ شرع اليهود وأنت بزعمك ترجع اليه في احكامك . وهل هذا الا تناقض ظاهر ، وجهل فاحش؟

---

(١) في " ب " (الجهتان)

(٢) كما جاء في الرسالة السبيعية بابطال الديانة اليهودية أن اليهود عن بكرة أبيهم في كل مكان يعيشون بغير شريعة التوراة (انظر بذل المجهود في افحام اليهود ٧٢)

(٣) ليست في "ب"

(٤) والنص " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل " (متى الاصحاح الخامس : ١٧)

والواقع أنه ليس للمسيح شريعة جديدة ، فشريعة المسيح عليه السلام كانت شريعة موسى عينها . أما بولس فانه وان ابطل الشريعة الموسوية لم يثبت للمسيح شريعة غيرها بل عوض أتباعه بالنعمة فقط .

(٥) ليست في " ج " (انظر حاشية الانجيل والصليب الأب عبد الأحد ٣٦)

ثم قلت : فاذا كاشف المجوسي اليهودى عما (ادعاه أنكره)(١) وقال : لم يأت بعد كتابى من الله كتاب" . يا هذا ؟ لقد قولت اليهود ما لا يمكنهم قوله ، ولا يسعهم جهله . فان اليهود يعترفون بانه قد كان بعد موسى أنبياء كثيرون ، جاء بصحف، وقرأوا على الناس كتبا كثيرة ، هى بين أيديهم وأيديكم ، اليوم تقرأونها وتحكمون بها . وها أنت قد استدللت بكثير منها ، فى كتابك هذا على اثبات نبوة المسيح . فتلك الكتب التى نقلت منها : اما أن تكون من الله أولا تكون . فان كانت من الله ، فقد أفحمت نفسك ، وأكذبتها ، وصار كلامك ينقض أوله آخره .

مع أن اليهود توافقك ، على أن تلك الكتب والصحف من الله ، وعلى ألسنة (رسل)(٢) الله / على هذا جمهورهم ، وأكثرهم . وان كانت تلك الكتب ليست من الله ، (٦٩) ولا يساعدونك عليها ، فكيف يسوغ لك الاحتجاج عليهم بشىء ليس من كلام الله ولا يسلمونه ؟

فلقد مكّنت من نفسك يا هذا اليهود والمسلمين ، وصاروا على كذلك وخطائك من الشاهدين . فمثلك مثل " الباحث بظلفه على حتفه(٣) ، والجادع مارن أنفه(٤) بكفه .

فلقد لحقت بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا(٥) .

وبعد هذا : (فلتعلم)(٦) أن الذى ينكره اليهود - لعنهم الله - (من الكتب

---

(١) فى "أ" و"ج" (عما ادعياه أنكرهما) (٢) فى "ج" (رسول)

(٣) وأصل المثل : الباحث عن حتفه بظلفه (المثل المقارن /ممدوح حقى / ٤٧) وأصل هذا المثل مثل آخر هو" حتفها تحمل ضأن بأظلافها " ويضرب هذا المثل لمن يوقع نفسه فى هلكة ، وأصله أن رجلا وجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فضربت بأظلافها الأرض فظهر سكين فذبحها به .
(مجمع الأمثال للميدانى ١ / ١٩٢)

(٤) المارن من الأنف : ما دون القصبة والمارنان : المنخران .
(النهاية لابن الأثير ٤ / ٣٢١)

(٥) اقتباس من قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) الكهف ١٠٣-١٠٤

(٦) فى "ب" (فاعلم)

المنسوبة الى الله تعالى) .. (كتابك (١)) وكتابنا لاغير ، (وسنقيم (٢)) واضح الأدلة (٣) ان شاء الله - على من خالفنا .

ثم قلت : " ثم يحمل المسلم البينة على النصرانى ، من الكتب التى أقر له بها ، وحاجه عليها . فان لم يكن فيها محمد منتظرا فلا حجة له عليه ، ولا (متعلق) (٤) له اليه . وان كان فيها محمد منتظرا ، ثم وافقت علاماته علامات الكتب ، فقد أصاب المسلم ، ولزم النصرانى الخروج عن رضا معبوده ". ظاهر كلامك أنك أنصفت، وأنت فى اعتقادك على عليه ما عولت .

ولقد أعلم ، أنك اذا أثبت ذلك عليك من (كتبك (٥)) عدلت وغدرت " شنشنة (٦) أعرفها من أخزم (٧) " ،

واذا كان الغدر فى النفوس الخبيثة طباعا ، فالثقة بكل أحد عجز ، (وما هى أول بركتكم) (٨) ! وأنا أسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم ، باسمائه الحسنى ، وصفاته (العلى (٩)) ، وبحق آدم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم (١٠) ، ومن (١١)

---

(١) ما بين القوسين سقط من " ب " (٢) فى " ب " (كتابكم)

(٣) فى " ب " (وستفهم) (٤) فى " أ " و " ج " (معلق)

(٥) فى " أ " (كتب) (٦) الشنشنة : الخليقة والطبيعة (معجم مقاييس اللغة ٣/١٧٦)

(٧) وهذا المثل يروى عن عمر بن الخطاب قاله فى ابن عباس يشبهه فى رأيه بأبيه . وقيل : ان المثل لجد حاتم بن عبد الله بن الحشرج ابن الأخزم - وكان أخزم من أكرم الناس وأجودهم ، فلما نشأ حاتم وفعل من أفعال الكرم ما فعل قال : هى شنشنة أعرفها من أخزم (كتاب الأمثال ٤٤ وجمهرة الأمثال ١/٥٤١ - ٥٤٢)

(٨) مابين القوسين سقط من " ب " وهذا القول اقتبسه المؤلف من قوله عليه الصلاة والسلام لأبى بكر (ما هذا بأول بركتكم يا أبا بكر) رواه البخارى فى التيمم رقم ٣٦٥ وفى كتاب التفسير أيضا .

(٩) فى " ب " (العليا) (١٠) فى " ب " (صلى الله عليه وسلم)

(١١) فى " أ " و " ج " (وممن)

بينهم من النبيين والمرسلين ، وبالملائكة المقربين ، وأهل طاعته أجمعين . أن يلعن من لا يرجع الى الحق اذا تبين له ، وان يعجل عليه بنقمته في الدنيا ، تكون علامة على غضب الله عليه ، وعلى عذابه في الآخرة العذاب الدائم .

(ثم) (١) نسأل الله العظيم ، أن يفعل ذلك بعزته وكرمه - آمين آمين . والصلاة على خيرته من خلقه .

ثم ينبغي لك أن تعلم ، أن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لم تثبت لنا بطريق واحدة ، بل بطرق كثيرة .

فلو فرضنا أن الأنبياء - صلوات الله عليهم - لم يبشروا به (٢) ، لكانت نبوته ثابتة ببراهين قاطعة كثيرة ، بها عرف نبوته العقلاء الذين لم يقرؤا / قط كتابا ، ولا انتسبوا الى شريعة . وسنوضح هذه الطرق - ان شاء الله تعالى ونبينها - على ما لا يبقى معه ريب لعاقل بحول الله وقوته .

---

(١) ساقطة من " أ " و " ج "

(٢) مع أن هذا الفرض غير قائم لأن القرآن أشار الى بشارة عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى :

(واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الصف / ٦

الفصل الثاني

(١)
(في بيان من هو المسيح المنتظر ؟)

من حكاية كلامه قال : " ومن بينة النصراني على اليهودى ، أن في الكتب التي أقر له بها ، وجامعه عليها (٢) : مسيح منتظر لا يقدرون على جحده ، لأن انتظاره معروف فيهم وظاهر عليهم .

ودل على زمان مجيئه ، أنهم منتظرون له منذ سبيت اليهود ، وبدت الى اليوم .

فاذا قدم لزم اليهود بانتظاره من وقت تفريقهم في الدنيا ، فقد وجب للنصارى أن يقولوا : أنه قد جاء ، والدليل على أنه هو : أن اليهود اختلفت من سببه ، فصارت فرقين على الكفر والايمان (به) (٣) فالفرقة الكافرة هم اليهود ، والفرقة المؤمنة هم النصارى (٤) ، فآمنت طائفة وكفرت طائفة (٥) .

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في نسخ المخطوط بل هو اضافة مني .

(٢) كما جاء في التوراة " لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون " (تكوين ٤٩ : ١٠)

وسيأتي هذا فيما بعد أنه بشارة بنبوة محمد عليه السلام من التوراة .

(٣) سقطت من " ب "

(٤) هاتان الأمتان - اليهود والنصارى - من كبار أمم أهل الكتاب . والأمة اليهودية أكبر لأن الشريعة كانت لموسى عليه السلام وجميع بني اسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام أحكام التوراة . والانجيل النازل على المسيح لم يختص أحكاما من الحلال والحرام ولكنه رموز وأمثال ومواعظ ، وما سواها من الشرائع والأحكام محالة على التوراة . لهذه القضية لم ينقاد اليهود لعيسى وادعوا أنه كان مأمورا بمتابعة موسى وموافقة التوراة فغير وبدل - على زعمهم - وما كان الخلاف ليرتفع بين اليهود والنصارى لأن كل فرقة كانت تقول (ليست النصارى على شئ وكانت النصارى تقول ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب) وكان النبي عليه السلام يقول (لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل) المائدة / ٦٨ (الملل على هامش الفصل ٢/ ٤٨ - ٤٩) =

والكتب أجمع - مع كلامهم - يحتجون بها بعضهم على بعض، يجتمعون على ألفاظها وقراءاتها ويختلفون في تأويلها ، كفعلهم الى هذه المدة .

والذى يستدل به للفرقتين على كفر أحدهما - أن ننظر في الكتب ، ونستدل بها على حالة بني اسرائيل منذ كانت على الايمان / والكفر . فانهم ان كانوا على الكفر، (٧٠)
فانه يلزمهم الذلة ، اذ الذلة والاسرة (والتفرقة)(١) علامة الكافرين ، وموجودة في الكتب أن الله لم يوعد بالثواب (في الآخرة)(٢) لبني اسرائيل على الطاعة والايمان ، وانما وعدهم في الدنيا (٣). فوعدهم عند الطاعة والايمان بالملك والنعمة، والنقمة من عدوهم ، والتثمير لزرعهم وفواكههم . وأوعدهم عند الكفر والعصيان بالتقلب عليهم ، والملك والقهر لهم من عدوهم (٤).

= (٥) وهذا ما أشارت اليه الآية الكريمة : (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة . . الآية) الصف ١٤

(١) في " أ " و " ج " (جاءت) . (التفريقة) . (٢) سقطت من " أ " و " ب "

(٣) وقد جاء في سفر التثنية ما يحتمل المعنيين كما قال : " أليس ذلك مكنوزا عندى مختوما عليه في خزائني لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم . ان يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة " . (سفر التثنية ٣٢ : ٣٤-٣٥)
وهذا النص يحتمل المعنيين : اما الجزاء في الدنيا واما الجزاء في الآخرة . ولكن الأمر في التوراة السامرية واضح وصريح وقد ذكر أبو الحسن السامرى نصا عبرانيا سامريا وبين قوله : " لي انتقام ومكافأة ، وبين قوله : ان أعمالهم عندى مذخورة في خزائني الى يوم الانتقام . يوم عظيم وفرق كبير لأنه بمقتضى نصهم يجوز أن ينتقم الساعة وغدا . وما قبل وما بعد ويجوز أن يكون ذلك في الدنيا ويجوز أن يكون في الآخرة " (يقظة أولى الاعتبار للشيخ صديق حسن خان / ٧ - نقلا عن التاريخ مما تقدم عن الآباء)

(٤) كما في سفر لاويين " اذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها أعطى مطركم في حينه وتعطى الأرض غلتها وتعطى أشجار الحقل أثمارها . . واجعل سلاما في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم . . . . لكن ان لم تسمعوا لي ولم تعملوا كل هذه الوصايا وان رفضتم فرائضي . . . فاني أعمل هذه بكم أسلط عليكم رعبا وسلا وحمى تفنى العينين . . . واجعل وجهي ضدكم فتنهزمون أمام أعدائكم . . . . وأرضكم لا تعطى غلتها وأشجار الأرض لا تعطى أثمارها"
(لاويين ٢٦ : ٣ - ٢٠)
=

فلم يزالوا مؤيدين عند الطاعة والايمان ، ومستعبدين عند الكفر والعصيان " .

فافهم الجواب عنه . اعلم يا هذا أنه لولا أننا نخاف أن تتأبد يهود على كفرهم ، وأن يحملهم ذلك على دوام الاصرار ، وزيادة العناد (لنبهناهم)(١) على مواضع في هذه الأدلة التي ذكرت . تفسد عليك لأجل ذلك أكثرها ، ويبطل عليكم الاحتجاج بها .

ولو فعلنا ذلك (لما)(٢) كان مما يقدح في صحة نبوة المسيح ، فانها ثبتت بطرق أخر . وانما كان يكون (ذلك)(٣) دليلا ، على أنك لا تحسن الاستدلال ، ولا تعرف طرق المناظرة والجدال . ولكن حاشا لله أن أعين اليهود ، أولي اللعنة والعداوة والبغضاء والاحنة(٤) ، على من التزم شرعة المسيح ، وركب منها المنهج الصحيح . وكيف أفعل ذلك ؟ وقد أخبرنا الله على لسان نبيه ورسوله بأنه كان منهم عالمون بالله ، ومصدقون بما جاءهم على لسان محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(٥) فقال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا ، الذين قالوا انا نصارى ، ذلك (بأن)(٦) منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)(٧) .

= (٤) أقول : ان كون الله - كما يقولون - أنه وعدهم عند الطاعة بالملك والنعمة ، وأنه وعدهم عند الكفر والعصيان بالتغلب والنقص في الزروع والثمار لا ينفي أن هناك جزاء آخر في غير هذه الدار وهي الآخرة . والذي يؤيد هذا ما تقدم قبل قليل من كلام أبي الحسن السامري ، ومن النص الوارد في سفر التثنية الذي يحتمل الجزاء في الدنيا أو الجزاء في الآخرة .

(١) في "ب" (لنبهنا)
(٢) ألحقت بهامش "أ"
(٣) سقطت من "ب"
(٤) الاحنة : الحقد والغضب (القاموس المحيط ١٩٧/٤)
(٥) ليست في "ب"
(٦) في "أ" (بأنهم) وهو خطأ من الناسخ .
(٧) سورة المائدة ٨٢ - ٨٤

فهؤلاء (١) (هم) الذين عرفوا شرّعة المسيح عليه السلام ، وعلموا ما عهد اليهم ، من نعت محمد خير الأنام ، فبادروا لتصديقه ، ولم يمكنهم العدول عن طريقه . ولولا حرمة هؤلاء الأولياء ، الذين كانوا منكم ، لما بقي ستر الله عليكم ، لكن كما قال الله تعالى : (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعى (رؤوسهم) (٢) لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (٣) ومع هذا فلا نخلّى هذا الباب من التنبيه على نكت تدل على سوء استدلال هذا السائل خاصة بعون الله .

قلت : يا هذا ؟ " والدليل على أنه هو : أن اليهود اختلفت من سببه فصارت فرقتين على الكفر والايمان به . فالفرقة الكافرة هم اليهود ، (والفرقة) (٤) المؤمنة هم النصارى (فآمنت) (٥) طائفة ، وكفرت طائفة " .

هذا دليل ليس له للدلالة على مجيء المسيح من سبيل ، بل هو عين المذهب الذى تدّعونه ، ويبقى عليك الاستدلال عليه . وان جاز أن يكون مثل هذا دليلا صحيحا على مجيئه ، جاز أن يكون نقيضه دليلا على انتفاء مجيئه . ولا فرق بين ما قلت ، وبين ما يقوله اليهودى ، اذ كل واحد منكم تكلم بدعوى ولم يثبتها ، ولا بد لك من اقامة دليل - فاذكره - فان كلامك الأول ليس بدليل .

فان أخذت تستدل بدليل آخر خلاف ما ذكرت ، فقد أعترفت بأن كلامك الأول ليس بدليل ، وانقطعت وان رجعت ، تستدل بذلك تبيّن جهلك هنالك .

فانظر ما أحسن هذا الدليل ! فلعمرى ما للمستدل به / من النظر (العقلى) (٦) كثير ولا قليل !! (٧١)

ثم قلت : والكتب أجمع - مع كلامهم - يحتجون بها بعضهم على بعض، يجتمعون على ألفاظها وقراءاتها ، ويختلفون فى تأويلها كفعلهم الى هذه المدة " .

تناقضت يا مخدوع ولم تشعر ، وظننت أنك تنتصر ، فاذا بك تستأسر .

---

(١) ساقطة من " ب "

(٢) فى " ج " (رؤوسكم)وهذا خطأ من الناسخ .

(٣) سورة ابراهيم ٤٢ - ٤٣

(٤) سقطت من " ب "

(٥) فى " ب " (وآمنت)

(٦) فى " أ " (العقل)

أفصحت هنا بأنكم يحتج بعضكم على بعض ، ويتضمن ذلك : أنكم تحتجون بالتوراة عليهم . وكيف يصح لك هذا ؟ مع أنك قد ادعيت أنها منسوخة بكتابكم ؟

فان قلت : ان هذا عليهم فى معرض الالزام . قيل لك : فلا تأخذ من التوراة شيئا من الاحكام . ولا تحكم منها (على)(١) شىء بحلال ولا حرام .

ثم ان كلامك هذا يفهم منه : أنهم يحتجون عليكم بكتبهم ، على أن المسيح لم يجىء . واذا اتفق أن يحتجوا عليكم بمثل هذا من كتبكم فقد أفحموكم .

هذا كله على ظاهر كلامك ولم ترد هذا المعنى ، وانما أردت أن تقول : أن الجميع ، قد اتفقوا على ألفاظ الكتب واختلفوا فى تأويلها ، ولم تساعدك العبارة ، (وهذا)(٢) أكثر كلامك .

تريد أن تقول شيئا ثم تعبر عنه بعبارة تدل على خلاف ما أردت ، وسبب ذلك : أنك أدخلت نفسك فى شىء لم تعرفه وتعاطيت ما لم تحسنه . فكنت بمثابة من أدخل نفسه فى سفط ، ثم جاء آخر فشد عليه وربط .

ثم قلت : والذى يستدل به (الفريقين)(٣) على كفر أحدهما : أن تنظر فى الكتب الى أن قلت : ان الذلة والأسرة والتفرقة علامة الكافرين .

وهذا الاطلاق ، لو علمت ما يلزمك عليه ، لاستغفرت الهك منه ، لكنك جهلت ، فاطلقت وحيث وجب أن تمسك أرسلت .

وذلك (أنه)(٤) انصح ما ذكرت ، فلا ذلة ولا أسرة ، ولا تفرقة ، أبلغ من ذلة من يصفع فى قفاه ، ويجعل على رأسه شوك ، وفى يده قصبة ، ويساق للقتل ، وعلى عنقه خشبة ، ويصلب وتسمر يداه ورجلاه وينحر ،(٥) وهو يطلب ماء فيرفع (اليه)(٦) اناء خل .

---

(١) ألحقت بهامش " أ " (٢) فى " ب " (وهكذا)

(٣) فى " أ " (الفرقين) (٤) ألحقت بهامش " أ "

(٥) انظر ما يقوله النصارى عن صلب عيسى عليه السلام فى الأناجيل :
(انجيل مرقس ١٥/ : ١٧ - ٢٧) (ومتى ٢٧ : ٢٦ : ٣٠)
(ويوحنا ١٩ : ٣٠ - ٣٤)

(٦) فى "ب" (له)

وهذا كله بزعمكم ، ولا رتبة فى المذلة أبلغ من هذه . فعلى قولك وسياق دليلك ، يلزمك تكفير المصلوب ، ويحصل لليهودى منكم الغرض المطلوب .

فان كنت عاقلا فليعقل كلامك ولا يكن عارا عليك لسانك .

وقد نصحتك يا فسكل (١) وما أظنك تقبل .

وانما أردت أن تقول - فلم تطاوعك العبارة يا جهول !! - الدليل على مجيئ المسيح المنتظر ، أنه قد ثبت فى (كتب) (٢) الأنبياء عليهم السلام أن الله قال لليهود : " لا يزال ملككم قائما ، وغيركم دائما ما دمتم مؤمنين حتى تكفروا ، فاذا كفرتم أزلت ملككم وأبدلتكم منه ذلا وصغارا وغضبا ونقمة ، وعند ذلك أرسل اليكم المسيح " (٣) ولا يشك أحد فى زوال ملك (يهود) (٤) وانقطاعه ، وفى نزول الذلة والمسكنة عليهم . فلا يشك فى كفرهم ، ولا يشك فى مجىء المسيح وأنهم كفروا به .

ولو هكذا قلت : لما لزمك شىء مما ألزّمت . وهذا الدليل الذى استدللت به على اليهود ، اذا سيق على الطريقة التى ذكرناها ، وصح (نقله) (٥) عن الأنبياء بطريق القطع هو حجة على اليهود ، لا مخرج لهم منها ولا محيص (٦) عنها . على أنه بقى فيه مواضع للبحث اذا انفصل (عنها) (٧) ، تم الدليل (ووضح) (٨) السبيل .

---

(١) فى " أ " (فشكل) وقد وردت هذه الكلمة فى القاموس فسكل بالسين : يقال رجل فسكل : أى متأخر تابع . (القاموس المحيط ٤/ ٣٠)

(٢) فى "أ" (كتاب)

(٣) قارن هذا بما ورد فى سفر التثنية /الاصحاح ٢٨ : عدد ١ وما بعده

(٤) فى " ب " (اليهود)

(٥) فى " ب " (نقلها) وما أثبت هو الصواب

(٦) محيص : مفـر

(٧) سقطت من "أ"

(٨) فى " ب " (فوضح)

الفصـــل الثالـــث

(في بيان قول النصارى أن المسيح المنتظر في التوراة عيسي ابن مريم) (١)

من حكاية كلامه أيضا قال : " وانا اثبت لك أن المسيح قد جاء من كلام الأنبياء .

قال النبي هوشيع بن بادى عليه السلام ، هكذا بكلام عبراني :

" كي باميم ربّيم يا شابو ابانا اسرائيل أن ملخ وأن /صار " فسره " أن (أياما) (٢) (٧٢)
كثيرة يقيموا بني (اسرائيل) (٣) دون ملك ودون مقدم (٤) ؟ فاذا (سأل) (٥) اليهـــودي
الجاحد ان كان لهم اليوم ملك أو مقدم ؟ فلا يكون جوابه ، الا أن يقول : ليس
عندنا ملك ولا مقدم . (فيقال لهم : اذ ليس عندكم ملك ولا مقدم) (٦) .

فاسمع ما قال يعقوب : الذى (كان) (٧) له اثنى عشر ولدا ، (الذى) (٨) منهم يوسف
الصديق صلوات الله عليهم (٩) (الى يوم الدين) (١٠) .

قال الفاضل يعقوب بكلام عبراني : " لويا صور شابات مي يهودا امجو كيك ميّان
رعلان (عاد) (١١) كي يابوا شيلوا ولوا أها هث عميم " . وهذا فسره " لا ينتقض قضيب
الملك من يهوذا وراسم من بين رجليه ، حتى يأتي المسيح وله تطوع الأمم (١٢) .

فيقال له : اذ ليس لكم ملك ولا مقدم ، فقد جاء المسيح ، لقول يعقوب " لا ينتقض
قضيب الملك من يهوذا وراسم من بين رجليه حتى يأتي المسيح " فقد كمل ما قال
يعقوب النبي اذ ليس لهم ملك .

---

(١) ما بين القوسين اضافة مني . (٢) في " أ " (أيام)

(٣) ما بين القوسين سقط من " ب "

(٤) والنص في هوشع " لأن بني اسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس "

(٥) سقطت من " ب " (هوشع الاصحاح الثالث : ٤)

(٦) ما بين القوسين ألحق بهامش " أ "

(٧) في " أ " (كانوا) والصحيح كان وهي ساقطة من " ب " .

(٨) سقطت من " ب " (٩) في " أ " و " ج " (رضى الله عنهم أجمعين)

(١٠) ما بين القوسين سقط من " ب " (١١) في " ب " (عاض)

(١٢) والنص " لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب " . (تكوين الاصحاح ٤٩ : ١٠)

وقال ارمياء النبي عليه السلام في الطائفة الكافرة به ، بكلام عبراني هكذا : " أم يا عمود (موشا) وشموال لقاناى (١) ان نقسي الهاعم هذا شلاح معال فاناى وياساوها ياكي يعروا أناه شاؤامرتا لا هيم هي لما باث أمي تشاني أمي لا راعاب لا راعاب ، وخلاقي جاماتي بام " ا.هـ

اسمع كلام الله على لسان ارمياء النبي . فسره "ان وقف النبي موسى وشموال لا نرضى عن هذه الأمة (ارميهم) (٢) من قدامي ويخرجوا .

فان قال : أين يخرجوا فقل لهم من الموت الى الموت ، ومن الفني الى الفنى ، ومن الجوع الى الجوع ، ويكمل غضبي فيهم " (٣) . فهم في غضب الله لكفرهم بالمسيح الذى قد جاء .

ثم قال الله (تعالى) (٤) على لسان يعقوب النبي الفاضل بلسان سرياني هكذا :

" ألا يا عضا عاث سلطان مد أمات يهوذا وصفوا ميانا بانو هي عاض على ما عاث ، ذايا ياما سيحا داث لاه يلخونا ولاه اشتماعون عاما مايا " .

وهذا فسره كما قاله الله على لسان نبيه يعقوب " لا ينتقض (٥) قضيب الملك من يهوذا وراسم من (أبنائه) (٦) حتى (أن) (٧) يأتي ماشيحا الذى هو المسيح ، الذى له الملك وله تطوع الأمم " (فاذا قد انقطع ملكهم فقد جاء المسيح الذى له الملك وله تطوع الأمم اذ لا لهم ملك ولا مقدم) (٨)

---

(١) في "ب" (من شا) (٢) في "ب" (لد ينهم)

(٣) والنص في ارمياء " وان وقف موسى وصموئيل أمامي لا تكون نفسي نحو هذا الشعب اطرحهم من أمامي فيخرجوا ، ويكون اذا قالوا لك الى أين نخرج أنك تقول لهم هكذا قال الرب الذين للموت فالى الموت والذين للسيف فالى السيف والذين للجوع فالى الجوع والذين للسبي فالى السبي " (ارمياء الاصحاح ١٥ : ١-٢)

(٤) ليست في "ب" و "ج" (٥) في سفر التكوين النص هكذا :

"لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب " (تكوين ٤٩ : ١٠) (٦) في "ج" أنبيائه)

(٧) سقطت من "ب" (٨) مابين القوسين سقط من "أ" و "ج"

وقال الله على لسان ارميا النبي في انقطاع ملكهم بكلام عبراني هكذا " فأضاع أدوناي ياحورأف كل مكان أن اسرائيل " وهذا فسره " قطع الله بشدة غضبه جميع دولة اسرائيل " (١) فافهم : فقد جاء المسيح ، وانقطع ملكهم (٢).

وقد قال الله على لسان ارمياء النبي في اثبات شريعة المسيح ، وايمان (الحواريين) (٣) قائلا بلسان عبراني : " هنا ياميم بايم توم أدوناي واخارتي لابت أت بت اسرائيل ويهوذا بريت حار شالوا اغبريت أشير قادبي ابو ثام ياليوم هوسي ايام مي ارسي مصريم مبيت عابا ضيم "

فسره : يقول الله " واثبت لبيت اسرائيل ويهوذا عهدا جديدا ليس كالعهد الذي قلت لآبائهم ، في اليوم الذي أخرجتهم من أرض مصر من بيت العبودية (٤).

فبين الله بهذا الكلام ايمان (الحواريين) (٥) والتابعين لهم ، كما قال الله في موضع آخر ، على لسان ارمياء النبي بلسان عبراني عن ايمان (الحواريين) (٦) قال :

" اشريوا بافيم شوبابيم نوم أدوناي كي أنوخي باعلتي باخيم والا كحتي اتخيم احاد (معير) (٧) اشنايم مي مشباحا وهابا تي اشخيم سيون "

فسره : " ارجعوا يا أولاد اللجاجة فاني أنظرت فيكم وآخذكم واحدا من مدينة واثنين من عشيرة وادخلكم الى صهيون ، وكذلك آخذ الحواريين واحدا من مدينة

---

(١) والنص " ارجعي أيتها العاصية اسرائيل يقول الرب لا أوقع غضبي بكم لأني رؤوف يقول الرب " (سفر ارميا / الاصحاح الثالث / ١٢)

(٢) لقد كان اليهود أصحاب دولة وملك الى ظهور المسيح ثم انقضى ملكهم. فان لم يكن لهم ملك فقد لزمهم من التوراة أن المسيح قد أرسل . ونقول لهم أيضا : أليس منذ بعث المسيح عليه السلام قد استولت ملوك الروم على اليهود وبيت المقدس ، وانقضت دولتهم وتفرق شملهم ، فلا يقدرون على جحد ذلك الا بالبهتان ويلزمهم على أصلهم الذي في التوراة : أن عيسى ابن مريم هو المسيح الذي ينتظرونه وهذا فيه الزام لليهود بنبوة المسيح عليه السلام التي ينكرونها .

(٣) في " أ " و " ج " (الحواريون) . (بذل المجهود في افحام اليهود / ٢٩)

(٤) والنص " ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم " . (ارمياء الاصحاح ٣١ : ٣١ - ٣٢)

(٥) في ج (الحواريون) (٦) في ج (الحواريون) ولعله خطأ من الناسخ

(٧) في أ و ج (عيد)

واثنان من عشيرة "(١). ثم قال لضيق الآية : " وانا تتى لا خيم روعيم/ كلبى " (٧٢)
فسره : ونعطايكم رعاة كقلبى "(٢)

" واراع أشخيم راعاه واهسكال (٣) (ويرعوكم) (٤) بالمعرفة والفهم "(٥) وكذلك جعل من (الحواريين)(٦) أئمة ورعاة يعلموا الناس المعرفة والفهم . ثم قال لضيق الآية فى ألا يعمل بالعهد البالي " واها ياكي تربوا فريتم بأريش بالبوميم هاهما نوم أدوناى لو يمروا غورا رون بريث أدوناى ولو ياعلا على لاب ، ولو يز كان وابوا ولوا يفقوذوا ولو باعا ساعور " .

فسره : " ويكون اذا كثرتم وتنموا فى الأرض فى تلك الأيام . يقول الله : لا تقولوا أبدا بتابوت عهد الله ، ولا يصعد على قلب ، ولا يذكر به ولا يعتقده ، ولا يعمل به أبدا .(٧) فاعلم أنه (آمن الحواريين)(٨) والتابعين لهم من الأمم .

ثم قال سليمان الفاضل " لم أتعلم علما وعرفت معرفة المقدسين "(٩) فافهم أيها الانسان ، ماهى معرفة المقدسين ، الذى لا يمكن لأحد أن يكون مقدسا ، الا أن عرفها وآمن بها حقيقة الايمان ؟ قال : " من صعد الى السماء وهبط من قبض الأرواح فى كفيه من جمع الماء فى ثوب ".(١٠)

---

(١) والنص : " ارجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب لأنى سدت عليكم فآخذكم واحدا من المدينة واثنين من العشيرة وآتى بكم الى صهيون (ارمياء الاصحاح ٣ : ١٤)

(٢) والنص " واعطيكم رعاة حسب قلبى " (ارمياء ٣ : ١٥)

(٣) فى "ب" (يدعونكم) (٤) فى "ج" (الفهم)

(٥) والنص " واعطيكم رعاة حسب قلبى فيرعونكم بالمعرفة والفهم " (ارمياء ٣ : ١٥)

(٦) فى "ج" الحواريون)

(٧) والنص " ويكون اذ تكثرون وتثمرون فى الأرض فى تلك الأيام يقول الرب أنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يصنع بعد فى ذلك الزمان " (ارمياء ٣ : ١٦ - ١٧)

(٨) فى "ب" و "ج" (أمنوا الحواريون) وما أثبتناه هو الصواب .

(٩) والنص : " ولم أتعلم الحكمة ولم أعرف معرفة القدوس " (أمثال ٣٠ : ٣)

(١٠) والنص : " من صعد الى السموات ونزل من جمع الريح فى حفنتيه . من صر المياه فى ثوب من ثبت جميع أطراف الأرض " (أمثال ٣٠ : ٤)

ثم قال بكلام عبراني (١) " مي هاكيم كل افساريس مشموا أمشم بنوا " فافهم ؛ (فسره) " وكن عاقلا مدبرا ترشد . " قال سليمان " مي هاكيم كل افساريس مشموا امشم بنوا فسره : " من أقام جميع أقطار الأرض ؟ ما اسمه واسم ابنه " ؟(٢)

ثم قال (لضيق الآية) (٣) بالعبراني : " كل أمرات الواه صروفا ماغين هولات ضمول ها حوسيم بو " فسره : " جميع كلام الله ترس منير هو لجميع (الوارغين) (٤) به " (٥) فافهم .

ثم قال الله على لسان ارمياء النبي بكلام عبراني " هنا يا ميم بايم نوم أودناى وازراعتى لا يس اسرائيل ولبيت يهوذا زيرع آدام وزيرع ببهيما ".

فسره " هذا يوم يأتي يقول الله ونزرع في بيت اسرائيل وبيت يهوذا نسل آدمي ونسل بهيمي " (٦) فكان النسل الآدمي الحواريون المؤمنون بالمسيح عند اقباله والتابعين لهم .

---

(١) سقطت من " ب "

(٢) والنص كما في سفر الأمثال " من ثبّت جميع أطراف الأرض . ما اسمه وما اسم ابنه " (سفر الأمثال ٣٠ : ٤)

(٣) في " ب " (بضيق ايمانه)

(٤) في " أ " و " ب " (الواثقين) وما أثبت هو الصواب .

(٥) والنص كما في سفر الأمثال " كل كلمة من الله نقية ترس هو للمحتمين به " (أمثال ٣٠ : ٥)

(٦) والنص " ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا ليس كالعهد الذى قطعته مع أبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب اجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم الها وهم يكونون لى شعبا . . . كلهم سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم يقول الرب لأني أصفح عن اثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعد " (ارمياء / الاصحاح ٣١ : ٣١ - ٣٤)

وكان النسل البهيمي اليهود (الجاحدين)(١) للمسيح . وكذلك الحوارى يحي الذى اسمه (جوانش)(٢) قال " من لم يأمن ولم يتمادى فى تعليم المسيح فلا اله له "(٣) فافهم ترشد .

اعلم انى كتبت لك بالعبرانى والسريانى (من شهادات الأنبياء عن الله ، من الكتب التى بأيديهم ، وأن اليهود لا يقدرون على انكار حرف منها ان احتج معهم بها بالعبرانى والسريانى)(٤) كما نطقت به الأنبياء صلوات الله عليهم(٥) فى اثبات اقبال المسيح ، وايمان (الحواريين)(٦) والتابعين لهم . وفى اطراح اليهود الملاعين الجاحدين للمسيح سيدنا فافهم .

الجواب عما ذكره

يا هذا المخدوع ؟ ظننت السراب ماء(٧) والأرض سماء ، فاستسمنت ذا ورم ونفخت فى غيرضرم(٨) .

اعلم يا هذا ؟ أنه لا يقبل منك فى هذا المقام الاستدلال بالظنون والأوهام . ان المطلوب فيه تحصيل العلم القطعى ، واليقين البرهانى . فلا يحصل لك شيء من ذلك حتى تعلم صحة ما استدللت به هنالك . ولا تعلم صحة شيء مما ادعيته دليلا قاطعا ، مفيدا للعلم الا بعد معرفتك بأن هذه الكتب التى استدللت بها ،

---

(١) فى " ج " (الجاحدون)

(٢) فى "ب" (حواش)

(٣) والنص " كل من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح فليس له الله " (رسالة يوحنا الثانية /٩)

(٤) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٥) فى " أ " و " ج " (رضى الله عنهم)

(٦) فى " ج " (الحواريون)

(٧) وأصل المثل (ليس بأول من غره السراب) والمعنى أن رجلا رأى سرابا فظنه ماء فلم يتزود الماء من أجله . (المرجع كتاب الأمثال لابن سلام ٢١٣ ومجمع الأمثال للميدانى ٢/ ٦٤)

(٨) تقدم الاشارة الى معنى هذا المثل .

أهي من عند الله ، وانها بلغتك عن الله على ألسنة الصادقين ؟ ولا تتوصل الى معرفة شيء من ذلك الا بعد معرفتك بالنبوات وحقيقتها ، ودلائل صحتها العقلية .

ولا تتوصل الى ذلك حتى تعلم حدوث العالم وأنه موجود بعد (عدم) (١) وتعلم أن له محدثا ، وأن محدثه موجود حي عالم قادر مريد موصوف بصفات / الكمال ، حتى (٧٤) يصح منه ارسال الرسل وتأييدهم بالأدلة . وكل ذلك انما يعرف بأدلة (عقلية) (٢) ، ولا (يصح أن) (٣) تعرف بأدلة سمعية . فان السمع لا يثبت الا بعد ثبوت هذه الأصول . فاذا وصلت الى هذا المحل ، وسلمت من التعثر بأذيال الزلل :

وكم دونها من مهمه ومفازة وكم أرض جدب دونها ولصوص . (٤)

فحينئذ يجب عليك أن تنظر فيما ألقى الصادقون اليك . فان كنت ممن تسمع (منهم) (٥) كلامهم ، وتشافه بنفسك خطابهم ، فقد سقطت عنك معرفة طرق النقل وشروط التحمل والحمل ، ولزمتك معرفة اللغة التى يتكلم بها الصادقون ، فتعرف مقاطع الكلمات ، وكيفية النطق من اختلاف بسكون أو حركات . وتعرف فرق ما بين الحقيقة والمجاز ، والنص والظاهر والمجمل والمأول ، والعام والخاص والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ (٦) الى أمور كثيرة تعرف في علم الأصول .

وان كنت ممن لم يسمع من الصادقين ، فلابد لك من أن تنظر فى الذى بلّغك ذلك الدليل على يديه ، ان كان يجوز (عادة) (٧) عليه الغلط والسهو أو لا . فان كان ممن يجوز عليه الغلط والسهو (عادة) (٨) ، فلا يلتفت الى خبره فى هذا المقام .

---

(١) فى "ب" (عدمه)
(٢) فى "أ" (قطعية) وما أثبتناه هو الصواب لأن ما يقابل الأدلة السمعية النقلية هو الأدلة العقلية .
(٣) ألحقت بهامش "أ"
(٤) لم أعثر على قائل هذا البيت فى دواوين الشعر ولا فى كتب اللغة .
(٥) سقطت من "ب"
(٦) انظر أصول الفقه لابى زهرة . وسنشير الى كل واحد منها بتعريف موجز فى الصفحات القادمة .
(٧) سقطت من "ب"
(٨) ساقطة من "ب"

وهذا النوع هو الذى يسمى عندنا أخبار الآحاد (١) ، ولها محل تقبل فيه بعد مراعات شروط ويعرف كل ذلك فى موضعه .

واما مثل (هذا) (٢) الذى تصديت له ، فلا يتوصل اليه بهذا الطريق ، فان المطلوب هنا حصول العلم . ولا يحصل العلم بقول من يجوز الخطأ والسهو عليه فى خبره . وان كان مما لا يجوز عليه شيء مما ذكرناه عادة فهو الذى يحصل العلم بقوله ، وهو العدد الكثير الذى تحيل العادة عليهم الكذب . وهذا الخبر هو الذى يسمى المتواتر (٣) . والتواتر له شروط وأحكام (يعرف) (٤) فى موضعه .

---

(١) خبر الآحاد : هو ما عدا المتواتر . فدخل فيه المستفيض المشهور وهو : ما زاد نقلته على ثلاثة عدول . وخبر الآحاد : ان كان مستفيضا مشهورا أفاد علما نظريا كما نقله العلامة ابن مفلح وغيره عن ابى اسحاق الاسفراييني وابن فورك وقيل : يفيد القطع . وغير المستفيض من سائر أخبار الآحاد يفيد الظن فقط ولو مع قرينة عند الأكثر لاحتمال السهو والغلط .

(انظر لوامع الأنوار البهية ١/ ١٧)

وقد جاء ابن تيمية وخالف من سبقه فى خبر الآحاد فقال :

" فالخبر الذى رواه الواحد من الصحابة والاثنان اذا تلقته الأمة بالقبول والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء . ومن الناس من يسمى هذا المستفيض . والعلم هنا حصل باجماع العلماء على صحته "

(مجموع الفتاوى ٨/ ٧٠)

(٢) ساقطة من "ب"

(٣) الخبر المتواتر : التواتر لغة : تتابع شيئين فصاعدا بمهلة .

واصطلاحا : خبر عدد يمتنع معه لكثرته تواطؤ على كذب ، عن محسوس أو عن عدد كذلك الى أن ينتهى الى محسوس من مشاهدة أو سماع .

(لوامع الأنوار البهية ١/ ١٥)

(٤) فى "ج" (تعرف) .

فاذا تقررت هذه المقدمة ، فأنا أسألك سؤال منصف لا (مصنف) (١) ، وأقسم عليك بين يديك قسم متلطف لا متعجرف ، هل توفرت لديك هذه الشروط ؟ أم هل أكثرها عندك مطرح مسقوط . ؟ فان أنصفت واعترفت ، علمت أنك على العلم بها ما حصلت . فينبغى لك أن تطلب حصول العلم من بابه ، وأن تجتهد فى تحصيل أسبابه . وان ادعيت علم ذلك ، علم أنك مغالط معاند ، جائر عن الحق وحائد .

وكفى بكلامك - فى كتابك - هذا على كذبك شاهد .

ثم على قرب تفتضح اذا غرست (٢) عن جواب ما عنه سئلت . فعجل بالجواب (والاتيان) بالكتاب . وان أبيت الا تماديا فى غيّك (٣) ، واستمرارا على جهلك وبغيك ، أريناك اختلال هذه الشروط عندكم عيانا ، وأقمنا على فساد كتبك حجة وبرهانا .

وذلك أنا نقول : ان من أعظم كتبكم التى ترجعون اليها ، وتعولون فى احكامكم عليها : التوراة والانجيل ، وكفى بهما شرفا وشهرة أنهما عندكم كلام الملك الجليل . وانتم تدّعون أنكم تناقلتموها جيلا بعد جيل .

وأنا أبين - ان شاء الله - أن نقلهما انما (هو) (٤) بطريق الآحاد ، وأن الغلط والسهو يجوز على ناقليها (وهما يبطلان منها المراد) (٥) .

وأذكر ان شاء الله بعض ما وقع فيها من التناقض والتحريف والقلب والتصحيف ، وأنبه على قبيح ما تنسبونه فيهما الى الله من القول السفساف (٦) السخيف ، وما تنتقصون به الأنبياء أولى الفضل والتشريف ، بحول الله (تعالى) (٧) وحسن عونه .

وأبدأ بالتوراة (لكونها) (٨) مقدمة فى الرتبة والزمان ، ومعترفا بها عند أولى الأديان (وبالله المستعان) (٩) ./.

(٧٥)

---

(١) فى "أ" (مسف) (٢) فى "ج" (ولا تتأن)
(٣) فى "أ" و"ج" (واستمرار) (٤) ألحقت بهامش "أ"
(٥) فى "أ" و"ج" (وهما منهما يبطلان المراد)
(٦) السفساف : الردىء من كل شيء والأمر الحقير (القاموس المحيط ٣/ ١٥٧)
(٧) ليست فى "ب" (٨) سقطت من "ب"
(٩) سقطت من "ب" و"ج" .

فصـــــل

في بيان بعض ما طرأ في التوراة من الخلــــل

وانها لم تنقل نقلا متواترا ، فتسلم لأجله من الخطأ والزلل .

فأول (دليل)(١) أنها لم تترك على ما كانت في الألواح التي كتبها الله (تعالى)(٢) لموسى ، ولا على ما (انتسخها)(٣) لهم موسى بل زيد فيها - (ولا بد)(٤) - ماليس فيها ، ولا كان في الألواح التي كتبها الله لموسى .

ويدل على ذلك : أن في آخر السفر الخامس(٥) " أن موسى " ، توفي في أرض مؤاب ، ودفن في الوادي في أرض مؤاب بازاء بيت (فغورا)(٦) ، ولم يعرف انسان موضع قبره الى اليوم "(٧) .

وكان قد أتى على موسى ، اذ توفي مائة وعشرون سنة ، ولم يضعف بصره ، ولم يشيخ وجهه . وبكى بنوا اسرائيل على موسى (ثلاثين)(٨) يوما في عريب مؤاب . فلما تمت أيام حزنهم على موسى امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة ، لأن موسى كان وضع يده على رأسه في حياته . وكان بنو اسرائيل يطيعونه ويعلّمون كما أمر الرب موسى "(٩)

---

(١) في "ج" (ذلك) (٢) ليست في "ج"

(٣) في "ب" (نسخها) (٤) سقطت من "ب"

(٥) ما بين القوسين سقط من "أ" (٦) في "ب" (بغورا)

(٧) والنص "فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم"

(٨) في "أ" (ثلاثون) (تثنية ٣٤ : ٥ - ٦)

(٩) والنص "وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكلّ عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو اسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوما ، فكملت أيام بكاء مناحة موسى ، ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة اذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو اسرائيل ، وعملوا كما أوصى الرب موسى ".
(سفر التثنية ٣٤ : ٧ - ٩)

ولا يشك الواقف على هذا التاريخ وهذه الوفاة أنها ليست مما أنزل الله على موسى ، ولا مما كتبها موسى (عن)(١) نفسه ، وانما هي من اثبات من أراد أن يثبتها بعد وفاة موسى بزمان .

ويدلك على ذلك : قوله : " ولم يعرف انسان موضع قبره الى اليوم "(٢) ، يريد (الى)(٣) اليوم الذى كتب فيه هذا . وهذا بيّن عند المنصف . ومع بيانه ، فليس أحد من اليهود والنصارى - فيما أعلم - (يقول : أن التوراة)(٤) زيد فيها شيء بعد موسى ، ولا يفرق بين هذا الكلام وغيره . بل هي كلها عندهم كلام الله ، وهذا جهل عظيم ، وخطب جسيم .

فهم بين أمرين : اما أن يقولوا أن هذا الكلام هو مما كتبه الله لموسى ، وأخبر به موسى ، أو يقولوا : أنه ليس مما أخبر الله به موسى ولم يخبر به موسى .(٥)

---

(١) فى " ب " (علي)

(٢) قارن هذا الرد بما ذكره ابن حزم فى الفصل ١/١٨٦ .

(٣) سقطت من " أ "

(٤) ألحقت بهامش " ب "

(٥) ان أحبار اليهود يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى البته لأن موسى صان التوراة عن بني اسرائيل ، ولم يثبتها فيهم . وانما سلمها الى عشيرته أولاد لاوى ودليل ذلك قول التوراة "ويختوب موسى آث هتود هزوث وتيناه الهكوهيم بنى ليوى" تفسيره " وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى الأئمة بنى لاوى " (التثنية ٣١/٩) وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم . لأن الامامة وخدمة القرابين وبيت المقدس كانت موقوفة عليهم ، ولم يبذل موسى من التوراة لبنى اسرائيل الا نصف سورة يقال لها (ها ازينوا) فان هذه السورة من التوراة هى التى علّمها موسى لبنى اسرائيل . وذلك قوله : (وكتب موسى هذه السورة وعلّمها بنى اسرائيل "

وقد قال الله لموسى عن هذه السورة " تكون لي هذه السورة شاهدة على بنى اسرائيل ولا تنسى هذه السورة من أفواه أولادهم " (التثنية ٣٢: ٤٥-٤٦)

وهذا دليل على أن موسى لم يعط بنى اسرائيل من التوراة الا هذه السورة أما بقية التوراة فرفعها الى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم .

(بذل المجهود فى افحام اليهود للسموأل بن يحيى ٤٢ - ٤٣)

فان قالوا الأول . كذبهم مساق الكلام ، فان المفهوم منه على القطع ، أنه كتب بعد وفاة موسى بزمان . وان قالوا (بالقول) (١) الآخر ، قيل لهم : فلأى شئ خلطتم كلام الله بكلام غيره ، وأجريتموها فى نسق واحد ، وزدتم على كلام الله ولم تشعروا بذلك ، بل نسبتم كل ذلك الى أن الله أنزله ؟ .

واذا جاز زيادة مثل هذا ، ولم يتحرز منه ، جاز أن يكون كل حكاية فيها (لا يصح (٢) (نسبتها) الى الله زائدة ، ولا سيما الحكايات الركيكة التى تحكى فيها) (٣) عن الأنبياء ، التى لا يليق ذكرها بسفلة الناس .

وغالب الظن - ولا يعلم الغيب الا الله (٤) (تعالى) (٥) - أن السفر الأول ، الذى هو سفر البدء والانساب ، مما زيد على كلام الله تعالى ، ولم يشعروا بزيادته .

ومما يدل أيضا على هذا المعنى : أن كثيرا مما يجئ فيها ،" وكلم الرب موسى ، وقال له اقبض حساب بنى جرشون " (٦) . وكلم الرب موسى وقال له كلم بنى اسرائيل ، (٧) ومثل هذا كثير . (٨)

وهذا يدلك أنه ليس مما قاله الرب - جل ذكره - لموسى (٩) ، ولا مما قاله موسى لهم ، أعنى لفظ وكلم الرب موسى . وقال له (١٠) وما أشبهه (من) (١١) لفظ الحكاية عنه . وانما هو شئ حكى عنه بعد انقراضه ، وأضيف الى كلام الله .

---

(١) سقطت من "ب" (٢) ألحقت بهامش "أ"

(٣) مابين القوسين سقط من "ب"

(٤) مصداق لقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) سورة الجن ٢٦ - ٢٧

(٥) ليست فى "ب" و "ج"

(٦) والنص " وكلم الرب موسى قائلا خذ عدد بنى جرشون " (عدد ٤ : ٢١)

(٧) والنص : " وكلم الرب موسى قائلا كلم بنى اسرائيل " (عدد ١٥ : ١)

(٨) انظر سفر العدد ١٧ : ١) وانظر عدد ١٨ : ٢٥)

(٩) ليست فى "ب" و "ج" .

(١٠) فى سفر العدد " وكلم الرب موسى قائلا " (عدد ٦ : ١)

(١١) فى "ب" (فى) .

ثم لا يعرفون من الحائي . واذا جاز مثل هذا - ولا يشعرون به - جاز أن يكون أكثرها مغيرا ومبدلا ، وليس من كلام الله ولا من كلام موسى ولا يشعرون به .

ومن وقف عليها متتبعا لهذا المعنى ، قطع بأنها زيد فيها ما ليس منها ، وعند انكشاف الغبار يتبين أفرس تحتك أم حمار (١) ، ماء ولا كصداء (٢) ومرعى ولا كالسعدان (٣) .

ولقد حفظ الله القرآن العظيم فقال (تعالى) (٤) (انا نحن نزلنا الذكر (وانّا له لحافظون) (٥) (٦) ولقد كره علماؤنا / - رضي الله عنهم (٧) - كتب التعاشير وأسماء (٧٦) السور في المصحف ، وان كانت بخط آخر ، ولون آخر .

وقد اتفقوا - فيما أحسب - على أنه لا يجوز كتب فواتح السور - يعني اسماءها - بخط المصحف وبلون مداده لئلا (يختلط) (٨) به ما ليس منه ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم والنهج المستقيم .

---

(١) وأصل المثل : سوف ترى وينجلي الغبار أفرس تحتك أم حمار

يضرب هذا المثل لمن ينهى عن شيء فيأبى . (مجمع الأمثال ١/ ٣٤٤)

(٢) وأصل المثل : (ماء ولا كصداء والصداء : ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها ومناسبة قول هذا المثل : كما يقول ابو عبيد : أن زوجة لقيط بن زرارة التميمي تزوجها رجل من بعده من قومها ، فقال لها يوما : أنا أجمل أم لقيط ؟ فقالت هذا المثل ومعناه : أى أنت جميل ولست مثله .

(كتاب الأمثال لابن سلام ١٣٥)

(٣) قال أبو عبيد : وأما السعدان : فشيء تعتلفه الابل ، وهو من أفضل مراعيها . ومناسبة هذا المثل : كما حكى عن المفضل أنه كان هناك امرأة من طيء كان تزوجها امرؤ القيس وكان مفركًا فقال لها أين أنا من زوجك الأول فقالت له المثل ومعناه : أى أنك وان كنت رضا فلست كفلان .

(كتاب الأمثال / ١٣٥)

(٤) ليست في "ب" و "ج" (٥) ما بين القوسين سقط من "ج"

(٦) سورة الحجر / ٩

(٧) في "ب" (رضوان الله عليهم)

(٨) في "أ" (غلط) والصواب ما أثبتناه .

وأما بيان أنها ليست متواترة : فهو أن اليهود - عن بكرة أبيهم - (يعترفون)(١) ولا ينكرون أن التوراة انما كانت (طول)(٢) مدة ملك بني اسرائيل عند الكوهان الأكبر الهاروني(٣) وحده ، وعنه تلقيت(٤) . ولا ينكر ذلك منهم ولا منكم الا مجاهر بالباطل .
وكذلك ما يحكى من قتل نبوخذ نصر(٥) جميع بني اسرائيل(٦) ، واحراقه كتب التوراة حيث وجدت ، واتلاف (كل)(٧) ما كان بأيديهم(٨) ، حتى لم يترك (منهم)(٩) الا عددا يسيرا لا يحصل بخبرهم العلم . وكان قد أجلاهم الى بابل وهدم البيت(١٠) .

أو لعله كان الباقي منهم عددا كثيرا ، الا أنهم لم يكونوا كلهم يحفظونها ، بل كانوا عددا يسيرا لا يحصل العلم بقولهم . وكان هذا كله قبل المسيح بخمسمائة سنة . وكذلك وقعة طيطس بن شبشان(١١) ، التي كانت بعد المسيح الى

---

(١) في " أ " (يعرفون) (٢) ألحقت بهامش " أ "

(٣) هو هارون بن أشير ، يذكر الباحثون في مخطوطات التوراة القديمة أنه أخفي نسخة مخطوطة في معبد سفراديم في حلب ، خوفا عليها من الضياع ، وأنها من المخطوطات الهامة التي اعتمدوا عليها في تخريج العهد القديم الموجود بين أيدينا ، (أنظر حاشية بين الاسلام والمسيحية/ ٢٩٠ نقلا عن مصدر أجنبي)
والمطلع على التوراة الحالية يجد أنها ليست التوراة الأصلية كما تقدم ذكره .

(٤) أنظر كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجي / ٢٩٠ والفصل ١/ ١١٧

(٥) في النسخ الثلاث (بخت نصر)

(٦) انظر بذل المجهود في افحام اليهود ٤٣ - ٤٤ (٧) ساقطة من " أ "

(٨) انظر شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والانجيل من التبديل / ٣١

(٩) في "ب" (بأيديهم)

(١٠) انظر شفاء الغليل للجويني / ٣١ - والكامل في التاريخ ١/ ٢٦٢

(١١) وكانت هذه الوقعة سنة ٧٠ م حيث خرجت أورشليم (القدس) من أيدي اليهود على يد طيطس أثناء حرب اليهود ضد روما . وكان اليهود يشكلون ٧ ٪ من الامبراطورية الرومانية . وقد تعرض اليهود في هذه الوقعة لمذبحة كبيرة في الشوارع مما أدى الى تشريدهم في جميع بلاد البحر الأبيض المتوسط كما أن طيطس ذهب الى روما بعد سقوط القدس مع يوسفوس الذي دافع عن أعمال طيطس في فلسطين . (قصة الحضارة ٣/ ١٩١)وانظر موسوعة تاريخ العالم/د ليام لانجر ١/ ٧٣)

أربعين سنة ، اذ فرقوا التفرقة التى (هم عليها اليوم)(١) .

(وهذا)(٢) أيضا من المعروف عند الجميع ، بحيث لا ينكره الا مكابر مجاهر . وهذه الأمور كلها مما تقدح فى النقل الذى يدّعونه متواترا .

ثم (نقول : هذه)(٣) الأمور المذكورة ان وافقوا على وقوعها فقد اعترفوا بعدم التواتر ، فان من شرط خبر المتواتر أن ينقله العدد الكثير الذى تحيل العادة عليهم التواطؤ على الكذب والغلط ، عن عدد مثله - هكذا - ولا ينقطع . فان رجع الخبر الى عدد لا تحيل (العادة)(٤) عليهم الكذب ، لم يحصل بذلك الخبر : العلم (اذ)(٥) لا يكون متواترا .

وان لم يوافقوا على وقوع هذه الوقائع - هكذا - لم يقدروا على جحد أصلها ، واذا اعترفوا بأصلها لم يقدروا أن ينكروا امكان وقوع ما يعترفون بأصله ، وتجويز وقوع ذلك (يحقق)(٦) وقوع ذلك فى عدم حصول العلم بالخبر الذى يدّعونه أنه متواتر .

وأما بيان التحريف فيها : فهو أن اليهود تعترف بأن السبعين كوهانا ، اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة وذلك بعد المسيح فى زمان القياصرة(٧) .

ومن أجترأ على (تبديل)(٨) حرف من كتاب الله وتحريفه ، فلا يوثق بالذى فى يديه مما يدّعى أنه كتاب الله ، لعدم الثقة به ، ولقلة مبالاته بالدين . وأيضا فلعله قد حرفه كله أو أكثره .

---

(١) فى " أ " العبارة هكذا : (التى هى عليهم اليوم عليها)
(٢) سقطت من " ب "
(٣) سقطت من " ب " والعبارة فى " ب " هكذا (ثم الأمور كلها المذكورة)
(٤) ألحقت بهامش " أ "
(٥) فى " ب " (الذى)
(٦) فى " ج " (كتحقيق) وهى فى " أ " (كتجويز)
(٧) أنظر كتاب أبى عبيدة بين الاسلام والمسيحية / ٢٩٠)
(٨) سقطت من " ب " .

وكذلك يقرّون ولا ينكرون أن طائفة منهم يقال لهم السامرية (١). حرفوا التوراة تحريفا بيّنا كبيرا (٢). والسامرية يدّعون عليهم مثل ذلك التحريف (٣)، وكذلك النصارى أيضا يدّعون على اليهود أنهم حرفوا في التوراة التاريخ (٤)، ويزعمون أنهم نقصــوا من تاريخ آدم صلى الله عليه وسلم ألف سنة ونحو المائتين. وهذه احتمالات. توجب على العاقل التوقف، فلا يدّعي حصول العلم بنقل التوراة - مع انقداح هذه الممكنات - الا مجاهر متعسف.

فان قيل: كيف يصح أن يقال هذا، وقد كان الأنبياء بعد موسى عليه السلام يحكمون بالتوراة، ويرجعون اليها واحدا بعد واحد الى زمن يحيى وعيسى (٥)؟ ثم بعد ذلك تناقلها النصارى كما تناقلها اليهود خلفا عن سلف الى اليوم وان جاز تطرق التحريف الى (ما) (٦) هذا سبيله، فيلزم عليه أن يحكم الأنبيــاء بالباطل، ويلزم عليه أيضا: أن يقروا على الباطل غيرهم. وهذا كله باطل على الأنبياء. ويلزم عليه أيضا أن لا / يحصل العلم بخبر متواتر، ولا يوثق بكتاب (٧٧) يدّعى أنه جاء عن نبي.

---

(١) هم قوم يسكنون منطقة بيت المقدس، يتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وأنكروا نبوة من بعدهم، وقالوا ان التوراة لم تبشر الا بنبي واحد يأتي من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها، وقبلة السامرة جبل يقال له جرزيم بين بيت المقدس ونابلس قالوا: ان اللــه تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور فحول داود ذلك الى ايليا بالقدس وخالف أمر الله، وظهر في السامرة رجل يقال لـه الالفان ادّعى النبوة وزعم انه هو الذى بشر به موسى وكان ظهوره قبل المسيح بمائة سنة، ولغتهم غير لغة اليهود، زعموا: أن التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت الى السريانية. (الملل على هامش الفصل ٢ / ٥٨ - ٥٩) وقد وردت في "ب" (السامرة).

(٢) في "أ" و "ج" (كثيرا)

(٣) راجع كتاب بين الاسلام والمسيحية ٢٩٠

(٤) انظر شفاء الغليل للجويني ٣٣

(٥) انظر هذا في كتاب ابي عبيدة بين الاسلام والمسيحية ٢٩١

(٦) في "ج" (من)

فنقول وبالله التوفيق : انا لم نعين لوقوع التحريف فيها زمانا ، ولا عيّنا من حرّف منها شيئا ولا من ألحق بها شيئا (١) (فيحتمل أن يقع التحريف فيها قبلهم أو بعدهم)(٢)، وانما أبدينا تلك الاحتمالات ، ليعلم أن الذى فى نفوسكم من الثقة بها ، انما هو اعتقاد جزم وليس بعلم .

ومما يدل على قبول تلك الاحتمالات، وأنها قادحة فى دعوى العلم بسلامتها ، أنها لم تقر على ما تلقيت من موسى ، بل زيد فيها ما لم يتسلق (عن)(٣) موسى . مثل الذى حكيناه من ذكر وفاته ، وحزن بنى اسرائيل ، وحكاية قول كلم الله موسى . وهذا يعلم (منه)(٤) على القطع أن الله لم يقله لموسى ، ولا موسى قاله عن نفسه . يعلم ذلك من وقف عليه ، وتتبعه بضرورة مساق الكلام - ولا بد - فالذى زاد ذلك

---

(١) والصحيح أن الذى حرف التوراة هو عزرا سنة ٥٨٦ ق.م. وقد قلنا من قبل أن التوراة دفعها موسى الى أولاد هارون وهؤلاء الائمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظونها . وقد قتلهم نبوخذ نصر ، يوم فتح بيت المقدس . ولم يكن حفظ التوراة فرضا ولا سنة بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة فلما رأى عزرا أن القوم قد احرق هيكلهم وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ، ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى فى أيديهم . فهذا هو سبب تبديل التوراة . والتوراة التى بأيدى اليهود من صنع عزرا بل هى كتاب عزرا وليست كتاب الله . ولذلك نجد اليهود يبالغون فى تعظيم عزرا حيث زعموا : أن النور الى الآن يظهر على قبره الذى عند البطائح بالعراق ، لأنه عمل لهم كتابا يحفظ لهم دينهم . (بذل المجهود فى افحام اليهود ٤٤)

(٢) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٣) فى "ب" و "ج" (من)

(٤) ساقطة من "ب"

لعله الذى وقع الخلل من جهته . واما ما ذكرتم من حكم الأنبياء بها (١) فليس فيه حجة لامكان أن تنازعوا فى قولكم : كانوا يحكمون بها ، بل لعلهم كانوا يحكمون بما كان الله يعلمهم ، بما يوافق شريعة موسى ولا يخالفها .

ولو سلمنا أنهم كانوا يحكمون بها ، فنقول : كل شيء حكم (به) (٢) الأنبياء من التوراة فليس بمحرف (٣) ، وأما (ما) (٤) لم يحكموا به منها ، فلعله (هو) (٥) الذى حرف مثل الأخبار التى حكيناها ونحكيها ان شاء الله (تعالى) (٦) .

فان قيل : فيلزم منه أن يقرّ الأنبياء (على) (٧) الخطأ والكذب ويتحدثوا بالكذب . فانهم كانوا يتحدثون بها . قلنا : (ليس) (٨) بكاذب من حكى شيئا ، يعتقد صحته لا يتعلق به حكم الله تعالى . وان كان ذلك الخبر فى نفسه مخالفا لما فى الوجود ، فانه انما يحكى عن اعتقاده وهو حق .

وانما الكاذب الذى يخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه (مع) (٩) العلم بذلك ، وهذا أحد الكذب عندنا وحقيقته ، وهذا انما يجوز فى حكاية الأخبار (التى) (١٠) لا يتعلق بها حكم . وأما ما تعلق به حكم منها فلا يجوز ذلك ، ان الأنبياء معصومون فيما يبلغونه من الأحكام عن الله تعالى (١١) .

---

(١) اشارة الى قوله تعالى (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) . سورة المائدة ٤٤

(٢) فى "ب" (بها)

(٣) انظر هذا فى كتاب أبى عبيدة بين الاسلام والمسيحية / ٢٩١

(٤) ألحقت بهامش "أ"

(٥) ساقطة من "أ"

(٦) ليست فى "ج"

(٧) فى "ج" (عن) وما أثبتناه هو الصواب .

(٨) فى "ب" (فليس)

(٩) فى "أ" و "ب" (من)

(١٠) فى "ب" (كتل)

(١١) وهذا باتفاق الأمة كما ذكر ابن تيمية (انظر مجموع الفتاوى ١٠/٢٨٩)
وأما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة (من الكبائر والصغائر) وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة فللناس فيه نزاع . وما عليه أكثر علماء الاسلام أن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر . والكلام الذى =

وانما قلنا هذا حذرا من أن ينسب الى الله (تعالى) (١) ما لا يليق بجلاله ، أن ينزّله في كتابه ، ولا أن يناجي به صفوة أحبابه من الفواحش والفجور ، التى حكوها فى التوراة وادّعوا أنه فيها مسطور . مع أنه ليس فى ذكرها فائدة ، بل هى بكل ضلالة عائدة .

وكذلك تنزه موسى والأنبياء بعده - صلوات الله عليهم - عن ذلك الكلام الغث الركيك الذى لو حكى مثله عن بعض السفلة لأنف عنه واستحي منه .

ولما كان ينبغى لعاقل أن يلتفت ويصغي اليه ولكان يجب عليه أن يعرض عنه وينكره اذا سمعه . وهذا اذا كان محكيا عن السفلة ، فكيف اذ احكاه الله عن نفسه (وعن) (٢) خيرته من خلقه الذين برّأهم الله عن الكبائر (والنقائص) (٣) التى تناقض نبوتهم ؟ فهم أكرم الخلق عليه وأحظاهم لديه .

وأيضا : فان الله (تعالى) (٤) حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والغيبة (٥)

= (١) عليه جمهور العلماء وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا ، واذا ما حررت حجج القائلين بالعصمة فانما تدل على هذا القول . وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء . حيث أن القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسي بهم مشروع فكيف نجيز عليهم الغلط ؟ ولو علم هؤلاء أن التأسي بهم انما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه ، ورجعوا عنه ، كما أن الأمر والنهى انما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه ، أما ما نسخ من الأمر والنهى فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيا عنه . (مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩٢ - ٢٩٣) (والفتاوى ٤/ ٣١٩)

(١) ليست فى "ب" (٢) فى "ب" و "ج" (أو عن)

(٣) فى "ب" (التناقض) (٤) ليست فى "ب" و "ج"

(٥) كما قال تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) الحجرات / ١٢

وقد روى الترمذى أيضا عن أبى هريرة قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة . قال (ذكرك أخاك بما يكره قال أرأيت ان كان فيه ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) قال أبو عيسى حديث حسن صحيح . (صحيح الترمذى بشرح ابن العربى ٨/ ١٢٠ - أبواب البر والصلة - باب ما جاء فى الغيبة)

والبهتان والاحن (١). ثم يتعامل بها مع أكرم الخلق عليه فى نفوسهم وذراريهم وبناتهم ، وينسبها اليهم ويشيعها أبد الآبدين (عنهم) (٢). هذا ما لا يليق بجلال الله (تعالى) (٣).

والقائل بوقوع هذا مستهزئ (٤) مفتر (على الله) ، وسننقل (عن) (٥) بعض ما حكوا فى التوراة من هذه القبائح اثر هذا ان شاء الله تعالى .

ثم نقول : لو سلمنا أنها لم تعرف فى زمان الأنبياء ، (لأمكن) (٦) أن نقول : فلعلها (حرفت) (٧) بعدهم ، وذلك بعد وقعة طيطس (٨) حيث أفناهم . والذين تنصروا منهم عدد يسير لا تقوم الحجة بقولهم ، وان قلنا انهم كانوا عددا كثيرا ، فلم يكن كل واحد منهم ممن يحفظها ولا يضبطها .

ثم نقول للنصارى / ان أنكرتم أن يكون شئ من التوراة حرف (٩) ، فلأى شئ تقولون (٧٨) أن اليهود حرفوا فى التوراة فى نسب آدم (ونقصوا منه ؟ واذا جاز ذلك فى نسب آدم) (١٠) جاز فى غيره وهذا بين .

وأما قولهم : يلزم أن لا نقبل خبر متواتر ، ولا يوثق بكتاب نبى ، فلا يلزم شئ من ذلك ، فان الخبر اذا تطرقت اليه أمثال هذه الاحتمالات ، فلا يكون متواترا اذا كان قابلا لها .

---

(١) الاحن : الحقد والعداوة كما تقدم (٢) فى "أ" (عليهم)
(٣) ليست فى "ب" و"ج" (٤) ألحقت بهامش "أ"
(٥) سقطت من "ب" و"ج" (٦) فى "ب" (لا من) وما أثبتناه هو الصواب
(٧) فى "أ" و"ج" (فلعله حرف) (٨) تقدم الاشارة اليها .
(٩) ان النصارى لا ينكرون تحريف التوراة من قبل اليهود . بل الذى يقوله النصارى: ان نصوص التوراة شاهدة بارسال المسيح عليه السلام فى الزمن الذى أرسل فيه ، وما بأيديهم من نسخ التوراة شاهد لهم بصحة ما زعموه . ويزعمون : أن اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عنادا وحذرا من الاعتراف بارسال المسيح عليه السلام (شفاء الغليل للجوينى ٣٢ - ٣٣)
(١٠) ما بين القوسين سقط من "ب"

وأما كتب الأنبياء ، فكل كتاب تطرق اليه أمثال تلك الاحتمالات فلا يوثق بنقله ، ولا يعوّل عليه ، لامكان تلك الآفات . ولعل اشرافكم تتخلب (١) نحو كتابنا (٢) ، فيقولون : فكتابكم لا يلتفت اليه ولا يعول عليه .

فنقول : (هيهات) هيهات (٣) انما قلنا كل كتاب تطرق اليه شيء من تلك الاحتمالات ، وكتابنا منزه (عن كل كتاب تطرق اليه شيء من تلك الاحتمالات (٤)) وعن أمثال تلك الآفات . فان الله تعالى تولى حفظه ، وأجزل من كل صيانة حظه فصانه (بنظمه (٥)) الذى لا يقدر الجن والأنس على آية منه . ولا يختلط به كلام متكلم ، ولا يقبل وهم متوهم .

ان ليس من جنس كلام البشر ، وهو معدود الآى والسور (٦) ، ثم صانه بأن يسره للحفظ والاستظهار ، فيستوى فى نقله الكبار والصغار ، لا يختص بحفظه أحد . والوالد اذا نقص منه حرفا واحدا ، أو غيّر حركة منه رده وأصلحها عليه الولد .

ومع هذا فحروفه وكلماته (وآياته (٧)) وسوره فى الدواوين معدّدة ، وأشكال كتبة حروفه فيها مقيدة ، ومع هذا فنقل الأمم التى لا تحصى عن الأمم التى لا تحصى ، حتى يصل ذلك الى النبى (صلى الله عليه وسلم (٨)) المصطفى مع قرب العهد ، والتشمير فى صيانته والجد ، واستعمال القانون النحوى ، وتثقيف اللسان العربى فيهما كمّل الله له الصون . وحصل (لنا (٩)) بهما على فهمه أكبر العون . فلله الحمد على ما أولى والشكر له على نعمه التى لا تحصى ، فأين اللؤلؤ من الخزف والياقوت من الصدف ؟ .

---

(١) تتخلب : الخلابة الخديعة . ومعنى تتخلب تراوغ وتخادع (لسان العرب ١/ ٣٥١ - مادة خلب)

(٢) يقصد القرآن الكريم .

(٣) سقطت من " أ " و " ب "

(٤) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ب " (٥) فى " ب " (بنطقه)

(٦) ومما يذكر أن عدد سور القرآن الكريم (١١٤) سورة . كما أن مجموع آياته التى اشتمل عليها (٦٢٣٦) آية . (انظر مقدمة تفسير القرطبى)

(٧) فى " ب " (وآية) وما أثبتناه هو الصواب. (٨) ليست فى " ب " و " ج "

(٩) فى نسخة " أ " (له)

وبعد هذا : فالآن (حان أن نذكر) (١) بعض ما وقع في التوراة مما تطرق اليها ، التهم من ذلك : ما ذكروه فيها في المصحف الأول منها : " ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم وقال : سأذهب الأدمي الذي خلقت على الأرض والخشاش ، وطيور السماء لأني نادم على خلقتها جدا " (٢)

وهذا في حق الله تعالى محال . اذ الندم انما يلحق من لا يعلم مصير المندوم عليه ومآله ، واعتقاد هذا في حق الله (كفرا) (٣) . اذ ينبىء عن أن الله (تعالى) (٤) جاهل ، وأنه متغير تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ولفظ الندم هنا نص لا يقبل التأويل ، فهو كذب وباطل قطعا .

ومن ذلك ما ظهر في الوجود خلافه ، وذلك أنهم حكوا فيها " أن بني اسرائيل

---

(١) في "ب" (جاز لنا أن نذكر)

(٢) والنص : " ورأى الرب أن شر الانسان قد كثر في الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم . فحزن الرب أنه عمل الانسان في الأرض . وتأسف في قلبه . فقال الرّب : أمحوا عن وجه الأرض الانسان الذي خلقته . الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأني حزنت أني عملتهم " .

(تكوين / الاصحاح السادس: ٥ - ٧)

وهذا الوصف الذي ورد ذكره في التوراة يستحيل في حق الله تعالى من أنه حزن لأنه خلق الانسان في الأرض بعد أن تبين أن هذا الانسان شرير وأنه كثر فساده ، لأن صفة الحزن والندم انما تحصل من الانسان الذي يقبل التغيير فيحزن ويتألم ويندم على بعض أفعاله التي يظهر له أنه ما كان ينبغي أن يفعلها والله تعالى لا يشابهه المخلوقين في شيء لا في صفاته ولا في أفعاله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى ١١

(٣) في "ج" (كفر)

(٤) ليست في "ب"

يسكنون تلك الأرض الى الانقراض" (١) ، ثم لم يلبثوا أن رأيناهم أخرجوا منها رأى العين (٢) . فقد ظهر أن ذلك باطل وكذب .

ومن ذلك أيضا : أنه حكى فيها (أن) الله تعالى كالانسان (٣) شخص وجوارح (٤) ، كشخص وجوارح ، وهذا على الله بالضرورة محال.ولا للتأويل فى هذا اللفظ مجال .

---

(١) والنص : " أذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكونها الى الأبد " (خروج /الاصحاح ٣٢ : ١٣)
وورد أيضا فى التكوين " لأن جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ولنسلك الى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض" (التكوين /الاصحاح ١٣ : ١٥-١٦)
وقد علق الدكتور محمد شامة على هذا النص فقال : " ليس لليهود أن يستدلوا بهذا النص - على فرض صحته - على أحقيتهم - دون العرب - فى امتلاك أرض فلسطين ، لأن العرب أيضا من نسل ابراهيم عليه السلام " .
(انظر هامش بين الاسلام والمسيحية / ٣٠٧)

(٢) فقد نفاهم الأشوريون الى بابل فى عام ٧٢٢ قبل الميلاد (المرجع السابق)

(٣) ألحقت بهامش" أ "

(٤) ولهذا يروون فى التوراة أن الله تصارع مع يعقوب " فبقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك ان لم تباركني فقال له ما اسمك ؟ فقال يعقوب .... "
(سفر التكوين / الاصحاح ٣٢ : ٢٤ - ٣٠)
انظر الى هذه الأكذوبة التى هى من الاسرائيليات والتى ذكر فيها أن يعقوب صارع الله تعالى - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - وعن كل شبه لخلقه وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل قالوا : ان الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب بنص توراتهم ولذلك يقولون انه لأجل ذلك سماه اسرائيل وايل بلغتهم : هو اسم الله تعالى بلا خلاف ومعناه أسّر الله تذكيرا بذلك الضبط الذى كان بعد المصارعة اذ قال له دعنى فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك عليّ تعالى الله عن هذا القول علوا كبيرا .
(بتصرف عن الفصل / ١٤١/١ - ١٤٢)

ثم أين هذا من قوله (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) .

ومن ذلك أيضا (٢) : " أن الله (تعالى) حين أمر بني اسرائيل بالتوجه الى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا (له) (٣) قبة على صفة كذا ينزل فيها في سيره معهم . ثم ان موسى قال له يا رب ان هذه الأمة (القاسية) (٤) رقابها (٥) لا تمضي اليك الى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها ، فقال الله :

نعم اعملوا / لي القبة ، فعمل موسى القبة وسماها قبة العهد ، (ونزل الله (٧٩)
عن عرشه) (٦) وسار معهم في داخل القبة ، ينزل بنزولهم ويرحل برحيلهم (٧) " ، هذا نص التوراة (٨) .

ومما يذكرونه : من بقية هذا ، وليس في التوراة " أنهم حين جمعوا المال لعمل هذه القبة ، أجروا (الانفاق) (٩) على يد موسى عليه السلام ، فلما (كمل عملها) (١٠) ادّعوا عليه ، أن قد نقصهم من المال ألف رطل وسبعمائة رطل وخمسة وسبعون رطلا .

وقالوا لموسى : تشريفا له ، أين نقص هذا المال ، وانما جرى الانفاق على يديك ، فسمعوا صوتا من السماء يقول (لهم) (١١) : ان هذا العدد دخل في رؤوس الأعمدة وفي التفشية فحينئذ كفوا عنه (١٢) . فهؤلاء لم يعرفوا الله حق معرفته ولا قدروه حق قدره (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (١٣) .

---

(١) سورة الشورى ١١ (٢) ليست في "ب" و "ج"

(٣) ساقطة من "أ" (٤) في "ب" (الفاشة)

(٥) سقطت من "ب" (٦) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٧) قارن هذا بما ورد في سفر الخروج الاصحاح ٢٥ : ٢٥ - ٤٠ ، وأنظر سفر الخروج ٤٠ : من عدد ١ الى النهاية .

(٨) والنص الذي ذكره المؤلف جاء بالمعنى وليس كما ورد في التوراة حديثا ، وربما يكون نص التوراة في زمن المؤلف . (٩) في "ب" و "ج" (انفاقه)

(١٠) في "ج" (كمّلوا عملها) (١١) ساقطة من "ج"

(١٢) لم تذكر هذه الرواية في التوراة ، وقد أوردها أيضا الخزرجي في كتابه : بين الاسلام والمسيحية ٢٠٩ - ٢١٠ (١٣) سورة البقرة / ٧٩

ومن ذلك أيضا : أنهم ذكروا فيها " أن الله قال لهم أن يضربوا القرن في عسكرهم قليلا قليلا حتى يلقوا عدوهم فحينئذ يضربونه بأشد ما يقدرون عليه ، ليسمعهم الله فيؤيدهم على عدوهم (١) " . فكأنه سبحانه (وتعالى (٢)) لا يسمع الا الأصوات العالية !!

فاين هذا من وصف الله تعالى نفسه في كتابه على لسان (رسوله (٣)) حيث قــال : (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى (٤)).

وفيها من هذا النوع كثير ، لو ذهبت أنقله لطال الكتاب ، ولخرجنا (عن (٥)) مقصود الباب . وينبغي أن نذكر الآن ما جاء فيها مما ينزه عنه الأنبياء عليهم السلام .

من ذلك : ما حكوا في السفر الأول عن لوط " أنه طلع من صاغار فسكن الجبل هو وابنتاه معه ، فجلس في مغار هو وابنتاه ، فقالت الكبرى للصغرى : قد شاخ أبونا وليس على الأرض رجل يدخل علينا ، هلمي نسقي أبانا الخمر ونضطجع معه في مضطجعه ، ففعلتا وحملتا منه بولدين مؤاب وعمون (٦) " .

هذا لوط من رسل الله الأكرمين ، أوقعه الله في فاحشة كما يوقع الأرذلين (٧) ، ثم خلد ذكرها في الآخرين ، وهل هذا الا عين الاهانة ؟ وأي نسبة بين هذا وبين النبوة والكرامة ؟

---

(١) والنص " واذا ذهبتم الى حرب في أرضكم على عدو يضربكم تهتفون بالأبواق فتذكرون أمام الرب الهكم وتخلصون من أعدائكم " (سفرالعدد الاصحاح ١٠ : ٩)

(٢) ليست في "ب" و"ج"

(٣) صوبت في هامش "أ" (رسوله) وفي "ب" (نبيه) .

(٤) سورة طه / ٧ - ٨ (٥) في "أ" و"ج" (من)

(٦) قارن هذا بما ورد في سفر التكوين /الاصحاح التاسع عشر : ٣٠ - ٣٨

(٧) وهذا كلام لا يليق بنبي من أنبياء الله ، أترى انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعهما !! ان هذا لعجب ، فكيف والموضع معروف الى اليوم ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط مع بنتيه وبين قرية سكنها ابراهيم عليه السلام الا فرسخ واحد وهو ثلاثة أميال . ومن ناحية ثانية : ان القول بأن الله أطلق نبيه على هذه الفاحشة من وطء ابنتيه هو عين الخرافة فان عللوا ذلك بأنه في حالة سكر فكيف عمل اذ رآهما حاملتين وقد ولدتا ولدين فهذه من الفضائح والاستخفاف برسل الله الكرام . (الفصل ١/ ١٢٤)

وكذلك أيضا : حكوا فيها أن اسحق لما شاخ وعمى بصره ، دعا بعيصر ابنه الأكبر ليبرك عليه ، وليدعوا له بالنبوة ، فتحيل يعقوب عليه فقال له اسحق أبوه من أنت ؟ فقال له بكرك عيصو فقال له : أدن منى حتى أجسك (فدنا منه)(١) وقد كان وضع على رأسه شعرا بمكيدة (أمه)(٢)، فقال له : الصوت صوت يعقوب ، والمجسة مجسة عيصو فبرك عليه ، ودعا له بالنبوة وبشره بها وهو على غلط فيه .

ثم بعد ذلك جاء عيصو وقال له بركنى أيضا يا أبى، فقال له دخل أخوك بمكر فقبل بركاتك ، فقال عيصو بعد بكاء وحزن ، أما تركت من البركات شيئا ؟ أبركة واحدة لك يا أبتى (٣).

فما أعظم هذه الآفة (٤)، التى تشبه حديث خرافة (٥).

---

(١) ألحقت بهامش " أ " (٢) سقطت من " ب "

(٣) قارن سفر التكوين الاصحاح السابع والعشرون : ١٨ - ٣٨

(٤) وللرد على هذه الخرافة من عدة أوجه :

أولا : فى اخبارهم أن بركة يعقوب انما كانت بحيلة ومأخوذة بغش وخديعة وحاشى للأنبياء عليهم السلام من هذا ، وهذه طريقة اليهود ، فما تلقى منهم الا الخبيث المخادع الا الشاذ .

ثانيا : قولهم ان اسحق عليه السلام اذ بارك يعقوب اذ خدعه ، فهذا هوس ، انما قصد بتلك البركة عيسو وله دعا لا ليعقوب ، فأى منفعة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل . ثالثا : قول عيسو لاسحق أنا ابنك وبكرك فهذه كذبتان ، لأنه لم يكن عيسو ابنه ولا كان بكره . (الفصل لابن حزم ١ / ١٣٨)

(٥) وخرافة : رجل من عذرة استهوته الجن - كما تزعم العرب - مدة ثم لما رجع أخبر بما رأى منهم فكذبوه حتى قالوا لما لا يمكن: حديث خرافة (مجمع الأمثال ١ / ١٩٥) والواقع أن النبى عليه السلام بين أن حديث خرافة ليس بكذب بل كان صادقا فيما حدث كما تروى السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : " حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا فقالت امرأة منهن كأن الحديث حديث خرافة فقال أتدرون ما خرافة : ان خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن فى الجاهلية فمكث فيهم دهرا ثم ردوه الى الأنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة "

(الشمائل المحمدية للترمذى رقم الحديث (٢٥٠) باب ما جاء فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السمر)

ومن ذلك : ما ذكروه فيها أيضا " أن يعقوب بينما هو يصلح خيمته (ويبسطها)(١) مشى ابنه (رأوبين)(٢) وهو أكبر أولاده فضاجع سرّية أبيه بلها(٣) " ولما علم بذلك يعقوب قال لابنه رأوبين ، سلكت على وجهك كالماء ، فلذلك لم أفضلك بالسهم الزائد ، حيث امتهنت فراشي(٤) " .

وتفسير هذا أن سنة الميراث (كانت)(٥) عندهم أن يرث الولد الأكبر سهمين ، وسائر الولد سهما واحدا . فعاقب يعقوب أبنه رأوبين على فعله بسريته ، بأن لم يفضله بالميراث ، على أنه كان أكبر ولده .

وكذلك حكى فيها أيضا " أن يعقوب قال له يا رأوبين ؟ أنت بكرى وقوتى ، ورأس جرأتى / وعونى ، طائفة الحمولة ، وطائفة العز والمنعة ، عدّيت مثل الماء ، فلا تمكث ، اذ صعدت الى مضطجع أبيك حقا ، لقد (نجست)(٦) مضجعى وتناولته(٧)" . (٨٠)

---

(١) فى "ب" (وينصبها) (٢) وردت فى النسخ الثلاث (روبيل)

(٣) والنص " ثم رحل اسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر . وحدث اذ كان اسرائيل ساكنا فى تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرّية أبيه" (تكوين ٣٥ : ٢١ - ٢٢)

(٤) وقد ورد النص فى التوراة بصيغة أخرى " ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا يابنى يعقوب . واصغوا الى اسرائيل أبيكم . رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العزة . فائرا كالماء لا تتفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته على فراشي صعد " (تكوين / الاصحاح ٤٩: ١ - ٤)

(٥) ألحقت بهامش "أ"

(٦) فى "ب" (تجرئت)

(٧) والنص كما فى سفر التكوين :

" واسمعوا يابنى يعقوب واصغوا الى اسرائيل أبيكم رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى فضل الرفعة وفضل العز فائرا كالماء لا تتفضل ، لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته على فراشى صعد " (تكوين ٤٩: ٢ - ٤) .

ومن ذلك : ما ذكروه فيها أيضا (١) " أن يهوذا بن يعقوب زنا بكنته ثامار امرأة ولديه ، ولقد كانا هلكا عنها واحدا بعد واحد ، فردها يهوذا الى بيت أبيها ، ووعدها بتزويج ولده الثالث المسمى بشيلا اذا كبر ، ثم انها قعدت ليهوذا في طريق غنمه ، وتسترت جهدها فظنها بغيا ، فعدل اليها ودعاها الى نفسه ، فسألته أجرا فوعدها بجدى من غنمه ، فطلبت منه رهنا فأعطاها خاتمه ومنديله وعصاه ، وواقعها بزعمهم فحملت منه . ثم ان يهوذا أرسل بالجدى ليطلب رهنه ، فلم توجد المرأة ، فجاء بنفسه الى أهل القرية وقال لهم : أين قحباكم المتبلطة على الطريق ؟ فقالوا : ما كان منا على الطريق قحبا . ثم قيل له بعد حين: ان كنتك ثامار حبلى ، فقال تحرق بالنار ، فأخرجت لتحرق بالنار ، فقالت انما أنا حامل منه وهذه رهنه بيدى حين زنا بي ليفكها بجدى من غنمه ، فعرف ذلك يهوذا وقال : هي أصدق مني (٢) " . وفي بقية هذا الخبر خرافة . وذلك أن ثامار لما جاءها المخاض كان في بطنها توأمان (٣) ، فتناولت القابلة خيط عهن فربطته (على (٤)) يده وقالت : هذا يخرج بدئا فلما رد يده خرج أخوه فقالت : لقد انخرمت فيك ثلمة عظيمة (٥) " وحكى (فيه (٦)) أيضا " أن دينا بنت يعقوب خرجت لبعض شأنها فنظر اليها شخيم بن حمورا الزناتي (فعشقها واحتملها (٧)) فواقعها وافتضها .

---

(١) فى التوراة في سفر التكوين الاصحاح ٣٨ : ٦-٢٩)

(٢) نقول : ان هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة ، فاما العار الذى ذكر عن يهوذا من طلبه الزنا بامرأة لقيها في الطريق على أن يعطيها جديا ثم جوره فى الحكم عليها بالحرق فلما علم أنه صاحب الخصلة أسقط الحكم عن نفسه وعنها . ثم من ناحية ثانية : يزعمون أن اللذين ولدتهما هما من الرسل . وأنهما مولودين من تلك الولادة الخبيثة ثم أقبح ما يكون من الزنا رجل مع امرأة ولده . وهذا من الافك المفترى ، ولقد قال بعضهم ان هذا كان مباحا فنقول : كيف يكون مباحا وهي لم تعرّفه بنفسها ولا عرّفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدى المسخوط والرهن الملعون . (انظر الفصل ١٤٦/١ - ١٤٧)

(٣) فى " أ " (تآمان) (٤) فى " ب " (فى)

(٥) سفر التكوين ٣٨ : ٦ - ٢٩ (٦) فى " ج " (فيها)

(٧) ألحقت بهامش " أ "

ثم ان (شخيم)(١) قال لأبيه حموراء : " اخطب لى هذه الجارية لتكون لى امرأة فبلغ ذلك يعقوب وأنهم قد نجسوا دينا ابنته ، فصمت يعقوب وأطرق حتى أتاه بنوه (٢) (فلما)(٣) بلغهم ذلك اغتموا ، وساءهم ذلك ، واشتد عليهم ذلك جدا ، لأنهم ارتكبوا النجاسة من اسرائيل (ثم ان بنى يعقوب)(٤) عاقدوا شخيم وحموراء أباه وقومه ، أنهم اذا اختتنوا أنكحوه أختهم (دينا)(٥) ، فانهم قالوا لشخيم : لا نقدر أن نزوج أختنا من رجل له غرلة . ولكن اذا اختتنتم زوجناكم اختنا وبناتنا ، ونتزوج بناتكم .

ففعل القوم ذلك ، فلما اشتدت بهم أوجاعهم تناول شمعون ولاوى كل واحد (٦) (منهما)(٧) حربة ، ودخلا على القرية بغتة فقتلا كل ذكر فيها "

ومثل هذا كثير مما يغنى استقصاؤه الى التطويل .

وكذلك حكوا فيها أيضا : من وعيد الله لبنى اسرائيل بالفاحشة والقبيح ، ما لا يقبله ذو عقل صحيح . مثل ما حكوا : أن موسى قال لبنى اسرائيل فى الوصية التى وصاهم بها ، حيث قال (لهم)(٨) " ان كفرت بربك وحدت عن سبيله ، وعبدت الآلهة الأجنبية ، يبتليك الله بدواهى مصر ، ويضرب الجزء من جسدك الذى يصدر عنه الويل بالجرب والحكاك الذى لا دواء له ، وتزوج زوجا ويضاجعها غيرك(٩) " .

---

(١) جاءت بالترجمة الحديثة شكيم

(٢) معاذ الله أن يخذل الله نبيه ولا يعصمه فى حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ثم لا ينكر ذلك بأكثر من التعزير الضعيف فقط .(الفصل ١ / ١٤٣)

(٣) ألحقت بهامش " أ "   (٤) ألحقت بهامش " أ "

(٥) فى " أ " و " ج " (ثامار)   (٦) فى " أ " و " ج " (منهم) وهى ساقطة من " ب "

(٧) قارن سفر التكوين الاصحاح ٣٤ : ١ - ٢٩

(٨) ساقطة من " أ " و " ب "

(٩) والنص " والمرأة المتنعمة فيك والمترفهة التى لم تجرب أن تضع أسفل قدمها على الأرض للتنعم والترفه تبخل عينها على رجل حضنها . . . ان لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة فى هذا السفر لتهاب هذا الاسم =

وهذا الكلام تضمن : أن الله تعالى توعد بني اسرائيل - من عبد غير الله منهم - بثلاثة أنواع من الفواحش ، لا ينبغي لذوى المروءات أن يتلفظوا بها ، ولو أسقطوا مروءتهم فتلفظوا بها ، (لما)(١) كان ينبغي لهم أن يتوعدوا بها ، ولا أن ينفذوا ذلك الوعيد لفحشه .

ثم انهم يلزمهم على هذا أحد (ثلاثة)(٢) أمور : أحدها : أن يكون هذا الكلام باطلا أو كذبا على الله تعالى عن ذلك - أو يكون بنو اسرائيل ، كل من أشرك منهم وعبد غير الله ، أن يبتلى بهذه الأدواء الثلاثة ، وأن يكونوا بني زنا ، ولا يقدرون على أن ينكروا أنهم قد أشركوا بالله ، وأنهم عبدوا الأوثان بعد موسى .

فيلزم على ذلك :/- ان لم يكن (ذلك)(٣) الكلام محرفا - أن يكونوا كلهم بني زنا (٨١)

وقرنانين وموصوفين بالفاحشة الكبرى .

وحكوا في سفر صموئيل الثاني(٤) " أن داود عليه السلام اطّلع من قصره ،(٥) فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل في دارها ، فعشقها وبعث فيها فحبسها أياما حتى حبلت - تعالى الله أن يجرى ذلك على رسله - ثم ردها . وكان زوجها يسمى أوريا غائبا عن العسكر ، ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت به الى داود ، فبعث داود الى (يوآب)(٦) بن صوريا قائده على العسكر ، يأمره أن يبعث اليه بأوريا زوج المرأة . فجاءه فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر ، وأمره بالانصراف الى

= (٩) الجليل المرهوب الرب الهك يجعل الرب ضرباتك وضربات نسلك عجيبة ضربات عظيمة راسخة وأمراضا ردية ثابتة ويرد عليك جميع أدواء مصر التي فزعت منها فتلتصق بك ..." (سفر التثنية ٢٨ : ٥٦ - ٦٥)

(١) في "ب" (ما) (٢) في "أ" (ثلاث)

(٣) سقطت من "ب"

(٤) في النسخ الثلاث جاءت (سفر ملاخيم) والصواب ما أثبتناه .

(٥) قارن هذه الرواية بما في سفر صموئيل الثاني /الاصحاح (١١ : ١ - ٢٥)

(٦) في النسخ الثلاث (اياب)

أهله ليواقعها فينسب الحمل اليه ، ففهم (الأمر)(١) أوريا وتغابت(٢) فلم يمشى الى أهله . وقال : حاشى لله أن يكون الملك هنا دون أهله وأمشى أنا الى أهلى . فلما (يئس)(٣) داود منه رده الى العسكر ، وكتب الى (القائد)(٤) أن يصدّر به فى القتال مستقبلا له . فقتل أوريا وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف . وفزع (القائد من)(٥) داود ، لقتل العدد العظيم من المؤمنين . وقال للرسول : اذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ورأيته قد غضب ، قل له ـ سريعا ـ ان أوريا قتل فيهم . ففعل الرسول ، وسكن داود من بعد الغضب ، وسّر بموت أوريا ، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين(٦) .

فاعتبر هذه الفواحش المنكرة ، وهذه الصفات المذمومة المستقذرة !! هل يليق بأولى الديانات ؟ فكيف بمعدن النبوات ؟

وهل يحمل ذكرها عند (ذوى)(٧) المروءات ؟ فكيف عند الحى الكريم اله المخلوقات ؟

---

(١) واضح من هذه القصة أن النبى داود عليه السلام قد اغتصب هذه المرأة واضطجع معها حراما ، والى هذا الحد فان الحادثة جريمة زنا عادية ترويها التوراة بدون حياء ، وتزداد بشاعتها حين يكون مقترفها نبيا ، ولكن الأمر يتطور الى جريمة أخرى وهى الباس الجنين الى زوجها وبطريقة قبيحة ، والتوراة لا تتورع عن ذكر التفاصيل ، ذلك أن داود بعد أن علم أن المرأة حامل اتجه فكره الى التستر على جريمة الزنا والتستر على حمل المرأة والجنين الذى فى أحشائها . (خرافات يهودية لأحمد الشقيرى / ١٥٤)

(٢) ألحقت بهامش " أ " (٣) فى " ب " (تبين)

(٤) فى " ب " (القابل) (٥) ألحقت بهامش " ب "

(٦) أنظر الى هذه الخرافة التى ترويها التوراة عن نبى من أنبياء الله وكيف أن داود عليه السلام طلب من أوريا أن ينزل الى أهله سترا للفضيحة غير أن أوريا عرف الخطة فتغابث ولم ينزل . ولهذا تنسب التوراة الى داود أنه وضع خطة للتخلص من أوريا نهائيا حيث أرسله الى ساحة القتال حتى يلقى مصيره المحتوم وهو الموت وكيف أن داود طلب من قائده أن يجعلوا أوريا فى المقدمة ، فلا أدرى كيف يقال هذا بحق أنبياء الله ؟

(٧) سقطت من " ب "

تبا لهم ولمصدقهم !! وخسرا ولعنة وجذعا وعقرا . فوالله لقد افتروا على رسل الله ، وكذبوا على كتب الله " افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين " (١).

وكتبوا في هذا المصحف (٢) أيضا ، " ان أمنون بن داود عشق أخته تامار بنت داود ، وتمارض فعاده أبوه ، فتمنى عليه طعاما تطعمه (اياه) (٣) أخته (تامار) (٤). فبعث بها داود اليه ، فلما قربت اليه الطعام ، وضع يده فيها وافتضها . فخرجت باكية فلقيها أخوها الآخر - شقيقها - أبشالوم فأخبرته فهوّن عليها . ثم بعد أيام وثب على أمنون فقتله من أجل ذلك " (٥).

وكتبوا في هذا المصحف (٦) " أن ابشالوم بن داود نافق على أبيه ، وأخرجه عن قصره ودخل على نسائه ، فوطئهن (٧) كلهن على أعين بني اسرائيل ، استبلاغا في الانتقام من أبيه ".

ومن أقبح ما كتبوا في هذا المصحف ، عن سليمان بن داود " أنه ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر ، وسيبت (٨) نساؤه دينه (٩) " كذبوا (قاتلهم الله أنى يؤفكون) (١٠)

---

(١) سورة الأنعام ١٤٠

(٢) في سفر صموئيل الثاني / الاصحاح ١٣ : ٤ - ٢٠

(٣) ألحقت بهامش " أ " (٤) ألحقت بهامش " أ "

(٥) ان المرء ليقف مندهشا عندما يسمع مثل هذه الترهات والجرائم التي ينسبونها الى أنبياء الله ورسله وانه ليتساءل هل هذا هو الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام ؟ ولكنه التحريف الذى أصاب التوراة والانجيل !!!

(٦) سفر صموئيل الثاني والنص : " فقال أخيتوفل لابشالوم أدخل الى سرارى أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت فيسمع كل اسرائيل انك قد صرت مكروها من أبيك فتتشدد أيدى جميع الذين معك . فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل " (صموئيل الثاني ١٦ : ٢١ - ٢٢)

(٧) فوطئهن : الوطء النكاح ،وهو يقصد هنا الزنا

(٨) سيبت : أى تركت والسيوب : ما سيّب وخلّى فساب أى ذهب/النهاية ٢ / ٤٣١

(٩) كما في سفر الملوك الأول / الاصحاح الحادى عشر ٣ - ١٠

(١٠) سورة التوبة ٣٠

ان بالأباطل والفواحش يتقولون ويتخرصون . ولقد صدق الله العظيم ورسوله الكريم حيث قال (سبحانه وتعالى)(١) في محكم كتابه (الحكيم)(٢) : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا)(٣)

فغضب الله عليهم وعلى من يصدقهم الى يوم الدين ، ولعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فهذه الحكايات الوضيعة والأقوال غير المستقيمة ، تضمنت الأخبار عن لوط بأنه زنا بابنتيه ، وأنهما حطتا منه من الزنا(٤) ، وأن نبوة يعقوب انما حصلت له بأن خدع اسحق ومكر به ، وانما كانت لعيصو(٥) ، وأن داود زنا بامرأة مؤمنة زوجة مؤمن .

وأن داود تحيّل على زوجها حتى قتل ، وقتل لقتله جماعة من المؤمنين فسر بذلك . وأن ابنه رأوبين زنا بسريّة أبيه يعقوب(٦) .

وكذلك يهوذا زنا بكنته / ثامار ، وولدت له من الزنا توأمين(٧) . وأن ابنة يعقوب (٨٢) دينا زنا بها شخيم بن حموراء(٨) . وأن أولاد يعقوب بعد أن أمّنوه وعقدوا معه ، غدروا به وقتلوه وأباه وأهل القرية(٩) . وأن أمنون بن داود زنا بأخته ثامار بنت داود .

---

(١) ليست في "ب" وكلمة (تعالى) ليست في "ج"

(٢) في "ب" (الكريم) (٣) سورة البقرة ١٠٢

(٤) كما يروونه في سفر التكوين / الاصحاح ١٩ : ٣٠ - ٣٨

(٥) كما في سفر التكوين / الاصحاح ٢٧ : ٣٠ - ٤٠

(٦) سفر التكوين / الاصحاح ٣٥ : ٢٢

(٧) كما يروون في سفر التكوين الاصحاح الثامن والثلاثون : ٦ - ٢٧

(٨) والنص "وخرجت دينة ابنة ليئة التى ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض . فرآها شكيم ابن حمور الحوى رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها" (سفر التكوين ٣٤ : ١ - ٥)
وانا لنرى "دينة" واخوتها الأسباط ، وأباها يعقوب ، أكرم على الله من أن يجرى هذا عليهم ، وهم أهل البيت الذى نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم فقال : (رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد) هود ٧٣
(بين الاسلام والمسيحية للخزرجي ٢٩٧-٢٩٨)

(٩) سفر التكوين الاصحاح ٣٤ : ١٨ - ٢٩

وأن أخاها أبشالوم قتله غيلة وغدرا (١) ، وان ابشالوم زنا بنساء داود أبيه (٢)، وأن سليمان ارتد عن نبوته وعبد الأصنام (٣). فان ثبت هذا الذى ذكروه فى كتبهم - وتعالى الله والأنبياء عن قولهم - فهذا الشعب الذى ذكروا فيه هذه الفواحش ، ليس هو شعب النبى اسحق ، بل (هو) (٤) شعب غدر وزنا وكفر ونفاق . وكيف يصح أن تكون هذه الأفعال القبيحة ، أفعال أهل نبوة صحيحة ؟ بل كل ذلك يناقض النبوات ، لاسيما مع دعاء ابراهيم واسحق لذريتهما بالبر والبركات (٥).

فان كان هذا شعبهما الذى دعوا له بالبر والبركة ، فدعاؤهما غير مسموع ، وقولهما مردود مدفوع .

ثم هذه الحكايات الوضيعة ، الفاحشة غير المستقيمة فى التوراة ، أمور أخر تعارضها ، بل وأدلة العقل تناقضها .

من ذلك : ما حكى فيها من مدح لوط على لسان ابراهيم ، وشهادته له بالبر. وذلك أن الله تعالى لما أعلم ابراهيم بأنه يريد أن يهلك سدوم وعمورا ، وهما مسكن قوم لوط قال : " يارب أتهلك الأبرار مع الفجار (٦) ؟ يعنى بالأبرار لوطا وبنتيه ، فسماهم أبرارا وشهد لهما بذلك بين يدى الله تعالى (٧). وكيف يصح أن تكون ابنتا لوط من الأبرار ، ويوقعان أنفسهما فى أن يزنى بهما أبوهما نبى الله ؟ ثم لم يعصمه الله (تعالى) (٨) من مثل هذه الرذيلة .

---

(١) كما فى صموئيل الثانى /الاصحاح ١٣ : ٢٣ - ٣٠

(٢) تقدم النص فى سفر صموئيل الثانى ١٦ : ٢١ - ٢٣

(٣) كما يزعمون فى سفر الملوك الأول الاصحاح الحادى عشر : ٤ - ٩

(٤) ألحقت بهامش " أ "

(٥) كما قال تعالى (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وأجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) سورة ابراهيم ٣٥ - ٣٦)

(٦) والنص " فتقدم ابراهيم وقال أفتهلك البار مع الأثيم " (تكوين ١٨ : ٢٣)

(٧) والدليل على شهادة الله تعالى للوط وابنتيه قوله تعالى :: =

ثم ان الله شهد عنه هذه الفضيحة ، التى يتحدث بها على مر الدهر ، مع أنه لم يسمع قط من المتشرعين من أجاز نكاح البنات . وهل هذا من ناقله وناسبه الى الله ، الا جرأة وتواقح على الله (تعالى) (١) .

وكذلك ما كتبوه فيها من الحكايات التى ذكرناها فى ذرية اسحق ، يعارضه ما حكوا فيها عن الله أنه قال لابراهيم (٢) ، فى غير ما موضع منها : " لأباركك بركة تامة ، ولأكثرن نسلك ويتبارك بنسلك جميع الشعوب ، لأنك أطعتنى " (٣) .

وكذلك " قال الله لاسحق ، بعد موت ابراهيم ، أنا معك أكون وأباركك لأنى أعطيك ونسلك جميع هذه المملكات ، ويتبارك بنسلك جميع الشعوب " (٤) .

وكذلك " قال اسحق ليعقوب : حيث مكر به يعقوب - بزعمهم قاتلهم الله - قال (له) (٥) " يؤتيك الله من ظل السماء وخصب الأرض ، تعبدك الأمم وتسجد لك الشعوب . كن رئيسا لاخوتك ، تسجد لك بنوا أمك ، مباركوك مباركون ، ولاعنوك ملعونون " (٦) .

= (٧) (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) سورة العنكبوت ٣١ - ٣٢ .

= (٨) ليست فى "ب" و "ج" (١) ليست فى "أ" و "ج"

(٢) فى "أ" (ابراهيم) وفى "ب" (لابراهيم)

(٣) والنص " أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى " (تكوين ٢٢ : ١٧ - ١٨) .

(٤) والنص " فأكون معك وأباركك لأنى لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد وأفى بالقسم الذى أقسمت لابراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطى نسلك جميع هذه البلاد وتتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض " (تكوين الاصحاح ٢٦ : ٣-٤

(٥) فى "أ" و "ج" (به) (٦) والنص " فليعطيك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل كن سيدا لاخوتك . وليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين "
(تكوين / الاصحاح ٢٧ : ٢٨ - ٢٩)

تأمل بعقلك هذه المخازى البادية ، وما نسبوا فى كتبهم الى أكرم الخلق من المناكر (الفاحشة)(١) . فاذا أنت أمعنت النظر واشتدت منك العبر ، علمت أن هذه الحكايات بواطل . وأن ملحقها فى التوراة ، وناسبها الى الله (متزندق)(٢) جاهل . وانما ألحقها عدو للأديان ، أراد أن يقول : فى صفوة الله البهتان . فحصل له مراده ، حيث أفسد على المتشرعين الايمان .

ثم نقول للنصارى بعد ذلك : العجب منكم ومن جهلكم ، حيث صدّقتم بوقوع هذه الفواحش من الأنبياء ، واعترفتم مع ذلك بنبوتهم ، ثم لم تجوّزوا على الحواريين وقوع الغلط منهم - فيما حكوا لكم - ان صحت (الحكاية)(٣) عنهم من اتحاد العلم باللحمة ، فان العقل يدل بضرورته ، على أن ظاهر ذلك فاسد (محال)(٤) . فهلا عليكم تأولتم ذلك ، أو قلتم : (أنهم)(٥) يجوز عليهم الغلط ؟

ولا يدل ذلك على نقصهم ، كما قلتم ، فى الأنبياء الذين حكّيت عنهم تلك الفواحش. ولو فعلتم ذلك لكان الأولى / عند العقلاء . (٨٣)

---

(١) فى "أ" و"ب" (الفاشية)

(٢) فى "ب" (متزيد)

(٣) فى "أ" (الحكايات)

(٤) سقطت من "ب"

(٥) فى "أ" و"ب" (أنه)

فصـــــل
فى بيان أن الأنجيل ليس بمتواتـــر

وبيان بعض ما (وقع)(١) فيه من الخلل فنقول وبالله التوفيـــق :

ان هذا الكتاب الذى بيد النصارى اليوم ، (الذى)(٢) يسمونه بالانجيل ، ليس هو الانجيل الذى قال الله فيه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : (وأنـــزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس)(٣) وانما قلنا هذا فى الانجيل دون التوراة ، لأن التوراة قد ثبت عندنا وعندهم ، أن الله (تعالى)(٤) كتبها فى الألواح لموسى (عليه السلام)(٥) .

ويدّعى اليهود أن موسى عليه السلام ، نسخ لهم التوراة من تلك الألواح . فحصل من هذا أن التوراة تلقّيت بجملتها عن موسى عليه السلام . ثم انه حدث فيها من التغيير بعده ، ما قدمنا ذكره . وأما هذا الكتاب الذى يدعى النصارى أنه الانجيل ، فقد توافق هؤلاء النصارى ، على أنه انما تلقي عن اثنين من الحواريين وهما : متاؤش ويوحنا ، وعن اثنين من تلاميذ الحواريين وهما : مرقس ولوقا .
وأن عيسى عليه السلام لم يشافههم بكتاب (مكتوب)(٦) عن الله ، كما فعل موسى .
ولكن لما رفع الله عيسى (عليه السلام)(٧) (اليه)(٨) تفرق الحواريون فى البلاد(٩) والأقاليم ، كما أمرهم عيسى(١٠) .

---

(١) سقطت من "ب"
(٢) سقطت من "ب"
(٣) سورة آل عمران ٣-٤
(٤) ليست فى "ج"
(٥) سقطت من "ج"
(٦) فى "ب" (مكنون)
(٧) كما قال تعالى (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) النساء /١٥٧-١٥٨
(٨) سقطت من "ج" .
(٩) ألحقت بهامش "أ"
(١٠) كما فى انجيل يوحنا " أجابهم يسوع الآن تؤمنون . هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركوننى وحدى (يوحنا ١٦ : ٣٢)

فكان منهم من كتب بعض سيرة عيسى وبعض معجزاته وبعض أحواله حسبما تذكر وما يسّر الله عليه فيه . فربما توارد الأربعة على شئ واحد فحدثوا به ، وربما انفرد بعضهم بزيادة معنى . وكذلك كثيرا ما يوجد بينهم من اختلاف مساق ، وتناقض بين قولين (١) ، وزيادة ونقصان (٢) ، وسترد بعض ذلك ان شاء الله تعالى .

---

(١) فنذكر على سبيل المثال ما ورد فى انجيل لوقا : " وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله ... فقال لها الملاك لا تخافى يامريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ... و يملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية "
(لوقا الاصحاح الأول : ٢٦ - ٣٣)
ثم يذكر انجيل لوقا بعد ذلك : أن يسوع حمل الى بيلاطس مذلولا مهينا " وسأله (أى سأل بيلاطس يسوع) بكلام كثير فلم يجبه بشئ ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد " . (لوقا الاصحاح ٢٣ : ٩-١٥)
وهذا تناقض بين قولين ،لأن أحد النصين يجعل يسوع عليه السلام ملكا عظيما والآخر يصفه بالذل والمهانة ،ثم ان هذا الملك الذى بشر به لم يتحقق مطلقا ،أما على رأيكم فقد صلب ، وأما على رأينا (المسلمين) فقد رفعه الله تعالى من غير ملك ولا مهانة . (بين الاسلام والمسيحية ١٧٥)

(٢) فعلى سبيل المثال : ذكر انجيل لوقا أنه لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ظهر له ملاك السماء ليقويه ولم يذكر ذلك انجيل متى ولا مرقس ولا يوحنا . (انجيل لوقا / الاصحاح ٢٢ : ٤١ - ٤٣)
فان كانوا قد تركوا ذلك ، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام . وان كان الترك صحيحا فتكون الزيادة كذبا فى النسخة الأخرى ، مع أن نقل لوقا يقتضى رفع المسيح عليه السلام الى السماء لأن الملك لا تقتله اليهود ، وما نزل الا للعصمة من الأذى وهذا ظاهر وهو مبطل لمعتقدكم فى الصلب . ثم تقوية الملك ان كان للاهوت المتحد بالناسوت فمحال ،لأن الله تعالى لا يحتاج الى تقوية بغيره وان كان للناسوت ، فحينئذ أين هو اللاهوت ؟ فما حصل الاتحاد الذى تقولونه . (بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ١٧٦ نقلا عن كتاب الفاصل بين الحق والباطل)

(فعلى) هذا لا يسمى الانجيل كتاب الله (المنزّل) حقيقة ، فان حقيقة الكتاب المنزّل - بحكم العرف - انما هى عبارة عن جملة من كلام الله ، المبلغة (عن الله) على لسان رسول من رسله ، يحكيها ذلك الرسول عن الله تعالى . وليس شىء من هذا موجودا فى الأنجيل . فان سماه مسم كتابا منزلا ولم يرد هذا المعنى ، فلابد (من) أن نسأله عن المعنى الذى يريده بذلك الاطلاق ؟

(١) (٢) (٣) (٤)

فلاشك أنه يقول : انما سميته كتابا منزلا ، لأن عيسى جاء من عند الله (وبلّغنا) شرع الله .

(٥)

وفى ذلك الكتاب وصف سيرته ، وحكايات وأخبار عن الله ، فكيف لا يقال عليه هو كتاب الله ، ومنزل من الله ؟ فنقول له : تسمية (هذا) كتاب الله بالمجاز أو بالحقيقة ؟ فان قال : بالحقيقة ، فكلامه باطل . فان حقيقة كتاب الله المنزل هو ما قدمناه .

(٦) (٧)

وان قال بالمجاز قنعنا بهذا . ثم ألزمناه عليه ، أن يكون كل كتاب يحكى عن نبى من أنبياء الله ، وان ألفه أى مؤلف كان ، (هو) كتاب الله المنزل ولا فرق .

(٨)

---

(١) سقطت من "ب" (٢) ألحقت بهامش "أ"

(٣) سقطت من "أ" و "ج" (٤) ساقطة من "ب"

(٥) سقطت من "أ"

(٦) يقول صاحب كتاب الفاصل بين الحق والباطل : " ان عيسى عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقا ، ولم يترك شيئا مسطورا من أقواله ، ولم يكلف أحدا بجمع مقالاته ، ولا أملى انسانا شريعته . وانما أحاديثه ومواعظه كانت كلهما شفاها ، لم تحصرها الدفاتر ولا سطرتها الأقلام فى زمن المسيح عليه السلام ، ولا فى زمن متقارب منه ، لأن دينكم نشا فى الناصرة بين جماعة من صيادى الأسماك ... قليلى العدد ولا ختلاطهم باليهود ، واستيلاء الجهل عليهم ، لم يقدروا على كتابة شىء من أقوال المسيح عليه السلام ".

(عن كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ١٧٤)

(٧) ألحقت بهامش "أ"

(٨) ساقطة من "ج"

وإذا انتهينا الى هذا ، فقد حصل غرضنا . وهو : أن هذا الانجيل الذى بأيديهم ليس منزلا . ولا يقال عليه كتاب الله المنزل ، كما يقال على التوراة والانجيل والقرآن . وذلك ما كنا نبغى (١) .

فقد حصل من هذا الكلام أنه ليس منزلا من الله حقيقة ، وأن نقله ليس متواترا ، فانه راجع الى الأربعة الذين ذكرناهم . والعادة تجوّز عليهم الغلط والسهو والكذب .

فان قالوا : هم معصومون فيما نقلوه عن عيسي عليه السلام . قلنا : ما دليل عصمتهم ؟ فان قالوا : دليل عصمتهم ، أنهم كانوا أنبياء ، ودليل نبوتهم ما ظهر على أيديهم من خوارق العادات ، وشهادة عيسى عليه السلام لهم حيث قال لهم : " كل ما سألتموه اذا حسن ايمانكم ستجابون " (٢) .

وقال لهم : " ستوقفون على الملوك ويسألونكم فلا تفكروا فيما تقولونه فانكم ستهدون ذلك الوقت / لما تقولونه . ولستم تنطقون أنتم ، لكن روح القدس ينطق على (٨٤)
ألسنتكم " (٣) .

وقد جاء عن عيسى - عليه السلام - " أنه دعا الاثنى عشر حواريا ، وأعطاهم من القدرة والسلطان ما يتقون به جميع الجن ، ويبرءون به الأسقام " (٤) .

وكذلك قال : لينظر ما عقدته (أنت) (٥) فى الأرض فمعقود فى السماء ، وما حللته

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : (قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) سورة الكهف ٦٤

(٢) والنص : " فقال لهم يسوع لعدم ايمانكم فالحق أقول لكم لو كان لكم ايمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شىء غير ممكن لديكم . (انجيل متى الاصحاح ١٧ : ٢٠)

(٣) والنص : " احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم الى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ... " (متى ١٠ : ١٧-٢٠)

(٤) والنص " ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف " (متى ١٠ : ١)

(٥) الحقت بهامش " أ "

فى الأرض فمحلول فى السماء (١) .

وأما خوارق العادات ، فقد كانوا يحيون الموتى ويبرئون المرضى - كما كان يفعله عيسى عليه السلام - وذلك معروف من حالهم (٢) " .

قلنا : ما ذكرتموه عن عيسى -عليه السلام- من الشهادة (لهم) (٣) فلا يصح لكم الاستدلال بشىء مما ذكرتموه لوجوه :

أحدها : أنكم أسندتم ذلك الى الانجيل ، واستدللتم على صدقهم بما جاء عنهم فيه . وما جاء عنهم فيه لا يثبت حتى تثبت عصمتهم ، فلا يثبت بما ذكرتموه ، لا الانجيل ولا عصمتهم .

الوجه الثانى : أنا لو سلمنا ذلك لكم . لما كان فيما ذكرتموه حجة ، لأنه ليس شىء منها ينص على أنهم معصومون ، فيما أخبروا به على الاطلاق .

وغاية ما ذكرتموه : (أن يدل على أنهم يعانون ويؤيدون بما يبلغون) (٤) عن عيسى فى بعض الأوقات أو فى بعض (الأخبار والأحوال) (٥)

والوجه الثالث : ان ما ذكروه معارض بما نقلوه أيضا . وذلك أنهم نقلوا فى الانجيل أنه قال للحواريين : " يا نسل التشكيك والكفر ؟ الى متى أكون معكم ؟ والى متى احتملكم (٦) ؟

---

(١) والنص " كل ما تربطونه على الأرض ، يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء " (انجيل متى / الاصحاح ١٨ : ١٨)

(٢) واليك بعض ما جاء فى انجيل لوقا : "ودعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء أمراض وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى " وقال أيضا " فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه وارتاب لأن قوما كانوا يقولون ان يوحنا قد قام من الأموات . وقوما ان ايليا ظهر . وآخرين ان نبيا من القدماء قام " . (لوقا / الاصحاح التاسع : ١ - ٨)

(٣) ساقطة من " أ "

(٤) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٥) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٦) والنص " أيها الجيل غير المؤمن والملتوى الى متى أكون معكم واحتملكم " (لوقا ٩ : ٤١)

وأما ما قال (١) (لبطرس) فهو أيضا معارض بما حكيتم عنه أنه قال له: " تأخر (عنى) (٢) يا شيطان فانك جاهل بمرضات الله ؟ (٣)

وأما ما ادعوه من معجزاتهم ، فلم ينقل منها شيء على التواتر . وانما هي أخبار آحاد غير صحيحة ولو سلمنا أنها صحت لما دلت على صدقهم في كل الأحوال . وعلى أنهم أنبياء . فان القوم لم يدّعوا النبوة لأنفسهم ، وانما ادّعوا التبليغ عن عيسى عليه السلام .

فظهر من هذا البحث : أن الانجيل المدّعى لم ينقل تواترا ، ولم يقم دليل على عصمة ناقليه . فاذا يجوز الغلط والسهو على ناقليه ، فلا يحصل العلم بشيء منه . بل ولا غلبة ظن . فلا يلتفت اليه ، ولا يعول في الاحتجاج (عليه) (٤) .

وهذا كاف في رده ، وبيان قبول تحريفه ، وعدم الثقة بمضمنه . ولكنا مع ذلك : نعمد منه الى مواضع تتبين فيها تهافت نقلته ، ووقوع الغلط في نقله بحول الله (تعالى) (٥) .

تناقض الاناجيل بعضها مع بعض

فأول ذلك أنهم ذكروا في أول ورقة (من) (٦) انجيل (يوحنا) (٧) مباحث ذكر المسيح فقال : " ولد المسيح الذى هو بادىء الأشياء وعلتها الأولى ، علة جميع الأشياء وكل زمان ورأس كل نظام وأوليته جميع المراتب " (٨) .

---

(١) في النسخ الثلاث (لبيطر) (٢) سقطت من " أ " و " ج "

(٣) والنص " وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس " . (انجيل متى / الاصحاح ١٦ : ٢٣)

(٤) في " أ " (عليهم)

(٥) ليست في " ب " (٦) ألحقت بهامش " أ "

(٧) في " أ " (متى) وساقطة من " ب " و " ج "

(٨) وصواب النص : " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس . والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه " (يوحنا / الاصحاح الأول : ١-٥)

ثم قال بعد ذلك : في معرض مدحه المكلوم في لحمه المعلق في الخشبة . (١)

كيف يجترىء عاقل أن يتحدث بمثل هذا العار ؟ أو كيف يصح نسبة هذا التناقض البيّن الى أحد من الأخيار ؟ .

وذكروا فيه أيضا : " أن عيسى عليه السلام قال : أنا الباب فمن دخل عليّ يسلم (٢) ويجد مرعى أبدا ، ثم عرّض بمن قبله من الأنبياء ، فجعلهم لصوصا وسرّاقا فقال : أمين أمين . أقول لكم : انى أنا باب الضأن . والقادمون عليكم كانوا لصوصـا وسراقا ؟ ولا يقبل اللص الا ليسرق شيئا ويقتل . وأنا قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا . (٣)

وفي الانجيل أيضا أنه قال : " ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة ، ولكن غيري يشهد لي ". (٤)

ثم في موضع آخر (من) الانجيل أنه قال : " ان كنت أشهد لنفسي ، فشهادتي (٥) حق ، لأني أعلم من حيث جئت والى أين أذهب " ؟ (٦) فكيف تكون شهادته حقـا وباطلا ، ومقبولة وغير مقبولة ؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب ينسب الى الله ؟ / (٨٥)

---

(١) قارن يوحنا الاصحاح الأول : ٧٦-٧٨

(٢) والنص " فقال لهم يسوع أيضا الحق الحق أقول لكم انى أنا باب الخراف جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هـو الباب ان دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . السارق لا يأتي الا ليسرق ويذبح ويهلك وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل " (انجيل يوحنا / الاصحاح العاشر : ٧ - ١٠)

انهم يزعمون في هذا النص أن عيسى عليه السلام عرّض بمن قبله من الأنبياء واتهمهم بأنهم لصوصا وسراقا وهو يصف نفسه مثل ما وصف به غيره من الأنبياء ولا يزيد عنهم كما قال تعالى (قال انى عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا) (سورة مريم ٣٠)

(٣) يوحنا / الاصحاح ١٠ : ٧ - ١٠

(٤) والنص " ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا الذى يشهد لي هـو آخر وأنا أعلم أن شهادتي التى يشهدها لي هي حق " (يوحنا ٥ : ٣١-٣٢)

(٥) في "ب" (في) (٦) والنص " وقال لهم : وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت والى أين أذهب " (يوحنا ٨ : ١٤)

وفى الانجيل (١) (أيضا) (٢) : انه حين استشعر بوثوب يهود عليه قال : " قد جزعت نفسى الآن فماذا أقول يا أبتاه ؟ فسلمنى فى هذا الوقت " (٣) وانه حين رفع فسى الخشبة ، صاح صياحا عظيما وقال : آلى آلى لم عدبتاى ؟ وترجمته : الهسى الهى لم أسلمتنى ؟ (٤)

ثم (فى) (٥) أول ورقة (منه) (٦) ، انما أسلم نفسه لتظهر قهرته بسلطانه على الموت ، وظفرته على جميع الألم والمهن التى تستقبحها أوهام الآدميين (٧). فكيف يصيح ويجزع مما تظهر به قدرته وقهرته ؟ وهل سمع (قط) (٨) أسخف من هذا القول ؟ أو أظهر تناقضا منه ؟

ثم فى موضع آخر منه أنه قال قبل ذلك " من أحب أن يقفوا أثرى فليذهب نفسه " (٩). فحرّض على اتلاف النفوس ، فكيف يجزع مما يحرض عليه قبل ؟ أم كيف يكون الهـا وتجزع نفسه ؟ أم كيف يكون ابن الله ثم يدعوه أن يخلصه فى ذلك الوقت فلم يستجب له ؟ (١٠)

---

(١) فى انجيل متى الاصحاح ٢٦ (٢) سقطت من " ج "

(٣) والنص " فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت ... وخر على وجه وكان يصلى قائلا يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس " (متى ٢٦ : ٣٨-٣٩)

(٤) والنص " صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلى ايلى لما شبقتنى أى : الهى الهى لماذا تركتنى ". (انجيل متى الاصحاح ٢٧ : ٤٦)

(٥) ساقطة من " ب "

(٦) فى "ب" (منها)

(٧) سفر أعمال الرسل / الاصحاح الثانى : ٢٢ - ٢٤) وانجيل يوحنا (١ : ٢٩-٣٠)

(٨) ألحقت بهامش " أ "

(٩) والنص كما جاء فى متى " ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى . من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها " (متى الاصحاح ١٠ : ٣٨-٣٩)

(١٠) أنظر هذا الرد فى كتاب بين الاسلام والمسيحية لابى عبيدة الخزرجى / ١٨٠+

ومن أظهر دليل على وقوع الغلط فيه ، أن في انجيل متاؤش الحوارى حين ذكر نسب عيسى عليه السلام " حيث نزل خطيب مريم أبا لعيسى فقال بن يوسف بن يعقوب بن متان بن (عزاريين اليوث) (١) بن أخيم : وعد الى ابراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبا " (٢) .

ثم في انجيل لوقا (٣) " يقول يوسف بن هالى بن متان بن لاوى بن ملحى بن متنان " : وعد الى ابراهيم نيفا وخمسين أبا " فياليت شعرى كيف يجوز مثل هذا على الله؟ أو كيف ينقل هذا في كتاب معلوم عن الله ؟ .

وقد أراد بعض أساقفتهم أن يرقع هذا الخرق المتسع بأن قال : " أحد النسبين طبيعى ، نسب التوليد ، والآخر نسب شرعى ، نسب الولاء والكفالة " (٤) . والتناقض باق عليه بعد اختراع هذا الهذيان (٥) .

ثم انظر هذه الشناعة التى ارتكبوها ، حيث نسبوا عيسى عليه السلام الى رجل زعموا أنه خطب أمه مريم ، وأى نسبة تثبت بينهما ، بأن أراد أن يتزوج انسان أمه ؟ ثم انهم يبلغون نسب يوسف الى آدم (٦) . ثم يقولون الى الله .

فهلا (عليهم) (٧) يستغنون عن ذكر نسب من لا ينتسب له عيسى ، ويقولون في عيسى ما يقولون في آدم لولا الجهل والتحكم ؟ !!

وفى الانجيل عنه " أنه كان يوما قد نهاهم عن التجارة في بيت المقدس . وأن اليهود قالت له (حينئذ) (٨) أى علامة تظهر لنا ؟ قال تهدمون هذا البيت وأبنيه

---

(١) يقصد اليعازر بن أليود (٢) متى / الاصحاح الأول : ١-١٩

(٣) والنص " وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالى بن متثات بن لاوى بن ملكى بن ينايين يوسف " (انجيل لوقا الاصحاح الثالث : ٢٣)

(٤) انظر كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ١٨١

(٥) حتى أن أحد ملوك العجم غير المتنصرة اطلع في أناجيلهم على هذا التناقض في نسب عيسى عليه السلام فعابه عليكم وشافه أربابكم فيه ، فلم يكن فيهم من يعتذر عن ذلك وسقط ما بأيديهم (بين الاسلام والمسيحية ١٨٠- ١٨١) .

(٦) كما يذكرون في إنجيل لوقا الاصحاح الثالث ٢٣ - ٣٨ .

(٧) سقطت من " ب " (٨) سقطت من " ج "

لكم فى ثلاثة أيام . فقالت اليهود بيت بنى فى خمسة وأربعين سنة تبنيه أنـــت فى ثلاثة أيام !! " (١) .

ثم فى موضع آخر منه : " أنه لما ظفرت به اليهود - بظنكم - وحمل الى بلاط قيصر (واستدعيت) (٢) عليه بينة . أن شاهدى زور ، جاءا اليه . وقالا : سمعنا هذا يقول : أنا قادر على بنيان البيت فى ثلاثة " (٣)

وهذه شهادة موافقة لما قال عيسى لليهود . فهذا الشاهد قال عليه الحق (على ما) (٤) يقتضيه كلامه . ومن شهد بما سمع ، كيف يقال عليه شاهد الزور ؟ أو كيف يسميه الله شاهد زور ؟

ومن أعجب الأشياء : أن اليهود لا تعرف شيئا من هذا . ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون فى مزخرفات كتبكم . (٥)

وفى الانجيل أيضا للوقا : " أن عيسى قال لرجلين من تلاميذه ، اذهبا الى الحصن الذى يقابلكما ، فاذا دخلتماه فتجدان فلوا مربوطا لم يركبه أحد ، فحلاه واقبلا به الىّ " (٦) .

---

(١) والنص : " فأجاب اليهود وقالوا له : أية آية ترينا حتى تفعل هذا أجاب يسوع وقال لهم . انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه . فقال اليهود فى ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه " .
(يوحنا /الاصحاح الثانى : ١٨ - ٢٠)

(٢) فى " ب " و " ج " (واسترعيت)

(٣) والنص " وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور علـــى يسوع لكى يقتلوه . فلم يجدوا . ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور وقالا : هذا قال انى أقدر أن أنقض هيكل اللـــه وفى ثلاثة أيام أبنيه " (انجيل متى / الاصحاح ٢٦ : ٥٩ - ٦١)

(٤) فى " أ " (لما)

(٥) انظر هذا الرد فى كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ١٨٢ .

(٦) والنص " أرسل اثنين من تلاميذه قائلا : اذهبا الى القرية التى أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس قط فحلاه وآتيا به . (انجيل لوقا /الاصحاح ١٩ : ٢٩ - ٣٠)

وفي الانجيل "لمتاؤش[2] يصف هذا الخبر بعينه ، ويذكر أنها كانت حمارة"[1] فحسبك بهذا خللا وتناقضا .

وفي الانجيل أيضا للوقا " يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلي المسيح ، وشق ذلك على التلاميذ وقالوا لها هلّا تصدقت به ؟[3]

وفي الانجيل لمتاؤش / " انها صبت الطيب على رأس المسيح[4] . فما أبعد اليقين (٨٦)
عن خبر فيه مثل هذا الاختلاف المبين .

وفي الانجيل أيضا : " أن أم (ابن)[5] سبداى[6] جاءت الى عيسى ومعها ابناها ، فقال : ما تريدين ؟ فقالت : أريد أن تجلس ولداى ، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك اذا جلست في ملكك . فقال : تجهلين السؤال . أتصبران على الكاس التي أشرب بها ؟ فقالا : نصبر ، فقال ستشربان بكأسي وليس اليّ تجليسكما عن يميني ولا عن شمالي ، الا لمن وهب ذلك لي "[7].

---

(١) والنص " حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما اذهبا الى القرية التي أمامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتياني بهما " (متى ٢١ : ١-٢)

(٢) والذى ورد في متى كما تبين أنها كانت حمارة ومعها جحشا مربوطا . ومع ذلك يختلف النص الذى في متى عما ورد في انجيل لوقا بزيادة كلمة حمارة .

(٣) قارن لوقا // الاصحاح السابع : ٣٧ - ٥٠

(٤) والنص بتمامه في متى " وفيما كان يسوع في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكىء . فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين لماذا هذا الاتلاف لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء ".(متى الاصحاح ٢٦ : ٦-٩)

(٥) ألحقت بهامش " أ "

(٦) هكذا في " أ " وهو يقصد (أم ابني زبدى " وفي " ج " (سبغاى)

(٧) قارن متى (الاصحاح العشرون : ٢٠ - ٢٣)

فقد أخبر (هنا)(١) أنه لا يقدر على تجليسهما عن يمينه ولا عن شماله .(٢)

وفى أول ورقة منه(٣) أنه بادى الأشياء وعلتها وعلة كل (زمن) .(٤)

فكيف يصح أن يكون بادى الأشياء كلها وعلتها (ولا يقدر أن يجلسهما عن يمينه ولا عن شماله) .(٥) ثم يتبرأ عن ذلك بقوله : الا لمن وهب ذلك لى ، ولا مزيد فى التناقض والفساد على هذا .

وفى الانجيل أيضا(٦) " أنه قال : لا تحسبوا أنى قدمت لاصلح بين أهل الأرض - لم آت لصلاحهم ، لكن لألقى المحاربة بينهم - انما قدمت لأفرق بين المرء وابنه والمرأة وابنها ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته " .

وفيه أيضا عنه(٧) " انما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيرا ، واصلح بين الناس " وانه قال : " من لطم خدك اليمنى فانصب اليسرى "(٨) ولا مزيد فى التناقض والفساد على هذا .

---

(١) فى "ب" (هذا)

(٢) ويفهم من النص المتقدم أن عيسى عليه السلام بشر لأنه رد الأمر الى اللـــه تعالى وهذا يتناقض مع قول النصارى من أن عيسى اله أو ابن اله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(٣) فى انجيل يوحنا / الاصحاح الأول : (١ - ٣) (٤) فى "أ" و "ج") (زمان)

(٥) فى " أ " جاءت (عن يمينه) والأصح عن شماله .

(٦) والنص كما فى متى " لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض . ما جئت لألقى سلاما بل سيفا . فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والأبنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الانسان أهل بيته " (متى ١٠ : ٣٤-٣٦)

(٧) والنص " كما أن ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " (متى الاصحاح ٢٠ : ٢٨)

ونلحظ أن النص الأول جعل المسيح نفسه نقمة على العالم ، وفى النـــص الثانى بين جاء رحمة للناس . وبينهما من التناقض العجيب ونحن نبرئ المسيح عليه السلام لأنه مرسل من عند الله ولا يمكن أن يكون نقمة على العالم .

(بتصرف عن كتاب بين الاسلام والمسيحية ١٨٧)

(٨) والنص " لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا " (انجيل متى الاصحاح الخامس : ٣٩)

وفي الانجيل أيضا " أنه قال : لم آت لأنقض شريعة من قبلي انما جئت لأتمم "(١) وكلاما من معناه . ثم فيه بعد أحرف قليلة ، كلام آخر ينقض فيه شريعة من قبله ، وذلك قال : " أما علمت أنه قيل للقدماء : لا تقتلوا ، ومن قتل فقد استوجب القتل . وأنا أقول : كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة ، ومن قذف أخاه فقد استوجب النفي من الجماعة "(٢).

ثم قال بعد ذلك : " أما علمتم أنه قيل للقدماء : من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق . وأنا أقول لكم : من فارق امرأته (منكم)(٣) فقد جعل لها سبيلا الى الزنا . ومن زوج مطلقة فهو فاسق "(٤) . ثم قال " أما بلغكم أنه قيل للقدماء العين بالعين والسن بالسن ، وأنا أقول لكم لا تكافئوا أحدا بسيئة ، ولكن من لطم خدك اليمنى فانصب له اليسرى ، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده أيضا رداءك "(٥) .

كيف يصح أن يقول : لم آت لأنقض شريعة من قبلي ثم ينقضها حكما حكما ؟ ثم قوله : جئت متمما . لا يصح أيضا . (فان)(٦) شريعة موسى كانت تامة كاملة ، والتام لا يتمم ، والكامل لا يكمل . فهذا تناقض وفساد .

---

(١) والنص " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل " (انجيل متى / الاصحاح الخامس: ١٧)

(٢) قارن هذا بما في انجيل متى ٥ : (٢١ - ٢٢) (٣) ألحقت بهامش " أ "

(٤) والنص : وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته الا لعلة الزنى يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فانه يزني " (متى / الاصحاح ٥ : (٣١-٣٢)

(٥) والنص " سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا " (متى ٥ : ٣٨ - ٤٠) وقد أشار القرآن الى ما أشارت اليه التوراة في قوله تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص" (المائدة ٤٥ (٦) في "ب" (وان)

وعيسى عليه السلام منزه مبرأ عن كل تناقض وفساد . وليس هذا ولا شيء منه من قبله (بل)(١) هو منزه عن ذلك كله .

(وفى)(٢) الانجيل أيضا لمتاؤش " أن المسيح قال لبطرس(٣) طوبى لك يا شمعون بن الحمامة ، وأنا أقول : انك الحجر ، وعلى هذا الحجر ابتنى بيتى . فكل ما حللته على الأرض يكون محلولا فى السماء ، وما عقدته على الأرض يكون معقودا فى السماء(٤) ". ثم بعد أحرف يسيرة قال (بعينه)(٥) : " اذهب (عنى)(٦) ياشيطان ولا تعارض فانك جاهل بكونى(٧) " .

فكيف يكون شيطان جاهل يطيعه صاحب السماء ؟(٨) وهذا غاية التناقض .

وفى الانجيل (أيضا)(٩) لمتاؤش : أن عيسى قال " لم تلد النساء مثل يحى(١٠) " ثم فى انجيل يوحنا " أن يحى بعثت اليه اليهود من يكشف لهم عن أمره فسألوه : من هو ؟ أهو المسيح ؟ قال: لا قالوا : أتراك الياس ؟ قال : لا قالوا : أنت نبى ؟ قال : لا قالوا : أخبرنا من أنت ؟ قال : أنا صوت مناد فى(١١)

---

(١) ساقطة من "ب" (٢) ساقطة من "ب"

(٣) فى النسخ الثلاث (لبيطر)

(٤) والنص " وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . واعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات" . (متى ١٦ : ١٨ - ١٩)

(٥) فى "ب" (له) (٦) سقطت من "أ" و "ج"

(٧) والنص : " وقال لبطرس اذهب عنى ياشيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (انجيل متى / الاصحاح ١٦ : ٢٣)

(٨) انظر كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ١٨٩

(٩) سقطت من "ج"

(١٠) والنص " الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان " (انجيل متى / الاصحاح ١١ : ١١)

(١١) انجيل يوحنا - الاصحاح الأول : ١٩ - ٢٣)

(المفاز) "، (٣) فنفي عن نفسه كونه / نبيا ، ولا يجوز لنبى أن ينكر نبوته ،(١)(٢) فانه (٨٧)
يكون كاذبا ، والنبى (صادق) (٤) لا يكذب .

---

(١) فى "ب" (المعاد)

(٢) والنص : " وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت . فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح . فسألوه اذا ماذا . ايلياء أنت . فقال لست أنا . النبى أنت . فأجاب لا فقالوا له : من أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ماذا تقول عن نفسك قال : أنا صوت صارخ في البرية " . (انجيل يوحنا - الاصحاح الأول : ١٩-٢٣)

(٣) فهم المؤلف من النص أن يحيى أنكر نبوته كما ظهر له . والواقع أن هذا خلاف ما ظهر له ، حيث أن يحى بن زكريا لما ظهر نبيا فى اليهود فى مطلع القرن الأول من الميلاد ليبشر بالمسيح ويمهد له الطريق كان اليهود يعلمون يقينا من نبوءات كتبهم أنه لا يزال هناك ثلاثة أنبياء لم يظهروا بعد وهم : ايلياء وهو الياس والمسيح ، والنبى . ومن الواضح اذا أن لكل واحد من الثلاثة الذين كان ينتظرهم اليهود اسما يعرف به . ولما كان اليهود قد اشتهروا بظهور الأنبياء فيهم ، فان تسمية هذا النبى المرتقب الأخير باسم (النبى) يعنى أنه نبى ولكنه ليس ككل الأنبياء . أنه نبى أمره جلّل ونبأه عظيم انه نبى الزمان أو هو النبى المرتقب .
(النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والاسلام للمهندس أحمد عبد الوهاب ١٤٣ - ١٤٤)

ولهذا لم يكذب يحى عليه السلام عندما سأله اليهود هل أنت المسيح فقال لهم لا . ثم سألوه هل أنت ايلياء (الياس) قال لهم لا ، هل أنت النبى - يقصدون به محمد عليه الصلاة والسلام والذى يوجد وصفه عندهم فى التوراة - فقال لهم لا . فهو ليس من الثلاثة الذين سأل اليهود عنهم فهو اذا لم ينفى عن نفسه النبوة فى أية حال .

(٤) فى "أ" (صادقا)

فيلزمهم أحد (الأمرين)(١) : اما أن يكون يحى ليس بنبى ، وهو باطل . أو يكون انجيلهم محرفا وهو حق .

ولو تتبع ما فيه من هذا القبيل ، لاحتاج ذلك الى التكثير والتطويل . وبموضع واحد من هذه المواضع ، يحصل أن كتابهم قابل للتحريف والتغيير . فكيف بالتزيّد والتكثير ؟ فقد حصل من هذا البحث الصحيح : أن التوراة والانجيل لا تحصل الثقة بهما ، فلا يصح الاستدلال بهما ، لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير. وقد دللنا على بعض ما وقع فيهما من ذلك . واذا جاز مثل ذلك فى هذين الكتابين ، مع كونهما أشهر ما عندهم ، وأعظم عمدهم ومستند ديانتهم ، فما ظنك بغير ذينك من سائر كتبهم التى يستدلون بها مما ليس مشهورا مثلهما ، ولا منسوبا الى الله نسبتهما ؟

فعلى هذا : هما أولى بعدم التواتر ، وبقبول التحريف فيهما ، (فان)(٢) ادّعوا تواتر شىء من ذلك ، فلينظر ، هل كملت فيه شروط التواتر أم لا ؟ فان كملت قبلنا وآمنا . وان لم تكمل توقفنا وطالبناهم بالطريق الموصل الى العلم .

فاذا ثبتت هذه المقدمة ، قلنا بعدها للمستدل على (اثبات)(٣) نبوة عيسى (بالأدلة المتقدمة : لا تظن أنّا نرد نبوة عيسى)(٤) أو أنّا نشك فيها . حاشى لله . بل نحن أحق وأولى بعيسى بن مريم منكم . فانكم قلتم فيه ما لا ينبغى له ، ونسبتموه الى ما (يتبرأ)(٥) هو منه(٦) . بل أنتم لعمر الله أبعد منه ، وابغض اليه ممن أنكر نبوته وكفر به . فان من أنكر نبوته وكفر به لم يشرك بالله كما فعلتم أنتم ، حيث جعلتموه الها آخر ، ولم يعرّض بعيسى عليه السلام للموقف الخجل الذى يسئله الله فيه عن غلوكم فيه وعبادتكم له ، حيث يقول الله له : (ياعيسى بن مريم ؟ أأنت قلت للناس

---

(١) فى "ب" (أمرين)

(٢) فى "أ" (فاذا)

(٣) ساقطة من "ب"

(٤) ما بين القوسين سقط من "ج"

(٥) فى "ب" (تبرأ)

(٦) من زعمهم بأن عيسى اله كما قال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) المائدة ٧٢ ومن زعمهم بأنه ابن الله كما قال عنهم القرآن (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) (التوبة ٣٠)

اتخذونى وأمي الهين من دون الله)[١] فيقول خجلا فزعا متبرءًا من قبيح ما نسبتموه اليه (سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى[٢] بحق ان كنت قلته فقد علمته)[٣]

وأما نحن ، فانما نقول فيه : ما قاله الله على لسان رسوله المصطفى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام)[٤]

وما قاله الله أيضا فيه على لسان أشعياء ، حيث بشر به ، وأخبر بقدومه : " هذا غلامى المصطفى وحبيبي الذى ارتضت به نفسي "[٥] ، وما قاله هو عن نفسه ، حين تكلم فى (مهده)[٦] : (إني عبد الله ، آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا)[٧] فنحن نعرفه حق معرفته ،

ونؤمن بنبوته وشريعته ونحيل عليه الآلهية ، اذ ليست من صفته :(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما (كنتم)[٨] تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)[٩] .

ثم انا نعرف ما ذكرناه من وصفه بأدلة كثيرة قاطعة ، وبراهين صادعة تخضع لهما رقاب الجاحدين ، ويستضيء[١٠] بنورها بصائر المبصرين . واذا كان كذلك : فما استدللت (به) أنت[١١] على نبوة عيسى من كلام النبيين - ان صح - فهو زيادة فى أنواع الأدلة ، لا فى نفى اليقين . فلذلك لا نباحثك فيها ولا نبالى بك ، أتجهلها أم تدريها ؟!! على أنا لو ناقشناك فى تلك الأدلة ، لأظهرنا لك فيها الفساد والعلة . ولكن ما لا يخالف غرضنا ولا يقتضيه فما (بالنا)[١٢] نطول أنفاسنا فيه .

---

(١) سورة المائدة ١١٦ (٢) سقطت من " أ "

(٣) سورة المائدة ١١٦ (٤) سورة المائدة ٧٥

(٥) والنص " هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرّت به نفسى " (أشعياء / الاصحاح ٤٢ : ١)

(٦) فى " ج " (هذا) وماأثبتناه هو الصواب.

(٧) سورة مريم ٣٠ - ٣١ (٨) سقطت من " ب "

(٩) سورة آل عمران ٧٩ (١٠) فى " ب " (يشفي)

(١١) ساقطة من " ب " وفى " ج " (أنت به)

(١٢) فى " ج " (بالك) وما أثبتناه هو الصواب .

(٨٨)

الفصل الرابع

(في بيان ما ورد من بعض شبهات النصارى[1])

(من حكاية كلامه أيضا[2])

قال : " وأنت أيها الانسان ، تجدوا في كتابكم في آل عمران (وأنزل التوراة والأنجيل من قبل هدى للناس)[3] فأنت مقر بالتوراة والانجيل ، فأثبتوا دينكم من التوراة ، كما أثبتنا نحن ديننا من كتب الأنبياء ".

واعلم أنه لا يقبل لكم من كتبكم (شيئا)[4] . فان قلت من كتابك شيئا ، قلت لك : كما قال رسولك " البينة لمن ادعى (واليمين)[5] على من أنكر "[6]

فوجب عليك أن تثبت دينك من التوراة والانجيل التي أنت مقر (بهما)[7] ، وأنت مدّعي أن كتابكم من الله فأثبتوه من التوراة بالعبراني ، ومن الانجيل بالعجمي كما أنتم مقرون[8] . وقولكم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل)[9] فاني

---

(١) ما بين القوسين اضافة مني (٢) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٣) سورة آل عمران ٣ - ٤ (٤) في "ب" (شيء) والصحيح ما أثبتناه

(٥) وردت في "أ" (والبينة) .

(٦) ونص الحديث كما رواه الدارقطني " البينة على المدعي واليمين على من أنكر" (سنن الدارقطني ٤/٢٠٩ كتاب في الأقضية والأحكام) والحديث فيه ضعف مع أنه مرسل (كشف الخفاء ١/٩٢٥)
وورد الحديث برواية أخرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته (البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه) وهذا حديث في اسناده مقال ، ومحمد بن عبيد الله العرزمي يضعّف في الحديث من قبل حفظه ، ضعفه ابن المبارك وغيره . (صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ٦/٨٧ كتاب الأحكام - باب ما جاء في أن البينة على المدعي..)

(٧) في "أ" و"ج" (بهم)

(٨) نحن نقر بما أنزل على موسى وعيسى عليهما السلام ، أما الكتب المتداولة بينهم الآن فلا نقر بما فيها لأنها محرفة .

(٩) سورة آل عمران / ١٤٤ .

أطالبك (١) من الكتب (٢) التي جاءت به الرسل ، كما قلتم : فأت بما ادعيت والا يميني لأني أنكر لك . (ولا يقبل) (٣) لك من النبوات والروايات (المرويات) (٤) عن مسلم (٥) في كتابه (٦) الذي قال : حدثنا سفيان عن الزهري عن قتادة عن عائشة قالت : جاءت امرأة رفاعة (٧) الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) (٨) فقالت : له كنت لرفاعة فطلقني ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير (٩) فتبسم الرسول ضاحكا وقال :

أتريدين أن ترجعي الى رفاعة ، لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عبد الرحمن بن الزبير عسيلتك " . (١٠)

---

(١) في " أ " و " ج " أطلبك) (٢) في " ج " (الكتاب)

(٣) في " ج " (ولا أقبل) (٤) سقطت من " ب "

(٥) هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ولد سنة ٢٠٦ هـ وهو احد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، رحل الى الحجاز ، والعراق والشام في طلب الحديث وهو صاحب صحيح مسلم . توفي سنة ٢٦١ هـ ودفن بنصر آباذ ظاهر بنيسابور (وفيات الأعيان ٥/١٩٧)

(٦) المشهور وهو صحيح مسلم .

(٧) هو رفاعة بن رفاعة القرظي من بني قريظة . روى عنه ابنه قال : نزلت صدر هذه الآية (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يذكرون) القصص ٥١ - في عشرة أنا أحدهم . (الاستيعاب ٢/٧٧١) (٨) ساقطة من " أ " و " ج " .

(٩) هو عبد الرحمن بن الزبير القرظي المدني له صحبة (تهذيب التهذيب ٦/١٥٣)

(١٠) ونص رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : " جاءت امرأة رفاعة القرظي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : كنت عند رفاعة فطلقني فأبت طلاقي فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير انما معه مثل هدبة الثوب فقال (أتريدين أن ترجعي الى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك " . (صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/٢ كتاب النكاح باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره) (ورواه البخاري رقم الحديث (٢٤٩٦) كتاب الشهادات باب شهادة المختبي) والترمذي رقم الحديث ٤٢ أبواب النكاح باب ما جاء فيمن يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر .

وفى رواية أخرى عن عائشة قالت : طلق رجل امرأة ثلاثة ، فتزوجها رجل ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، وأراد زوجها الأول أن يتزوجها فسئل الرسول عن ذلك قال : لا حتى يذوق الآخر من عسيلتها ما ذاق الأول "(١) فافهم .

فمثل هذه النبوات لا يقبلوها منكم ، لأن المسيح يقول " لا ينبغى للرجل طلاق زوجته الا أن تزنى أو ان زنت فلا يحل له مراجعتها ، ومن طلق امرأته فقد جعل (لها)(٢) سبيلا الى الزنا ، أعنى من طلقها دون سبب . ومن زوج مطلقة فهو فاسق بها "(٣) .

وأنتم تقولوا لا يحل لزوجها مراجعتها الا أن تزنى . بدل أن تنتهوا عن الزنا تأمروا بالزنا ، وهو عندكم فريضة التياس(٤) . وأنا أريد قطع ذنب التيس ، وأن نجعله فى ذقنه ليلوح أسته لمعرة صرصر الشمال ، وحمارة قيض هجير الجنوب .

وهذا جواب كلامك انتصافا منك كما يقول قرآنك " ومن انتصف بعد ظلمه فلا جناح عليه "(٥) فافهم . ثم قلت فى شعرك : أراد النصارى ينصرون معالهم (فانصر)(٦) أنت معالك . لأنك قلت : بالسفه والطعن فى ديننا . وقلت الكذب على مسيحنا .

فكيف قلت ما لم تعلم ؟ وكيف تجرأت أن تتكلم ؟ واعلم أنك ان أرسلت بعد هذا بالشتم ، فانى أبعث الى كل بلد (كتابا)(٧) بنص شريعتكم ، وبكل ما يعرف فيها من الأتاويل التى لا (تقدرون)(٨) على انكارها فافهم .

لأنك قلت فى المسيح أنه غثاء وأوضار ، وأنك سببت الحاكم عليك وعلى جميع الأمم يوم القيامة ، لكن سوف تلقاه حاكما ليس يطلب (عليك)(٩) بينة .

---

(١) رواه ابن أبى شيبة عن ابن عمر وعائشة بنحو منه (المصنف فى الأحاديث والآثار ٤/٢٧٥ كتاب النكاح / باب فى الرجل يطلق امرأته ثلاثا فتزوج زوجا)

(٢) فى "ب" (له)   (٣) قارن متى / الاصحاح ٥ : ٣١-٣٢

(٤) يشير الى قوله عليه السلام" أتدرون من التيس المستعار " كما سيأتى فى الحديث.

(٥) يشير الى قوله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) الشورى ٤١

(٦) فى "ب" (فانظر) وما أثبتناه هو الصواب .

(٧) فى "أ" و "ج" (كتاب)   (٨) فى النسخ الثلاث (تقدروا)

(٩) لم ترد فى النسخ الثلاث وهى اضافة منى .

فان أرسلت بعد هذا بالشتم ، فانى أعرّفك بشجرتك ما هى ؟ حتى تعلم من أنت ؟ واعلم انى لم (أرد)(١) فى الأول شتم أحد . لكن لما بعث النّبيّ أول كتاب السفه والسب ، وددّت له الجواب بأمه هاجر ، ولم نقل فيها عشر ما قال الله فيها فى التوراة .

فاسمع قول الله عنها وعن ابنها(٢) " (رأت) سارة ابن هاجر المصرى ، الذى ولدت لابراهيم ، وهو يلعب فقالت لابراهيم : ارمى هذه الأمة وابنها (ان)(٣) ليس يرث هذه الأمة وابنها مع ابنى اسحق فصعب على ابراهيم ما قالت له عن ابنه فقال الله : / لابراهيم ، لا يصعب عليك بك كلام سارة عن الصبى وعن أمتك وجميع ماتقول (٨٩) لك سارة اسمع من قولها . فقال ابراهيم : هذا كلام الله النّبيّ قائلا : لا يرثك هذا ان الذى يخرج من صلبك هو يرثك . ثم قال الله لابراهيم : باسحق يتسمى نسلك(٤) " فافهم ترشد .

واعلم كيف قطع الله ورث اسماعيل وأمه فى قوله : لا يرثك هذا(٥) .

(ثم قال عن اسحق : الذى يخرج من صلبك ، وكيف)(٦) قال الله لابراهيم ، باسحق يتسمى نسلك ، ولم يقل باسماعيل يتسمى نسلك(٧) .

---

(١) فى النسخ الثلاث (أريد) (٢) ألحقت بهامش " ج "

(٣) سقطت من "ب"

(٤) والنص " ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح . فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق فقبح الكلام جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه فقال الله لابراهيم : لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل ". (تكوين الاصحاح ٢١ : ٩-١٢)

(٥) ان هذا القول هو قول سارة لابراهيم وليس من قول الله ولهذا قال الله لابراهيم " باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك " (تكوين ٢١ : ١٢ - ١٣)

(٦) ما بين القوسين سقط من " ج "

(٧) ان التأكيدات التى وردت فى التوراة على بركة اسحق والتى ظهرت فى يعقوب ابنه لها ما يماثلها من التأكيدات على بركة اسماعيل كما سنرى . (أقانيم النصارى د . السقا / ١٢٩)

فأخذ ابراهيم خبزا وجرة ماء ، وجعل على أكتاف الأمة . وجعل اسماعيل على عنقها بالليل ، وأخرجها بولدها عن العمران (١) " فتنسلت منه الأمة الذى قال فيها قرآنكم ، أشد كفرا ونفاقا (٢) فافهم .

والسلام على من اتبع الهدى وآمن بشريعة المسيح حقيقة الايمان ورحمة الله وبركاته ". كمل كلامه .

(٣) (الجواب عما ذكره) (فى هذا الفصل) (٤)

اعلم يا هذا المخدوع ؟ المصروف عن المعارف الممنوع الشاهد عليه جهله ، بأنه ليس بتابع ولا متبوع ، أنّا نؤمن بالله وكتبه ولا نفرق بين أحد من رسله (٥) . فنؤمن بالتوراة والانجيل (٦) ، الّذين أنزلهما على رسوليه الملك الجليل . ولكن قبل أن يعتريهما التغيير والتبديل (٧) .

وقد نبهنا على أن الكتاب الذى بأيديكم المسمى بالانجيل عندكم ، لا يقال عليه منزّل بالحقيقة ، كما تقدم من تلك الطريقة . ثم انا نسلم جدلا (بصحة) (٨) ماتدّعونه من تلك الكتب . ونبين صحة نبوة نبينا منها عن كثب .

فأما قولك واعلم أنا لا نقبل من كتبكم شيئا ، فليس ذلك بأول عنادكم ، فكم لكم منها، وكم

---

(١) والنص كما فى سفر التكوين " فبكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت فى برية بئر سبع " (تكوين ٢١ : ١٤)

(٢) يريد أن يشير الى قوله تعالى : (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) التوبة / ٩٧

(٣) ما بين القوسين سقط من " ب " (٤) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ب "

(٥) اقتباس من الآية " آمن الرسول بما أنزل من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) البقرة /٢٨٥ .

(٦) الآية السابقة تصلح دليلا على وجوب الايمان بالتوراة والانجيل .

(٧) وقد أشار القرآن الى هذا التحريف (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) البقرة ٧٩

(٨) فى " ب " و " ج " (صحة)

شنشنة أعرفها (من)(١) أخزم (٢). لكنكم لستم عند العقلاء أهلا لقبول حق ولا لرد باطل ، فليس ردكم بأولى من قبولكم . (وهكذا)(٣) فعل الرعاع الغثر الغشاء الغبر(٤) ، يقبلون بغير دليل ، ويردون بغير حجة ولا سبيل ؟ .

والا فما الدليل الذى أوجب عندكم ، الا تقبلوا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع وضوح معجزاته ، وعدالة بيناته ؟(٥) على ما نبينه ان شاء الله (تعالى) .

فظهر من هذا : أن ردكم لدينا ليس بدليل . وانما هو لأجل اتباع قول كل جهول دخيل . يحكم على عقله هواه ، ويطيح معه حيث ما رماه . ولأجل ذلك صار دينكم ضحكة العقلاء ، مشتملا على كل مقالة شنعاء . ومن كان هذا منهج سبيله ، فرده لغير معنى بمثابة قبوله .

ولقد كان ينبغى لك لو كنت على سنن النظار ، أهل البحث عن الحق والاعتبار ، أن تحكى دينا ، وتستدل بزعمك على فساده ، كما قد فعلنا نحن بدينكم ، اذ بينا تناقضه وعدم سداده . على أنه قد تبين الصبح لذى عينين(٦) ، ووضحت الشمس لسليم الحاستين :

ماضر شمس الضحى فى الجو مشرقة (أن)(٧) لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر(٨)

(ثم قلت)(٩) متواقحا فى قولك ، مستهزئا برسول ربك . فان قلت من كتابك شيئا ، قلت لك : كما قال رسولك : " البينة على من ادعى واليمين على من أنكر "(١٠) .

---

(١) فى النسخ الثلاث (فى) والصواب كما فى المثل

(٢) تقدم شرح المثل . انظر جمهرة الأمثال ١/ ٥٤١ - ٥٤٢ وكتاب الأمثال لابن سلام ١٤٤ .

(٣) فى " ج " (هذا)

(٤) تقدم تفسير معنى هذا الكلام .

(٥) ليست فى " ج " .

(٦) هذا المثل يضرب فى اعلان السر وابداؤه بعد كتمانه . كتاب الأمثال ٩٥

(٧) ساقطة من " أ "

(٨) لم أعثر على قائل هذا البيت .

(٩) سقطت من "ب"

(١٠) رواه الدارقطني (سنن الدارقطني ٤/ ٢٠٩ كتاب فى الأقضية والأحكام . قال النووي فى أربعينه حديث حسن . أما رواية الدارقطني فالحديث فيه ضعف مع أنه مرسل (كشف الخفاء ١/ ٢٩٥)

أما قولك : رسولك (فنعم) (١) هو رسول الينا واليك ؛ فآمنا وكفرت ، وصدّقنا وكذّبت (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) (٢) فنحن نقول رضينا بالله ربا ، وبمحمد (رسول الله) (٣) رسولا ، وبالاسلام دينا . وأما أنت فان مت مصرا على تكذيبك (فليد خلك) (٤) الله / النار ، وليد خلنك فى دار البوار ، ولا تنتفع بشفاعة (٩٠) ملك مقرب ولا بنبى مختار .

وأما طلبك البينة على صدقه ، فكفاك شهادة الأنبياء العارفين بحقه ، المخبريين عنه بلزوم تصديقه وصدقه ، وسنبين ذلك بأبلغ بيان . وأوضحه بأوضح برهان . وعلى سبيل الاستعجال يكفيك بيّنة عدله ، ما وقع فى صحف النبى دانيال ، حيث وصف الكذابين وقال : " لا تمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم ، وأقسم الرب بساعده الا يظهر الباطل ، ولا تقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة " (٥) .

وهذا دين محمد (رسولنا) (٦) صلى الله عليه وسلم قائم منذ ستمائة سنة ونيف (٧) .

فكيف ترى هذه البينة المصححة أمعدلة عندك أم مجرحة ؟ .

(وكذلك) (٨) فى صحف النبى حبقوق ، وهو الشاهد العظيم الموثوق قال " جاء الله من التيمن وتقدس من جبال فاران ، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملك الأرض بهيبته " (٩) .

---

(١) فى " ج " (فعم) وما أثبتناه هو الصواب . (٢) سورة الشعراء ٢٢٧

(٣) سقطت من " ب " (٤) فى " ج " (فليد خلنك)

(٥) لم أقف على هذا النص فى سفر دانيال . وقد وجدت معنى هذا النص فى المزمور المئة والتاسع / ٣٣ - ٤١ (٦) ليست فى " ب "

(٧) ونيف : اذا زاد (النهاية ٥/٤١) (٨) سقطت من " ب "

(٩) والنص " الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . سلاه جلاله غطى السموات والأرض امتلأت من تسبيحه . وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع وهناك استتار قدرته " . (حبقوق) الاصحاح الثالث ٣ - ٤) ولم يخرج أحد من جبال فاران التى امتلأت السموات والأرض من تسبيحه =

وقال أيضا : " تضيء له الأرض، وستنتزع في قسّيك اغراقا ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد". أدنوا فهذا النبي الصادق المصدق ، قد أفصح بنعته ، وصرح باسمه وبلده وشهد بصدقه .

ومن كان الأنبياء شهوده فقد استحق مكذبه عذاب النار وخلوده . فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من تبين له الحق ثم صار عنه من المعرضين . وسنعقد في النبوات فصلا مفردا (١) ونأتي فيه بالعجائب ، حتى يتبين فيه تواقح كل طاعن عايب .

وأما قولك : " وانت تدّعي أن كتابكم من الله " ، فان كنت تنكر ذلك ، فادع عصابتك البلغاء من نصارى نجران ، المتكلمين بلغة القرآن ، ليعارضوه بسورة من مثله . فان فعلوا ذلك دحضت حجته ، وانقطع عظيم قوله . لكنهم لما سمعوا منه القرآن تحققوا على القطع : أنه ليس يقدر عليه أحد من الأنس والجان . (٢) وعلموا أنه كلام الملك الدّيان ، فآمنوا وصدقوا لما عرفوا وحققوا ، فحصلوا على فضل الملتين (٣) ، وآتاهم الله أجرهم مرتين (٤) .

وأما قولك : فاثبتوه من التوراة بالعبراني ، ومن الانجيل بالعجمي ، فلتعلم أنا لولا كره لنا أن نتكلم برطانة العجم ، لكان ذلك علينا أيسر شيء يلتزم . ولكنا ان شاء الله (تعالى) نذكر كلام الأنبياء من كتبكم (٥) ، كما قد ترجمها المترجمون من أهل

= (٩) وتسبيح أمته سوى محمد صلى الله عليه وسلم، فان المسيح لم يكن بأرض فاران البتة ، وموسى انما كلم من الطور والطور ليس من أرض فاران يعني (مكة) فيكون النص المتقدم من التوراة دليلا على البشارة بمحمد عليه السلام .
(هداية الحيارى لابن القيم ١٤٠-١٤١)

(١) والواقع انه عقد بابا كاملا في النبوات وليس فصلا كما قال هنا .

(٢) كما أشار الى ذلك قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الاسراء ٨٨

(٣) يقصد الاسلام والدين النصارى.

(٤) كما قال تعالى (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) آل عمران ١٤٨

(٥) ليست في " ج "

ملتكم مثل يرونم ، وحفص بن البر (١) . وغيرهما من المترجمين الذين تثقون بقولهم ، وتعولون على نقلهم ، ولست أفعل مثل ما أنت فعلت ، ولا أصنع شيئا مما صنعت ، حيث نقلت كلام الأنبياء بالعبراني والعجمي ، ثم انك شرعت في ترجمته وفي تفسيره ، من (غير) (٢) أن تنسب (التفسير) (٣) الى أحد المترجمين العالمين بالمعاني واللغات ، ومواقع الالفاظ .

وأما أنت فلست بموثوق بنقلك ، ولا مصدق في قولك ، لجهلك بالشروط التي يحتاج اليها المترجمون ، وان ادعيت أنك لست جاهلا ، فما حد الترجمة وحقيقتها ؟ وما شروطها وكم أقسامها ؟ وما المحل الذي تجوز فيه ، من الذي لا يجوز ؟ وبهذا السوءال يظهر جهلك وتبلدك ، وحصرك وترددك ؟ .

ثم قلت : فأت بما ادعيت ، والا يميني لأني أنكر . ها أنا قد أقمت البينات العدول ، الذين ليس لقائل في عدالتهم ما يقول . ولقد أعلم مع ذلك ، أنك تبادر باليمين وتباهت المسلمين اذ قد تقولت بالكذب والزور على رب العالمين .

ثم ذكرت على جهة الاستهزاء والتنقيص / والازدراء والتخريص (٤) ، حديث امرأة رفاعة ، (٩١) لتقبّح بذلك ديننا ، وتنسب اليه شناعة . وأنت مع ذلك لم تعرف معناه ، ولا فهمت فحواه .

ثم قلت : بعد أن أغللت بمساقه ، ولم تقمه على ساقه . فمثل هذه النبوات لا نقبلها منكم لأن المسيح يقول : "لا ينبغي لرجل طلاق زوجته الا أن تزني" . فلتعلم أن هذا كلام جاهل بأحكام الأنبياء ، ظان أن أحكام الشرع صفات لأعيان الأشياء . ثم (هو) (٥) يستمد من انكار الناسخ والمنسوخ (٦) ، وكلام كل جاهل مردود مفسوخ .

---

(١) لم أعثر لهما على ترجمة . (٢) سقطت من "ب"

(٣) في "ب" (ذلك القول)

(٤) التخريص : الكذب والكلام الذي لا يقوم على بينة وبرهان .

(٥) ساقطة من "ب" و "ج"

(٦) والمقصود بالنسخ عند علماء الأصول : رفع الشارع حكما شرعيا بدليل متراخ . فالنسخ يكون فيه النصّان الناسخ والمنسوخ غير مقترنين زمانا بل يكون الناسخ متأخرا عن المنسوخ . (اصول الفقه لأبي زهرة /١٤٦)

فنقول لهذا المنكر الجاهل ، الذى ليس بمتشرع ولا عاقل ، منّعك طلاق الرجل زوجته ورده اياها بعد طلاقها . لا يخلو : اما أن يكون منعا من جهة العقل (أو من جهة الشرع . فان ادّعيت أنه (١) (ممنوع) من جهة العقل) (٢) كانت دعواك باطلة بالضرورة . فان صور هذه المسائل ووجودها معلوم بالضرورة . فاذا بطل أن يكون (امتناعها) (٣) من جهة العقل ، فيجوز أن توجد ، واذا جاز أن توجد ، فكيف ينبغى لمن ينتسب الى العقل ، أن ينكر نبوة من قامت الأدلة القاطعة على صدقه ، من حيث (أنه) (٤) حكم بشئ يصح فى العقل أن يوجد ؟

ثم من العجب العجاب الذى يستعظمه أولوا الألباب : أنكم التزمتم فى شرعكم ، ما يشهد العقل الأول بفساده ، مثل قولكم فى الأقانيم أنها آلهة ثلاثة اله واحد .

وقلتم فى الاتحاد والحلول ما يعلم فساده بضرورة (العقول) (٥) ثم لم (ينفّركم) (٦) ذلك عن اتباع شرعكم ، بل يقول من يميّز استحالة ذلك القول منكم : هذا (مما ليس يدرك) (٧) بالعقول ، بل يتبع فيه الكتاب المنقول .

ثم بعد التزام هذه المحالات ، (والمرافعة) (٨) عنها بالترّهات والخرافات ، تنكرون علينا فعل شئ تجوّزه العقول ، ولم تصر اليه الا بعد ثبوع الشرع المنقول ، الذى دل على صحته البرهان المعقول .

---

(١) سقطت من " أ " و " ب "

(٢) ما بين القوسين سقط من " ب "

(٣) فى " ب " (إشناعها) وما أثبتناه هو الصواب .

(٤) ساقطة من " ج " .

(٥) فى " ج " (العقل)

(٦) فى " ب " (ينفذكم) وما أثبتناه هو الصواب .

(٧) فى " ج " (ليس مما يدرك)

(٨) فى " ج " (المدافعة)

فأنتم من الجهل والزلل ، كما جرى من كلام النبوة مجرى المثل (١) : يبصر أحدكم القذاة فى عين أخيه ولا يبصر الجذع (٢) فى عينه . وانما كان ذلك كله للمعنى الذى نبه الشاعر عليه هنالك :

(وعين (٣)) الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا (٤)

فلو وفقتم لطريق الانصاف ، لتركتم طريق التعصب والاعتساف . ولو كنتم تطلبون الحق بدليله لأوشك أن يرشدكم الى سبيله ، ولكن من حرم التوفيق استدبر الطريق ونكل عن التحقيق .

واذا أدّعيت أن ذلك ممنوع من جهة الشرع ،فنقول لك : اما أن يكون ممنوعا من جهة الشرائع كلها أو من بعضها ، فان قلت : انه ممنوع من جهة الشرائع كلها كان ذلك باطلا ، اذ الشرائع فى ذلك مختلفة . فان المعلوم من شرع التوراة - فى ذلك - خلاف شرعكم . وكفى دليلا على أن التوراة تخالفكم فى ذلك ،

---

(١) وهذا مأخوذ من كلام النبوة الذى جرى مجرى المثل (كيف تبصر القذاة فى عين أخيك وتدع الجذع المعترض فى حلقك) . (كتاب الأمثال لابن سلام ٧٤) وهذا أيضا ورد فى متى بنص آخر : " ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك . وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ".(متى الاصحاح ٧ : ٣) وقد ورد أيضا هذا مثلا ويعنى : تعييرك غيرك داء هو جزء من جملة ما فيك من الأدواء ، يعنى العيوب(مجمع الامثال للميدانى ٢/ ١٥٥)

(٢) الجذع : هو ساق النخلة (لسان العرب ٩/ ٢٩٥- مادة جذع)

(٣) فى النسخ الثلاث جاءت (عيون) والصحيح ما أثبته حتى لا يكسر بيت الشعر .

(٤) وهذا البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله الجعفري . وقيل : ان عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر فى صديق له يقال له قصى بن ذكوان . وكان قد عتب عليه (كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ١٢/ ٢١٢) وينسب أيضا هذا البيت للشافعى فى ديوانه :

(أنظر ديوان الشافعى ص ٩١)

أول الكلام الذى حكيته عن المسيح أنه قال :

" أما علمتم أنه قيل للقدماء : من طلق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق ، وأنا أقول من طلق امرأته فقد جعل لها سبيلا الى الزنا ".(١)

فهذا تصريح بعين ما أنكرته علينا ، وتنقّصت به شرعنا . وكما جاز أن يخالف عيسى (عليه السلام)(٢) بعض أحكام التوراة ، ولا يدل ذلك على كذبه ولا على فساد شرعه ، كذلك يجوز أن يخالف شرعنا شرع عيسى (وموسى)(٣) فى بعض الأحكام ، ولا يدل ذلك على فساده . اذ كل واحد منهم انما يبلّغ / حكم الله ، وليس (٩٢) مخترعا حكما من قبله .

ثم قد تختلف الأحكام والأوضاع ، بحسب ما يريده الله تعالى ، وبحسب ما يعلمه من اختلاف الأحوال والمصالح . والأصل فى ذلك ، أن الله تعالى لا حجر عليه فى أفعاله ، ولا راد لشىء من أحكامه . فيحل لعباده ما شاء ، ويحرم عليهم ما شاء (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)(٤). وهذا بيّن بنفسه ، لا يجهله الا من كان عديم حسه .

ثم قلت : " وأنتم تقولون : لا يحل لزوجها مراجعتها الا أن تزنى ، بدل أن تنتهوا

---

(١) والنص " من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق وأما أنا فأقول لكم ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى " (متى ٥ : ٣١ - ٣٢)
وقد تقدم أن المسيح قال لتلاميذه " لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل " (متى ٥ : ١٧)
وهذا نقض لحكم التوراة الذى ذكر أنه لم يأت لنقضها لكن لاتمامها . حيث أن شريعة التوراة أباحت الطلاق ولكن عيسى هنا يقول "وأنا أقول من طلق امرأته فقد جعل لها سبيلا الى الزنا " أى حرم الطلاق . والأصل أن النصوص تقتضى التأبيد وتمنع من النسخ . (الفصل لابن حزم ٢ / ٢١)

(٢) ليست فى "ب"

(٣) ألحقت بهامش "ب"

(٤) سورة الأنبياء / ٢٣

عن الزنا تأمروا بالزنا " . أسكت (فض الله فاك)(١) ، فما أكذبك وما أجفاك .

تتقوّل علينا بما لا نقول ، وتتصرف في شرائع الأنبياء ، تصرف متواقح جهول ،

كما (فعل)(٢) أشياعكم من (قبل)(٣)

اسمع يا لكع(٤) ؟ على أنك لا تحسن أن تسمع . اعلم أن هذا الذى ظننته بجهلك

زنا ليس بزنا . لأن الزنا حقيقة : ايلاج فرج فى فرج محرم شرعا مشتهى طبعا .

وهذه الحقيقة معدومة فى الذى توهمت أنه زنا . فان قلت : ان كانت هذه

الحقيقة معدومة عندكم فليست معدومة عندنا ، فان هذا الايلاج محرم عندنا فهو

زنا ، قلنا لك : ان كان (قد)(٥) ثبت تحريم ذلك عندكم فقد ثبت تحليله عندنا ؛

فان الله تعالى يحل لعبيده ما شاء (ويحرم)(٦) عليهم ما شاء(٧) . وهذا كما أحل

---

(١) فض الله فاك : أى أسقط الله أسنانك (النهاية لابن الأثير ٣ / ٤٥٣)

(٢) فى " ب " (يفعل)

(٣) فى " ج " (فعل)

(٤) لكع : الأحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا غيره .(القاموس المحيط ٣ / ٨٤)
وكلمة لكع عند العرب تعنى العبد ، ثم استعملت فى الحمق والذم .
(النهاية ٤ / ٢٦٨)

(٥) ألحقت بهامش " أ "

(٦) فى " ج " (يجمع) وما أثبتناه هو الصواب .

(٧) وذلك لحكمة الهية حيث أن شرائع السماء أنزلها الله ليصلح بها البشر ، وهى واحدة فى أصلها لا تتعدد ، ولكنه سبحانه وتعالى لم يخلق الناس على شاكلة واحدة ، فكان لابد أن تختلف بعض الأحكام التفصيلية فى طائفة ولا تصلح فى الأخرى ، فكان لذلك التناسخ فى الشرائع السماوية فى الأمور التى تختلف فيها الأجيال الانسانية ، ولا تناسخ فيما هو أصل الفضائل وما يتعلق بالتوحيد .
(أصول الفقه لأبى زهرة / ١٤٨) .

الله لموسى من الطلاق ما حرمه على عيسى (١) .

ثم كيف يمكن لعاقل أن ينكر مثل ذلك ، وقد ثبت أنه أحلّت في بعض الشرائع فروج ، وحرمت في شرع آخر ؟ فقد ثبت أن البطن الأول من أولاد آدم أحلّت لهم نكاح الاخوات ، (٢) ثم حرمت على من بعد هم من الشرائع .

وقد جاء في التوراة (٣) " أن يعقوب نكح أختين راحيل وليا ، وجمع بينهما وحرمها على غيره " والجمع بينهما في النكاح محرم عندكم " (٤) .

وقد فعل الله ذلك في أحكام أخر (٥) ، على ما يعرف من أحوال الشرائع وا ختلافها

---

(١) كما جاء في انجيل متى : " وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى . وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان " . (متى ١٩ : ٣ - ٦) وهذا النص فيه تصريح من عيسى على أنه لا يجوز الطلاق بل يحرم .

وجاء أيضا في متى : " قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق ، قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم اذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا . وأقول لكم ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى والذى يتزوج بمطلقة يزنى " (متى / الاصحاح ١٩ : ٧ - ٩)

(٢) انظر هذا في كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجي / (٣٢١) وانظر : سفر التكوين / الاصحاح السادس : (١ - ٤)

(٣) انظر سفر التكوين / الاصحاح التاسع والعشرون : ٢١ - ٢٩

(٤) كما ورد في سفر اللاويين " ولا تأخذ امرأة على أختها للضّر لتكشف عورتها معها في حياتها " (لاويين / الاصحاح ١٨ : ١٨)

(٥) وقد حرم الاسلام أيضا الجمع بين الأختين في حياتهما كما قال تعالى : (وأن تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) سورة النساء / ٢٣

في بعض الأحكام . وانما يتحقق هذا المعنى على اليقين ، من يعلم أن حقيقة الحكم الشرعي : هي خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الاقتضاء أو التخيير (١) .

فعلى هذا لا معنى للحكم الا قول الشارع : افعلوا . أولا تفعلوا . أو ان شئتم فافعلوا . وان شئتم فاتركوا . على ما يعرف في موضعه .

ثم (نقول) (٢) : هذا الذي عبته علينا ـ أيها الجهول ـ له معنى صحيح في المعقول ، جار على (مناهج) (٣) المصالح المعقول . وذلك أن الله تعالى انما شرع الطلاق ليتخلص الرجل من نكد المرأة وأسرها ، رفقا بنا ، ورحمة منه علينا . فقد تكون غلا تضر بالرجل ضررا خفيا ، لا يمكن أن يطلع عليه أحد ، فلا تجبر على ازالته (لكونه) (٤) لا يتحقق من جهتها ، فجعل للرجل أنه متى شاء أن يتخلص منها ، ومن ضررها فعل .

وأيضا : فلكون النساء في الغالب ناقصات عقل (٥) . فلو علمت أن الرجل لم يجعل له سبيل الى مفارقتها لما كانت تحترمه ، ولبادرت الى ضرره .

---

(١) قارن هذا بتعريف ابن الحاجب للحكم الشرعي كما ذكره الأستاذ أبو زهرة . وقد ذكر أن ابن الحاجب قال في تعريف الحكم الشرعي : خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو التخيير أو الوضع . (أصول الفقه ٢١) (٢) سقطت من " أ " و " ج "

(٣) في " ج " (منهاج) (٤) ألحقت بهامش " أ "

(٥) هذا المعنى مأخوذ من حديث طويل عن الرسول عليه الصلاة والسلام نذكر منه موضع الشاهد : " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن . قالت يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل : فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا من نقصان العقل ، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان ، فهذا من نقصان الدين " . رواه مسلم والبيهقي وابن ماجه (صحيح مسلم رقم الحديث (٧٩) كتاب الايمان ـ باب نقصان الايمان بنقص الطاعات . . .) وابن ماجه في كتاب الفتن ـ باب فتنة النساء رقم الحديث ١٣٢٦ / ١٣٢٧) والبيهقي في السنن الكبرى ١٠ / ١٥١ (كتاب الشهادات ـ باب شهادة النساء لا رجل معهن)

فأراد الشارع أن يجعل للرجل شيئا يحترم لأجله وهو الطلاق . فان المرأة اذا علمت أنها ان بالغت في ضرر زوجها طلقها ، امتنعت (من)(١) ضرره في الأكثر.

فان عورضنا وقيل لنا : فيلزم على ذلك أن تطلق المرأة نفسها متى شاءت ، فان الرجل قد يضر بها ضررا لا يطّلع عليه أحد(٢) . فان راعيتم وجود الضرر ، وتوقعه في حق الزوج ، فلم لم تراعوه في حق الزوجة كذلك ؟

فنقول : انما لم نراعه في حق المرأة ، لأنا لو جعلنا للمرأة أن تطلق نفسها متى شاءت ، لما استقرت امرأة عند زوجها في غالب الأمر /. لأنهن ناقصات عقل ، (٩٣)

فلا يؤمن عليهن غلبة شهواتهن على عقولهن . وان فتح هذا الباب طرأ منه ، من الضرر ما لا ينسد ولا يتدارك .

فسدّ هذا الباب في حق النساء لهذه الحكمة ، وفتح في حق الرجال ، ليزول عن أعناقهم غلّ(٣) الضرر والنقمة والله أعلم .

وأما ما عبته أيضا : من أن المطلقة ثلاثا ، لا تحل الا بعد زوج فذلك أيضا له معنى (صحيح)(٤) معقول مناسب. وذلك أن الطلاق : وان كان الله قد أباحه لنا ، فهو من قبيل المكروه من غير سبب . من حيث (التقاطع والتدابر المنهي عنهما)(٥) . ولأجل هذا قال نبينا عليه السلام (أبغض الحلال الى الله الطلاق)(٦) فأطلق عليه لفظ البغض مشعراً بالكراهة ، وأطلق لفظ الحلال مشعراً بجوازه .

---

(١) في "ج" (في) وما أثبتناه هو الصواب .

(٢) في هذه الحالة اذا وقع على المرأة الضرر من قبل الزوج يجوز لها أن تذهب الى القاضي وتطلب منه أن يفرق بينها وبين زوجها بالطلاق . واذا تحقق للقاضي وثبت لديه الضرر الواقع عليها من قبل الزوج فرق بينهما بالطلاق رفعا للضرر عن المرأة .

(٣) في "ج" (على) وما أثبتناه هو الصواب.

(٤) سقطت من "أ" و "ج"

(٥) العبارة في "ب" هكذا (من حيث أن تركه أولى من فعله) وما أثبتناه هو الصواب .

(٦) هذا الحديث رواه عن عبد الله بن عمر ابن ماجة في سننه رقم (٢٠١٨)- =

فحصل لنا من مفهومه ، أنه يجوز على كراهة . فاذا تقرر أنه مكروه من الوجه الذى ذكرناه ، فينبغى ألا يفعل ، ثم ان فعل - ولا بد منه - فلا يكثر منه . ثم ان أكثر منه . (فلا) (١) يزاد على المرتين . فان تعداهما عوقب بأنه لا تحل له الا بعد زوج (٢) .

فكانت الحكمة فى ذلك : أن الزوج ، اذا علم أنه اذا أكثر من هذا المكروه - الذى هو الطلاق - (عوقب) (٣) بتفويت زوجته عليه ، وتملكها غيره ، امتنع من تكثير المكروه الذى هو الطلاق .

ثم لا يظن الجاهل بنا ، أنا نجبر الزوج الثانى على طلاقها ، حتى يرجع اليها الأول ، حاشى لله . وانما الزوج الثانى ، يملك منها ما يملكه الأول ، فان شاء طلقها وان شاء أمسكها . ثم ان طلقها اعتدت منه (٤) ، وجاز للأول أن يتزوجها تزويجاً مستأنفاً ان شاء . ولا يجوز عندنا أن يتزوجها الثانى ليحللها للزوج الأول . فان فعل كان نكاحه فاسداً ، وهو الذى نسميه المحلّل (٥) .

= (٦) كتاب الطلاق - باب حدثنا سويد بن سعيد . ورواه ابو داود فى سننه رقم (٢١٦٤) كتاب الطلاق - باب فى كراهية الطلاق . قال فى اللآلىء وهذا حديث صحيح الاسناد . وقال فى التمييز : روى هذا الحديث موصولا ومرسلا وصحح البيهقى ارساله . (كشف الخفاء للعجلونى / ١ / ٢٨) .

(١) سقطت من " ج "

(٢) والدليل على ذلك قوله تعالى (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله) البقرة ٢٢٩ - ٢٣٠

(٣) فى "ب" (عرفت) والصحيح ما أثبتناه .

(٤) لقوله تعالى (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم) الطلاق (والعدة : الطهر من غير جماع . وقال ابن عباس : لا يطلقها وهى حائض ولا فى طهر قد جامعها فيه ، ولكن يتركها حتى اذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة " (مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٥١٢

(٥) وهو نكاح التحليل الذى حرمه الاسلام على لسان الرسول عليه السلام والذى لعن فيه المحلل والمحلل له كما سيأتى بعد قليل .

وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم (لعن الله المحلل والمحلّل له)(١).

فان سماه (مسم) تيساً(٢)، فعلى جهة الذم لفعله. فاذا تقرر هذا المعنى، الذى لا يمنعه العقل، ولا تنافيه مكارم الأخلاق، بل هو (على)(٣) منهاجها وعلى سننها، فكيف ينبغى لعاقل منصف، غير متواقح ولا متعسف، أن يتقوّل علينا: أنا نقول: لا يحل لزوجها مراجعتها الا أن تزنى ؟.

ولو كنت يا هذا ؟ من أهل العقل الذين تبرءوا عن السفه والجهل، لما كنت تشبّه نكاحا على وفق شريعة صحيحة(٤) بحسب دلالة أدلتها القاطعة، مع أن هذا النكاح، وقع بولي ومهر وشهود واعلان - بنكاح الزنا، الذى ليس فيه ولى ولا مهر (مقدر)(٥) ولا شهود ولا اعلان(٦).

وانما يقع الزنا مخالفا للشرائع، عرياً عن الشهود(٧) والولى مستورا، فهذا تشبيه يدل على عناد وتمويه.

ثم قلت: " بدل أن تنتهوا عن الزنا تأمروا به، وهو عندكم فريضة التياس ".

هذا تشنيع باطل، وقول غبى جاهل، وتهويل ليس وراءه حاصل. وقول الزور والأباطل، قصد به قائله (استزلال)(٨) العوام، وليكره لهم دين الاسلام (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)(٩).

---

(١) ونص الحديث كما رواه ابن ماجة فى سننه عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا: بلى يارسول الله قال (هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له) وفى الزوائد: فى اسناده مشرح بن هاعان ذكره ابن حبان فى الثقات وقال: يخطىء ويخالف. وذكره فى الضعفاء وقال: يروى عن عقبة بن عامر مناكير والصواب ترك ما انفرد به. وقال ابن معين والذهبى: ثقة واما يحى بن عثمان فكان حافظا للحديث وحدث بما لم يكن يوجد عند غيره (سنن ابن ماجه رقم الحديث (١٩٣٦) كتاب النكاح - باب المحلل والمحلل له) ورواه الطبرانى فى الكبير ١٠/رقم الحديث (٩٨٧٨)

(٢) سقطت من " ب "

(٣) ألحقت بهامش " أ "

(٤) يقصد شريعة الاسلام

ولقد صدق الله عبده ، وانجز وعده ، (ومن أوفى بعهده من الله) .(١)

اعلم يا هذا المفترى الكذاب ، والمشنع المرتاب ، أن العقلاء لا يرضون بما فعلت، ولا يأتون بمثل ما به أتيت . وذلك أنك جهلت شرعنا وكذبت عليه ، وعصيت عليك مقاصده ،فنسبت الزور والفحش اليه ،(٢) وانما كان ينبغى لك - لو كنت على سنن العقلاء ، أهل السياسة الفضلاء - أن تبحث عن أدلة صحة هذه / الشريعة ، (٩٤)
وعن صدق الذى جاء به . فان كانت أدلتها صحيحة وجب عليك أن تقبلها جملة ولا ترد منها شيئا ، وتكون واحدا ممن التزمها . وان لم يظهر لك صحة أدلتها ، فناظر أهلها فى تلك الأدلة ، ولا تتعداها الى غيرها ، وباحثهم فيها مشافهة . فان المخبر ليس كالمعاين .(٣) فلو لم يقدروا على أن يحتجوا لدينهم ، ولا أن يقيموا دليلا على صحة شرعهم ، وجب عليك رد تلك الشريعة (من أولها)(٤) وهذا دأب الموفقين ، لا الكذابين (المشنعين).(٥)

= (٥) سقطت من " أ " و " ج "
= (٦) وقد روى موقوفا عن قتادة قال (لا نكاح الا بأربعة بولى وخاطب وشاهدين) (المصنف/عبد الرزاق الصنعانى ٧/ ٢٧٣)
وروى الامام أحمد عن ابن عباس باسناد صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لا نكاح الا بولى والسلطان ولى من لا ولى له) . (المسند ٤ رقم الحديث(٢٢٦٠)
= (٧) وقد روى موقوفا عن ابن طاووس عن أبيه قال : (فرق بين السفاح والنكاح الشهود) (مصنف عبد الرزاق ٧/ ٢٧٣)
= (٨) فى "ب" (استنزال) = (٩) سورة الصف / ٨
(١) سورة التوبة / ١١١
(٢) فى قوله : " بدل أن تنتهوا عن الزنا تأمروا به " وهو زعم باطل فان الاسلام حرم الزنا ونهى عنه .
(٣) وأصل هذا حديث رواه أحمد باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس الخبر كالمعاينة)
(المسند / ٣ رقم الحديث (١٨٤٢)
وأصله أيضا المثل القائل (ليس الخبر كالعيان) (كتاب الأمثال لابن سلام ٢٠٣)
(٤) ألحقت بهامش " أ " (٥) فى "ب" (المتعنتين)
ومعنى المشنعين : الشناعة : شنّع الأمر قبّحه (لسان العرب ١/ ٥٣ - مادة شنع)

ثم قلت : " وأنا أريد قطع ذنب التيس ، وأن نجعله في ذقنه ليلوح أسته لمعرة صرصر الشمال ، وحمارة قيظ هجير الجنوب " .

يا هذا التيس ؟ وأي ذنب ساتر التيس ، أتظن أنك تتفصح وتستعير وأنت لا في العير ولا في النفير (١) . وكيف تظن السلامة من الحمق والبؤس ، ممن يجهل كيفية أذناب التيوس ؟ أم كيف يبالي بتفصحه وجماجمه ؟ وهل هو في ذلك الا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ؟! ولولا أن شرعنا منع من السباب ، ولا يليق ذلك بأولى المروءات والآداب لأقذعتك سبا (٢) ولأوجعتك عتبا . ومع هذا :

نجابك لؤمك منجى الذباب * حمته مقاذيره أن ينالا . (٣)

لا أسبنكم فلستم بسبى * ان سبى من الرجال الكريم (٤)

ثم قلت : " وهذا جواب كلامك ، انتصافا منك كما يقول قرآنك " ومن انتصف من بعد ظلمه فلا جناح عليه " (٥) .

---

(١) يضرب هذا مثلا للرجل يحتقر لقلة نفعه . والعير : الابل تحمل التجارة . ويعني به ها هنا عير قريش التي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخذها ووقعت وقعة بدر لأجلها والنفير يعني به وقعة بدر وذلك أن كل من تخلف عن العير وعن النفير في بدر من أهل مكة كان مستصغرا حقيرا . ثم جعل مثلا لكل من هذه صفته . (مجمع الأمثال للميداني ٢ / ٢٢١) وانظر جمهرة الأمثال للعسكري ٢/٣٩٩)

(٢) أقذعتك سبا : أقذع له اذا أفحش في شتمه (النهاية ٤/٢٩) والقذع : الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره (لسان العرب ١/١٣٣ - مادة قذع)

(٣) وهذا البيت ذكره الماوردي بدون نسبة / انظر أدب الدنيا والدين ٢٤٦ !

(٤) قائله هو عبد الرحمن بن حسان ، قاله يهجو مسكينا الدارمي . وصواب البيت :

لا تسبنّني فلست بسبّي * ان سبّي من الرجال الكريم

(انظر لسان العرب مادة سبب) وأنظر المقتضب لابي العباس المبرد ٤/٢٧)

(٥) يريد أن يشير الى قوله تعالى : (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) (الشورى / ٤١)

يا هذا ؟ شأنك يحار فيه النحرير (١) ، وجهلك يتعجب منه الصغير والكبير . كيف لا وكلامك (هذا يشهد عليك بجهلك بانجيلك ، وبمخالفتك حكمه ، وشرع رسولك . كيف) (٢) يحل لك في شرعك أن تنتصف ممن ظلمك ، وتشتم من شتمك ، وانجيلك (٣) يقول لك : " لا تكافئوا أحدا بسيئة ولكن من لطم خدك اليمنى فانصب له اليسرى ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده أيضا رداءك " (٤) .

فهذا انجيلك يشهد عليك ، بأنك لست على شرعه ، بل رددت حكمه وعملت على (رفضه) (٥) واذا كان شأنك هذا مع كتابك ، فكيف يرتجي فلاحك من ليس من أحبابك ؟

(ثم) (٦) العجب العجاب : تركت كتابك والعمل به ، ثم أخذت تعمل (بكتاب) (٧) لا تصدق بأصله . فهذا يعلم من حالك ، أنك لست تريد أن تتبع الحق ، ولا أن تبحث عنه . ولكنك اتبعت هواك فأضلك ، وأطعت الشيطان فأزلك .

ثم من أدل دليل على جهلك ومغالطتك : أنك أوهمت أنك تعرف القرآن ، وأنك تحتج علينا به . ثم ذكرت ما ليس بقرآن ، حيث قلت : " ومن انتصف من بعد ظلمه فلا جناح عليه " وهذا ليس بقرآن ، وان كان يشهد (لمعناه) (٨) القرآن . وليس القرآن (عندنا) (٩) بمجرد معناه فقط . بل بلفظه المخصوص ومعناه وأسلوبه ، الذى أعجز الأولين والآخرين .

---

(١) النحرير : الحاذق الماهر العاقل المجرب ، وقيل : النحرير هو الرجل الفطن البصير بكل شيء . (لسان العرب ٧/ ٥٠ مادة نحر)

(٢) ما بين القوسين سقط من "ب" (٣) انجيل متى /الاصحاح ٥ : ٣٩-٤٠

(٤) والنص : " وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا " (متى ٥ : ٣٩ - ٤٠)

(٥) في "ب" و "ج" (رفعه)

(٦) في "ب" (بل) (٧) في "ب" (كتاب)

(٨) في "أ" (معناه) وما أثبتناه هو الصواب .

(٩) ألحقت بهامش "أ" .

فعلى هذا المعنى ان ترجم بلسان آخر ، أو عبر عن معناه بغير لفظه وأسلوبه خرج عن كونه قرآنا[١] . فافهم . وما أدراك تحسن .

ثم قلت : " فانصر أنت مقالك ، لأنك قلت بالسفه والطعن في ديننا ، وقلت الكذب على مسيحنا " . انظر هذا الكلام الفصيح[٢]. الجهالة على قائله تلوح ؟

فلقد عدم هذا الكلام : الانتظام والارتباط ، فوجب له لأجل ذلك الالغاء والاسقاط . وأما ما ذكرت من تسفيه دينك والطعن عليه ، فذلك واجب على العقلاء/ (٩٥) اذ قد تبين بدليل العقل الذى لا يشك فيه : أنكم قد تمذهبتم بكل مقالة شنعاء .

وقد بينا ذلك فيما تقدم . ثم إن الطعن على دينكم ليس طعنا على دين المسيح ، فانكم لم تتدينوا بدينه ، ولا عرفتم حقيقة يقينه ، بل تخرصتم عليه بالأباطيل[٣] ،

(١) والقرآن الكريم هو اللفظ والمعنى ولهذا لا يصح أن يقال : عن ترجمة بعض معانيه لغير اللغة العربية أنها قرآن لأن الله تعالى قال (انا أنزلناه قرآنا عربيا) يوسف /٢ . لأن ترجمته باعتباره كلاما بليغا يعد في حكم المستحيل ، وقد ذكر ذلك ابن قتيبة في القرن الثالث الهجرى وزكاه بعد ذلك الشاطبي ، فقرر أن المعانى الاجمالية يمكن ترجمتها ولكن المعانى البلاغية التى تستفاد من الاستعارات والاشارات البيانية لا يمكن ترجمتها من لغة الى لغة في أى كلام بليغ . (انظر أصول الفقه لابى زهرة / ٦٩)

(٢) الفصيح في اللغة : المنطلق اللسان في القول الذى يعرف جيد الكلام من رديئه (النهاية لابن الاثير ٣/ ٤٥٠)

(٣) في زعمهم أنه اله وابن اله وأن الله ثالث ثلاثة وقد رد الله هذه التخرّصات وكفرهم بها فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)المائدة ٧٢ وقال أيضا (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد) المائدة / ٧٣ . بل ان عيسى عليه السلام ينفي عن نفسه الألوهية (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ...)(الآية)المائدة /١١٦ وأشار القرآن الى قولهم بنبوة المسيح فقال (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) التوبة /٣٠ وبعد كل هذه الأباطيل التى نسبوها الى =

وقبلتم عليه قول كل متواقح جاهل .

فما لكم وللانتساب للمسيح ؟ وهو مبرأ عن كل قبيح ، بل هو ساخط عليكم وبرأ الى الله منكم . وقد بينا ذلك فيما تقدم ، وسيأتي ان شاء الله (تعالى)(١) بمزيد يبطل قولكم فيه ويهدم .

وأما ما نسبت الينا من الكذب على المسيح ، والسب له : فذلك والله شيء لا نفعله ، ولا يرضى بذلك متديّن ولا عاقل . وكيف يجوز هذا علينا ونحن نكفّر من سبه ، أو سب أمه عليهما الصلاة والسلام .

وهذا عندنا أصل من أصول عقائدنا ، وذلك أن الله تعالى أخذ علينا من الميثاق ، أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل ولا نفرق بين أحد منهم(٢)، وهو عندنا من أكرم الرسل . فكيف نسبّه أو نكذب عليه ؟ وفي فعل ذلك خروج عن دين الاسلام ، وتمسك بفعل الجهال الطغام(٣).

بل أنتم الذين كذبتم عليه ، ونسبتم ما تحيله العقول اليه ، وهو يتبرأ من ذلك ويتنصل مما افتريتم عليه هنالك .

ثم أضفتم مع ذلك من العيب والتنقيص (الى)(٤) الله تعالى ، ما يعلم على الضرورة والقطع أنه محال . فنحن واياك على المثل السائر "رمتني بدائها وانسلت"(٥).

= (٣) عيسى جاء القول الفصل ليبين بشرية عيسى وأنه رسول من عند الله فقال تعالى (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون)المائدة ٧٥

(١) ليس في "ب" و "ج"

(٢) كما قال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) سورة البقرة / ٢٨٥)

(٣) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم .

(٤) في "ب" (أن) وفي "أ" (على) وما أثبتناه هو الصواب .

(٥) تقدم شرح المثل انظر كتاب الأمثال / ٧٣ وانظر جمهرة الأمثال (١ / ٤٧٥)

ثم قلت : " واعلم أنك ان أرسلت بعد هذا بالشتم ، فاني أبعث الى كل بلد (كتابا)(١) بنص شريعتكم ، وبكل ما نعرف من الأقاويل التى لاتقدرون(٢) على انكارها" .

لولا أن السب منهى عنه على الاطلاق ، وليس من مكارم الأخلاق ، لأكثرت من سبك ، ولأوغلت فى لومك وعتبك ، ولو كان ذلك لما كذبت ولا افتريت . وانما كنت أفعل ذلك، لأظهر بذلك (باطل)(٣) تمويهك ، ومغالطة تهويلك .

ومن أين لك أن تعرف دينا ؟ وأى طريق يوصلك اليه ؟ وبأى لسان تتمكن منه ؟ وبأى فهم تتوصل الى معناه ؟ .

ها أنت لا تعرف دينك الذى نشأت عليه ، فكيف بك أن تعرف ما لم تفهم منه حرفا ولا سمعته ؟ على وجهه . اللهم الا إن تقوّلت بما ليس لك به علم ، كما قد فعلت فى فريضة التياس ، فلا يعدم أحمق مخرق(٤) ما يقول .

وأما ان ذكر شريعتنا من يعرفها ، فالعقول السليمة تقبلها بنفس ما تسمعها ، لشدة ارتباطها وحسن نظامها ، وليست كشريعة من يعتقد الها آخر مع الله ، ويعتقد فى الله ما يستحيل عليه ، وينسب (الى)(٥) الأنبياء/ما يتبرؤون منه ، ويتحكمون بأهواء جهّالهم فى دين الله . وسنعقد (إثر)(٦) هذا ان شاء الله (تعالى)(٧) بابا نبين فيه : جملا من أحكامهم ، وفيها يتبين أنكم لا تستندون فيها الى مستند ، وأنكم اخترعتم فيها من الجهالات ما لم يقل به أحد .

ثم قلت : لأنك قلت فى المسيح غثاء وأوضار ، وانك سببت الحاكم عليك ، وعلى جميع الأمم يوم القيامة ، لكن سوف (تلقى)(٨) حاكما ليس يطلب عليك بينة .:

---

(١) فى النسخ الثلاث (كتاب) (٢) فى "أ" (تقدروا) وفى "ب" (تقدر)

(٣) سقطت من "أ" وما أثبتناه هو الصواب

(٤) مخرق : المخرق : المموه . والمخرقة مأخوذة من مخاريق الصبيان .

(٥) سقطت من "ج" (لسان العرب ١٢/٢١٦ مادة مرق)

(٦) فى "ج" (بإثر) (٧) ليست فى "أ" و "ج"

(٨) فى "أ" و"ج" (تلقاه)

وكم من عايب قولاً صحيحا * وآفته من الفهم السقيم (١)

لتعلم يا هذا : أني وقفت على الكتاب الذى جاوبك (به) (٢) بعض أصحابنا ، وتأملت هذا الموضع الذى لم تفهمه ، فعلمت أن الخطأ من قبل فهمك لا من قبل (الكاتب) (٣) وذلك أن لفظ ما كتب به اليك فى هذا الموضع/ : شجرتنا نبوية ، (٩٦) فروعها قرشية ، ثمرتها هاشمية . شجرتك غثاء وأوضار (اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (٤) هذا نصه ؛

وكان ينبغى لك أن تفهمه لو كنت منصفا . فان هذا الكلام انما جرى مجرى المثل . وانما أراد بقوله : شجرتنا نبوية ، أن أصل اعتقادنا أن محمدا نبى ورسول ، ليس باله . وأصل اعتقادكم أنتم : أن عيسى اله وليس نبى (٥) ، وهذا قول باطل واعتقاد فاسد . ولذلك (٦) عبّر عن أصل هذا الاعتقاد بالشجرة . ثم قال انها غثاء

---

(١) قائل هذا البيت هو المتنبى (أنظر ديوان المتنبى ٢٣٢) وينسب أيضا لطرفة بن العبد (أنظر قول على قول / حسن الكرمى ١/ ٤٠)

(٢) ساقطة من " أ " و " ج " (٣) فى " ج " (الكتاب)

(٤) سورة ابراهيم / ٢٦ (٥) كما يقول الملكائية واليعقوبية من النصارى .

(٦) وهم يعتمدون فى ألوهيته على ما ذكروا فى انجيل مرقس ما نصه : " ثم ان الرب بعد ما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله " مرقس ١٦ (١٩ : ١)
ونحن هنا نريد أن نبطل دعوى ألوهية عيسى عليه السلام فنقول لهم أخبرونا عن هذين الربّين : من خلق منهما صاحبه ؟ فالمخلوق ضعيف عاجز ، ليس باله ، واذا أراد أمرا ، لمن الحكم منهما ؟ فان كان أحدهما مضطرا الى مشاورة الآخر ، ومساعدته ، كان المضطر عاجزا مقهورا ، ولم يكن الها قادرا ، وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته ، فهو اذا اله مداهن ، ويكون الآخر ضعيفا عاجزا مقدورا عليه . (بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ٢١٦)
وقد أخبرنا القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه استحالة وجود الهين فى هذا الكون عقليا فقال (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الأنبياء / ٢٢ وقال أيضا :
(ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) . سورة المؤمنون / ٩١

وأوضار . فالمسبوب المذموم انما هو اعتقادكم فى عيسى لا عيسى . حاشى وكلا .

(فهكذا) (١) ينبغى أن تفهم الكلام ، ولا تبادر لأجل الجهل بالملام ، فالملوم على كل حال هو الجاهل ، الذى ليس يفهم ، ولا عاقل .

وحين وقفت على كلامك هذا هممّت ألا أكاتبك ، لكونك قليل الانصاف ، كثير الجهل والانحراف . ولقد أعرف أنك اذا وقفت على كتابى هذا ؛ لا تفهمه . ومع ذلك : فتبادر الى رده مكابرة ومجاهرة ، وتتناوله بالرد القبيح (٢) وبكل قول ليس بصحيح . وقد حكّمت بينى وبينك العقلاء المتدينين الفضلاء ، الذين يعترفون بالحق حيث كان ، ولا يحرجون فى قبوله على انسان .

وأما قولك " الحاكم عليك وعلى كل الأمم " فقول ليس بصحيح ولا أسم . (لأنه) (٣) الحاكم على كل الأمم ، وكل المخلوقات الذى أوجدها بعد أن لم تكن ، ثم يعدمها كأن لم تكن ، ثم يعيدها كأنها ما برحت (قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض (جميعا) (٤)) ولله ملك السموات والأرض وما بينهما (يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير) (٥) .

وأما قولك : ستلقاه حاكما ليس يطلب (عليك) بيّنة (٦) ، فقد نسبتموه الى الجور ، فانه اذا لم تقم بيّنة على المحكوم عليه عندنا وعندكم ، ونفّذ الحاكم الحكم نسب الى الجور . فاذا قامت البيّنة زال عنه توهم الجور وظهر معيار العدل . وعند سماع هذا يتحقق معنى المثل المعروف " عدو عاقل خير من صديق جاهل " (٧) فان العدو العاقل يزعه (٨) عنك عقله ، والصديق الجاهل يريد نفعك فيضرك .

---

(١) فى "ب" (فهذا) (٢) فى "أ" و "ج" التقبيح)

(٣) فى "أ" و "ج" (انما) (٤) ساقطة من "ب"

(٥) سورة المائدة / ١٧ وما بين القوسين سقط من "أ" و "ج"

(٦) هذه الكلمة لم ترد فى النسخ الثلاث بل هى اضافة منى .

(٧) وقد روى وكيع فى الغرر (العدو العاقل ولا الصديق الجاهل) وفى معناه ما ذكر النجم أنه من الأمثال " عدو عاقل خير من صديق جاهل " (كشف الخفاء ٢/رقم (١٧١٦) وذكر ابن سلام مثلا آخر " معاداة العاقل خير من مصادقة الأحمق " (كتاب الامثال ١٢٥)

(٨) يزعه : يمنعه (لسان العرب ١٠/ ٢٧٢ مادة وزع)

وأنت بجهلك أردت أن تعظم المسيح فتنقصته ، وان تمدحه فذممته ، فعل السفيه الأحمق الجاهل .

وأنا أقول: ستلقونه بين يدى الله (تعالى) (١) فان أعترفتم بقولكم فيه جوزيتم على ذلك بجزاء سترونه عيانا . وان أنكرتم قولكم فيه يقول الله لجوارحكم : إنطقى فتشهد عليكم بأقوالكم وأفعالكم . (٢) فهكذا يظهر العدل ، ويعلم كل مكلف أنه محاسب بما عمل من خير أو شر ومجزى عليه . (٣)

ومما يدل على أن الله تعالى ، انما يأخذ بالبينات يوم القيامة ، أنه قد ثبت على لسان من دلت المعجزة على صدقه : أن الله وكّل بنا كراما كاتبين ، يكتبون ما نفعل (٤) ، فهم الشهود العدول ، الذين ليس لطاعن عليهم ما يقول . وستقدم فتعلم .

ثم العجب من جرأتك (وجهلك) (٥) أنك سببت خليل ربك ، حيث قلت : " رشح الجلد المدبوغ فى قصرية هاجر " هذا لابراهيم ذم صريح ، صدر من جاهل (وقميح) (٦) .

هنا نرد عليك قولك : كيف قلت مالا تعلم ؟ وكيف (تجرأت) (٧) فى خليل الرحمن أن تتكلم ؟ وستلقاه يناضل عنه الله . ثم من ركبك هذه الاستعارة ، أن الذى ذممت به اسماعيل يلزم منه ذم اسحق ، والذى ذممت به هاجر يلزم منه ذم سارة .

فان الجلد الذى رشح فى قصرية هاجر هو الذى رشح فى قصرية سارة ./ (٩٧)

---

(١) ليست فى " ب " و " ج "

(٢) مصداقا لقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " سورة يس ٦٥

(٣) مصداقا لقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) سور الزلزلة ٧ - ٨ وكذلك المثل القائل : (الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر) (مجمع الأمثال للميدانى ٢/ ٣٤١)

(٤) مصداقا لقوله تعالى (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) الانفطار/ ١٠-١٢

(٥) سقطت من " أ " و " ج "

(٦) فى " أ " (وقبيح) (٧) فى " ج " (تجرّمت)

وأصل النطفة التي كان منها اسماعيل ، هو بعينه الذى كانت منه نطقة اسحاق . وهذا كله ذم لابراهيم ولعن . فقد حاق بك وبمن قال بقولك - لعنة الله - التي قال فيها لابراهيم في التوراة " وألعن لا عنيك ".(١) ثم أعجب من ذلك كله ،اعتذارك عن قبيح ما أتيت ، حيث قلت : لما بعث اليّ كتابا بالسفه (والعيب)(٢) ، رددّت له الجواب بأمه هاجر ، فكأنك قلت لما سببتني : أنت أسب أنا هاجر ، التي اذا سبت ، تعدى سبها الى سيدها ابراهيم.

ثم انك صرحت بسب ابراهيم ، فلزمك على ذلك : سب اسحق وأمه سارة : فأنت في هذه الفعلة ، بمنزلة من سبه رجل في وجهه ، فأخذ المسبوب ينكّل الساب ، بأن يسب أبا نفسه ، أعني نفس المسبوب . وهذا ما لا يرضى به عاقل ولا متدين جاهل .

ثم قلت بعد ذلك ممهداً لعذرك ، القبيح ما قلت هنالك : " ولم نقل فيها عشر ما قال الله (عنها)(٣) في التوراة ،وعن ابنها . وهذا القول منك يوهم أن الله تعالى ذمها وابنها في التوراة وهذا : على الله وعلى كتابه ، كذب صراح وكفر بواح . ثم ذكرت بعض قصته هاجر مع ابراهيم ، ولم تسقها بكمالها ، لئلا تفتضح ويظهر كذبك وخزيك .

وها أنا أذكر قصة هاجر مع سارة كما حكاها كتاب التوراة ، حتى يتبين للواقف على هذا الكتاب ، أن الله تعالى أثنى على هاجر وابنها ، ومدحها وما ذمها ، بل أخبر بنبوتها أو صديقتها(٤) وبنبوة ابنها(٥) اسماعيل بحول الله .

---

(١) والنص " ولاعنك ألعنه " (سفر التكوين / الاصحاح الثاني عشر : ٣)

(٢) في " ج " (العبث) (٣) في " أ " (فيها)

(٤) بل هي صديقة لأن الله لم يبعث من النساء رسلا أو أنبياء كما قال تعالى : (وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) الأنبياء / ٧

(٥) وقد أثنى الله تعالى على اسماعيل ومدحه في سياق الحديث عن الأنبياء فقال : (واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين) الأنبياء / ٨٥

قال فى التوراة "[1] ان سارة امرأة ابراهيم لم تكن تلد له ، وكانت له أمة مصرية (اسمها)[2] هاجر ، فقالت سارة لابراهيم : ان الرب قد حرمني الولد ، فادخل على أمتي وابن بها لعلي أتعزى بولد منها ، فسمع ابراهيم قول سارة وأطاعها . فانطلقت سارة امرأة ابراهيم ، بهاجر أمتها المصرية ، وذلك بعد ما سكن ابراهيم أرض كنعان عشر سنين ، فادخلتها على ابراهيم زوجها ، فدخل ابراهيم على هاجر فحبلت ، فلما رأت أنها قد حبلت استسفهت وزرت بسيدها ، وهانت فى عينها . فقالت سارة يا ابراهيم أنت صاحب ظلامتي . أنا وضعت أمتي في حضنك ، فلما (حطت)[3] هنّت عليها ، يحكم الرب بيني وبينك . فقال ابراهيم لسارة : (امرأته)[4] هذه أمتك (مسلّمة) فى يديك فاصنعى فيها ما أحببت ، وحسن في عينيك وسرّك ووافقك . فأهانتها سارة سيدتها فهربت منها . فلقيها ملك الرب على عين ماء في البرية في طريق جدار ، فقال لها : يا هاجر أمة سارة ؟ من أين أقبلت ؟ وأين تريدين ؟ فقالت أنا هاربة من سارة سيدتي ، فقال لها ملك الرب : انطلقي الى سيدتك وتعبدى لها . ثم قال لها ملك الرب عن قول الرب : أنا مكثر زرعك ومنميه حتى لا يحصوا من كثرتهم[6] . ثم قال لها ملك الرب : انك حبلى وستلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد

---

(١) قارن سفر التكوين / الاصحاح السادس عشر : (١ - ١٢)

(٢) ألحقت بهامش " أ "   (٣) فى "ب" و "ج" (حبلت)

(٤) ألحقت بهامش " أ "

(٥) سقطت من " أ "

(٦) ان تكثير النسل ليس المقصود منه فقط مجرد النسل ، والا فما وجه المنّة من الله تعالى على ابراهيم عليه السلام وامرأته هاجر والكفار يتناسلون ؟ ان تكثير النسل معناه : أنه نسل مبارك يكون منه الهداة للأمم الى طاعة الله ، ومن نسلك يكون الذين يسوسون الناس بشريعة الله . وقد كررت التوراة عبارات تكثير النسل للتأكيد بأن ما وعد الله به لا بد وان يكون .
(انظر حاشية على التوراة للباجي / ٦٩)

عرف ذلتك وخضوعك ، ويكون ابنك هذا وحشيا من الناس يده على كل ، ويد كل به . وسيحل على جميع حدود اخوته . فدعت اسم الرب الذى كلمها ، فقالت : أنت الله ذو الوحى والرؤيا ". (١)

هذا (ذكر) (٢) الله لهاجر وابنها فى السفر الأول من التوراة ، فى الاصحاح السادس عشر منها (٣) . (وذكرها أيضا فى الاصحاح الحادى والعشرين) (٤) وقالت : أبصرت سارة بن هاجر المصرية ، المولود لابراهيم يستهزىء (٥) فقالت لابراهيم : أخرج هذه الأمة وابنها ، لأن هذا لا يرث مع ابنى اسحق . فشق هذا الأمر على ابراهيم لمكان (ابنه) (٦) . فقال الله لابراهيم : (لا يشقن / عليك) (٧) لحال الصبى (٩٨) وأمتك . (اطع) (٨) سارة فى جميع ما تقول لك . لأن نسلك انما يذكر باسحق ، وابن الأمة اجعله أباً لشعب كثير ، لأنه ذريتك . فغدا ابراهيم باكرا ، فأخذ خبزا وأدوات (فأعطاها) (٩) هاجر وحمّلها الصبى والطعام . فأرسلها وانطلقت وتاهت فى برية (بئر شبع) (١٠) ، ونفذ الماء من الأدوات ، فألقت الصبى تحت شجرة من شجر الشيح ، وانطلقت فجلست قبالته ، تباعدت عنه كرمية السهم .

---

(١) قارن سفر التكوين ١٦ : ١ - ١٢ (٢) سقطت من "ب"

(٣) قارن هذا بما ورد فى سفر التكوين /١٦ : ١ - ١٣) وقد ورد فى المخطوط "أ" الاصحاح التاسع وفى "ج" (الثالث عشر)

(٤) فى "أ" الثالث عشر . وما بين القوسين سقط من "ج"

(٥) والذى ورد فى التوراة (يمزح) (٦) فى "ب" (أبيه) والصواب ما أثبتناه .

(٧) سقطت من "أ" (٨) فى "ج" (اطلع) وما أثبتناه هو الصواب .

(٩) وردت فى النسخ الثلاث (فأعطاه)

(١٠) نص التوراة (بئر سبع) وقد كان يطلق عليه بئر حلف يقول الطهطاوى "فيقال بئر سبع بئر حلف وزمزم كان يطلق عليها بئر حلف ، لأن جرهم أو قبيلة جرهم هم الذين سكنوا مع هاجر فى مكة المكرمة وتحالفوا معها من أجل الماء الذى أمده الله لسيدنا اسماعيل وأمه عليهما السلام . "

(محمد نبى الاسلام للطهطاوى /٦)

لأنها قالت : لا أعاين موت الصبي (فجلست إزاءه فرفعت صوتها وبكت . فسمع الرب صوت الصبي)[1] فدعا ملك الرب من السماء هاجر وقال لها : مالك يا هاجر لا تخافي . لأن الرب (قد)[2] سمع صوت الصبي ، حيث هو : قومي ، فاحملي الصبي وشدي به يديك . لأني أجعله رئيسا لشعب عظيم . فأجلى الله عن بصرها ، فرأت بئر ماء . فانطلقت فملأ الأدوات وسقت الغلام . فكان الله مع الغلام ، فشب الغلام وسكن برية فاران " .[3]

فأخبرنا يا أيها الكاذب على كتاب الله ، المفترى على رسل الله : من أين استجزت سب الأنبياء والكذب على الله ذى الآلاء ؟ أفي انجيلك قرأته أم (عن)[4] الحواريين بلغته ؟ حاشى وكلا ، بل بتواقحك إختلقته .

ثم من أعظم مباهتتك وافحش جرأتك ومغالطتك ، أنك أوهمت بقولك ، ولم تقل فيها : تعني في هاجر عشر ما قال الله فيها في التوراة ، وفي ابنها . نشعر بأن الله ذمها وابنها في التوراة في عدة مواضع .

وهذه التوراة قد تلوتها عليك وانهيتها اليك .[5] فاذا بالتوراة تخبر بأن هاجر نبية أو صديقة مباركة أوحى الله اليها ، وكلمها وبشرها بنبوة ولدها اسماعيل .

بل قد مدح الله اسماعيل وأخبر عنه بما لم يخبر به عن اسحق . حيث قال فيه : " يده على كل يد كل به . وسيحل على جميع (حدود)[6] اخوته ".[7]

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ب" (٢) ألحقت بهامش "أ"

(٣) قارن هذا النص بما ورد في سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون : ٩-١٢
وانظر أيضا قصة اسماعيل وأمه هاجر عندما أسكنهما ابراهيم في وادى مكة
كما قال تعالى(ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) (ابراهيم / ٣٧)
كما رواها البخاري في صحيحه رقم الحديث (٣١٨٤) كتاب الأنبياء - باب يزفون النسلان في المشي .

(٤) في "أ" (على) (٥) يقصد نص التوراة المتقدم الذى ذكر فيه هاجر واسماعيل

(٦) ألحقت بهامش "أ"

(٧) كما ورد في سفر التكوين عن اسماعيل " وقال لها ملاك الرب هاأنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن" (سفر التكوين /الاصحاح ١٦ : ١١-١٢)

وهذا الكلام يبشر ، بل يفصح : ويخبر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فان اسماعيل لم يقل الله تعالى فيه " يده على كل يد ، وسيحل على جميع حدود اخوته " الا لأجل حفيده محمد صلى الله عليه وسلم . وأن الله تعالى قد بعثه بدعوة جميع الخلق ، الى الله (تعالى) (١) : بنى اسرائيل ومن دونهم ومن فوقهم (٢) . فكل من بلغته دعوته وجب عليه الدخول فى دينه . ثم ان الله تعالى قد أظهره على الدين كله ولو كره الكافرون (٣) . وهذا كله وفاء بوعد الله تعالى لنبيه ابراهيم ، حيث قال له فى التوراة : " وقد استجبت لك فى اسماعيل وبركته وكثّرته وأنميته جداً جداً ، يولد له اثنى عشر عظيما واجعله رئيسا عظيما لشعب عظيم " (٤) .

فانظر أيها العاقل ، كيف قال الله (فى اسماعيل) (٥) : يده على كل ويد كل به ، وسيحل على جميع حدود اخوته . ولم يقل مثل هذا فى اسحق ، وانما قال فيه يكون رئيسا على شعوب كثيرة وملوك الشعوب من نسله ، وبين الكلامين فرق ظاهر عند العاقل المفهم المنصف .

---

(١) وقد تبين من النص المتقدم أن هذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم لا صفة جده اسماعيل ومثل هذه الكناية بالجد عن الحفيد فى الكتب كثيرة منها :

" قد أقسم الرب بفخر يعقوب أنى لن أنسى الى الأبد جميع أعمالهم " .
(عاموس الاصحاح الثامن : ٧)

فذكر يعقوب وانما أراد بفخر بنى يعقوب . (بين الاسلام والمسيحية للخزرجى ٢٢٤)

(٢) ليست فى "ب" و "ج"

(٣) مصداقا لقوله تعالى (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبه ٣٢ - ٣٣)

(٤) والنص كما فى التوراه :

" وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة " (تكوين ١٧ : ٢٠)

ويفهم من هذا النص أن الله وعد ابراهيم بمباركة الأمم فى نسله لولده اسماعيل كما وعده بالبركة فى نسله لولده اسحق . وأن الملوك الذين يحكمون بشريعة الله سيكونون من نسل ولديه اسماعيل واسحق

(٥) فى "أ" و "ب" (لاسماعيل)

وكذلك قال فى اسماعيل : بركته وكثرته وأنميته جدا جدا . ولم يقل مثل هذا القول فى اسحق ، وإن كان قد قال فيه أباركه وأثبت عهدى له (١) . وهذا الذى وعد الله به اسحق وعد به اسماعيل وزاد زيادة عظيمة (٢) ، يعرفها من مساق كلام التوراة :

---

(١) انظر سفر التكوين / الاصحاح السابع عشر ١٦ : ١٩
وقد أشار القرآن الكريم الى هذه البركة بقوله : (وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما) الصافات / ١١٣

(٢) من مباركة جميع أمم الأرض فى نسل اسماعيل واسحق ، وأنه سيكون من نسلهم الملوك الذى يحكمون بشريعة الله وهذا واضح من النصوص الآتية :

أ - قال الله لاسحق " أنا اله ابراهيم أبيك لا تخف لأنى معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل ابراهيم " (تكوين الاصحاح ٢٦ : ٢٤)

ب - وقال اسحق ليعقوب وهو يباركه (" فليعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمره ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل " (تكوين ٢٧ : ٢٨-٢٩)

جـ - وقال الله ليعقوب " أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحق الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا وتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض" (تكوين الاصحاح ٢٨ : ١٣ - ١٤)

د - وقد ورد على لسان داود تفسير البركة بكثرة النسل ليكون منه أمم وملوك على الشعوب يقول " لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون " " المزمور السابع والثلاثون : ٢٢) وهذه التأكيدات من التوراة على بركة اسحق التى ظهرت فى يعقوب ابنه لها ما يماثلها من التأكيدات على بركة اسماعيل : وهى : -

أ - مثل النص الذى أورده المؤلف فى المخطوط من أن الله قال عن اسماعيل " أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . . . واجعله أمة كبيرة " (تكوين ١٧ : ٢٠)

ب - ومنها أن الله قال لابراهيم " باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك " (تكوين ٢١ : ١٢ - ١٣)

جـ - ويذكر مؤلف المخطوط أن ملاك الله نادى هاجر مرتين : الأولى : " لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة " (تكوين ٢١ : ١٧ - ١٨)
الثانية : " وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن " (تكوين ١٦ : ١١ - ١٢) =

من كان عارفا بمجارى كلام الله تعالى فيها . وكان مع ذلك عاقلا منصفا .

وسننبه على سر تحت قوله جدا جدا فى القسم الثانى من هذا الباب .

فأما هاجر ، فقد جاء فى التوراة فى حقها ، ما لم يجيئ فى حق سارة : وذلك

أن ملك الرب كلمها عن الله وأبلغها أمره مرتين أو أكثر . فهى اذا نبية أو صديقة .

وفى أى موضع من التوراة جاء أن سارة نبية ، وأن الله أرسل / اليها ملكا (٩٩)

ليبلغها أمره ونهيه ، كما فعل (لهاجر)(١) ولا شك أن من أتاه الله النبوة ، هو

أفضل ممن لم يؤته اياها . ولا يظن الجاهل : أن هذا الكلام غض (من)(٢)

منصب سارة رضى الله عنها ، بل هى صديقة مباركة ، وكل له مقام معلوم(٣) . والحق

أحق أن يتبع(٤) .

ثم الذى يقضى منه العجب ، أنكم تعتقدون النبوة لمريم(٥) عليها السلام ، وليس لنبوتها

فى التوراة ولا فى الانجيل ذكر يدل على نبوتها(٦) ، ولا فى كتب الأنبياء المتقدمين

على (زمان)(٧) المسيح .

= (٢) وبناء على ما تقدم فانه اذا كانت البركة فى اسحق عليه السلام تعنى الملك والنبوة فانها لا بد وأن تكون كذلك فى اسماعيل عليه السلام تعنى " الملك والنبوة " فلماذا يقول اليهود والنصارى ان بركة اسماعيل تعنى الملك فقط؟ ولماذا يكتب اليهود فى التوراة أن العهد بالنبوة خاص باسحق وحده اعتمادا على النص الذى ورد فى سفر التكوين ١٧ : ١٨ - ٢١) وهم بجعلهم العهد فى اسحق يلبسون الحق بالباطل . (بتصرف عن أقانيم النصارى ١٢٨-١٢٩)

(١) فى " ج " (بهاجر)

(٢) فى " ج " (عن)

(٣) وهذا اقتباس من قوله تعالى : (وما منا الا له مقام معلوم) الصافات ١٦٤

(٤) ورد هذا المثل فى الأمثال الشعبية فى قلب الجزيرة العربية للمؤلف عبد الكريم الجهيمان (١/ ٢٨٤)

(٥) وهم البربرانية من النصارى : وهى فرقة تعتقد :

أن المسيح وأمه الهان من دون الله ومنهم من يسميها المريميين .

(أضواء على المسيحية لمتولى شلبى / ٩٧)

(٦) والصحيح أنها صديقة كما قال تعالى (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) سورة المائدة / ٧٥

(٧) فى " ب " (زمن)

ثم تنكرون نبوة هاجر وتذمونها ، مع أنه قد جاءت نبوتها ومدحها في التوراة صريحا وهذا كله مما يدل على جهلكم وقلة توفيقكم ، وأنكم تتحكمون في الشرائع الالهية بأوهامكم .

وأما قولك : فاعلم كيف قطع الله ورث اسماعيل وأمه في قوله " لا يرثك هذا " .

أسكت يا جهول ؟ فلست تعرف ما تقول . فما كان أجمل بك أن لو سترت عارك ولم تبد عوارك . كيف تتحكم بما لا تعرف ولا تفهم ؟ ها أنت قد حرّفت لفظ التوراة وغيرته وليس كما ذكرته . كذبتك من أم الحو يرث قبلها (١) .

وانما لفظ التوراة أن سارة قالت لابراهيم : " اخرج هذه الأمه وابنها ، لأن هذا ابن الأمة لا يرث مع ابني اسحق . فشق هذا الأمر على ابراهيم لمكان ابنه" (٢)

فأين هذا من النص الذى ذكرت ؟ فيظهر لى أنك له اختلقت . وهذا الذى ذكره (الله) (٣) في التوراه - بزعمكم - انما هو حكاية عن قول سارة وليس حكاية عن الله (تعالى) (٤) .

---

(١) وهذا شطر بيت شعر لامرئ القيس وصوابه :

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل .

(شرح المعلقات السبع للزوزني /ص ١٤)

(٢) والنص " فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق ، فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه " (سفر التكوين الاصحاح ٢١ : ١٠-١١)

ولعل هناك حكمة وراء قوله الله لابراهيم اسمع من سارة في قولها " اطرد هذه الجارية وابنها " حيث أن هاجر وسارة امرأتان لابراهيم ، وهاجر جارية سارة . فالامرأتان في بيت واحد يستحيل أن لا يحدث بينهما خصام ومشاجرة ، فلأجل منع ذلك في البيت الواحد أمر الله ابراهيم بأن يسكن هاجر وابنها في بيت غير بيت سارة واعلمه أن ارث الملك والنبوة في نسل اسحق ونسل اسماعيل . ولذلك قال له " لأنه باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك " (حاشية على التوراة للباجي /٧٦)

(٣) سقطت من "ب"

(٤) ليست في "أ" و"ج"

ثم (١) لو سلمنا أنه حكاية عن الله ، لما كان فيه دليل على ما زعمت ، وهو أن الله تعالى لم يجعل النبوة فى نسل اسماعيل ، وأن الله قطعها عنه . بل مفهومه وظاهره : أن الذى منعه الله لاسماعيل ، انما هو ميراث فى ابراهيم ، وهو حظه فى ماله واعطاه اسحق . (٢)

وهذا السر عجيب ، يعز من (يتنبه) (٣) لأمثاله . ولو كنت له محلا وأهلا لذكرناه لك . فلسنا مما يعلق الدر فى أعناق الخنازير . (٤) وكذلك فى كون اسماعيل

---

(١) ساقطة من " أ " و " ج "

(٢) والواقع أن طلب سارة أن لا يرث اسماعيل ابن هاجر مع اسحق ابنها من أبيهما ابراهيم ، لا تقصد من ذلك ارث المال فهى تعلم أن الأرزاق بيد الله ، وقد خرجت مع ابراهيم من أور وهما لا يملكان شيئا وفى أرض الهجرة أعطاهما الله من فضله . وانما كانت تقصد ارث النبوة والملك ، أى لا يكون اسماعيل وارثا فى بركة ابراهيم التى نصت التوراة عليها فى هذا النص " وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض " (تكوين ١٢ : ١ - ٣) ثم ان الله قال لابراهيم " باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك " ومن قوله " يدعى لك نسل " يفهم منه : أن سارة تقصد حرمان اسماعيل من الملك والنبوة لأن بركة ابراهيم تعنى الملك والنبوة فقد قال الله له " وتتبارك فيك - أى فى نسلك - جميع قبائل الأرض "

(٣) فى " ب " (ينسبه) (أنظر حاشية على التوراة للباجى / ٧٥-٧٦)

(٤) وقد ذكروا فى الانجيل أن عيسى قال " لا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم " (انجيل متى الاصحاح ٧ : ٦) كأن القرطبى يريد أن يقول لصاحب كتاب التثليث انك ممن يطرح الدرر قدام الخنازير التى نهى عنها عيسى عليه السلام .

مخلوقا من نطفة ابراهيم في رحم هاجر (مع كونها أمة . وقد كان الله تعالى قادرا على أن يخلقه في رحم حرة .وكذلك لأى معنى أخرجت هاجر) (١) على تلك الحال حتى استقرت هاجر مع اسماعيل بمكة ؟ وهذه كلها أسرار معلومة ، عند من نور الله بصيرته وحسّن سريرته ، وأصلح عقيدته ونيته .

فان كنت تريد أن تظفر بأمثال هذه الأسرار ، فعجل الى الله الفرار ، ولا تلهينك الدعة والقرار . والا فأنت أسوأ حالا من الثور والحمار . ومع ذلك فأجل الله آت ، وكل ما هو آت قريب (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) (٢) .

وأما قولك : حاكيا عن الله أنه قال : لابراهيم باسحق يتسمى نسلك ، ولم يقل باسماعيل / يتسمى فلم يقل في التوراة يتسمى ، وانما قال يذكر (٣) .

ثم قطعت الكلام (هنا) (٤) وسكت عما بعده ، ولو ذكرته لتبين أنك مبطل في كلامك . وذلك أنه ذكر بعد هذا الكلام " وابن الأمة فانى أجعله أبا لشعب (كثير) (٥) لأنه ذريتك " وقد تقدم ما قال (الله) (٦) (فيه ، وأنه مفضل على اسحق وان كانت أمه أمة . وانما قال) (٧) الله لابراهيم : " لأن نسلك انما يذكر باسحق " ، لقرب زمان الأنبياء المنتسبين اليه ، ولكثرة عددهم . والله أعلم .

ثم لو سلمنا أنه جاء في التوراة " يتسمى " كما ذكرت . لكان معنى ذلك : أن الله يسمى ذرية اسحق باسم (ابنه) (٨) يعقوب ، الذى سماه الله اسرائيل . ثم غلب عرف الاستعمال على ذرية اسحق فقيل عليهم بنو اسرائيل .

وغاية ما في هذا ، اعلام الله تعالى بأنهم يسمون باسمه ،أو باسم / ولده وهذا (١٠٠
أمر قريب وخطب يسير . وانما كان يكون لك في هذا متمسك لغرضك الفاسد . لو

---

(١) ما بين القوسين سقط من "ب" (٢) سورة الشعراء / ٢٢٧

(٣) والنص " باسحق يدعى لك نسل " وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك"
(تكوين ٢١ : ١٢-١٣)

(٤) ألحقت بهامش " أ "

(٥) في "ب" (كبير) (٦) سقطت من " أ " و " ب "

(٧) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٨) في "ب" (أبيه) وما أثبت هو الصواب .

قال : النبوة فى ولد اسحق ، وليست فى ولد اسماعيل . ولم يقل هكذا . وانما قال : ما قد أسمعتك ، والذى به أخبرتك :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ✱ ولكن لا حياة لمن (أنادي)(١) (٢)

وأما قولك : فتنسلت منه الأمة ، الذى قال فيها قرآنكم (أشد كفرا ونفاقا)(٣) . يا هذا ؟ قد أعييت (فى)(٤) جهلك ، وسخفت فى قولك ، حيث تركت ما قالته التوراة فى نسله ، وعظايم حرمته وطوله ، وذكرت ما دل على جهلك ، وكثرة تواقحك ، وقلة فضلك . ولأى شيء لم تذكر فى نسله (ما قال الله فيه ، فى (كتاب)(٥) التوراة . حيث قال فيه وفى نسله)(٦) ، بركته وكثرته وأنميته جدا جدا ، يولد له اثنى عشر عظيما ، وأجعله رئيسا عظيما لشعب عظايم .(٧)

فأنت يا جاهل ؟ قد صغرت ما عظّم الله ، وذممت ما مدح الله ، (فحاق)(٨) عليك لذلك غضب الله . فبادر لانقاذ نفسك قبل حلول رمسك(٩) وندمك ، على ما فرط لك فى أمسك . فها أنا قد نصحتك ورسولنا يقول لك . قد أبلغتك . ثم الذين قال فيهم قرآننا : (الاعراب أشد كفرا ونفاقا)(١٠) انما أراد بهم قوما معينين ،

---

(١) فى النسخ الثلاث (أنادى) وفى سرح العيون (تنادى)، وزن البيت صحيح فى الصنيين .

(٢) هذا البيت منسوب الى عمرو بن معد يكرب ، ذكر هذا جمال الدين بن نباته فى كتابه سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون ، ومنسوب أيضا لدريد بن الصّمة . (رسالة سرح العيون لابن نباته / ٤٦٦)

(٣) اشارة الى قوله تعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) التوبة / ٩٧

(٤) فى "ج" (من) (٥) ألحقت بهامش "أ"

(٦) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٧) والنص " ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة " (تكوين الاصحاح ١٧ : ٢٠)

(٨) فى "ب" (يخاف)

(٩) رمسك : الرمس : كل ما هيل عليه التراب فقد رمس وكل شيء نثر عليه التراب فهو مرموس . ويقصد هنا قبل موتك (لسان العرب ٧/ ٤٠٥ - مادة رمس)

(١٠) سورة التوبة / ٩٧

وطائفة مخصوصين / من أعراب البادية ، أهل جفاء وغلظة ، ردوا الحق بعد ظهوره ، وعاندوه حين وضوحه ، كما فعل أشياعكم من قبل . ثم لا تظن أن قول الله تعالى (الاعراب أشد كفرا ونفاقا) أنه أراد منكم ، لأنكم أشد الناس كفرا ، وأعظم العقلاء عنادا ، وقد بينا ذلك فيما تقدم .

وانما أراد الله تعالى بهذا المعنى - وهو أعلم - أن أعراب البادية أشد كفرا ممن كفر من عرب الحاضرة ، فلا تدخلون أنتم معهم تحت أفعل الا كما يقال العسل أحلى من الخل (١) .

ثم ان جاز ذم شعب أو قبيلة ، لأن بعضهم كفر أو فسق . فأشد الناس كفرا ونفاقا : بنوا اسرائيل ، لكونهم عبدوا العجل والأصنام (٢) ، على ما هو المعروف من أحوالهم . فالكافرون من أجدادكم على الحقيقة ، أشد الكافرين كفرا وأسوأهم طريقة .

وأما قولك : " والسلام على من اتبع الهدى ، وآمن بشريعة المسيح حقيقة الايمان " فنحن والحمد لله أهل الهداية والهدى ، المؤمنون بشريعة المسيح المصطفى . المحققون أنكم لستم على شيء منها ، بل على الضلالة والردى . وقد بينا ذلك - فيما تقدم - بالبراهين القاطعة .

وبعد هذا (نعقبها (٣)) بالدلالات الصادعة بحول الله وقوته . وقد نجز ما أردنا تتبعه على هذا السائل الجاهل بدينه الغافل . ولو ذكرنا كل ما فيه من الفساد لخرج الكلام عن الضبط (والمراد (٤)) . وبعد الفراغ منه : نتكلم على ما وعدنا به من الكلام في النبوات . ونذكر ما فيها من المباحثات بعون الله وتوفيقه .

---

(١) وأصل المثل " الخل بالمجان حلو كالعسل " (المثل المقارن ١٤٤)

(٢) أما عبادتهم للعجل فقد أخبرنا القرآن عنهم في قوله (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) الاعراف / ١٤٨ . كما يذكرون في التوراة قصة عبادتهم للعجل كما في (سفر الخروج ٣٢ : ١ - ٩) . مع أنهم لا يجيزون في التوراة عبادة التماثيل والأصنام كما هو في سفر الخروج " لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت " (خروج ٢٠ : ٤ - ٥)

(٣) سقطت من " ب " (٤) سقطت من " أ " و " ب "

القسم الثاني من الباب الثالث

فـــي النبـــوات

واثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١) وفيه مقدمتان وفصول .

المقدمة الأولى : غرض هذه المقدمة : أن نبين فيها معنى النبوة والرسالة، والمعجزة وشروطها ، ووجه دلالتها . فنقول لفظ النبي والنبوة وما تصرف منه ، راجع الى النبأ وهو الخبر (٢) . تقول : نبأت وانبأت بمعنى أخبرت وخبّرت (٣) . وهذا مع همز لفظ نبيء بيّن . وكذلك هو مع تسهيله على أصح الأقوال . فانه قد يكون أصل شيء من الألفاظ الهمز . ثم يخفف الاسم منه كما قالوا " خابية " وهو من خبأت . هذا أصح ما قيل في اشتقاق هذا اللفظ . فاذا تقرر هذا : فنبيء على أصل الوضع وزنه فعيل . وفعيل يأتي في الكلام بمعنيين :

(١٠١) أحدهما : فعيل بمعنى فاعل ، كما قيل : رحيم / (٤) بمعنى راحم ، وسميع بمعنى سامع .

والثاني : فعيل بمعنى مفعول ، كما قيل : رحيم بمعنى مرحوم (٥) ، وخضيب بمعنى مخضوب . فعلى هذا يصح في نبي أن يكون بمعنى مخبر (وبمعنى مخبّر) (٦) فعلى أصل الاشتقاق ، ووضع العرب : كل من أخبَر بشيء ، أو أُخبِر بشيء فهو نبي . وعلى المتعارف بين المتشرعين ، انما يطلقون اسم النبي على من كان مخبراً عن الله . (٧) فاما أن يكلمه الله مشافهة ، واما بواسطة ملك (٨) . هذا هو عرف المتشرعين

---

(١) في "ب" و "ج" (عليه من ربنا أفضل الصلوات)

(٢) انظر لسان العرب ١/ ١٦٢ مادة نبأ . والقاموس المحيط ١/ ٣٠

(٣) لسان العرب ١/ ١٦٣ مادة نبأ . (٤) لسان العرب ١/ ١٦٢ مادة نبأ .

(٥) قال ابن بري : صوابه أن يقال : فعيل بمعنى مفعل مثل : نذير بمعنى منذر وأليم بمعنى مؤلم (لسان العرب ١/ ١٦٢ مادة نبأ)

(٦) سقطت من "ب"

(٧) وتعريف النبوة عند النصارى " النبوة لفظة تفيد معنى الاخبار عن الله وعن الأمور الدينية ولا سيما عما سيحدث فيما بعد " (الوحي المحمدي/رشيد رضا ٤٧)

(٨) كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) الشورى ٥١

فى النبوة ، والى هذا يرجع معناها .

فالنبى عند عقلاء أهل الشرائع : (١) انما هو حيوان ناطق (مائت) كامل فى نوعه مخبر عن الله تعالى بحكم اما مشافهة ، واما بواسطة ملك أو ما ينزل منزلته .

فقولنا : حيوان ناطق ، أردنا به أن انسانا باق على (٢) (أصل) انسانيته ،لا يمتاز عن غيره من نوع الانسان بوصف حقيقي ، وان امتاز بأوصاف عرضية عن غيره ، كالعلوم الخاصة بهم ، وصفات الكمال التى خصهم الله بها ، فذلك لا يخرجه عن كونه انسانا .

ولأجل هذا المعنى ، كانت الرسل تقول لقومها (ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) (٣) وكذلك قال الصادق (المصدوق) (٤) (انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ) (٥)

فجعل الفصل بينه وبين نوعه ، ما خص به من الوحى .

وقولنا مائت تنبيه على مآله لئلا يغلو فى بعضهم جاهلون ، كما فعلت النصارى : فينسبونهم الى ما لا يليق بمن يموت .

وقولنا كامل : أعني بذلك ، أن الأنبياء مجبولون على أتم صفات نوع الانسان ، وذلك معلوم من أوصافهم . وان كانوا (متفاوتين) (٦) فى ذلك .

وقولنا مخبر عن الله : هذا القيد هو خاصته التى تفصله عن غيره من نوعه . فان لم يكن كذلك ، لم نقل عليه أنه نبى .

وقولنا " اما مشافهة واما بواسطة ملك " تحرز من يبلغه خبر الله تعالى على ألسنة رسله . فانه ليس بنبى ، ولا يقال عليه بحكم العرف أنه نبى . ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : نبى على كل متشرع سمع من رسوله خبرا عن الله ، وهذا لم يقله أحد .

---

(١) سقطت من "ب"

(٢) ألحقت بهامش "أ"

(٣) سورة ابراهيم / ١١

(٤) فى "ج" (المصدق)

(٥) سورة الكهف / ١١٠

(٦) فى "ب" (متقاربين)

وقولنا : أو ما ينزل منزلته " نريد به : أن الأنبياء قد يتلقون الوحي على وجوه (١) :

منها : أن يكلمه الله مشافهة .

ومنها : أن يرسل اليه ملكا يخبره عن الله .

ومنها : أنه يلقى اليه الوحي في النوم .

ومنها: أن الله تعالى يقذف في روعه ويلهمه الهاما ، حتى لا يشك أن الأمر كذلك ويقطع به .

---

(١) يقول الامام الرازي عند قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي" حكيم" الشورى / ٥١
يقول الرازي : " وما كان لبشر : وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله الا على ثلاثة أوجه : اما على الوحي وهو الالهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الله الى أم موسى وابراهيم عليه السلام في ذبح ولده ، وعن مجاهد أوحى الله تعالى الزبور الى داود عليه السلام في صدره .
واما على أن يسمعه كلامه من غير واسطة مبلغ ، وهذا أيضا : وحي بدليل انه تعالى أسمع موسى كلامه من غير واسطة مع أنه سماه وحيا قوله تعالى (فاستمع لما يوحى) .
واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيبلغ ذلك الملك الوحي الى الرسول البشري . فطريق الحصر أن يقال : وصول الوحي من الله الى البشر اما أن يكون من غير واسطة مبلغ أو يكون بواسطة مبلغ . واذا كان الأول وهو أن يصل اليه وحي الله لا بواسطة شخص آخر فههنا : إما أن يقال انه لم يسمع عين كلام الله أو يسمعه ، أما الأول : وهو أنه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر وما سمع عين كلام الله فهو المراد بقوله (الا وحيا) وأما الثاني : وهو أنه وصل اليه الوحي لا بواسطة شخص آخر ولكنه سمع عين كلام الله فهو المراد من قوله (أو من وراء حجاب)
وأما الثالث : وهو أنه وصل اليه الوحي بواسطة شخص آخر فهو المراد بقوله : (أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)
(انظر تفسير الرازي ٢٧ / ١٨٦ - ١٨٧ ط ٢) دار الكتب العلمية =

فاذا تقرر أن حقيقة النبوة ما ذكرناه ، وأن فضله الخاص به : هو ما يحصل له من الاخبار عن الله ، فذلك الخبر : ان أمر النبى بتبليغه لغيره ، فذلك النبى هو الذى يقال عليه رسول .

والرسالة : هو الكلام المبلغ عن الله . فلأجل هذا يصح أن يقال : كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا . اذ الرسالة نبوة وزيادة (١) . وهذا بيّن بنفسه .

واذا (٢) تقرر ذلك : فهذا (البشرى) (٣) الذى يدعى ، أن الله أرسله الينا ، لا بد أن يكون صادقا ، وذلك لا نعرفه بغير دليل . فلا بد من دليل .

والدليل (المتحدى به) (٤) هو المعجزات . ولا بد من النظر فى حقيقتها ، وفى شروطها ، وفى وجه دلالتها .

= (١) وأما الحالة الثالثة وهى أن يلقى اليه الوحى فى النوم فأكبر دليل عليها ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها (أنها قالت : " أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكـــان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ... الحديث" صحيح البخارى بشرح الكرمانى ١ / ٣٠ - ٣١ باب كيف كان بدء الوحى)

(١) وقد ذكر صاحب شرح العقيدة الطحاوية : أن العلماء ذكروا فروقا بين النبى والرسول ، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء ان أمره أن يبلغ غيره فهو نبى رسول ، وان لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبى وليس برسول . فالرسول أخص من النبى ، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا ، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها ، فالنبوة جزء من الرسالة اذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فانهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم ، بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها . (شرح العقيدة الطحاوية ٨٢)

(٢) فى " ج " (فاذا)

(٣) فى " ج " (البشر)

(٤) سقطت من "ب"

فأما المعجزة : فلفظ مأخوذ من الاعجاز ، وذلك أنك تقول : عجز فلان عن كذا عجزا . اذا لم يقدر عليه ، ولم يقم به . وأعجزته اعجازا ، اذا جعلته يعجز ، وتقول : أعجزني الشيء : اذا فاتك ولم تقدر عليه .

وكلها راجعة الى أن العاجز عن الشيء ، هو الذى لا يتمكن من الشيء ، ولا يقدر عليه . (١) ثم فى تسمية هذه الأدلة ، التى تدل على صدق الأنبياء ، معجزات : تجوّز . وذلك أن المعجز على / التحقيق ، إنما هو خالق العجز . (١٠٢)

وهذه الأسباب التى يقع العجز عندها ، تسمى معجزة بالتوسع . (٢) وذلك من تسمية الشيء باسم غيره ، اذا جاوزه أو كان منه بسبب . هذا شرح لفظ المعجزة .

فأما حقيقتها : فهو أمر خارق للعادة (٣) (منسوب لقدرة الله تعالى وارادته) مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة . (٤)

انما قلنا : أمر ولم نقل فعل ، ليشتمل بذلك على الفعل الخارق للعادة ، والمنع من الفعل المعتاد .

فلو قال نبى : آيتى أنه لا يقدر أحد ، أن يتكلم اليوم ، فكان ذلك . لكان ذلك دليلا على صدقه ، ويكون ذلك معجزة له . مع أنه ليس اتيانا بفعل عرفى ، وانما هو منع من فعل معتاد .

وانما قلنا : " مقرون بالتحدى " لئلا يتخذ الكاذب معجزة من تقدمه ، حجة لنفسه ولتميّز عن الكرامة وما فى معناها . وانما قلنا مع عدم المعارضة : لتميّز عن السحر والشعبذة . (٥)

---

(١) انظر لسان العرب ٧/٢٣٦ مادة عجز

(٢) قارن هذا بما ذكره الجوينى فى كتاب الارشاد ٣٠٧

(٣) ما بين القوسين سقط من " أ " و " ج "

(٤) وهذا تعريف الفخر الرازى للمعجزة كما ذكر السفارينى (لوامع الأنوار البهية ٢/٢٩٠)

(٥) وهناك فروق بين آيات الأنبياء وبين السحر والكهانة منها : -

أولا : أن ما تخبر به الأنبياء لا يكون الا صدقا واما ما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهان وعبّاد المشركين وأهل الكتاب وغيرهم من أصحاب الفجور من المسلمين لا بد فيه من الكذب .

واذا حققت النظر فيما ذكرناه في حد المعجزة ، علمت شروطها (١) . لكن ينبغي لك أن تعرف : أن المعجزة ، لا تكون دليلا الا في حق من علم وجود الباري تعالى . وأنه قادر عالم مريد ، موصوف بصفات الكمال ، حتى يتأتى منه الارسال والتصديق والتكليف .

(واذا) (٢) لم يعرف الناظر هذه الأمور بأدلة عقلية ، لم يعرف المعجزة ، ولم (تفد) (٣) العلم بالتصديق للنبي .

وأما وجه دلالتها : فهو أن المشاهد للمعجزة المتحدى بها ، اذا علمها وعلم شروطها ، علم على الضرورة (٤) ، أن الله تعالى قصد بذلك المعجز تصديق المدّعى ، ويتبين هذا بمثال :

وذلك أنه لو فرضنا ملكا عظيما (٥) ، اجتمع له أهل مملكته في مجلسه ، وأهل المملكة مصغون لما يأمرهم به ذلك الملك ، فقام رجل (من) (٦) بين يديه وقال : اني رسول هذا الملك اليكم . وقد أمرني أن أبلّغكم أمره ونهيه ، وأنا صادق في قولي هذا . ثم يقول يا أيها الملك ؟ ان كنت صادقا فيما أقوله (عنك) (٧) ، فخالف عادتك ، وقم عن سريرك قياما تخالف به المعتاد من فعلك . فاذا فعل الملك ذلك عند تحدي

= (٥) الثاني : أن الأنبياء لا تأمر الا بالعدل ولا تفعل الا العدل أما المخالفون لا بد لهم من الظلم . الثالث : أن ما يأتي به من يخالفهم معتاد لغير الأنبياء كما هو معتاد للسحرة والكهان ، وآيات الأنبياء هي معتادة أنها تدل على خبر الله وبالتالي تدل على أنهم أنبياء ، وكرامات الأولياء هي من هذا فانهم يخبرون بنبوة الأنبياء .

رابعا : أن آيات الأنبياء والنبوة لو قدر أنها تنال بالاكتساب فهي انما تنال بعبادة الله وطاعته فانه لا يقول عاقل أن أحدا يصير نبيا بالكذب والظلم بل بالصدق والعدل . (النبوات لابن تيمية ٢٩٦ - ٢٩٧)

(١) انظر شروط المعجزة كما ذكرها الجويني في كتاب الارشاد ٣٠٩ - ٣١٣

(٢) في النسخ الثلاث (وصهما) (٣) في "ب" بياض .

(٤) راجع هذا الموضوع في كتاب الارشاد للجويني / ٣١٣

(٥) اقتبس المؤلف هذا المثال من كتاب الارشاد للجويني ٣١٣ - ٣٢٥

(٦) ساقطة من "أ" و "ج" (٧) في "ب" (عند)

المدعى ، فان أهل المجلس يضطرون الى العلم ، بأن الملك قصد بذلك الفعل تصديقه ، ولايعتريهم فى ذلك ريب ولا توقف . فتنزلت اذا تلك الأفعال - بتلك الشروط - منزلة قوله ؛ صدقت أنا (أرسلتك) (١) . وهذا بيّن بنفسه عند كل موفق منصف معلوم على القطع .

فاذا تقرر ذلك : فمهما ادعى شخص الرسالة ، واستدل عليها بمثل ما ذكرناه ، كان محقا فى دعواه ، صادقا فى قوله ، لا يجوز لعاقل أن يتخلف عن متابعته ، سواء ادعى عموم رسالته أو خصوصها . ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم - قد ادّعى عموم رسالته ، واستدل على صدقه بالمعجزات ، على الشروط التى ذكرناها . فهو صادق ، ولا يجوز لعاقل ، بلغه أمره ، أن يتخلف عن متابعته وتصديقه .

وسنذكر - ان شاء الله - بعض ما أمكن ذكره من معجزاته ، فانه صلى الله عليه وسلم قد أيد بمعجزات كثيرة ، حتى اذا جمعت وتتبعت ، علم منها أن الله تعالى قد جمع له أكثر معجزات الأنبياء قبله ، وخصه بمعجزات لم يشاركه فيها غيره منهم ، وسنقف ان شاء على أكثر ذلك . فهذه المقدمة الأولى .

<u>وأما المقدمة الثانية :</u> فالغرض منها ، أن نبيّن فيها أن عيسى - عليه السلام - ظهرت المعجزات على يديه (٢) ، وتحدى به الخلق ليؤمنوا أنه رسول الله ، لا ليؤمنوا أنه اله (٣) ، وأن النصارى غير عالمين بمعجزات عيسى عليه السلام ، اذ لم تتواتر عندهم .

---

(١) فى "ب" (أرسلناك)

(٢) ان من المعجزات التى يذكرونها شفاء نازفة الدم كما ورد فى (انجيل متى ٩ : ٢٠ - ٢٢) وشفاء الأعمى منذ ولادته كما فى انجيل (يوحنا ٩ : ٦-٧) واحياء ابن الأرملة نايين (لوقا ٧ : ١٢ - ١٧) واحياء العازر من بين الأموات كما فى انجيل يوحنا (١١ : ٣٨ - ٤٤) .

(٣) والواقع أن المعجزات التى أيده الله بها انما كانت لتوليد الايمان فى نفوس الآخرين وليؤمنوا برسالته بدليل ما ذكروا فى يوحنا . " وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى " (يوحنا ١١ : ٤١ - ٤٢) .

فنقول : - وبالله التوفيق - إن النصارى غايتهم ، أن يسندوا معجزات عيسى عليه السلام لما في أيديهم من الانجيل ، وهو لم يتواتر نقله ولا أمن التحريف / (١٠٣) والغلط عليه ، على ما تقرر قبل . واذا كان هذا : فكل ما في أيديهم من الاخبار عنه في الانجيل ، لا يفيد العلم القطعي .

وغاية ذلك : أن يفيد غلبة ظن . والظن في الاعتقاد : بمنزلة الشك بل هو شك . فاذا هم من معجزات عيسى في شك ، وهم لا يشعرون بذلك الافك .

ومما يدل على أنهم من كتابهم وشرعهم ، على غير علم : ما استفاض في كتب التواريخ عندنا وعندهم وذلك أن عيسى - عليه السلام - لما بعثه الله تعالى، دعا بني اسرائيل للايمان ، فأجابه من شاء الله منهم ، فلما رفعه الله تعالى ، استعلى الناس كلامه بعد ذلك ، حتى بلغ (عدد)(١) بني اسرائيل سبع مائة رجل ، فكانوا يجاهدون في بني اسرائيل ويدعون الى الايمان .

(بولس سبب فساد الديانة النصرانية)

فقام بولس اليهودي ، وكان هو الملك في بني اسرائيل ، فحشد عليهم الأجناد، وخرج عليهم وقاتلهم ، فهزمهم وأخرجهم من بلاد الشام . حتى انتهى (فلّهم)(٢) الى الدروب فأعجزوه(٣) . فقال بولس الملك (لجنوده)(٤) . " ان كلام هؤلاء لمستحلى) ، وقد قدموا على عدوكم ، وسيرجعونهم في ملتهم ، فيكثرون علينا ، فيخرجون الينا ويخرجوننا من بلاد الشام . ولكني أرى لكم رأياً . قالوا : وما هو ؟ قال : تعاهدونني على كل شيء كان خيراً (أو شراً)(٥) ففعلوا . فترك ملكه ، ثم لبس لباسهم وخرج اليهم ليضلهم ، حتى انتهى الى عسكرهم ، فأخذوه وقالوا : الحمد لله الذي أخزاك ، وأمكن منك . فقال لهم : اجمعوا رؤوسكم ، فانه لم يبلغ مني حمق ، أن آتيكم الا وصحي برهان . فأبلغوه رؤوسهم .

---

(١) في النسخ الثلاث (عدلا) وما أثبتناه هو الصواب

(٢) فلهم : من الفلول أي آخر هم وبقاياهم . وفي "ب" (قتلهم)

(٣) في "ب" (فأعجزه) (٤) في "ب" غير واضحة .

(٥) ألحقت بهامش "أ"

فقالوا مالك ؟ فقال إني لقيني المسيح (عند)(١) منصرفي عنكم . فأخذ سمعي وبصري وعقلي فلم أسمع ولم أبصر ولم أعقل . ثم كشف عني ، فأعطيت الله عهدا أن أدخل في أمركم . (٢) فأتيت لأقيم فيكم ، وأعلمكم التوراة وأحكامها فصدقوه ، فأمرهم أن يبنوا له بيتا ويفرشوه رمادا ، ليعبد الله (فيه - بزعمه -)(٣) ويعلمهم التوراة . ففعلوا وعلمهم ما شاء الله ثم أغلق الباب دونهم . فطافوا(٤) به وقالوا : نخشى أن يكون رأى شيئا يكرهه . ثم فتحه بعد يوم فقالوا : أرأيت شيئا تكرهه ؟ (قال)(٥) لا ولكني رأيت رأيا وأعرضه عليكم . فان كان صوابا فخذوه ، وان كان خطأ فردوني عنه . قالوا هات . قال : هل رأيتم سارحة تسرح الا من (عند)(٦) ربها ؟ وتخرج

---

(١) ساقطة من "أ"

(٢) وقد ذكر سفر الأعمال قصة تحول بولس من اليهودية الى المسيحية فقال "
" أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد أناسا من الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين الى أورشليم . وفي ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت يا سيد فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس . فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل ؟ (أعمال الرسل ٩ : ١ - ٦)
هكذا كان بولس يهوديا ومن أشد أعداء المسيحية ثم فجأة ينقلب الى المسيحية ، بل من المؤسسين للمسيحية كما يقول العالم الأمريكي هارت في كتابه (المائة قائمة بأعظم الناس أثرا في التاريخ) يقول : " ان عددا من الباحثين يرون أن مؤسس الديانة المسيحية هو بولس وليس المسيح "
(عن كتاب حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر لأحمد عبد الوهاب ٤٢)

(٣) سقطت من "ب"

(٤) في النسخ الثلاث (فأطافوا)

(٥) في "ج" (قالوا) وما أثبتناه هو الصواب

(٦) سقطت من "ب" .

الا من حيث تؤمر به ؟ قالوا لا قال : فانى رأيت الصبح والليل ، والشمس والقمر والبروج انما تجيء من هاهنا . وما أوجب ذلك الا وهو أحق الوجوه أن يصلى اليه . قالوا : صدقت فردهم عن قبلتهم . ثم أغلق الباب بعد ذلك بيومين ، ففزعوا أشد من الأولى ، وأطافوا به ففتحه . فقالوا : أرأيت شيئا تكرهه ؟ قال لا ولكني رأيت رأياً . قالوا هات ؟ قال : ألستم تزعمون أن الرجل اذا أهدى الى الرجل الهدية وأكرمه بالكرامة ، فردها شق ذلك عليه ؟ وأن الله (تعالى)(١) سخر لكم ما فى الأرض ، وجعل ما فى السماء لكم كرامة ؟ فالله أحق ألا ترد عليه كرامته . فما بال (بعض)(٢) الأشياء حلال وبعضها حرام ؟ مابين البقه الى الفيل حلال(٣) . قالوا : صدقت ثم أغلق بعد ذلك ثلاثا ، ففزعوا أشد من الثانية . فلما فتح لهم ، قال لهم : انى رأيت رأياً ، قالوا هات : قال ليخرج كل من فى البيت الا يعقوب(٤) ونسطور(٥) وملكون(٦) والمؤمن .

ففعلوا . فقال : هل علمتم أحدا من الانس خلق من الطين خلقا فصار نفسا ؟ قالوا : لا قال : فهل علمتم أن أحدا من الأنس أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى ؟ قالوا : لا ، قال : فهل علمتم أن أحدا من الأنس ، ينبيء الناس بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ؟ قالوا : لا قال " فانى / أزعم أن الله تعالى : تجلى (١٠٤) لنا ثم احتجب "(٧) .

---

(١) ليست فى "ب" و "ج" (٢) سقطت من "ب" .

(٣) نلحظ أن المؤلف ينقل عن كتاب الفاصل بين الحق والباطل .
وما ورد هنا فى رواية كتاب الفاصل قوله : " ما بين البقة الى الفيل حلال هدية من الله تعالى الينا فكلوا واشربوا ما ترغبون فليس حرام البته قالوا : صدقت فاتبعوه فى اباحة المحرمات " (الفاصل بين الحق والباطل / ٦٧)

(٤) وهو الذى نسبت اليه اليعقوبية من النصارى .

(٥) وهو الذى نسبت اليه النسطورية من النصارى .

(٦) وهو الذى نسبت اليه الملكانية من النصارى .

(٧) والنص كما جاء فى أحد رسائل بولس " وبالاجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد تبرر فى الروح تراءى لملائكته كرز به بين الأمم أومن به فى العالم رفع فى المجد " (رسالة بولس الى تيموثاوس / ٣ : ١٦) .

فقال بعضهم : صدقت . وقال بعضهم : لا ولكنه ثلاثة والد وولد وروح القدس .

(وقال بعضهم : الله وولده) (١) وقال بعضهم : هو الله تجسم لنا ، فافترقوا على أربع فرق . فاما يعقوب فأخذ بقول بولس ، أن الله هو المسيح ، وأنه كان ثـم تجسم ، وبه أخذت شيعته وهم اليعقوبية .

وأما نسطور (فقال) (٢) : المسيح ابن الله على جهة الرحمة ، وبه أخذت شيعته ، وهم النسطورية . الا أن شيعته لم تعتقد أنه سمى ابنا على جهة الرحمة ، بل على ما تقدم .

وأما ملكون فقال : (ان الله ثلاثة . وبه أخذت شيعته ، وهم الملكية ، الذين قالوا) (٣) : ان الله ثلاثة أقانيم . فقام المؤمن وقال لهم : عليكم لعنة الله ، والله ما حاول هذا الا إفسادكم (٤) ، ونحن أصحاب المسيح قبله ، وقد رأينا (عيسى) وسمعنا منه ونقلنا عنه . والله ما حاول هذا الا (ضلالتكم) (٥) وفسادكم .

فقال بولس : (للذين اتبعوه) (٦) قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن ونقتله هو وأصحابه ، والا أفسد عليكم دينكم . فخرج المؤمن الى قومه وقال (لهم) (٧) : أليس تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله ؟ وكذا قال لكم . قالوا بلى قال : فان هذا الملعون (٨) قد أضل هؤلاء القوم ، فركبوا فى اثرهم فقاتلوهم . فهزم المؤمن وأصحابه ، وكان أقلهم تبعا . فخرج مع (قومه) (٩) الى الشام ، فأسرتهم اليهود فأخبروهم الخبر .

---

(١) ألحقت بهامش "أ" (٢) فى "ب" (قال)

(٣) ما بين القوسين سقط من "ج" (٤) سقطت من "ب"

(٥) فى "ب" (ضالتكم) وما أثبتناه هو الصواب (٦) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٧) ساقطة من "أ"

(٨) يقصد بولس اليهودى الذى غير دين المسيح عليه السلام . وهو يصرح علنا بيهوديته كما قال فى سفر الأعمال : "فقال أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية" (أعمال الرسل : ٢٢ : ٣)

ويقول الاستاذ شارل جنيبير : عن بولس "لقد ولد من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرسوس فى سيليقيا ووجدت لها بها رزقا" (المسيحية نشأتها وتطورها ٦٨)

(٩) فى "ج" (قوله) وما أثبتناه هو الصواب .

وقالوا : انما خرجنا اليكم لنأمن في بلادكم ، وما لنا في الدنيا من حاجة ، انما نلزم الكهوف والصوامع ، ونسيح في الأرض فخلوا عنهم.

ثم ان قوما من أولئك الذين كفروا ، فعلوا مثل ما فعل قوم المؤمن . اتخذوا الصوامع وساحوا وأظهروا البدعة (١) فهو قول الله عز وجل (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) (٢) يعني التوحيد اختلفوا فيه ، الا فرقة المؤمن وفيهم نزلت : (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) (٣) بالحجة وظهور محمد صلى الله عليه وسلم . وكان خرب المؤمنين منهم الى جزيرة العرب ، فأدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - منهم ثلاثون راهباً ، فأمنوا به وصدقوه وتوفاهم الله على الاسلام. (٤)

كان هذا - والله أعلم - بعد المسيح بأربعين سنة أونحوها (٥) . ثم لم يزل أمر المؤمن وأصحابه خفياً وغيرهم من الفرق ، يختلفون ويتهارجون ، ولم يستقر لهم قدم الى مدة قسطنطين - قيصر الملك بن (هلاني) (٦) - وذلك بعد رفع المسيح بمائتين وثلاثة وثلاثين سنة .

---

(١) وهي الرهبانية : من القيام بالأعمال التعبدية الشاقة كرفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهن . (روح المعاني للألوسي ٢٧/١٩١)

(٢) سورة الحديد / ٢٧ (٣) الصف / ١٤

(٤) انظر هذه الرواية في كتاب الفاصل بين الحق والباطل . ذكر ناشرها تحت العنوان(شعبة عز الدين المحمدي على حنا مقار العيسوي ٦٥ - ٦٩)

(٥) وجاء في نهاية الرواية " وكانت هذه الوقائع بعد المسيح عليه السلام بخمسين سنة تقريبا ولما تمكن بولس من هؤلاء الثلاثة دعاهم واحدا واحدا بحيث لا يعلم الواحد الآخر . وقال لكل واحد منهم أنت أخلصت لي وأنت على الحق . وقد رأيت عيسى عليه السلام في المنام ورضي عني وعنك وأمرني أن أذبح نفسي غدا فادع الناس الى نحلتك بكل ما استطعت ، ثم دخل المذبح فذبح نفسه .
وبعد ذلك دعى كل واحد من هؤلاء الثلاثة طائفة فاختلفوا واقتتلوا وكان ذلك سبب فساد الديانة النصرانية ووصف المسيح عليه السلام بصفات الألوهية " (الفاصل بين الحق والباطل / ٦٩)

(٦) سقطت من "ب".

وذلك أنه كثر عدوه ، وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عليه . وضعفهم وكسلهم عن نصرته ، فرام حطهم على شريعة ينظم بها مسلكهم ، ويؤلف بها متفرقهم . فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه ، وأوكد لجدهم في نصره .

فوجدوا اليهود يزعمون ، أن في بعض تواريخهم خبرا عن رجل منهم وفيهم عمّ ،(١) أن ينسخ حكم التوراة وينفرد بالتأويل فيها . فعمدوا اليه وهو في نفر ممن اتبعه ، وظفروا بواحد منهم ،(٢) وشهد لديهم رجل واحد أنه ذلك المطلوب ، فصلبوه(٣) وما عندهم تحقيق لكونه ذلك المطلوب بعينه(٤) ، الا فقدهم اياه من حينئذ(٥) .

---

(١) فزعموا أنه عيسى عليه السلام ولهذا كانوا دائما يشتكون عليه كما ذكر النصارى في انجيل لوقا : " فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس وابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلا أنت ملك اليهود فأجابه وقال أنت تقول : فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع انى لا أجد علة في هذا الانسان فكانوا يشددون قائلين انه يهيج الشعب وهو يعلم في كل اليهودية مبتدئاً من الجليل الى هنا " . (لوقا ٢٣ : ١ - ٥)

(٢) يقصدون عيسى عليه السلام .(انظر ما كتبه النصارى في انجيل مرقس الاصحاح الرابع عشر : ٤٣ - ٦٥) .

(٣) انظر انجيل مرقس / الاصحاح الخامس عشر : ١٦ - ٣٧)ومتى : ٢٧ : ٢٧-٤٥)

(٤) بدليل ما ذكره النصارى في انجيل مرقس " وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم " (مرقس الاصحاح ١٤ : ٥٥ - ٥٦)
اذا يظهر لنا أنه لم يكن هناك علة لصلب المسيح عليه السلام الا حسد الكهنة عليه وأن الذين شهدوا عليه انما شهدوا عليه زورا وبهتانا وأنه لم يكن هو المطلوب لدى اليهود .

(٥) كما ذكروا في انجيل متى الاصحاح ٢٨ : ١ - ٧)

فعند ذلك عمد قسطنطين الى من ينتسب الى دين المسيح ، فوجدهم قد اختلفت آراؤهم ، ومزجت أديانهم ، فاستخرج ما بقي من رسم الشريعة المنسوبة للمسيح ، وجمع عليها وزرائه ، فأثبت ما شاء منها وتحكم (فيها) (١) باختياره ، حسب ما رآه موافقا (كالقول) (٢) بالصلوبية ليتعبد قومه بطلب دم ، والقول بترك الختان لأنه / (١٠٥) شأن قومه .

ثم أكد ذلك وشده بمنامة اختلقها ، وادّعى أنه أوحى اليه فيها . وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر . فجمع أنصاره ورعاياه من الروم ، وذلك على رأس سبع سنين من مدة ملكه .

وقال لهم : " انه كان يرى في منامه آتيا أتاه فقال له : بهذا (الوسم) (٣) تغلب . وعرض عليه هيئة صليب ، فأعظمت ذلك العامة ، وانفعلت لما سمعت منه .

ثم بعث الى امرأة في ذلك الزمان يقال لها الآنة - كاهنة - وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، فقوى تصديق العامة لذلك . وفي (هذا) (٤) كله لا يعلمون لذلك الرسم تأويلا ، ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئا من أمره . فخرج بهم الى عدوه ، ووعظ قومه وهوّل (عليهم) (٥) أمر الرسم ، فحصل له كل ما أراده من جد القوم واجتهادهم معه . فلما عادوا الى أوطانهم بعد الظفر بعدوهم ، سألوه عن تأويل ذلك الرسم ، وألحوا عليه (فيه) (٦) . فقال (لهم) (٧) : قد أوحي اليّ (في) (٨) نومي ، أنه كان الله (تبارك) (٩) وتعالى هبط من السماء الى الأرض فصلبته اليهود ، (١٠) فهالهم ذلك كثيرا ، مع ما حصل عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ،

---

(١) ألحقت بهامش " أ "
(٢) سقطت من " أ " و " ج "
(٣) في " أ " و " ج " (الرشم)
(٤) ألحقت بهامش " أ "
(٥) في "ب" (عليه)
(٦) ألحقت بهامش " أ "
(٧) ساقطة من "ب" .
(٨) ساقطة من "ب"
(٩) ليست في "ب"

(١٠) أنظر هذه الرواية في كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجي / ٢٠٥ - ٢٠٨

فانقادوا الى قسطنطين انقيادا حسنا ، وصح (له) (١) منهم ما أراد ، وشرع لهم هذه الشرائع ، التي بأيديهم اليوم أو أكثرها . وقد ظهر لجماعة من أهل العلم، بأحوال الأمم وبنوازل الأزمان ، أن هذا الشخص الذى ، تعظمه النصارى وتصفه بالالهية ، لم يكن له وجود في العالم . ولكن قسطنطين ابتدع ذلك كله ، واتفق مع نفر من اليهود - من أحبارهم - على أن (يبذل) (٢) لهم من متاع الدنيا ما شاءوا (٣) ويشهدون له عند قومه ، بأن ذلك الشخص كان عند اليهود فصلبته . ففعلوا ، وكتبوا من أخباره شيئا . فتلقت ذلك النصارى وقبلوه ودانوا به . ولعله أكثر الانجيل الذى بأيديهم اليوم . (٤)

ولتعلم أن هذه الأخبار التى ذكرناها ، لا يمكنهم انكار جملتها ، وان انكروا بعض تفاصيلها ، لكون هذه القصص معروفة على الجملة عندهم . فانهم لا يقدرون على - جحد - محاربة بولس اليهودى ، واجلاؤهم من الشام . ودخول بولس فى دينهم ، وكذلك ملك قسطنطين ، مما لا ينكرون (اشهارهم) (٥) لكتبهم .

---

(١) ساقطة من " ج " (٢) فى " ج " (يدّل) وما أثبتناه هو الصواب .

(٣) والعبارة فى " ج " (أن يدل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا)

(٤) وبعد هذا نقول ان السبب الرئيسى فى فساد الديانة النصرانية هو بولس ، وهو الذى أدخل لاهوتا جديدا على النصرانية ، كما كان عاملا لدخول الوثنية عليها يقول ول ديورانت " ولقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له الا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح . وكانت العوامل التى أوحت اليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت وهى انقباض نفسه ، وندمه والصورة التى استحال اليها المسيح فى خياله ، ولعله قد تأثر بنبذ الافلاطونية والرواقية للمادة والجسم واعتبارهما شرا وخبثا ، ولعله تذكر السنّة اليهودية والوثنية سنة التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس " أ . هـ

(قصة الحضارة - ول ديورانت ١١ / ٢٦٣ - ٢٦٤)

(٥) فى " أ " و " ب " (إشهاره)

ثم لو قدّرنا أن هذه الوثائع ، لم نعلم صحتها ولا كذبها ، فشرعهم قابل لأمثالها ، فان معظم معتمدهم فى أمور دياناتهم ، انما هو الانجيل ونقله غير متواتر ، لا سيما والأحداث عندهم فى أكثر الأحيان بمنامات يدّعونها ، يجعلونها أصولا يحملون عليها ، وبمحافل يجتمعون فيها . فيتحكمون بآرائهم ، ولا يستندون لشىء من كتبهم ، ولا لشىء من كلام أنبيائهم .

وان شئت أن ترى هذا عياناً ، فانظر كتب اجتماعاتهم ومحافلهم . فانهم يتعشدون لمواضع مخصوصة فى أحيان مخصوصة ، ويخترعون فيها أحكاماً وأموراً لا مستند لهم ولا أصل ، الا التحريم على المأكل والتحكم فى العامة بفارغ الأقاويل . وسنبين ذلك اذا ذكرنا جملاً من أحكامهم ، واذا كان هذا مبنى شريعتهم فكيف يوثق بشىء من (ترهاتهم) (١) ؟

فاذا تقرر ذلك : فلتعلم أن اتخاذهم (٢) المسيح الها انما سببه ما سبق ذكره . ولا يقدرون على أن ينسبوا شيئا من ذلك الى عيسى -عليه السلام . بل قد نقلوا عنه فى انجيلهم ، ما يدل دلالة قاطعة من حيث اللفظ ، على أنه انما ادّعى النبوة ، وعليها استدل بمعجزاته . وفى دعواه النبوة كذبته اليهود .

ونحن الآن نسرد بعض ما وقع فى انجيلهم من دعواه الرسالة / بحول الله سبحانه . (١٠٦ أ)

من ذلك : ما جاء فى الانجيل (٣) عنه أنه قال : حين خرج من السامرية ،ولحق بجلجال أنه لم يكرم أحداً من الأنبياء فى وطنه (٤) " .

---

(١) سقطت من "ب"

(٢) الذين قالوا بألوهية المسيح (اليعقوبية والملكائية) ولقد أخبرنا القرآن الكريم عن قول اليعقوبية الذين قالوا : بأن المسيح هو الله فى قوله : (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم) المائدة / ٧٢ كما أخبرنا عن الذين صرحوا بالتثليث . أى بوجود ثلاثة آلهة . وهم الملكائية فى قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) المائدة / ٧٣ (الملل على هامش الفصل ٢ / ٦٢-٦٦)

(٣) فى الانجيل (الجليل) يوحنا الاصحاح الرابع : ٤٣

(٤) والنص " لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه " (انجيل يوحنا الاصحاح الرابع: ٤٤)

وفى انجيل لوقا (١) " أنه لم يقبل أحد من الأنبياء في وطنه ، فكيف تقبلونني "

اثبات نبوة

وهذا نص لا يقبل التأويل ، فى انه انما إدعى النبوة المعلومة .

المسيح وابطال دعوى الوهيته

وفى انجيل مرقس " أن رجلاً أقبل الى المسيح وقال له : أيها المعلم الصالح ؟ أى خير أعمل لأنال الحياة الدائمة ؟ فقال له المسيح : لم قلت لى صالحا ؟ انما الصالح الله وحده . وقد عرفت الشروط وذلك ألا تسرق ولا تزنى ولا تشهد بالزور ولا تخون ، وأكرام أباك وأمك (٢) " .

وفى انجيل يوحنا (٣) " أن اليهود لما أرادت القبض عليه ، وعلم بذلك - رفع (بصره) (٤) الى السماء وقال : قد دنا الوقت يا الهى ؟ فشرّفنى لديك ، واجعل لى سبيلا الى أن أملك كل ما ملكتنى الحياة الباقية ، وانما الحياة الباقية : أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً وبالمسيح الذى بعثت فقد عظمتك على أهل الأرض ، واحتملت ما أمرتني به فشرفني لديك " .

---

(١) والنص " كم سمعنا أنه جرى فى كفرناحوم فافعل ذلك هنا أيضا فى وطنك .
وقال : الحق أقول لكم انه ليس نبى مقبولاً فى وطنه ".(لوقا الاصحاح ٤ : ٢٤)

(٢) قارن انجيل مرقس / الاصحاح العاشر : ١٧ - ١٩ .

(٣) والنص " تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال أيها الأب قد أتت الساعة . مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضا اذ أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته . أنا مجدتك على الأرض . العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته والآن مجدنى أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم ".(يوحنا ١٧ : ١ - ٥)
ويظهر من النص المتقدم أنه يثبت لله تعالى الالوهية وينفيها عن نفسه ويبين أنه رسول أرسله الله تعالى .

(٤) ألحقت بهامش " أ " بدلاً من رأسه ، وفى ج (رأسه)

وفي انجيل متى (١) انه قال لتلاميذه " لا تنسبوا أباكم على الأرض (فان أباكم الذى في السماء وحده ولا تدعوا معلمين فان معلكم المسيح وحده) فقوله (لا تنسبوا أباكم على الأرض) (٢) أى لا تقولوا أنه على الأرض ولكنه في السماء . ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى . فقال : ولا تدعوا معلمين ، فان معلمكم المسيح وحده ، فها هو قد سمى نفسه معلماً في الأرض .

وشهد أن الههم في السماء واحد (٣) . ونهاهم أن ينسبوه للالهية " .

وفي انجيل لوقا (٤) " أنه حين أحى الميت بباب مدينة نايين (٥) ، حين أشفق لأمه لشدة حزنها عليه . فقالوا : ان هذا النبي لعظيم ، وأن الله قد تفقد أمته " ولم يقولوا : ان هذا اله عظيم .

وفي انجيل يوحنا أن عيسى قال لليهود " لست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئاً . لكني أحكم بما أسمع ،لأني لست انفذ ارادتي ، بل ارادة الذى بعثني " (٦) .

---

(١) والنص " ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى في السموات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح " (متى ٢٣ : ٩ - ١٠)

(٢) ألحقت بهامش " أ "

(٣) راجع هذا الكلام في كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجي ١٦١ - ١٦٢ .

(٤) والنص " وفي اليوم التالى ذهب الى مدينة تدعى نايين وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير . فلما اقترب الى باب المدينة اذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة . فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي . . . فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله شعبه " . (لوقا / الاصحاح السابع : ١١ - ١٦)

(٥) في " أ " و " ج " (نايم)

(٦) والنص " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا . كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذى أرسلني "

(انجيل يوحنا / الاصحاح الخامس / ٣٠)

وفى انجيله أيضا : أنه أعلن صوته فى البيت ، وقال لليهود " قد عرفتموني وموضعي فلم آت من ذاتى ، ولكن بعثنى الحق وأنتم تجهلونه . فان قلت إني أجهله كنت كاذباً مثلكم ، وأنا أعلم أنى منه وهو بعثنى " .(١)

فانظر كيف أخبر عن نفسه أنه معلوم عند اليهود ؟ وأخبر عن الله أن اليهود لا تعرفه . وقال : انه لم يأت من ذاته ، ولكن الله بعثه . وهكذا كانت دعوة من قبله من الأنبياء عليهم السلام ، وحاشاهم أن ينتسبوا الى ما ينفرد به ذو الجلال والاكرام .(٢)

وفى الانجيل أيضا : أنه قال لليهود :بعد (خطاب)(٣) طويل مذكور فى الانجيل ،(٤) " حين قالوا له : انما أبونا ابراهيم فقال ان كنتم بنى ابراهيم فاقفوا إثره ولا تريدوا قتلى على أنى (رجل)(٥) أردت اليكم الحق الذى سمعته من الله . غير أنكم تقفون أثر آبائكم . قالوا : لسنا أولاد زنا انما نحن أبناء الله فقال : لو كان الله آباكم لحفظتمونى لأنى رسول منه خرجت مقبلا ولم أقبل من ذاتى . ولكن هو بعثنى ، لكنكم لا تقبلون وصيتى ، وتعجزون عن سماع كلامى . انما أنتم أبناء الشيطان وتريدون اتمام شهواته " الى كلام كثير .

وفيه أيضا " أنه كان يمشي يوماً ، فأحاطت به اليهود وقالوا الى متى تخفى أمرك ؟ ان كنت المسيح المنتظر فاعلمنا بذلك " .(٦)

---

(١) والنص " أجاب يسوع ان كنت أمجد نفسى فليس مجدي شيئا أبي هو الذى يمجدنى الذى تقولون أنتم انه الهكم ولستم تعرفونه ، واما أنا فأعرفه وان قلت انى لست أعرفه أكون مثلكم كاذبا لكنى أعرفه واحفظ قوله " (يوحنا ٨: ٥٤-٥٥)

(٢) قارن هذا الرد بما ذكره الخزرجى فى كتابه بين الاسلام والمسيحية / ١٦٣

(٣) فى " أ " و " ج " (خطب) وما أثبتناه هو الصواب .

(٤) قارن هذا بما فى انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن : ٣٧ - ٤٤ .

(٥) سقطت من " أ " و " ب "

(٦) قارن يوحنا / الاصحاح العاشر : ٢٤

ولم تقل له إن كنت إلهاً ، لأنه لم تعلم من دعواه ذلك.[1] ولا اختلاف عند اليهود : أن الذى ينتظرونه انما هو انسان نبى ، ليس بانسان اله كما تزعمون.[2]

وفى الانجيل أيضا عنه[3] " أن اليهود أرادوا القبض عليه ، فبعثوا لذلك الأعوان ، وان الأعوان رجعوا الى قوادهم فقالوا لهم : لمَ لم تأخذوه ؟/ قالوا : ماسمعنا آدمياً أنصف منه . فقالت اليهود : وأنتم أيضا مخدوعون . أترون أنه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب ، انما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب . (١٠٧)

فقال لهم : نيقوديموس (القس)[4] أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه ؟ فقالوا : اكشف الكتب ترى أنه لا يجىء نبى من جلجال " .

فما قالت اليهود ذلك الا وقد أنزل لهم نفسه منزلة نبى فقط . ولو علمت من دعواه الالهية لقاتلته يومئذ .[5]

ومثل هذا كثير فى انجيلهم ، لو ذهبت أذكره لطال أمره .

وقد تقدم من كلام أشعياء " أن الله تعالى قال فى المسيح : هذا غلام المصطفى وحبيبى الذى ارتضيت به نفسى " .[6]

---

(١) والصحيح أن هذا النص الذى استدل به القرطبى لا يفيد أن الانجيل الموجود بين أيدينا ينكر ألوهية عيسى . كما أن الصواب لم يخالف القرطبى فى قوله بأن اليهود لم تعلم من دعواه أنه ادعى الألوهية وذلك لأننا نقرأ بعد فقرات " فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه أجابهم يسوع أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى . بسبب أى عمل منها ترجموننى . أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فانك وأنت انسان تجعل نفسك الها " (انجيل يوحنا / الاصحاح العاشر : ٣١ - ٣٣) .
فاذا سلمنا بصحة هذا النص - وذلك بعيد - لا يسعنا الا التصديق بأن اليهود الذين اشتركوا فى هذه المناقشة علموا أن عيسى ادعى الألوهية . (
(انظر حاشية بين الاسلام والمسيحية ١٦٤ - ١٦٥)

(٢) راجع هذا الكلام فى كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجى / ١٦٥)

(٣) قارن هذا بما ورد فى انجيل يوحنا / الاصحاح السابع : ٤٠ - ٥٢)

(٤) ساقطة من " أ " و " ب " (٥) انظر هذا الرد فى كتاب بين الاسلام والمسيحية ١٦٦ =

ومن كلام عاموص النبي ، أن الله قال على لسانه " ثلاثة ذنوب أقيل لبني اسرائيل والرابعة لا أقيلها ، بيعهم الرجل الصالح " ولم يقل بيعهم اياى ، ولا قال بيعهم الهاً متساوياً معى .

فهذا المبيع لا يخلو : اما أن يكون هو المسيح ـ كما تزعمون ـ فقولوا فيه كما قال الله أنه رجل صالح ، ولا يقولوا أنه اله معبود . واما أن يكون المبيع غيره ، فهو الذى شبه لليهود فابتاعوه وصلبوه . ويلزمكم انكار صلوبية المسيح (١) ـ وهو كفر عندكم .

وقد كررنا هذا المعنى في هذا الكتاب ـ مراراً ـ لكون النصارى على اختلاف فرقهم ، يعتقدون له الالهية ، على اختلاف في كيفية ذلك كما تقدم .

وحتى لقد ذهبت طائفة منهم : الى مقالة لم تسمع قط فى أكناف العالم وأطرافه ، من اجترأ على التفوه بها ـ ونحن نستغفر الله قبل حكايتها ، ونتبرأ الى اللـه من مذاهبهم الفاسدة ومن القائل بها . وذلك أنى وقفت على رسالة بعض الأقسة ، كان بطليطله نسبه في القوط . (٢) قال فيها : " هبط الله بذاته من السماء ، والتحم

= (٦) والنص " هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سرّت به نفسى " (اشعياء ٤٢ : ١)
وورد فى متى بنص آخر " هوذا فتاى الذى اخترته حبيبى الذى سرّت به نفسى " (متى ١٢ : ١٨)

(١) قارن هذا الرد بما ذكره الخزرجي فى كتابه بين الاسلام والمسيحية ١٦٦-١٦٧.

(٢) القوط : هم إحدى القبائل الجرمانية القديمة ، تحرروا من الجوتار واستقروا فى منطقة البحر الأسود . انقسموا فى القرن الرابع الى قسمين شرقيين وغربيين . أما القوط الشرقيين فقد نزلوا بابونيا حلفاء للامبراطورية الرومانية الشرقية ثم أقام ملكهم ثيودوريك بعد استيلائه على ايطاليا مملكة ايطاليا للقوط الشرقيين ، ثم انتهت مملكة القوط الشرقيين بعد انتصار نارسيس على توتيلا .
وقد انفصل عن القوط الشرقيين القوط الغربيين الذين تغلغلوا فى ولايات الدانوب التابعة للامبراطورية الرومانية الشرقية . وعلى اثر غزوة الهون هربوا داخل الأراضى الرومانية ، ولكن نزاعهم مع الرومان أدى الى قيام الامبراطور فالنز بحملة تأديبيـة ضدهم ، ولكن القوط هزموه هزيمة شديدة فى ادرنة ثم وسعوا ممتلكاتهم الاسبانية على حساب الوندال ، ثم توردت اسبانيا القوطية الغربية وكان آخر ملوكهم رذريق الذى هزمه طارق ابن زياد سنة ٧١١ م . (انظر الموسوعة العربية الميسرة / ١٤٠٨ ط ٣)

ببطن مريم " . ثم قال " وهو الاله التام والانسان التام (١) . ومن تمام رحمته على الناس، أنه رضى بهرق دمه - عليهم في خشبة الصليب ، فمكن اليهود أعداءه من نفسه ، ليتم سخطه (عليهم) (٢) . فأخذوه وصلبوه ، وغار دمه في اصبعه ، لأنه لو وقع منه شيء في الأرض ليبست الا شيء وقع فيها فنبت في موضعه النوار (٣) . لأنه لم يمكن في الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصي آدم ، الذي ظلمه واستهان بقدره ، فلم يرد الله الانتقام منه ، لاعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد . أراد أن ينتصف من الانسان الذي هو اله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم (٤) ، بصلب عيسى المسيح

---

(١) وهذا ما أشار اليه انجيل يوحنا " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان في البدء عند الله . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس . والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه . . . والكلمة صار جسدا وحل بيننا" (يوحنا / الاصحاح الأول ١ - ١٤) وقد فهم دعاة المسيحية من هذا النص أن الكلمة هي الله ، وأن الله هو الكلمة ، وأن الكلمة قد خلق كل شيء ، وأنه صار جسدا وحل بيننا في شخص المسيح (كتاب بين الاسلام والمسيحية ٨٥)

(٢) سقطت من "ب" وفي "ج" (عنهم)

(٣) لم تذكر الأناجيل الأربعة أن دمه غار في أصبعه ، ولم تشر الى هذا النبت الذي خرج من الموضع الذي وقع فيه شيء من دمه ، ولكن ورد هذا في الأساطير التي حكيت حول أحداث الصلب . (عن كتاب بين الاسلام والمسيحية ٨٦)

(٤) لهذا قالوا لا بد من الكفارة ولا يوجد مغفرة بدون سفك دم كما يقول بولس . ولا بد أن يكون الدم الذي يقابل الخطيئة دما الهيا طاهرا ويمثل الانسان فأرسل الله ابنه الوحيد ليحل في جسد مريم ثم يولد بالجسد انسانا ذا لحم ودم ليصلب تكفيرا لخطيئة آدم التي امتدت بحكم التناسل الى البشرية على مر الأجيال كما يقول بولس " من أجل ذلك كانما بلسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطأ الجميع " (رومية ٥ : ١٢)

فأرسل الله ابنه الوحيد ليصلب تكفيرا لهذه الخطيئة الموروثة كما يقول بولس :

(لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ومولودا تحت الناموس ليفتدى الذين هم تحت الناموس لننال التبني " (غلاطية ٤ : ٤) (المسيح انسان ام اله ١٤٥ - ١٤٦) .

الذى هو اله مساو معه "(١)

فانظر تواقح هذا القائل واستخفافه بحق الله تعالى وجهله وتناقضه وحمقه . فوالله لو حكى مثل هذا القول السخيف عن مجنون أو موسوس لما كان يحذر بقوله ، ولبود ر بضربه وقتله ، حتى لا يجترىء على مثله . ونحن نربأ بأكثر المجانين والموسوسين أن يتقولوا بهذا المذهب الغث (الهجين)(٢) أو ينتحلوا ركاكة هذا الدين السقيم ، الا أن يكون مستغرقاً فى الوسوسة والجنون فالحمق أنواع والجنون فنون .

وعند الوقوف على هذه المذاهب القبيحة والأوهام ، يتبين فضل دين الاسلام ، ويتحقق معنى قول النبى عليه السلام(٣) (اذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره : سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذه فيهم ".(٤)

وفى مثل هذا يضرب المثل(٥) : اذا جاء الحين ، صم الأذن وعم العين " والحمد لله الذى (أعاذنا من هذه الرذائل ، وتفضل علينا بدين الحنيفية(٦) الذى)(٧) خص بكل الفضائل ، التى يقبلها بفطرته الأولى كل عاقل /ويستحسنها كل ذكى فاضل . (١٠٨)

---

(١) انظر هذه الرواية فى كتاب بين الاسلام والمسيحية للخزرجى /٨٦ - ٨٧ ولا أدرى كيف توصل هؤلاء الى هذه المماثلة ؟ وكيف وجبت لعيسى عليه السلام ؟ ثم اذ كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء قدر السيد وسقوط منزلة العبد فالأولى أن يعفو عن الذنب ويتوب عن المذنب ، وانه من المستحيل أن يعاقب الله أحدا بذنب غيره لأن هذا فيه غاية الظلم والجور والله منزه عن ذلك . (انظر بين الاسلام والمسيحية /٢٠٩)

(٢) فى " ب " (النجس) (٣) فى "ب" (صلى الله عليه وسلم)

(٤) والنص كما رواه الديلمى " اذا أراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره " وقال فى الدرر : رواه الديلمى والخطيب عن ابن عباس بسند ضعيف . (انظر كشف الخفاء للعجلونى ٨٢/١)

(٥) وأصل المثل (اذا جاء الحين حار العين) والحين : الأجل . ويقال (اذا جاء القدر عشى البصر) (جمهرة الأمثال ١١٨/١)

(٦) والمقصود بالحنيفية الاسلام كما جاء فى الحديث " بعثت بالحنيفية السمحة " رواه الخطيب عن جابر (كشف الخفاء ٣٤٠/١ رقم (٩١٤)

(٧) ما بين القوسين سقط من " ب "

فقد تحصّل من هاتين المقدمتين ، معنى النبوة وبيان شروطها . وأن عيسى عليه السلام نبي ورسول . اذ قد كملت فيه شروط الرسالة ، وأنه ليس باله (١) . وأن النصارى ليسوا عالمين بشيء من أحوال المسيح ، ولا من معجزاته على التعيين والتفصيل . وغايتهم (أن) (٢) يعلموا أمورا جميلة ، لكثرة تكرار هذا المعنى عليهم . ثم تلك الأخبار التي يتحدثون بها عن المسيح ، وتتكرر عليهم ، لو كلفوا أن يسندوا شيئا منهـا لغير الانجيل ـ مما ينقل متواترا ـ لما استطاعوا شيئا من ذلك ، ولا وجدوا اليه سبيلا .

(أخبار اليهود عن عيسى عليه السلام) (٣)

ومما يؤيد هذا المعنى ويوضحه : أن اليهود كانوا رهطه (٤) وكفلته (٥) ، وعندهم نشأ ، وهم يخالفونكم في كثير مما تنسبون اليه ، ولا يوافقونكم على نقلها (٦) .

من ذلك " أن اليهود (تزعم) (٧) أنهم حين أخذوه ، حبسوه في السجن أربعين يوما وقالوا : ما كان ينبغي لنا أن نحبسه أكثر من ثلاثة أيام . الا أنه كـان يعضده أحد قواد الروم لأنه كان يداخله بصناعة الطب " (٨) .

وفي انجيلكم : أنه أخذ صبح يوم الجمعة (٩) ، وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه "

---

(١) وانما هو عبد الله ورسوله كما قال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليـه جميعاً) النساء ١٧٢ وقال تعالى (ما المسيح ابن مريم الا رسول قـد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) المائدة / ٧٥

(٢) في "ب" ـ (أنهم)

(٣) أخذت هذا العنوان من كتاب الخزرجي بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٢

(٤) رهطه : رهط الرجل قومه وقبيلته . والرهط : عدد يجمع من ثلاثة الى عشرة وقيل : الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة . (لسان العرب / ١٧٦/٨ مادة رهط)

(٥) في "ج" (كلفته) وما أثبتناه هو الصواب .

(٦) قارن هذا بما ذكره الخزرجي في كتابه بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٣

(٧) في "ج" (توزع) وما أثبتناه هو الصواب .

(٨) انظر هذه الرواية في كتاب بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٣

(٩) قارن هذا بما في انجيل مرقس / الاصحاح الخامس عشر ٣٤- ٤٢)

وكذلك تزعم اليهود كلهم : أنه لم يظهر لهم معجزة ، ولا بدت لهم منه آية ، غير أنه طار يوما - وقد هموا بأخذه - فطار على أثره أحد منهم فعلاه فى طيرانـه ، وتركه ، فسقط الى الأرض بزعمهم (١). ومواضع كثيرة فى انجيلكم تدل على ما قالتـه اليهود : من أنه لم يأت بآية .

فمن ذلك : " أن اليهود قالت له : ما آتيك التى ترينا ، ونؤمن بك ؟ (٢) وأنت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المن والسلوى فى (المفاز) (٣) فقال : ان كان أطعمكم موسى خبزًا بالمفاز ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا " يريد نعيم الآخرة ، فلو عرفت اليهود له معجزة ، لما قالت ذلك . ثم لم يجبهم على قولهم بمعجزة ولا آية (٤).

وفى انجيلكم " أن اليهود جاءوا يسألونه آية (٥) ، (فقذفهم) (٦) وقال : ان القبيلة الفاجرة الخبيثة تطلب آية ، ولا تعطي ذلك " .

وفيه أيضا : أنهم كانوا يقولون له ، وهو على الخشبة - بظنكم - ان كنت المسيح فأنزل نفسك نؤمن بك " (٧) يطلبون منه بذلك آية ، فلم يفعل .

---

(١) انظر كتاب بين الاسلام والمسيحية ٢٨٣

(٢) ما ورد فى انجيل يوحنا ونصه " فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك . ماذا تعمل آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء " . (يوحنا /الاصحاح السادس : ٣٠ - ٣٢)

(٣) فى "ب" (المفاوز)

(٤) انظر تفسير النص السابق فى كتاب بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٤ - ٢٨٥

(٥) فى متى جاء النص هكذا : " حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبى " (متى / ١٢ : ٣٨ - ٣٩)

(٦) سقطت من "ب"

(٧) والنص " ان كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وايانا " (لوقا ٢٣ : ٣٩)

ومثل هذا كثير فيه .(١)

ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف - في أمره - ما يدل على عدم يقينهم بشيء من أخباره . فمنهم من يقول : انه كان رجلا منهم يعرفون أباه وأمه ، وينسبونه لزانية وحاشى لله : كذبوا . ويسمون أباه للزينة " البنديرالرومي " وأمه " مريم الماشطه "(٢) كذبوا - لعنهم الله - ويزعمون : أن زوجها بن يهوذا وجد " البندير "(٣) عندهـا على فراشها ، وتشعّر بذلك فهجرها ، وأنكر ابنها.

ومنهم من يتبرأ عن هذا القول وينكره ، ويقول : انما أبوه يوسف بن يهوذا ، الذي كان زوجاً لمريم(٤) . وانجيلكم أول من نبه على هذا المعنى وأشار اليه ومكّن اليهود من هذه الفريّة والكذب حيث نسبه ليوسف ثم ستره بأن قال : خطيب مريم(٥) .

ولقد كان مؤلف الانجيل في غنى عن هذه النسبة ، لأن فيها من الشناعة أن نسب المسيح لغير أبيه ، ومكّن اليهود من الافتراء على أمه وقول الفحش فيه .(٦)

---

(١) وكذلك أجمعت اليهود على أنه ما ادّعى شيئا من الألوهية التي نسبتم اليه ادعاءها . ولا محالة أن مرادهم أن يدعى ذلك ، ليكون أبلغ في التشنيع عليه ، فقد ذكروا السبب في استفاضة ذلك (أى التشنيع عليه فقالوا : ان أحبارهم نقلوا ما مضى وبقى ذكره ، فخافوا أن تصير عامتهم اليه ، اذ كان على سنن تقرب من سنتهم ، فشنّعوا عليه أمورا كثيرة ، منها : نسبوا اليه دعوى الألوهية تزهيدا للناس في أمره . (بين الاسلام والمسيحية ٢٨٦)

(٢) وسميت بالماشطة : لأنها تحسن المشط وتتخذ ذلك حرفة لها .

(٣) في " ج " (البنديد) (هامش بين الاسلام والمسيحية للخزرجي ص ٢٣٥)

(٤) أنظر هذا القول في كتاب بين الاسلام والمسيحية ص ٢٣٥ - ٢٣٦)

(٥) كما ورد في انجيل متى " لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا " (متى / الاصحاح الأول : ١٨ - ١٩)

(٦) ولهذا يروى النصارى في الانجيل " أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله " (انجيل يوحنا / الاصحاح الثامن : ٤١)

ثم ان اليهود - لعنهم الله - (أطبقت على اطلاق)(١) الذم(٢) عليه، ثم اختلفوا في سببه: فمنهم من قال ما تقدم. ومنهم من ذكر سبباً آخر، وهو أنهم زعموا: أنه كان يوما مع معلمه، يشوع بن برخيا، وسائر التلاميذ في سفر، فنزلوا موضعاً، وجاءت امرأة من أهله، وجعلت تبالغ في كرامتهم. فقال يشوع(٣): ما أحسن هذه المرأة، يريد فعلها. فقال عيسى: - بزعمهم / لعنهم الله -: لولا عمش (١٠٩) في عينيها(٤). فصاح يشوع وقال له: يا ممزار - ترجمته: يا زنيم - أتزني بالنظر؟ وغضب عليه غضباً شديداً. وعاد الى بيت المقدس (وصرح)(٥) باسمه، ولعنه، في أربع مائة قرن(٦).

قالوا: فحينئذ لحق - بزعمهم - ببعض قواد الروم، وداخله بصناعة الطب، فقوى لذلك - بزعمهم - على اليهود، وهم يومئذ في ذمة قيصر (تباريوش)(٧) وجعل يخالف حكم التوراة(٨)، ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها الى أن كان من أمره ما كان(٩).

---

(١) في "ج" (أطلقت اطلاق) (٢) سقطت من "ب"

(٣) في "أ" و"ج" (يهشوع)

(٤) هذه القصة خرافة حيث أن عيسى عليه السلام كما يقول النصارى في الانجيل قال "قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا فأقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (متى ٥: ٢٧ - ٢٨) هذا ما ورد في انجيل متى على لسان عيسى مما يبين أن القصة التي ينسبها اليهود الى عيسى غير صحيحة بدليل أنه يقول: أنه قيل للقدماء لا تزن، ومن ناحية أخرى يقول كل من ينظر الى المرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه مما يبين أنه يحرم النظر والزنا.

(٥) في "أ" و"ب" (وحرم)

(٦) انظر هذه القصة في كتاب بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٧ وهداية الحيارى ٣٠٦

(٧) والصواب (طيباريوس) كما ورد في انجيل لوقا.
"وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس النبطي والياً على اليهودية" (لوقا الاصحاح الثالث: ١)

(٨) لم يخالف المسيح حكم التوراة، بل خالف احكام العلماء التي دونت فيما بعد في التلمود

(٩) انظر هداية الحيارى لابن القيم / ٣٠٦

ومنهم من يقول : ان ذلك انما أطلق عليه لأنه كان يوماً يلاعب الصبيان فى صفره بالكرة . فوقعت له بين جماعة من مشايخ اليهود ، فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم ، حياءً من المشايخ (فقوى)(١) عيسى ، وتخطى رقابهم ، وأخذها . فقالوا له : ما نظنك الا (زنيماً(٢) فأمضيت) عليه هذه الشتيمة(٣) .

وكذلك يختلف فى صنعة أبيه ، الذى تقولون أنتم فيه : خطيب أمه . فمنهم من يقول : يوسف بن يهوذا النجار(٤) ، وبعضهم يقول : انما هو الحداد(٥) .

وكذلك تختلفون أنتم فى اسم أبيه ، فبعضكم يقول : يوسف بن يعقوب ، وبعضكم يقول : يوسف بن هالى(٦) . وكذلك اختلفتم أنتم فى آبائه ، وفى عددهم . فمنكم من يقلل ، ومنكم من يكثر(٧) . على ما تقدم .

فهذا الاختلاف الكثير والاضطراب البيّن الشهير ، يدل على : أنكم واليهود ، فى شك منه ، وأنه لم يثبت عندكم خبر متواتر عنه . وانما هى ظنون كاذبة ، وأوهام

---

(١) فى "ب" (ففدى) (٢) سقطت من "ب"

(٣) هذه الرواية وردت فى كتاب بين الاسلام والمسيحية ٢٨٧- ٢٨٨

(٤) انظر متى / ١٣ : ٥٥) والواقع أن هذا من التناقض العجيب حيث نسب متى المسيح الى يوسف النجار ثم ينسب يوسف الى الملوك من ولد سليمان أباً بينما نجد لوقا ينسب يوسف النجار الى أباء غير الذى ذكرها متى ، فلابد أن يكون أحد النسبين كذباً فيكذب متى أو لوقا (الفصل ٢/ ١٥)

(٥) انظر بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٨ ، وهداية الحيارى / ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وانظر رد ابن حزم على النصارى فى هذه المسألة (الفصل ٢/ ٣٥)

(٦) نسبت الأناجيل عيسى بن مريم عليه السلام الى يوسف الذى كان خطيب مريم - كما يزعمون - ثم أوردت سلسلة نسب يوسف فذكرت فيها يهوذا ويعقوب وهالى فهالى والد يوسف . ويعقوب : جده الواحد والخمسون . ويهوذا جده الخامس عشر والثانى والثلاثون ، والخمسون (لوقا ٣ : ٢٣ - ٣٤) فمن قال : يوسف بن هالى ، فقد نسبه الى أبيه . ومن قال : يوسف بن يعقوب فقد نسبه الى جده الخمسين . ومن قال : يوسف بن يهوذا فقد نسبه الى جده الخامس عشر والثانى والثلاثين ، أو الخمسين .(حاشية بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٨)

(٧) انظر كتاب بين الاسلام والمسيحية / ٢٨٨

راتبه ، وسنبين مداخل الشك والأوهام عليهم فى قولهم بصلوبيته . ونبين أن اليهود والنصارى فى قولهم بصلبه كاذبون ، وأنهم (فى ريبهم يترددون) (١) فلولا أن منّ الله بفضله ، علينا وعليكم معاشر النصارى ، بأن بعث الى الجميع : سيد المرسلين لبقى الجميع من أمر عيسى حيارى (٢).

فنزه الله المسيح وأمه ، على (لسان) (٣) نبيه ، مما قالته اليهود فيهما من الأقوال الوخيمة . ونسبوه لهما من الهجاء والشتيمة . وكما شهد ببراءة المسيح وأمه ، مما نسبته اليهود اليهما . كذلك شهد ببراءتهما مما نسبتموهما أنتم اليه ، وتقوّلتموه عليهما .

وذلك أن منكم طائفة يقولون : ان مريم اله (٤) . وقد اطبقتم على أن المسيح اله (٥) . وابن الاله (٦) . (٧) ونبينا عليه السلام يقول (مخبراً عن الله سبحانه وتعالى) (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة) (٨) فاذا سمع العاقل قوله

---

(١) سورة التوبة / ٤٥

(٢) وذلك لأن اليهود يختلفون فيما بينهم فى أمر عيسى عليه السلام ، كما أن النصارى متخالفون مع اليهود فى أمره وكل ما يذكره النصارى عن عيسى عليه السلام انما هى مناما كاذبة نسجت بعد المسيح بما ينيف على مائتين وكسور من السنين . (بين الاسلام والمسيحية للخزرجي / ٢٨٢)

(٣) سقطت من "ب".

(٤) وهم البرابرانية ويسمّون المريميين (أضواء على المسيحية / متولى شلبى ٩٧)

(٥) على اعتبار قول النصارى ان المسيح له طبيعتان لاهوتية وناسوتية ، فعلى هذا القول هو عندهم اله ، وهذا هو مذهب الملكائية . أما اليعقوبية فقالوا أيضا : بألهية المسيح . ولهذا قالوا إن مريم عليها السلام ولدت الها تعالى الله عما يقولون . (الملل هامش الفصل ٢/ ٦٢ - ٦٧)

(٦) كما ذكر انجيل مرقس " بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله " وهو قول النسطورية .
(مرقس / الاصحاح الأول : ١)
وهى أيضا مقالة بولس الشمشاطى وأشياعه وهم البولقانيون . (م. أضواء على المسيحية / ٩٧)

(٧) مابين القوسين سقط من "ب"

(٨) سورة المائدة / ٧٥

فيهما علم بعقله : أن ذلك القول هو الحق (١). وان كان من طالع الزبور : (علم أن دعاء داوود مستجاب ، ومقاله صدق . وذلك أن في الزبور) (٢) : أن اللـــه تعالى قال لداود : (سيولد لك ولد . أدعى له : أباً . ويدعي لي ابناً " فقال : " اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنه بشر " (٣).

فاعتبر قول داود حين أفزعه ذلك وراعه . كيف دعا (الى) (٤) الله . أن يبعث جاعل السنة الذى يعلم الناس : أن ذلك الولد المدعو : انما هو بشر .

وكذلك قال المسيح على ما حكاه انجيلكم " اللهم ابعث البارقليط ، ليعلم الناس : ان ابن الانسان بشر " (٥).

---

(١) لا شك أن اليهود قد ارتكبوا جريمة لا تغتفر في رميهم مريم عليها السلام بالزنا . ولكن القرآن الكريم لم يترك لهؤلاء الحبل على غاربه بل قرر لهم مما لا يدع مجالاً للشك فقال عن مريم (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) سورة آل عمران ٣٧ (٢) ما بين القوسين سقط من "ب"

(٣) لم أعثر على هذا النص في الزبور ولكن الذى ورد يفيد : أن الله سيعين داود ويقويه بسحق أعدائه وأن داود يدعوه أبا " هو (أى داود) يدعوني أبي أنت الهي وصخرة خلاصي . أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض" (المزمور ٨٩ : ٢٧)

وهو مخالف للنص الذى استدل به القرطبي . (حاشية بين الاسلام والمسيحية ٢٦٧)

(٤) ساقطة من "ب"

(٥) والنص " ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي " (يوحنا ١٥ : ٢٦)

وكلمة المعزى وضعها النصارى حاليا بدل باركليت والكلمة التى نطقهـــا المسيح هي بيركليت (أقانيم النصارى / السقا / ٤٧)

وقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندي أنه وصلت اليه رسالة باللغة الأردية من بعض رسائل القسيسين سنة ١٢٦٨ هـ وكانت هذه الرسالة قد طبعت في (كلكته) وكانت في تحقيق لفظ (فارقليط) وادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم في الغلط من لفظ (فارقليط) وكان ملخص =

والبارقليط بالرومية : هو " محمد " بالعربية .(١)

فلما ضللتم ، وتفوهتم بذلك(٢) ، وراغمتم أدلة العقول ، وكلام الأنبياء المنقول :

بعث الله جاهل السنة ، وكاشف الغمة ، محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأعلم

الناس أنه بشر ، ليس باله . ولا ابن اله(٣) . فقال مبلغا عن الله : (وقالت

النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا

من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (١٤٠)

والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما

يشركون)(٤) .

= (٥) كلامه أن هذا اللفظ معرّب من اللفظ اليوناني . فان قلنا أن هذا اللفظ اليوناني الأصلي (باركلي طوس) فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل . وان قلنا أن اللفظ الأصلي (بيركلوطوس) يكون قريبا من معنى محمد وأحمد ، فمن استدل من علماء الاسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصلي (بيركلوطوس) ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد ، فادّعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد لكن الصحيح أنه (باراكلي طوس) ا . هـ يقول رحمة الله الهندى بعد هذا القول تعليقا : " ان التفاوت بين اللفظين يسير جداً وان الحروف اليونانية كانت متشابهة فتبدل (بيركلوطوس) به (بارا كلي طوس) في بعض النسخ من الكاتب قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على النسخ الأخرى ، ومن تأمل في الباب الثاني من هذا الكتاب والامر السابع من هذا المسلك السادس بنظر الانصاف اعتقد يقينا بأن مثل هذا الأمر من أهل الديانة من أهل التثليث ليس ببعيد ". (اظهار الحق / ٢ / ٥٣٨ - ٥٣٩) .

(١) انظر بين الاسلام والمسيحية للخزرجي / ٢٦٨ .

(٢) بزعمهم أن عيسى عليه السلام اله وابن اله .

(٣) انظر تفسير النص السابق في كتاب بين الاسلام والمسيحية / ٢٦٧

(٤) سورة التوبة ٣٠ - ٣١

وقال تعالى (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا)(١) ونذكر الآن (منها)(٢) خبر النجاشى(٣) ليكون منبهة للعاقل ، ومردعة للجاهل .

وذلك أن الله تعالى : لما بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - اتبعه جماعة ممن نور الله قلبه ، وشرح للاسلام صدره . وذلك فى أول الأمر ، فآمنوا به ، والتزموا شرعه وأحكامه . فكان كفار قريش والمخالفون لهم فى أديانهم يؤذونهم ويعذبونهم ، يرومون بذلك ردهم عن دينهم ، كما قد فعل بأتباع الأنبياء قبلهم . فلما اشتد عليهم الأمر ، شكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يهاجروا الى أرض الحبشة ، ووعدهم بأن (يجعل)(٤) الله من أمرهم فرجا . وأخبرهم أن بها ملكا عظيما ، لا يظلم عنده أحد ، ففعلوا . فقدموا على النجاشى واسمه (أصحمة) وكان على صميم دين النصرانية .

فلما قدموا عليه استقر بهم المنزل ، ووجدوه خير منزل . فأقاموا هنالك دينهم ، واغتبط النجاشى لصحبتهم ، وهم بجواره . فلما رأى كفار قريش ، أن قد وجدوا بأرض النجاشى أمناً ودعة ، وجهوا اثنين منهم(٥) وأصحبوهما هدايا (جليلة)(٦) الى النجاشى وأقسته . وطلبوا منه ، ومن أساقفته أن يسلمهم (لهما)(٧) .

---

(١) سورة مريم ٩٢ - ٩٣ (٢) فى " أ " (هنا)

(٣) واسمه أصحمة ملك الحبشة ، وكان ممن حسن اسلامه ولم يهاجر ، فهو تابعى من وجه ، وصاحب من وجه آخر . وكان له ولد يسمى أرمى بعثه الى النبى عليه الصلاة والسلام فمات فى الطريق . وقد توفى فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم (وقد روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات)(صحيح البخارى رقم الحديث (١٢٦٨)كتاب الجنائز باب التكبير على الجنازة أربعا) (سير أعلام النبلاء ١ / ٤٢٨ - ٤٢٩)

(٤) فى " ج " (جعل) (٥) وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة كما فى السيرة لابن هشام . أما عبد الله بن أبى ربيعة أسلم يوم الفتح وولاه الرسول عليه السلام على الجند فى اليمن ولم يزل عليها حتى قتل عمر ثم مات بالقرب من مكة . (أسد الغابة ٣ / ٢٣٢ - ٢٣٣)

(٦) فى "ب" (جلية) (٧) سقطت من "ب"

فلما قدما أرض النجاشي دفعا لأقسته هداياهم ، وطلبا منهم أن يعينوهما على ردهم معهما ، وأسلامهم لقومها . ثم دفعا للنجاشي هديته . وقالا له : أيها الملك ؟ (قدموا)(١) الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا اليك فيهم (اشراف)(٢) قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ، لتردهم اليهم . فهم أعلى بهم عينا . وأعلم بما عابوا عليهم (فقالت بطارقته وأقسته صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم)(٣) فاسلمهم اليهم ، فغضب النجاشي ثم قال : لا والله لا أسلمهم اليهما أبدا . ولا يكاد قوم جاوروني ، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي ، لا أسلمهم حتى أدعوهم ، فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم .

ثم أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته(٤) فنشروا مصاحفهم حوله ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم (به)(٥) قومكم ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل (كافة)(٦) ؟ فكلمه " جعفر بن أبي طالب "(٧) فقال له : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي الضعيف ، فكنا على هذا حتى بعث الله الينا رسولا نعرفه ، ونعرف نسبه وأمانته وصدقه وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .

---

(١) في " أ " و " ج " (قدموا) (٢) سقطت من " ب "

(٣) ما بين القوسين سقط من " أ " (٤) في " ب " (فيه)

(٥) سقطت من " أ " و " ب " (٦) سقطت من " ب " و " ج "

(٧) هو أبو عبد الله ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الهجرتين أمّره عليه السلام في غزوة مؤته . وقد ذكر ابن اسحق أن جعفر أسلم بعد أحد وثلاثين نفسا . قال أبو جعفر الباقر : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لجعفر بسهمه . استشهد في غزوة مؤته . (سير أعلام النبلاء ٢٠٦/١ - ٢١٦)

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .

وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . وعدد عليه أمور الاسلام.(١) فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به عن الله .

فعدى علينا قومنا . (وعذبونا)(٢) وفتنونا عن ديننا ، (ليردونا)(٣) الى عبادة الأوثان . وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .

فلما قهرونا وظلمونا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ورجونا / ألا نظلم عندك . فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن (١١١)

الله(من)(٤) شيء ؟ فقال له جعفر : نعم . فقال اقرأ : فقرأ عليه جعفر صدرا من "كهيعص"(٥) فبكى - والله - النجاشي ، حتى أخضل لحيته(٦) ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا لحاهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشي : ان هذا ، والذى جاء به موسى ، ليخرج من مشكاة(٧) واحدة . انطلقا . فلا والله لا أسلمهم اليكما ولا أكاد . فلما خرجا من عنده ، وقد يئسا من مرادهما قال أحدهما : وهو "عمرو بن العاص"(٨) لأتينه عنهم غدا بما يهلكهم لأجله . ثم غدا عليه من الغد .

---

(١) وقد ورد في رواية (ابن اسحق قال : " فعبدنا الله وحده لا شريك له ولم نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا " .

(٢) في " ج " (فعذبونا) (٣) في " ج " (ليردنا)

(٤) ساقطة من "ب" (٥) يقصد سورة مريم .

(٦) أخضل لحيته : أى بلها بالدموع (النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٣)

(٧) المشكاة : الكوة غير النافذة . وقيل هى الحديدة التى يعلق عليها القنديل . (النهاية لابن الأثير ٤ /٣٣٤)

(٨) هو عمرو بن العاص بن هاشم القرشي أسلم عام خيبر وقيل أسلم عند النجاشي بعثه الرسول عليه السلام أميراً على سرية الى ذات السلاسل . ويروى أنه لما حضرته الوفاة بكى فقال ابنه عبد الله لم تبكى ؟ أجزعاً من الموت ؟ قال لا . ولكن لما بعد الموت . (أسد الغابة ٤/ ٢٤٤- ٢٤٧)

فقال : أيها الملك انهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيماً (١) . فأرسل اليهم ليسألهم . قالوا : ولم ينزل بنا مثلها ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى اذا سألكم ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما (جاءبه) (٢) نبينا ، كائنا فى ذلك ما كان .

فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ما تقولون فى عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبى طالب : نقول فيه : الذى جاءنا به نبينا ؛ هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته . ألقاها الى مريم العذراء البتول (٣) . قال : فضرب النجاشى بيده الى الأرض ، فأخذ منها عودا . ثم قال : ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود . فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال . فقال : وان نخرتم ، والله اذهبوا فأنتم شيوم (٤) ترجمته آمنون " . (٥) فهذا قول أهل العلم من قبلكم ، العارفين بشريعتكم ، وما عدا ذلك فشجرته غثاء وأوضار (اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (٦) . وسيأتى ان شاء الله (تعالى) (٧) قول هرقل . اثر هذا الباب ، ان شاء الله تعالى . كمل الجزء الثانى (والحمد لله وحده) (٨) .

---

(١) من القول أن عيسى ابن مريم " عبد " كما أشار الى ذلك القرآن (قال انى عبد الله) مريم / ٣٠ وقد جاء فى هذه الرواية " فقال عبد الله بن ربيعة ؛ لا تفعل فانهم وان كانوا خالفونا فان لهم رحماً ولهم حقاً "
(انظر السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢١)

(٢) فى "ب" (جاءنا)

(٣) كما قال تعالى (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) النساء / ١٧١ .

(٤) فانتم سيوم : أى آمنون وهى كلمة حبشية (النهاية ٢ / ٤٣٤)

(٥) وهى من رواية ابن اسحق انظر السيرة لابن هشام ١ / ٢٨٩ - ٢٩١) نشر مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧٤ م . وحديث النجاشى رواه أحمد باسناد صحيح المسند / ٣ رقم (١٧٤٠) والبيهقى انظر دلائل النبوة ٢ / ٧٠ - ٧٢ - تحقيق عبد الرحمن عثمان والسيرة النبوية لابن كثير ٢ / ١٤ - ٢٢

(٦) سورة ابراهيم ٢٦ (٧) ليست فى " ج "

(٨) فى "ب" (بحمد الله وحسن عونه)

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين)(١)

(الفصل الاول من القسم الثانـــى)(٢)

في اثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والســـلام(٣)

نقول: ان محمد ابن عبد الله العربى القرشى الهاشمى الاسماعيلى رسول اللـه صلى الله عليه وسلم صادق فى كل ما أخبر به عن الله تعالى، ولا يجوز عليه شيء مـن الكذب.

ونستدل على ذلك بأدلة صادعة، وبراهين قاطعة، أصولها أربعة:

الاول: (أنواع)(٤) اخبار الانبياء قبله، ووصفهم له فى كتبهم.

الثاني: النظر فى (قوانين)(٥) أحواله.

الثالث: الكتاب العزيز.

الرابع: ماظهر على يديه من خوارق العادات. فهذه أربعة أنواع.

النوع الأول

من الادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (اخبار الأنبياء به قبله)(٦)

وانما قدمنا هذا النوع، وان كان غيره أولى بالتقديم، لكون الانبياء المخبريـن بعلاماته، متقدمين عليه فى الزمان، ولكون هذه البشائر كانت معروفة قبل مجيئه، ولكون السائل الذى كتبنا هذا الكتاب جوابه، لم يطلب منا لجهله، الا الاستدلال (بما جاء فى كتب الانبياء. وليكون هذا الباب مؤنسا له، وباعثا على النظر فيما بعده، ولتعلم أن الاستدلال)(٧) بهذا النوع، لا ينتفع به الا من صدق بتلك الكتب، وتواترت عنده.

---

(١) مابين القوسين سقط من "أ"، وسقط من "ج"، (وصحبه اجمعين).

(٢) فى "أ" (أنواع القسم الثانى).

(٣) فى "ب" (صلى الله عليه وسلم) وفى "ج" (عليه السلام).

(٤) سقطت من "ب".

(٥) سقطت من "ب".

(٦) مابين القوسين سقط من "ب".

(٧) مابين القوسين سقط من "ب".

ومن حكى عن شيء من ذلك لا ينتفع بشيء منها ، ولا يستدل بها عليه ، وامــا مابعد هذا النوع فيستدل به على كل من أنكر نبوته من سائر الفرق . فأما هذا النـوع فانما هو حجة على اليهود والنصارى ، لادعائهم : أن تلك الكتب تواترت عندهم .

وهذا النوع عندنا على التحقيق : انما هو داخل فى باب الالزامات لهم ليظهر/ (١١٢أ) عنادهم وافحامهم ثم لتعلم أنا انما نذكر أخبار الأنبياء المبشرة بنبوة محمد صلى اللـه عليه وسلم (١) من كتبهم التى بأيديهم ، وعلى ما ترجمها مترجموهم من غير زيـادة ولانقصان .

بشارة التوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك : ماجاء فى التوراة (٢) : أن الله قال لموسى بن عمران :

---

(١) فى "ج" (عليه السلام) .

(٢) والنص كما ورد فى سفر التثنية : " أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلـك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه " . (سفر التثنية / الاصحاح الثامن عشر / ١٨-١٩) .

وقد استدل السموءل بن يحيى بهذا النص على البشارة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال : وهذا دليل على أن التوراة أمرت اليهود بالايمـان بالمصطفى صلى الله عليه وسلم واتباعه . ثم قال " فان قالوا : انه قال من وسـط اخوتهم وليس فى عادة كتابنا انه يعنى بقوله "اخوتهم" (الابنى اسرائيل . قلنـا : بلى قد جاء فى التوراة "اخوتهم" لبنى العيص وذلك فى الجزء الاول من السفـر الخامس وهو قوله : (ايم عوبريم بقبول اصيحيم بنى عيس وهيوشيم بسيعير)تفسيره : (انتم عابرون فى تخت اخوتكم بنى العيص المقيمين فى سيعير ، اياكم ان تطمعوا فى شيء من أرضهم) فاذا كان بنو الصيص اخوة لبنى اسرائيل لان العيص واسرائيل ولدا اسحق ، فكذلك بنو اسماعيل اخوة لجميع ولد ابراهيم " أ.هـ(انظر بذل المجهود فى افحام اليهود / للسموءل بن يحيى /٢٣-٣٢) .

ثم ان الضمير فى اخوتهم غائب ممايدل على أن النبوة فى ذرية ابراهيم عليه السلام وكان له ولدان اسماعيل واسحق ،فاذا كان الامر ينتفى عن بنى اسرائيل فلابد ان يكون الامر فى اسماعيل وهو الجد الاعلى للرسول صلى الله عليه وسلم.

" انى اقيم لبنى اسرائيل من اخوتهم (نبيا) (١) مثلك . أجعل كلامى عليه فيه . فمن عصاه انتقمت منه ".

فان قلت : ان ذلك انما هو " يشوع بن نون " (٢) (قلنا : لا) (٣). فقد قال : فى آخر التوراة : أنه لا يخلف من بنى اسرائيل نبى (مثل) (٤) موسى " (٥) فلا محالة

---

(١) فى "أ" و "ج" (نبي).

(٢) وقد زعم اليهود كما قال مؤلف المخطوط ان هذا النبى سيكون من بنى اسرائيل ولكن لابد أن نقرر ان هناك اتفاقا تاما بين المسيحيين والمسلمين على ان هذا النبى المرتقب لم يظهر فى بنى اسرائيل حتى عهد المسيح ويظهر ذلك من شهادة بطرس استيفانوس الذى كان يعتقد أن تلك النبوءة قد تحققت فى المسيح . يقول بطرس : " يسوع المسيح المبشر به لكم قبل . . . فان موسى قال للآباء أن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون فى كل مايكلمكم به " (اعمال الرسل ٣ : ٢٠-٢٢).
ويقول استيفانوس : (هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم " (اعمال الرسل ٧ : ٣٧).
ولا مانع من الموافقة على ذلك بشرط الاقرار بان المسيح مثل موسى تماما بانه كان عبد الله ورسوله . ان هذا الاقرار يقضى على الخلافات فى اساسيات العقيدة بين المسيحيين بعضهم مع بعض وبينهم وبين المسلمين من جانب آخر . (النبوة والانبياء فى اليهودية والمسيحية والاسلام / احمد عبد الوهاب ٪ ٢٠ ( ).
ومما تقدم يظهر لنا ان اليهود يزعمون ان هذا النبى المرتقب سيكون من بنى اسرائيل وهو يشوع وان النصارى يزعمون انه يسوع المسيح والصحيح ان نص التوراة انما هو بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندى عند هذا النص عشرة اوجه فيها دلالة على ان المبشر به نبى الاسلام عليه السلام . (راجع اظهار الحق ٢ / ٥٠٨-٥١٣).

(٣) سقط من "ج"

(٤) فى "ب" و "ج" (غير).

(٥) والنص كما هو فى التوراة : (ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه) (سفر التثنية / الاصحاح الرابع والثلاثون / ١٠).

أن ذلك الذى بشرت به التوراة لا يكون من بنى اسرائيل . لكن من اخوة بنى اسرائيل . فلينظر . من هم اخوة بنى اسرائيل ؟ فلامحالة : انهم العرب . أو الروم (١) .

فأما الروم فلم يكن منهم نبى سوى أيوب (٢) ، وكان قبل موسى بزمان ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة ، فلم يبق الا العرب. فهو اذن : محمد عليه السلام (٣) ، وقد قال فى التوراة حين ذكر اسماعيل جد العرب : " انه يضع فسطاطه فى وسط بلاد اخوته " (٤) .

فكنى عن بنى اسرائيل : باخوة اسماعيل ، كما كنى عن العرب باخوة بنى اسرائيل (٥) فى قوله : " انى اقيم) (٦) لبنى اسرائيل من اخوتهم (نبى) (٧) مثلك " (٨) .

(١) انظر هذا التفسير للنص فى كتاب ابى عبيدة الخزرجى بين الاسلام والمسيحية / ٢٦٠-٢٦١ .

(٢) لم يكن ايوب من الروم وانما كان عربيا ظهر قبل موسى وكان يسكن ارض (عوص) فى شرقى فلسطين أو حوران . وهو عند مؤرخى العرب من بنى ابراهيم الخليل بينهما خمسة آباء . وعند بعض شراح التوراة قبل ابراهيم وترجح دائرة معارف البستانى الراى القائل بانه قبل ابراهيم باكثر من مائة سنة .
غير ان الطبرى ذكر فى رواية عن وهب بن منبه انه كان من الروم وذكر نسبه على انه من ولد ابراهيم وهذا تضارب . فابراهيم لم يكن من الروم .
(انظر حاشية كتاب بين الاسلام والمسيحية / (٢٦) .

(٣) انظر هذا التفصيل فى كتاب ابى عبيدة بين الاسلام والمسيحية / (٢٦) .

(٤) والنص كما ورد فى التوراة :
(وامام جميع اخوته يسكن) (انظر سفر التكوين الاصحاح السادس عشر / ١٢) .

(٥) انظر بين الاسلام والمسيحية / لابى عبيدة / (٢٦) .

(٦) فى "ب" و "ج" (ساقيم) .

(٧) سقطت من "ب" و "ج" .

(٨) تقدم النص وهو من سفر التثنية / الاصحاح الثامن عشر / ١٨ .

ويدل على ذلك ايضا قوله : (اجعل كلامى على فيه " فان هذا تصريح بالقرآن . ان هو كلام الله الذى (جاء)[1] به محمد صلى الله عليه وسلم وتلقيناه من فلق فيه . ويدل ايضا على ذلك قوله)[2] : " من عصاه انتقمت منه " [3] اذ قد فعل الله ذلك (بصناديد)[4] قريش وعظماء ملوك الروم وغيرهم ، فهم بين أسير وقتيل ، ومعطى الجزية على وجه الصغار والذلة (ولعذاب الاخرة أشق)[5] (لمن خالفه)[6].

ومن ذلك : ماجاء فيها أنه قال : (وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته)[7] فقال : (جاء الله من سيناء واشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران . ومعه جماعة من الصالحين)[8] .

---

(١) فى "ب" (جاءنا).

(٢) مابين القوسين سقط من "ج".

(٣) والنص كما فى التثنية :" ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه " (تثنية ١٨ : ١٩).

(٤) فى "ب" (فى صناديد).

(٥) سورة الرعد / ٣٤.

(٦) سقطت من "أ" و "ج".

(٧) مابين القوسين سقط من "ب" و "ج".

(٨) والنص " جاء الرب من سيناء واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم " (تثنية ٣٣ : ٢).
وقد تطابقت هذه البشارة مع القرآن الكريم فى قوله تعالى : (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين) التين ١-٣.
فالتين والزيتون اشارة الى ساعير وطور سنين اشارة الى جبل سيناء . والبلد الامين اشارة الى مكة التى عبر عنها بجبل فاران . (هداية الحيارى لابن القيم / ١٣).

فمجيئه من جبل سيناء : أن الله أنزل فيه التوراة ،وكلم عليه موسى ،واشراقه من جبل : ان دين المسيح انما اشرق من جبال ساعير ،وهى جبال الروم من أدوم[١] . واستعلانه من جبال فاران : أن الله تعالى بعث منها محمدا صلى الله عليه وسلم وأوحى اليه فيها ولا اختلاف : أن فاران " مكة "[٢] . وقد قال فى التوراة[٣] " ان الله أسكن هاجر وابنها اسماعيل فاران " . (وفى بعض التراجم[٤] : أقبل السيد من سيناء ومن سعير تراءى لنا ،وأقبل من جبال فاران ومعه الاف من الصالحين ، ومعه كتاب نارى ، وهو ختم الاجناس ، وجميع الصالحين فى قبضته ، ومن تدانى من قدميه يصيب من علمه "[٥] .

ففكر على انصاف وتثبت . من الجائى المقبل من جبال فاران . مع الالاف من الصالحين ؟ ومن جاء بالكتاب الذى مامنه سورة الا وفيها الوعيد على المخالف بالنار وعذابها وانكالها واغلالها ؟)[٦] .

ومن ذلك : ماجاء فيها أيضا . أن الله قال لابراهيم :" قد استجبتك فى اسماعيل . وباركته ،وكثرته وأنميته جدا جدا ، يولد له اثنى عشر عظيما ، واجعله (رئيسا عظيما)[٧] لشعب عظيم[٨] . ولا يشك فى أن الشعب العظيم

---

(١) ادوم : كلمة عبرانية وهى اسم لعيسو ابن اسحق وقد اطلق هذا اللفظ على الارض التى منحها الله له بارض ادوم التى كان يطلق عليها جبل سعير (يشوع :الاصحاح ١٥)

(٢) انظر هذا التفسير للنص السابق فى بذل المجهود فى افحام اليهود / للسموءل / ٣٥ وانظر بين الاسلام والمسيحية للخزرجى / ٢٦٣-٢٦٤ .

(٣) فى سفر التكوين /الاصحاح الحادى والعشرون / ٢٠-٢١ ، وانظر هداية الحيارى لابن القيم ص ١٣٨ .
فاران : كلمة عبرانية معربة ،وهى من أسماء مكة وقيل : هواسم لجبال مكة . (عن كتاب بين الاسلام والمسيحية / ٢٦٤ .) (وانظر بذل المجهود فى افحام اليهود / للسموءل بن يحيى / ٣٥) .

(٤) فى "ب" و "ج" (وفى التوراة) .

(٥) قارن هذا بما ورد فى التثنية / الاصحاح الثالث والثلاثون / ١-٣ .

(٦) مابين القوسين ورد فى "ب" و "ج" فى موضع اخر .

(٧) والنص كما ورد فى التوراة :" واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها انا اباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله امة كبيرة (تكوين ١٧ : ٢٠) يقول الشيخ رحمة الله الهندى" وقوله اجعله لشعب كبير يشير الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن فى ولد اسماعيل من كان لشعب كبير غيره . وقال الله تعالى ناقلا دعاء ابراهيم واسماعيل فى حقه عليهم السلام فى كلامه المجيد (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) (البقرة ١٢٩) .

(٨) فى "ب" (هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم) . (اظهار الحق / ٢ / ١٧ ٥) .

هو محمد عليه السلام (١) وأمته . اذ لم يكن فى ولد اسماعيل أعظم منهم .

وقد تفطن بعض النبهاء ، ممن نشأ على لسان اليهود (٢) وقرأ بعض كتبهم فقال : فى التوراة موضعان (٣) يخرج منهما اسم محمد ، بالعدد على ماتستعمله اليهود فيما بينهم (٤) .

ثم ذكر ماقدمته من قول الله لابراهيم (قد استجبتك فى اسماعيل " .

فأما قوله " جد جدا " فهو بتلك اللغة " بماد ماد " وعدد هذه الحروف اثنان وتسعون (٥) . وذلك ان الباء عندهم : اثناء . والميم : اربعون . والألف : واحد . والدال : اربعة . والميم الثانية : اربعون . والالف واحد . والدال : اربعة ، وكذلك الميم من محمد : اربعون والحاء : ثمانية . والميم : اربعون . والدال : أربعة .

---

(١) فى "ب" (هوالنبى محمد صلى الله عليه وسلم) .

(٢) ومنهم السموءل بن يحيى بن عباس المغربى والذى كان من اعاظم احبار اليهود قبل اسلامه .

(٣) الاول : بماد ماد (جدا جدا) والترجمة الحديثة (كثيرا جدا) والثانى : لغوى عذول (شعب عظيم) والترجمة الحديثة (امة عظيمة) .
انظر تكوين : ١٧ : ٢٠) .

(٤) وقد جعل ذلك اللغز فى هذا الموضع لانه لو صرح به لبدلته اليهود واسقطته من التوراة . (بذل المجهود فى افحام اليهود للسموءل / ٣٤) .
وقيل انهم وضعوا اسم محمد بحساب الجمل فى سياق بركة اسماعيل ليعرفوا اسم الاتى من اسماعيل لتبدأ به البركة . ووضعوه بحساب الجمل ، ليعرفوه هم ولا يعرفه العرب الذين يجهلون هذا الحساب .
(انظر : اقانيم النصارى /د . احمد السقا / ١٣١) .

(٥) انظر : بذل المجهود فى افحام اليهود / للمؤلف السموءل بن يحي / ٣٤ .

وأما قوله " لشعب عظيم " فهويتلك اللغة " لغوى غد ول "(١) فاللام(٢) عند هم ثلاثون ، والغين : ثلاثة .وهى عند هم مقام : الجيم اذ ليس فى لغتهم جيم ولا ضاد ، والواو :ستة .والياء : عشرة . والغين ايضا : ثلاثة . والدال : اربعة . والواو: ستة . واللام :ثلاثون . فمجموع هذه ايضا : اثنان وتسعون . وهذا من رشيق الفهم ولمح البحث ،وغرائب العلم .

وفى التوراة : أيضا أن ملك الرب قال / لهاجر "ستلد ين ابنا ،وتدعين اسمه اسماعيل ، يده على كل . ويد كل به . وسيحل على جميع جد ود اخوته "(٣). (١٢ (

---

(١) وقد اعترف بعض علماء بنى اسرائيل باسم محمد صلى الله عليه وسلم - فى نص التوراة عن بركة اسماعيل بحساب الجمل قالوا ان (كثيرا جدا) تترجم فى العبرانية (بماد ماد) وتنطق (بمود مود) وقالوا ان (امة كبيرة) تترجم فى اللغة العبرانية (لجوى جد ول) وتنطق احيانا (لغوى غد ول) وقالوا : فى بدء ظهور بركة اسماعيل سيخرج منهم بنى اسمه (محمد) يتسلم الملك والشريعة من بنى اسرائيل ليهدى الامم وبذلك تتبارك فى اسماعيل كل قبائل الارض . ثم بينوا طريقة حساب الجمل كما ذكرها هنا مؤلف المخطوط . (راجع اقانيم النصارى / احمد السقا / ص ١٣٠-١٣١ نقلا عن كتاب الكنز فى قواعد اللغة العبرية)للاستاذ بانوبعبده . وقد صرح بعض العلماء بان من اسمائه - صلى الله عليه وسلم - (ماد ماد) كما ذكر الشيخ رحمة الله الهندى نقلا عن الشفا للقاضى عياض . (اظهار الحق/ ٢ / ٥١٨) .

(٢) فى "ج" (فالدال) وما أثبتناه هو الصواب .

(٣) والنص " وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلد ين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه . وأمام جميع اخوته يسكن) . (تكوين ١٦ : ١١-١٢) .
وهذه بشارة تضمنت ان يد ابنها على يد كل الخلائق . وان كلمته العليا ،وان ايدى الخلائق تحت يده فمن هذا الذى ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟
(هداية الحيارى / ابن القيم/ ١١٤) .

ولا محالة أن اسماعيل ، وولده لم تكن أيديهم الا تحت يد " اسحق " لان النبوة والملك انما كانا فى ولد اسحق ، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم (١) جعل يد بنى اسماعيل فوق ايدى الجميع ، ورد النبوة والملك فيهم (٢) وأنما هـم ، وعظمهم ، وبارك عليهم جدا جدا (٣) .

ومن ذلك ماجاء فى الزبور الذى بأيديكم انه قال : (سبحوا الرب تسبيحا حديثا . سبحوا الذي هيكله الصالحون ، ليفرح اسرائيل بخالقه ، (وبنو) (٤) صهيون . من أجل أن الله اصطفى لهم أمة ، وأعطاهم النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة . يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه باصوات مرتفعة بأيديهم سيوف (ذوات) (٥) شفرتين ، لينتقم الله بهم من الامم . الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالاغلال " (٦) .

---

(١) ليست فى " أ " و " ج " .

(٢) قارن هذا الرد بما ذكره ابوعبيدة فى كتابه / بين الاسلام والمسيحية/ ٢٦٥ ، هداية الحيارى / ابن القيم/ ١١٤ .

(٣) وخاصة انهم ذكروا فى التوراة (وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها انا أباركه وأثمره واكثره كثيرا جدا اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة) (تكوين ١٧ : ٢٠) .

(٤) فى "ب" و "ج" (وبنات) .

(٥) سقطت من "ب" .

(٦) قارن المزمور/ المئة والتاسع والاربعون / ١-٩ .

والنص: " غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته فى جماعة الاتقياء ليفرح اسرائيل بخالقه ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود ليرنموا له لان الرب راض عن شعبه يجمل الودعاء بالخلاص ليبتهج الاتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم تنويهات الله فى أفواههم وسيف ذو حدين فى يدهم ليضعوا نقمة فى الامم وتأديبات فى الشعوب لا سر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد " .

فقد عبر فى هذا النص عن المبشر بما الملك وعن مطيعيه بالابرار ، وذكر من أوصافهم افتخارهم بالمجد وترفيع الله فى حلوقهم ، وأن سيوفهم ذوات حدين ، وانتقامهم من الامم ، واسرهم الملوك والاشراف بالقيود والاغلال التى من حديد . (=)

أخبرونا يا هؤلاء الجاحدون للحق ، المعرضون عن اخبار الصدق : من هذه الامة التى سيوفها : سيوف ذوات شفرتين ، ينتقم الله بهم من الامم الذين لا يعبدونه ؟ ومن المبعوث بالسيف من الانبياء ؟ ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة فى الاذان ؟ (١) (هذه أوصاف محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوصاف أمته ، بلا ريب ، ولا رجم غيب) (٢) .

وفى الزبور ايضا : ذكر صفة محمد صلى الله عليه وسلم فقال : " ويجوز من البحر الى البحر ، ومن منقطع الانهار . الى منقطع الانهار . وانه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم . (ويلحس) (٣) أعداؤه بالتراب . وتأتيه ملوك بالقرابين وتسجد له وتدين له الامم بالطاعة والانقياد . لانه يخلص المضطهد البائس من الاقوى منه ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين . وأنه

(= ١) أقول : المبشر به محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم وتنطبق جميع هذه الاوصاف على النبى عليه السلام وأصحابه وليس المبشر به سليمان عليه السلام ، لانه ماوسع مملكته على مملكة ابيه على زعم اهل الكتاب ، ولانه - حسب زعمهم - ارتد وعبد الاصنام فى آخر حياته . وليس المبشر به عيسى عليه السلام - لانه اسر وقتل على زعمهم ، وأسر أكثر حواريه بالقيود والاغلال ، ثم قتلوا بايدى الملوك والاشراف .
وهذا المعنى الذى ورد فى الزبور تشير اليه الاية الكريمة فى قوله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة) (الفتح / ٢٩) .
(انظر اظهار الحق مع الحاشية/ للشيخ رحمة الله الهندى / ٥٢٥-٥٢٦) .

(١) انظر هذا الرد فى كتاب بين الاسلام والمسيحية / للخزرجى / ٢٦٥-٢٦٦ .

(٢) مابين القوسين سقط من "ب".

(٣) فى "أ" و "ج" (ويجلس) وما اثبت هو الصواب .

يعطى من ذهب بلاد سبأ ، ويصلى عليه فى كل وقت . ويدوم أمره الى آخر الدهر"(١) .

تأمل أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم فهى على ماذكر. ماغادر منها واحدا .
ولم تجتمع هذه الصفات والعلامات لاحد قبله ،على ماهو معروف من احوال الانبياء المتقدمين ، عند العلماء المنصفين غير الجاهلين المتعصبين .

وفى الزبور ايضا : أن الله تعالى "أظهر من صهيون اكليلا محمودا " (٢) .

---

(١) قارن المزمور الثانى والسبعون / ٨ - ١٧ .
" والنص " ويملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصى الارض أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب . ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية ويسجد له كل الملوك كل الامم تتعهد له . لانه ينجى الفقير المستغيث والمسكين اذ لا معين له يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء من الظلم والخطف يفدى أنفسهم ويكرم دمهم فى عينيه ويعيش ويعطيه من ذهب شبا ويصلى لاجله دائما اليوم كله يباركه . تكون حفنة بر فى الارض فى رؤوس الجبال . . يكون اسمه الى الدهر " (المزمور ٧٢ : ٨-١٧) .
ويظهر لنا من هذا النص أمور تطابقت مع اقوال النبى صلى الله عليه وسلم منها انه يملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقاصى الارض كما أشار فى الحديث الصحيح (ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان ملك امتى سيبلغ مازوى منها) رواه مسلم صحيح مسلم بشرح النووى ١٨ / ١٣ . كتاب الفتن واشراط الساعة .
واعداؤه يلحسون التراب كما حصل يوم حنين عند ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فما من احد الا اصابت عينيه" رواه مسلم صحيح مسلم بشرح النووى / ١٢ / ١٢٢ - كتاب الجهاد والسير - باب غزوة حنين . وان الملوك يقدمون له الهدايا ويخضعون له ، كما روى انس قال قال ابوحميد : اهدى ملك ايلة للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء) (صحيح البخارى رقم/ ٢٧١٧ / كتاب الجهاد /باب بغلة النبى صلى الله عليه وسلم البيضاء . وكذلك اسلم النجاشى وقال هرقل (لوكنت عنده لغسلت عن قدميه) وانه ينجى الفقير المستغيث والمسكين كما مر معنا فى قصة الاراشى الذى حصل له الرسول عليه السلام حقه من ابى جهل وغيرها من الروايات .

(٢) ورد هذا فى المزمور المئة والثانى والثلاثون : ونصه : " لان الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنا له " (المزمور المئة والثانى والثلاثون / ١٣) .

فالاكليل : ضرب مثل لرياسته ، ومحمود : هو محمد (١) صلى الله عليه وسلم(٢) وقد بلغ د ينه صهيون وغيره .

وفيه ايضا " تقلد ايها الجبار (سيفك) (٣)، فان ناموسك ، (وشريعتك) (٤) مقرونة بيمينك ، وسهامك مسنونة ، والامم يخرون تحتك " (٥) .

تأمل . من الجبار الاتى بشرائع يظهرها بالسيف والسهام؟ فانك اذا تأملت ذلك لم تجد على هذه الصفات أحدا من عهد داوود الا النبى محمد عليه الصلاة والسلام(٦)

---

(١) انظر هذا التفسير للنص السابق فى كتاب ابى عبيدة/ بين الاسلام والمسيحية/ ٢٦٦ .

(٢) فى "ج" (عليه السلام).

(٣) فى "ب" و "ج" (السيف).

(٤) فى "ب" و "ج" (وشرائعك).

(٥) والنص كما ورد فى الزبور : " تقلد سيفك على فخذك ايها الجبار جلالك وبهاءك .وبجلالك اقتحم اركب من اجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك .شعوب تحتك يسقطون" (المزمور الخامس والاربعون / ٣-٥).

ويظهر لنا من هذا النص قوته عليه السلام وصلابته امام الاعداء فى نشر دينه وقد تطابق بما ورد فى هذا النص من معانى مع الحديث الذى رواه الامام احمد عن على بن ابى طالب رضى الله عنهما انه قال : "كنا اذا اشتد البأس وحميت الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فمايكون احد اقرب الى العدو منه". (المسند ٢/١٣٤٦).

وروى الطبراني ان على بن ابى طالب كان يقول :
(ولقد رأيتنا يوم بدر نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو) واحاديث كثيرة تبين انه كان دائما يتقلد سيفه لنشر دين الله. (مجمع الزوائد ٩ /١٢) .
كما ان النص يشير الى ان شعوبا كثيرة سيمرون من تحته اما يقتلون واما ان يسلموا واما ان يعفو عنهم كما حصل يوم فتح مكة فقال لهم عليه السلام ماتقولون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال لهم عليه السلام اذهبوا فانتم الطلقاء .
(رواه ابن اسحق (انظر السيرة لابن هشام / ٣-٤ /٢ (٤ - ط ٢)

(٦) فى "ب" (صلى الله عليه وسلم) وفى "ج" (عليه السلام).

فهو / المبشر به ، لا محالة . (١١٤)

وقد تقدم قول داوود " اللهم ابعث جاعل السنة ،كى يعلم الناس انه بشر " (١) . فلينظر هنالك . فانه نص على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . فانه جاعل السنة ، (وهو الذى) (٢) اخبر بان المسيح : بشر . وليس باله.

وفى الزبور ترجمة " وهب بن منبه " (٣) يقول الله (تعالى) (٤) لداوود عليه السلام فى المزمور الخامس : " اسمع ما أقول . ومر سليمان ،فليقله للناس من بعدك : ان الارض لى أورثها محمدا . وأمته . فهم خلافكم لم تكن صلاتهم بالطنابير ، ولا يقدسونى بالأوتار " (٥) .

وهذا تصريح باسمه ،وتأييد شريعته ، وبصفات أمته . وزبور " وهب بن منبه " هذا الذى نقلت منه ، أصح مايوجد من كتاب الزبور . فانه أوثق وأعلم من كل (من) (٦) ترجمه فى سالف الدهور . ولكن النصارى مع ذلك مكذبون اذ هم جاهلون ومعاندون .

---

(١) قارن هذا بما فى المزمور التاسع والثمانون / ٢-٧ .

(٢) سقطت من " أ " و " ج " .

(٣) هو وهب من منبه الانباوى الصنعانى ابوعبد الله مؤرخ كثير الاخبار عن الكتب القديمة ،عالم بأساطير الاسرائيليات ،يعد فى التابعين ولد بصنعاء سنة ٣٤ هـ اصله من ابناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن وامه من حمير توفى بصنعاء سنة ١١٤ هـ . (الاعلام / الزركلى / ٩ / ١٥٠).

(٤) ليست فى "ب" و "ج" .

(٥) هذا معنى ماورد فى المزمور السابع والثلاثين / ٢٧ - ٣٤ . وقد جاء النص فيه هكذا :

" حد عن الشر وافعل الخير واسكن الى الابد ، لان الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه الى الابد يحفظون . أمانسل الاشرار فينقطع . الصديقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد . فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق ، شريعة الهه فى قلبه لا تتقلقل خطواته .... انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الارض الى انقراض الاشرار ".

(المزمور/ ٣٧ : ٢٧-٣٤)

(٦) ساقطة من " أ".

بشارة الا بمحمد على الله عليه وسلم

ومن ذلك : ماجاء فى الانجيل الذى بأيديكم : أن المسيح قال : ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وسأرغب الى (الأب) [١] . فى أن يبعث اليكم (روح)[٢] البرقليط . ليكون معكم الى الأبد . روح الحق الذى لاتقبله الدنيا ، لانها لاتراه ولا تعرفه . وأنتم تعرفونه لأنه نازل عليكم ، وعندكم لابث ، ولست أدعكم أيتاما "[٣] . وفيه أيضا عن يوحنا [٤] : أن المسيح (قال) [٥] : "سينفعكم ذهابى . لانى ان لم أذهب لا يأتكم البرقليط وان ذهبت سأبعثه اليكم . واذا قدم سيعرف الدنيا بالمأثم والعدل والحكم .

---

(١) فى "ب" (الرب) .

(٢) سقطت من "أ" و "ب".

(٣) قارن انجيل يوحنا / الاصحاح الرابع عشر/ ٥ (-١٨) .

(٤) والنص كما ورد فى انجيل يوحنا : "انه خير لكم أن أنطلق لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة اما على خطية فلانهم لا يؤمنون بى . واما على بر فلانى ذاهب الى أبى ولا تروننى أيضا . واما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين . ان لى امورا كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الان . واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بامور آتية . ذاك يمجدنى لانه ياخذ مما لى ويخبركم " .

(يوحنا / ١٦ :٧-١٥) .

ونلحظ ان فى النص الاول صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وفى النص الثانى بيان واعلان صريح عن قدوم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وأمر من المسيح عليه السلام لكل من اليهود والنصارى باتباع الاسلام الذى هو دين الفطرة والناسخ لما قبله من الشرائع السماوية السابقة .

(٥) ساقطة من "ج".

فأما المأثم فتركهم الايمان بى . وأما العدل فذهابى الى الاب ، ولاترونى بعدها . وأما الذى يحكم بى فيها ، فانه يحكم على صاحب الدنيا ويقهر.

وقد بقيت لى أشياء كثيرة ، أعلمكم بها ، الا أنكم لاتحملونها الان . فاذا (قدم)[1] الروح الصادق فهو يعرفكم بالصواب ، وليس يعلمكم من ذاته ، الا بمايسمع ، وسيعلمكم بمايكون ، وسيعظمنى . لانه يصيب منى ويعلمكم "[2].

وفيه أيضا[3] : " أن المسيح قال للحواريين : " الذى يبغضنى يبغض أبى فلولم أطلع عندهم من العجائب مالم يطلع غيرى لم يكن قبلهم ذنب . ولكنهم الان قد عابوا وكرهونى . ليتم ماكتب فى كتبهم ، حيث قال : انهم كرهونى بلاذنب . فاذا أقبل البرقليط ، الذى أبعث اليكم من عند الاب ، الروح الصادق المنبثق من الاب ، هو يؤدى الشهادة عنى ، وانتم ستشهدون لانكم كنتم معى (من)[4] أول الامر "[5].

---

(١) فى "ب" (قام).

(٢) فهذه الصفات والنعوت لاتنطبق الا على محمد صلوات الله وسلامه عليه فهو الذى شهد للمسيح وهو الذى وبخ العالم على الخطيئة وأرشد الناس الى الحق وهو الذى لاينطق من عنده بل يتكلم بمايسمع . ثم ان المسيح أخبر أنه يقدر على مالا يقدر عليه المسيح ويخبر بكل مايأتى . وهذا ينطبق على الرسول محمد عليه السلام الذى أخبر بتفصيلات اليوم الاخر . (هداية الحيارى / ابن القيم / ٢٢ (٢٢-٢٣)).

(٣) فى انجيل يوحنا / الاصحاح الخامس عشر.

(٤) ساقطة من "ب".

(٥) والنص كماورد فى انجيل يوحنا : " الذى يبغضنى يبغض أبى ايضا . لولم أكن قد عملت بينهم عملا لم يعملها احد غيرى لمتكن لهم خطيئة . واما الان فقد رأوا وابغضونى انا وأبى لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم انهم ابغضونى بلاسبب ومتى جاء المعزى الذى سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من عند الاب روح الحق الذى من عند الاب ينبثق فهو يشهد لى . وتشهدون انتم ايضا لانكم معى من الابتداء ". (يوحنا ١٥ : / ٢٣-٢٧). (=)

" وانما اقول لكم هذا ، لئلا يواقعكم التشكيك " (١).

فالبرقليط بالرومية هو المنحمنا بالسريانية ، وهو : محمد بالعربية (٢).

فتأمل هذه البشائر التى لا ينكرها الا معاند مجاهر . فقد اخبر به المسيح : بالعين والاسم والافعال " فماذا بعد الحق الا الضلال " (٣) . (وفيه ايضا) (٤) : انه قال لليهود " وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا . لم نساعدهم على قتل الانبياء . فأتموا كيل آبائكم ، ياثعابين بنى الافاعى ، كيف لكم والنجاة من عذاب النار ؟

وسأبعث اليكم أنبياء (٥) وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدونهم فى جماعتكم ، وتطابونهم من مدينة الى أخرى ليتكامل عليكم دماء المؤمنين المهراقة على الارض من دم هابيل الصالح .

(= ٥) لقد اخبر فى هذا النص ان الفارقليط الذى أخبر به ويشهد له مما يدل على أنه فارقليطا آخر وليس المقصود به عيسى وانه لم يكن معهم فى حياة المسيح انما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم لانه قال فى نص من نصوص الاناجيل سأرغب الى الاب فى ان يبعث اليكم البارقليط . (بتصرف عن هداية الحيارى / لابن القيم / ١٢٢) .

(١) والنص " قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا " (يوحنا / الاصحاح السادس عشر / ١)

(٢) انظر هذا فى كتاب ابن عبيدة / بين الاسلام والمسيحية / ٢٦٨) وبذل المجهود فى افحام اليهود / السموءل / ٧٥ . وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢١٥ - الناشر مكتبة الكليات الازهرية ١٩٧٤ م .

(٣) سورة يونس / ٣٢ .

(٤) فى "ب" (وقوله أيضا) .

(٥) وهذا تحريف منهم لان عيسى عليه السلام قال : " سيبعث الله أنبياء " وقد تقدم انه لم ينزل نفسه الا بمنزلة بشر ، لا اله .

(بين الاسلام والمسيحية / لابى عبيدة / ٢٧٠) .

(الى دم)[١] زكريا بن برخيا ، الذى قتلتموه (بين)[٢] المذبــــــح (والهيكل)[٣] آمين . آمين .

أقول : انه سيأتى جميع ماوصفت على هذه الامة . يرشالم . يرشالم[٤] . التى تقتل الانبياء ، وترجم من بعث (اليها)[٥] . قد أردت أن اجمع بنيك ، جمــــع الدجاجة فراريجها تحت جناحيها . وكرهت انت ذلك . سأقفز عليكم بيتكم . وأنـــــا أقول لكم / لاترونى الآن ، حتى يأتى من تقولون (له)[٦] : مبارك (الاتى)[٧] علــى (١٥ ١ اسم اللــه " [٨] .

تأمل بشارته بالنبى محمد عليه السلام[٩] ، وتوعده لهم بالانتقام منهم على يديه . فان اتأملت هذا على جهة الانصاف ، لاح الحق لك . والا فمن (كان فى هذه أعمــــى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا)[١٠] .

وقوله " سأبعث " فى الموضعين : (تحريف)[١١] بدليل قوله فيما تقدم : " سأرغب الى الاب فى أن يبعث اليكم (روح)[١٢] البرقليط " فقد صرح هنا : بـــأن

---

(١) سقط من "ب" .

(٢) فى "ب" و "ج" (عند) .

(٣) سقطت من "ب" و "ج" .

(٤) ويقصد اورشليم . وهذه التسمية يطلقها اليهود - لعنهم الله - على مدينة القدس .

(٥) فى "ب" و "ج" (اليك) .

(٦) ساقطة من "ب" .

(٧) سقطت من "ب" و "ج" .

(٨) قارن هذا بما ورد فى انجيل متى / الاصحاح الثالث والعشرون / ٣٠-٣٩ .

(٩) فى "ب" صلى الله عليه وسلم .

(١٠) سورة الاسراء / ٧٢ .

(١١) فى "ب" (تخويف) .

(١٢) سقطت من "ج" .

الباعث له : هو الله . لا هو . وهو الحق ، اذ قد تبين : ان المسيح لا يفعل شيئا من ذاته ، وانما يفعل مايريده الله تعالى . وقد تقدم قوله :

" لست أنفذ ارادتي . وانما أنفذ ارادة الاب " .

وفيه أيضا (١) : " أن المسيح قال : " ان التوراة وكتب الانبياء يتلو بعضها بعضا بالنبوة والوحي حتى جاء يحي . وأما الآن . فان شئتم فاقبلوا . فان ايل مزمع أن يأتي . فمن كانت له أذنان سامعتان فليسمع " .

ايل (٢) : هو الله تعالى . ومجيئه هو : مجيء رسوله بكتابة وأمره ، كما قال في التوراة " جاء الله من سيناء " (وأقبل من فاران) (٣) وما أشبه ذلك .

فان قلت : قوله " فان ايل مزمع أن يأتي " وقوله " حتى يأتي من تقولون له : مبارك الاتي " (٤) انما أراد من كان بعده من الانبياء مثل : بارنابا ، وشمعون وليوقيوش . ومناين . هؤلاء أنبياء " أنطاكية " (٥) ومن بيت المقدس "

---

(١) والنص كما ورد في متى : " أما يوحنا فلما سمع في السجن باعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذه وقال له : انت هو الاتي ام ننتظر اخر ... وقال المسيح " الحق اقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الاصغر في ملكوت السموات اعظم منه . . لان جميع الانبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا . وان أردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع ان ياتي . من له اذنان للسمع فليسمع " .

(متى ١١ : ٢-١٥) .

(٢) والمقصود به ايليا . فان زعم النصارى ان المراد (بايليا) هو الياس النبي ، فهو زعم باطل لان الياس كان سابقا في الزمان على عيسى ، أرسله الله الى قومه . وكان من أمره ماكان وصار الى الله تعالى . اذا فيكون المقصود بايلياء هو محمد صلى الله عليه وسلم والذي ورد في سفر ملاخي " هأنذا أرسل اليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب" (ملاخي ٤ : ٥) (بين الاسلام والمسيحية / لابي عبيدة / ٢٧١) .

(٣) مابين القوسين سقط من "أ" ومن "ج" (فاران) .

(٤) مبارك الاتي : ويقصد به محمدا صلى الله عليه وسلم كما ورد في المزمور المئة والثامن عشر ٢٢-٢٦ . والنص " الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في اعيننا ... آه يارب انقذ مبارك الاتي باسم الرب " .

يؤيد هذا مارواه مسلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال " مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلون ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنة جئت فختمت الانبياء) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/٢٥ كتاب الفضائل باب ذكر كونه عليه السلام خاتم النبيين .

(٥) انظر سفر اعمال الرسل / ١٣ : ١-٣ .

(اغفانوس) (١) .ومن " فلسطين " (جرجيس) (٢) .

فالجواب : أنه لا يصح لكم ان تعترفوا بنبوة واحد من هؤلاء ، بل ينبغى لكم أن تكفروا بهم لانكم ترون : أنه لانبى بعد المسيح ،وتسندون ذلك الى كتبكم (٣) . فأما أن تكذبوا بقولكم لانبى بعد المسيح أو تنكروا نبوة من ذكرتم .

ثم لو سلمنا انهم انبياء . فليسوا المرادين بما ذكرتم لانهم لم يأتوا بكتب من الله ولا بأوامر أخر وغايتهم : ان يحكموا بكتب الانبياء قبلهم . واتيان الله فيما ذكر : انما هو عبارة عن اتيان نبى من أنبيائه بكلامه وكتابه ،كما (ذكرحيث)(٤) قال : " جاء الله من سيناء وأشرق من ساعير ،واستعلن من (جبال) (٥) فاران" (٦) وهذا واضح للمنصف .

---

(١) فى "ب" (اعيانوش ".

(٢) فى "ب" (جورجيس ".

(٣) كما يذكرون فى انجيل متى : " وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا لا يضلكم احد فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين انا هو المسيح ويضلون كثيرين . .ويقوم انبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين . . . . لانه سيقوم مسحاء كذبة وانبياء كذبة ويعطون ايات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو امكن المختارين ايضا . ها انا قد سبقت واخبرتكم " (متى : ٢٤ : ٣-٢٥).

(٤) سقط من "أ" و "ج" .

(٥) سقطت من "ب" و "ج" .

(٦) سبق الاشارة الى هذا النص الذى ورد فى التوراة (تثنية ٣٣ : ٢). ويقصد من سيناء : جبل الطور فى سيناء ففيه نزلت التوراة على موسى وفى سعير : وهى قرية قرب مدينة بيت لحم فى فلسطين وفيها تلقى المسيح الانجيل واما جبال فاران فهى جبال حراء بمكة المكرمة حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يختلى بنفسه بعيدا عن صخب الحياة الجاهلية يتفكر فى خالق هذا الكون حتى نزل عليه الوحى بالرسالة السماوية . (بتصرف عن بذل المجهود فى افحام اليهود /للسموأل / ٣٥) وعن (اظهار الحق / رحمة الله الهندى / ٢/ ٥٤٧).

وقد زعم بعض المعاند ين الجاهلين ممن ينتمى الى د ينكم : أن المبشر به فى ذ ينك الموضعين (١) : انما المراد به رجوع بعض من . مضى من الرسل ، وعود هم الى الارض والى الناس (٢) . وهو قول باطل صدر عن معاند جاهل اذ لم يثبت شيء من ذلك على لسان نبى فاضل ، الا ماصح على لسان نبينا من رجوع عيسى ابن مريم(٣) صلوات الله وسلامه عليه

---

(١) يقصد مبارك الاتى وايليا .

(٢) مثل مازعم يرويم ان موسى بن عمران ، واليسع ، والياس سيأتون . وحكى زيادة " أرميا " فى الاثنين ، واحتج على ذلك بمانص فى كتاب الله عن الله تعالى انه قال :
" قبلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قد ستك . جعلتك نبيا للشعوب " (ارميا / الاصحاح الاول / ٤-٥) .
فقال يرويم : أوحى الى أرميا أنه يأتى آخر الزمان ليكون نبيا للاجناس كلها كما قيل له لانه لم يكن الانبياء مرسلين الا لبنى اسرائيل خاصة ".
فهذا قول " يرويم " ومامن نبى الا قال : انه الى بنى اسرائيل بعث ولم يبعث الى غيرهم . . . الى أن بعث الله سيد نا محمد ا صلى الله عليه وسلم وقال له : " قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا " (الاعراف / ١٥٨) .
والقول الذى قيل " لأرميا " فيما أوحى الله اليه ، انما هو قول لمابعده وان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم .
اما قول " يرويم " : ان فلانا وفلانا - لمن سماهم من الانبياء - سياتون فى آخر الزمان فهذا افتراء على الله ولن يأتى منهم - ممن قد مات - احد الى يوم الدين .
(عن كتاب ابى عبيدة / بين الاسلام والمسيحية / ٢٧١-٢٧٢) .

(٣) فقد روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا ومافيها) ثم يقول ابوهريرة اقرؤوا ان شئتم (وان من اهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (النساء / ١٥٩) . (صحيح البخارى بشرح الكرمانى رقم / ٢٢٧ ٣ - كتاب بدء الخلق / باب نزول عيسى بن مريم)
ورواه الترمذى .
انظر صحيح الترمذى بشرح ابن العربى / ٩ / ٧٦-٧٨ - ابواب الفتن - باب نزول عيسى ابن مريم .
(=)

اذا خرج " الدجال "(١) وقتله له . وفى انجيلكم اشارة الى هذا (٢) . وهذا عندنا مبنى على أن الله تعالى رفع المسيح اليه ولم يقتل . ولا مات (بل رفعه الله اليه) (٣) على ما يأتى عند ذكر الصلوبية . وانما يموت اذا قتل الدجال عند باب " لد "(٤) وبعد أن يهلك الله " يأجوج ومأجوج "(٥) على يديه .

وفى الانجيل(٦) ايضا : انه ضرب مثلا للدنيا فقال : " مثل الدنيا كمثل رجل اغترس كرما ، وسيج حوله وجعل فيه معصرة ، وشيد فيه قصرا ، ووكل به أعوانا ، وتغرب عنه ،

= (٣) ومن الادلة على نزول عيسى عليه السلام من القرآن قوله تعالى :
(وان من اهل الاكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) النساء / ١٥٩ . قال السفارينى : اى ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء اخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابراهيم حنيفا مسلما ".
وكذلك الاجماع : فقد اجمعت الامة على نزوله ولم يخالف فيه احد من أهل الشريعة وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه ". (لوامع الانوار البهية / للسفارينى / ٢-٩٤-٩٥) .

(١) والمقصود بالدجال : اى الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه فى الشرائع وقيل : انما سمى دجالا لانه يقطع الارض ويسير فى اكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك وقيل سمى به لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل الرجل اذا لبس وموها وقيل مأخوذ من الدجل وهو طلى الجرب بالقطران وتغطيته . فكان الرجل يغطى الحق ويستره . (لوامع الانوار البهية للسفارينى / ٢ / ٩٩) .
وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الدجال كما روى البخارى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مابعث نبى الا انذر امته الاعور الكذاب الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور وان بين عينيه مكتوب كافر) .
(صحيح البخارى رقم / ٧١٢٢ - كتاب الفتن باب ذكر الدجال) .

(٢) كما فى انجيل متى / الاصحاح الرابع والعشرون / ٣-٢٧ .

(٣) النساء / ١٥٨ .

(٤) لما رواه الترمذى عن عبد الرحمن بن يزيد الانصارى من بنى عمرو بن عوف يقول سمعت عمى مجمع بن جارية الانصارى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (=)

فلما دنا أوان قطافه بعث عبيده الى أعوانه الموكلين بالكرم " .

فضرب المسيح عليه السلام مثلا للانبياء ، ثم لنفسه ثم قال :

" سيزاح عنكم ملك الله ، وتعطاه الامة المطيعة (العاملة)[1]"(٢) . فتأمله . ثم ضرب مثلا (٣) : " بصخرة " وقال : " من سقط على هذه الصخرة سينكسر .

(=٤) " يقتل ابن مريم الدجال بباب لد " . قال ابوعيسى : حديث حسن صحيح (صحيح الترمذى بشرح ابن العربى / ٩ / ٩٨-٩٩) ابواب الفتن / باب ماجاء فى قتل عيسى بن مريم الدجال .

(=٥) انظر حديث اهلاك الله ليأجوج ومأجوج كما رواه ابن ماجه فى سننه رقم الحديث (٤٠٨١) كتاب الفتن - باب فتنة الدجال وخروج عيسى ويأجوج ومأجوج وهو حديث صحيح كما فى الزوائد .

(=٦) فى متى . قارن هذا بما ورد فى انجيل متى / الاصحاح الحادى والعشرون / ٣٣-٤١ .

(١) والنص كما ورد فى متى : " أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره) وقد ظهر يوحنا يبشر باقتراب ملكوت السموات : (متى ٢١ : ٤٣) .

" وكان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات " .

(متى ٣ : ٣-٤) .

ولما سمع يسوع المسيح (عليه السلام) ان يوحنا اسلم انصرف الى الجليل وترك الناصرة ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لانه قد اقترب ملكوت السموات "

(متى ٤ : ١٢-١٧) .

وتبين لنا مما تقدم ان يوحنا والمسيح وتلاميذه جاءوا يبشرون باقتراب ملكوت السموات ومن البديهى ان هذا الملكوت شىء ياتى بعد المسيح . وتبين لنا ايضا من قول المسيح/ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى للامة المطيعة ولم يكن سوى النبوة . للاسرائيليين

(النبوة والانبياء فى اليهودية والمسيحية والاسلام . احمد عبد الوهاب/ ١٤٨-١٤٩) .

(٢) سقطت من "أ" .

(٣) فى "أ" (ثم ذكر فى المثل) .

ومن سقطت عليه يتهشم) (١) .

يريد بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم . من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه . وكذلك قد ازاح الله ملككم . وأزاله عنكم ،وأعطاه أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) (٢) حيث افتتحوا عليكم بلاد الشام ، وبلاد المغرب ،وردوكم فى أكثر الارض ،أهل ذلة وصغار ، وأخذوا منكم الجزية بعد القتل الذريع ،والاسترقاق الشديد ،بعد ان كان ملككم/راسخا (٦ وجبله شامخا . فهد الله بنبيه قواعده ، ولينفذن الله مواعده ، وأعظم شاهد على أن الله أزاح ملككم عنكم كما قال المسيح (٣) ،ان الله تعالى أعطانا بيت المقدس،وأظهرنا عليه . وان كرهتم . والحج اليعتقد كم من أعظم شرائعكم وشرائع اليهود ،ثم ان الواحد منكم لا يصل اليه ، حتى يلحقه من الذلة والصغار ،مالا يخفى عليكم : (والله متم نوره ولو كره الكافرون) (٤) .

---

(١) والنص " ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه " (متى ٢١ : ٤٤) وفى هذا النص يبين الله تعالى انه سيظهر دين محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الملكوت الذى يبشر به يوحنا والمسيح وتلاميذه باقترابه وهوالذى نزعه الله من الاسرائيليين واعطاه للامة الاسلامية . اذن هذا الحجر هو راس الزاوية كما اشار متى فى انجيله - يقصد نبوة محمد عليه السلام وبعثته كخاتم للرسل ويؤيد هذا مارواه الامام مسلم عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :
" مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فلما أتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلون ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الانبياء " (صحيح مسلم بشرح النووى / ١٥ / ٥٢ كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين) .

(٢) ليس فى " أ " و " ج " .

(٣) انظر هامش رقم (١) فى الصفحة السابقة .

(٤) الصف / ٨ .

وفى صحب أشعياء النبى الذى بنأيد يكم .قال : " ستمتلىء البادية (والمدائن) (١) والقصور التى (سكنها) (٢) قيدار ، يسبحون ،ومن رؤوس الجبال ينادون . هم الذين يجعلون لله الكرامة ، ويبثون تسبيحه فى البر والبحر" (٣) . وفى صحف حزقيال النبى عن الله (تعالى) (٤) يقول : " انى مؤيد قيدار بالملائكة " (٥) .

وقيدار : ولد اسماعيل (٦) ، (بلا) (٧) شك . فانظر الى البادية هذه البادية التى امتلأت من قصور الى قيدار ؟ والذين ينادون بالاذان والتلبية من رؤوس الجبال (٨) ، ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج (٩) والصوم والزكاة وغير ذلك ؟ وقد ثبت أن الملائكة

---

(١) سقطت من "أ".

(٢) سقطت من "ب" و "ج" .

(٣) والنص : " غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من اقصى الارض . ايها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها .لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار . لتترنم سكان سالع . من رؤوس الجبال ليهتفوا .ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحة فى الجزائر " (اشعياء /الاصحاح الثانى والاربعون / ١٠-١٢) .

(٤) ليست فى "أ" و "ج".

(٥) حزقيال / الاصحاح السابع والعشرون : ٢١) .

(٦) كما ورد فى سفر تكوين انه الابن الثانى " وهذه اسماء بنى اسماعيل باسمائهم حسب مواليدهم بنايوت بكر اسماعيل وقيدار وأدبئيل ومبسام) . (تكوين ٢٥ : ١٣) .

(٧) فى "ب" (بغير) .

(٨) اما الذين يهتفون من رؤوس الجبال فهذا اشارة الى العبادة المخصوصة التى تؤدى فى ايام الحج فانه يصيح الوف الناس بلبيك اللهم لبيك . وكذلك اشارة الى الاذان يجهر به الوف الوف فى اقطار العالم فى الاوقات الخمسة جهرا .
اما قوله فى اصحاح اشعياء : غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحة من اقصى الارض فقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندى معنى هذا فقال : " والتسبيحة الجديدة وهى عبارة عن العبادة على النهج الجديد التى هى فى الشريعة المحمدية وتعميمها على سكان اقاصى الارض، واهل الجزائر واهل المدن والبرارى اشارة الى عموم نبوته صلى الله عليه وسلم . ولفظ قيدار اقوى اشارة اليه لان محمدا صلى الله عليه وسلم من أولاد قيدار بن اسماعيل " اهـ. (اظهار الحق / ٢ / ٥٢٦) .

(٩) انظر هذا فى كتاب بين الاسلام والمسيحية / لابى عبيدة الخزرجى / ٢٧٤) .

قاتلت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن (١) على ما يأتى (ان شاء الله تعالى) (٢) .

بشـا
اشعيا
محمد
السلا

وقال أشعياء النبى عن الله : "عبدى الذى سرت به نفسى ، أنزل عليه وحـى ، فيظهر فى الامم عدلى ، يوصى الامم بالوصايا . لا يضحك ولا يسمع صوته فى الاسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الاذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه غيره .
أحمد يحمد الله (حمدا) (٣) كثيرا . يأتى من أقصى الارض ، تفرح البرية . وسكانها يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية . لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل الى الهوى . ولا يسمع فى الاسواق صوته ولا يذل الصالحين الذين هم (٤) كالقصبة الضعيفة ، بل يقوى الصديقين ، وهو ركن للمتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفىء ولا يخاصم ، حتى تثبت

---

(١) من هذه المواطن مثلا يوم بدر حيث انزل الله تعالى الملائكة لتثبيت المؤمنين . قال تعالى : " اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب " (الانفال / ١٢) وكذلك من هذه المواطن يوم حنين . قال ابن اسحق : حدثنى ابى اسحق بن يسار انه حدث عن جبير بن مطعم قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثل البجاد الاسود اقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى لم أشك انها الملائكة ، ثم لم يكن الا هزيمة القوم) (راجع السيرة لابن هشام / ٤ / ٦٩ - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية) .
وقد انزل الله تعالى فى غزوة حنين :
(ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغنى عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) . (التوبة / ٢٥-٢٦) .

(٢) مابين القوسين سقط من "ب" .

(٣) سقطت من "ب" .

(٤) فى "ب" (منهم) .

فى الارض حجتى ،وينقطع العذر به ، (والى) (١) توارته ينقاد الحق " (٢) .

فاعتبر هذا التصريح باسم محمد وصفاته (٣) . وان هذه العلامات المذكورات على لسان هذا النبى لا يصح بحال .أن توجد لغيره ،ولم تكن الا له .

---

(١) فى "ب" (وان)

(٢) اشعياء الاصحاح الثانى والاربعون .

وأنا اذكر النص كما ورد فى اشعياء : " هو ذا عبدى الذى اعضده مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للامم ، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته . قصبته مرضوضة لا يقصف وفتيله خامدة لا يطفىء الى الامان يخرج الحق . لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الارض وتنتظر الجزائر شريعته .

هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا . أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك واجعلك عهدا للشعب ونورا للامم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة " ثم يقول :

" أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار ،لترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحة فى الجزائر والرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه ".

(أشعياء ٤٢ : ١-١٣)

(٣) وما ورد عن سيدنا محمد وصفاته فى هذا النص :

<u>أولا</u> : اشتهر بانه عبد الله ورسوله " هو ذا عبدى الذى اعضده مختارى الذى سرت به نفسى " وقد ورد فى القرآن وصفه بالعبودية منها قوله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا" (الكهف / ١) .

<u>ثانيا</u> : أن دينه يسود وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده لا من بعده :

" لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الارض وتنتظر الجزائر شريعته " ولقد وعد الله محمد عليه السلام ان يتمم الامر الذى جاء به فقال :

(يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم ،ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة /٣٢ .

(=)

فان قلت : هو المسيح . قيل لك : تفهم لفظ الكلام وسياقه وحينئذ تحكم بأنه " محمد " قطعا . وذلك انه قال فيه " يوصى الامم " وهذا تصريح ببعثة للناس كافة . وعيسى انما بعث للاجناس من بنى اسرائيل خاصة بدليل قوله فى الانجيل :

" انى لم أبعث الى الاجناس . وانما بعثت الى الغنم الرابضة من نسل اسرائيل "(١).

(= ٣) ولقد اكتمل الدين قبل موته (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) المائدة / ٣ .

ثالثا : عصمة الله له من الناس حتى يكمل رسالته .

" انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهدا للشعب " وقد نزل القرآن ليعلن عصمة الله له على رؤوس الاشهاد (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (المائدة / ٦٧) .

رابعا : ثم تصريح اشعياء بان من صفاته بانه لا يرفع صوته ولا يصخب فى الاسواق .

" لا يصيح ولا يرفع صوته ولا يسمع فى الشارع " وهذا ما ورد فى حديث عائشة الذى رواه الترمذى انها قالت . وقد سألت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح " قال أبو عيسى حديث حسن صحيح . (صحيح الترمذى بشرح ابن العربى ٨ / ١٧٣-١٧٤) ابواب البر والصلة - باب فى خلق النبى صلى الله عليه وسلم .

خامسا : أنه يخرج الناس من الظلمات الى النور .

" لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة " وقد انزل الله فى القرآن (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) ابراهيم / ١ .

سادسا : " يخرج الحق الى الامم " يدل على عموم رسالته وصدق الله (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) (الانبياء / ١٠٧) .

سابعا : التصريح بان فى دينه هتافا من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير (من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحة فى الجزائر) وهذا يشير الى وقفة عرفات فى الحج حيث ان الحج عرفه فهناك يهتف الحجاج لله ويسبحون ويكبرون ويهللون . (بتصرف عن النبوة والانبياء فى اليهودية والمسيحية والاسلام / احمد عبد الوهاب / ١٣٨-١٤٣) .

(١) والنص كما ورد فى متى : " فاجاب وقال لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة " (انجيل متى / الاصحاح الخامس عشر / ٢٤) .

وكذلك قال للحواريين : " لا تسلكوا فى سبيل الاجناس . ولكن اختصروا بالضرورة الى الغنم الرابضة من بنى اسرائيل " (١) .

(ثم قال : " احمد يحمد الله " وهذا تصريح باسمه فان اسمائه كثيرة منها : محمد وأحمد (٢)) (٣) .

ثم قال : " يهللون الله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية " وهذا اخبار بآذانهم وتلبيتهم . وليس هذا لاحد غيره . ثم قال : " لا يضعف ولا يغلب " (٤) وانتم تزعمون أن المسيح غلب على نفسه ، وحمل على خشبة وسمرت يداه فيها ، وقتل عليها ، بعد صفع واهانة عظيمة " (٥) .

---

(١) والنص كما فى متى : " الى طريق امم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بنى بيت اسرائيل الضالة " (متى ١٠ : ٥-٦) .

(٢) وله ايضا من الاسماء غير هذا الماحى والعاقب والحاشر كما ورد فى الحديث الذى رواه مسلم من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحى بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذى لا نبى بعده " . رواه الشيخان . (صحيح مسلم بشرح النووى / ١٥ / ١٠٤ - كتاب الفضائل باب اسمائه صلى الله عليه وسلم) . و (صحيح البخارى بشرح الكرمانى رقم الحديث (٣٣٠٤) . كتاب بدء الخلق باب ماجاء فى اسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) مابين القوسين سقط من "ب" .

(٤) مصداقا لقوله تعالى : " يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة ٣٢ .
وهذا وعد من الله لرسوله ان ينصره وينشر دينه .

(٥) قارن هذا التفسير على كتاب ابى عبيدة - بين الاسلام والمسيحية / ٢٧٥ .

ولا درجة في الغلبة والضعف والذلة تزيد على هذا .

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد فتح الله عليه فتحا مبينا ونصره نصـــــرا عزيزا ، وأظهره على كل عدو ومعاند . حتى أعلى الله دينه وأفشى توحيده (١)، وعصمه مـن كل الشرور ،ووقاه كل مخوف ،وكل محذور ،ومن أدل مافي كلامه على أن نبينا محمدا (صلى الله عليه وسلم) (٢) هو المراد والمبشر به قوله :

" لا يخاصم ، حتى تثبت في الارض حجتي " فان هذا تصريح بالقرآن الذى جاء به . اذ قد عجز عن الاتيان بمثله ،أو بسورة / (مثله) (٣) جميع البشر (٤) . وان كان فيهم (١٧ اللد الفصحاء ،والمهرة الحكماء (٥).

---

(١) قارن هذا بما في كتاب ابي عبيدة بين الاسلام والمسيحية/ ٢٧٦ .

(٢) ليست في "أ" و "ج".

(٣) سقطت من "ب".

(٤) قال تعالى :" (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القـــرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (الاسراء/ ٨٨) .
ثم تحداهم ان يأتوا بعشر سور مثله فقال : (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) هود / ١٣ . ثم رجع الى سورة واحدة فقال : (قل فأتوا بسورة مثله) (يونس/ ٣٨) وفـي البقرة/ ٢٣ " فأتوا بسورة من مثله ". ثم قال :" ولن تفعلوا " البقرة/ ٢٤ .

(٥) وقد كان الفصحاء العرب وشعراؤها وأئمة البيان فيها تمشى الى استماعه سرا وجهرا ولا تفع فيه وهم يومئذ حريصون على رده وتحداهم القرآن فما أجابوه بحـــرف اذعانا الى اعجازه والقاء بأيديهم له والا فما منعهم حين سمعوه وقد قرأ عليهـم ذلك - ان يعارضوه - ان يقولوا : هذا رجل قد تخطىء رقابنا - معشر العرب - على مافينا من خطيب بليغ وشاعر صميم ،وذوي عقل وحكم وعلم وتجربة . وقالوا : انكـم متى عارضتموه بسورة واحدة مثل كتابه فهو كاذب " فما استطاعوا الى ذلك سبيلا فعلـم بذلك أن هذا القرآن ليس من كلام البشر بل هو من عند الله " .
(بتصرف من كتاب بين الاسلام والمسيحية / ٢٣٣-٢٣٤) .

فثبت في الارض حجة الله ،وعلم انه من عند الله ، وسيأتي بيان هذا المعنى ان شـــاء الله (عز وجل) (١) .

وفي صحف حبقوق (٢) النبي التي بأيديكم . قال : " جاء الله من التيمن (والقدوس) (٣) من (جبل) (٤) فاران . وامتلأت الارض من تحميد أحمد وتقديسه ، وملأ الارض بهيبته " .

وقال ايضا : (٥) " تضيء لنوره الارض وستنزع في قسيك اغراقا وترتوى السهـــام بأمرك يامحمد ارتواء " (٦) .

فيامعشر (العقلاء) (٧) ، انظروا عناد هؤلاء الجاحدين وانكار هؤلاء الجاهليـــن ، وتواقح هؤلاء (الجاهلين) (٨) . كيف خالفوا هذه النصوص القاطعة والبشارات الصادعـــة

---

(١) ليست في "ب".

(٢) والنص كما ورد في الاصحاح الثالث من حبقوق :
" الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران .سلاه جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور له من يده شعاع وهناك استتار قدرته "
(حبقوق ٣ : ٣-٤) .

(٣) في "ب" و "ج" (وتقدس) .

(٤) سقطت من "ب" و "ج" .

(٥) والنص الذي أورده المؤلف فيه افصاح عن اسم محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ولكـن في الترجمة الحديثة لم يرد فيها لفظ محمد وانما الذي ورد كما تقدم في النص السابق (القدوس) وانه جاء من فاران وقد تقدم ان فاران جبل من جبال مكة . ويقصـــد ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث في مكة .

(٦) والنص : " وكان لمعان كالنور له من يده شعاع . .عريت قوسك تعرية سباعيات سهام كلمتك سلاه شققت الارض نهارا" (حبقوق ٣ : ٤-٩) .

(٧) في "ج" (العاقلين) .

(٨) في " ب " (الجاحدين) .

محكمين فى ذلك أهوائهم وهم (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) (١) .

وفى صحف أشعياء النبى قال : "قيل لى : قم (ناظرا) (٢) فانظر فما ترى وتخبر به . قلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما : على حمار والاخر: على جمل . يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل واصنامها النخرة " (٣) .

فصاحب الجمل هو: محمد صلى الله عليه وسلم (٤) . وصاحب الحمار باتفاق منا ومنكم ، هو : المسيح (٥) وليس محمد بركوب الجمل اشهر من عيسى بركوب الحمار . وانما سقطت عبادة الاصنام ببابل من دون الله وهدمت أوثانها بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، لا بعيسى ولا بغيره . فمازالت ملوك بابل يعبدون الاوثان من (لدن) (٦) ابراهيم الى زمان النبى (٧) صلى الله عليه وسلم (وأمته) (٨) .

---

(١) فى نسخة "ب" وردت هكذا (وهم يعرفون أبناءهم) .
ونص الاية بكاملها (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) (الانعام/ ٢٠) . (٢) سقطت من "ب" .

(٣) والنص كما ورد فى أشعياء :
" لانه هكذا قال لى السيد : اذهب اقم الحارس ليخبر بما يرى . فرأى ركابا ازواج فرسان . ركاب حمير ركاب جمال . . وقال : سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها الى الارض ". (اشعياء (٢ : ٦-٩) .

(٤) فى "ب" (عليه الصلاة والسلام) .

(٥) ولهذا يذكرون فى انجيل متى " حينئذ ارسل يسوع تلميذين قائلا لهما : اذهبا الى القرية التى امامكما فللوقت تجدان أتانا مربوطة وجحشا معها فحلاهما وأتيانى بهما " (متى (٢ : ١-٢) . (وانظر انجيل لوقا : الاصحاح التاسع عشر: ٣٠) . مما يدلل على ان صاحب الحمار هو عيسى عليه السلام .

(٦) فى "أ" و "ج" (كون) .

(٧) راجع هذا التفسير للنص السابق فى كتاب ابى عبيدة بين الاسلام والمسيحية/ ٢٧٧ .

(٨) سقطت من "ب" .

وفى صحفه أيضا : " لتفرح (أرض)[1] البادية العطشى ، ولتبتهج البرارى والفلوات لانهـــا ستعطى بأحد محاسن (لبنان) [2] كمثل حسن الدساكير والرياض "[3] .

هذا ينص على اسمه ووصفه وبلده بحيث لا ينكره الا وقاح مجاهر بالباطل الصراح [4] .

وفى صحف أشعياء النبى (٥) : " أتت أيام الافتقاد (أتت) [6] أيام الكمال " ثم قـــال : " لتعلموا يابنى اسرائيل الجاهلين ، أن الذى تسمونه ضالا هو صاحب النبوة . تفترون ذلك على كثرة ذنوبكم ، وعظم فجوركم " .

وفى الصحف المنسوبة لاثنى عشر نبيا (٧) : " أن الله سيتجلى من القبلة ، وتظهـــر

---

(١) فى "ب" (أهل) .

(٢) سقطت من "ب" .

(٣) والنص فى الترجمة الحديثة " تفرح البرية والارض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس . يزهر ازهارا ويبتهج ابتهاجا ويرنم يدفع اليه مجد لبنان بهاء كرمل وشارون وهم يرون مجد الرب بهاء الهنا " (اشعياء ٣٥ : ١-٢) .

(٤) انظر هذا الرد فى كتاب بين الاسلام والمسيحية / للخزرجى / ٢٧٧ .

(٥) والنص كما فى اشعياء " هوذا الاوليات قد اتت والحديثات انا مخبر بها قبل ان تنبت أعلمكم بها " ثم قال " أيها الصم اسمعوا ايها العمى انظروا لتبصروا من هو اعمـــى الا عبدى وأصم كرسولى الذى أرسله من هو اعمى كالكامل واعمى كعبد الرب ناظرا كثيرا ولا تلاحظ مفتوح الاذنين ولا يسمع الرب قد سر من أجل بره يعظم الشريعة ويكرمهـــا ولكنه شعب منهوب ومسلوب قد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس واختبأوا . صاروا نهبا ولا منقذ وسلبا وليس من يقول رد . . . . " (اشعياء ٤٢ : ٩-٢٥) .

(٦) سقطت من "ب" .

(٧) كما فى سفر حبقوق : " الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور له من يده شعاع " . (حبقوق : ٣ : ٣-٤) .